د. عبد الرحيم عمر محي الدين

الإسلاميون في السودان

دراسة التطور الفكري والسياسي

١٩٦٩ - ١٩٨٥

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

د. عبد الرحيم عمر مُحيي الدين

الإسلاميون في السودان

دراسة التطور الفكري والسياسي ١٩٦٩ - ١٩٨٥

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb



حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١
تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣
فاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٩٩٠٤





هذا الكتاب

هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء يُعْتَبر ذو أهمية خاصة ومتفردة في التاريخ والتحليل للحركة الإسلامية السودانية التي قادها الدكتور الترابي منذ مطلع ستينيات القرن المضى. فمؤلف هذا الكتاب لم يكن مراقباً للأحداث كعامة الأكاديميين والمحللين لمجريات الأحداث السياسية في السودان، بل هو عضو فاعل ومشارك في أحداث وقرارات الحركة الإسلامية التي ظل يعمل في صفوفها منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين وما زال. لذا هذا الكتاب يشكل رؤية من الداخل قطعية الدلالة في معظم نواحيها مع قدر وافٍ من التحليل تحتاجه مثل هذه الدراسات السياسية.

كذلك هذه الدراسة تصلح أن تكون هادياً وقائداً بالنسبة للحركات السياسية إسلامية كانت أو غيرها لأخذ العبرة والقدوة من تجربة الحركة الإسلامية الممتدة من ١٩٦٩ - ١٩٨٩ وكيف استطاعت الحركة الإسلامية أن تقود معادلة موزونة بينها وبين نظام نميري في الفترة التي أعقبت المصالحة الوطنية ميزت عبرها صف الحركة الإسلامية عن صف السلطة المايوية وحفظت لنفسها صدق الشعار وأصالة الموقف .. في الوقت الذي نجدها لم توفق في لعب هذا الدور إبّان فترة الإنقاذ مما أفقدها الكثير وسط القواعد الطلابية.

كذلك هذا الكتاب يقدم نماذج لأدبيات ومراسلات الإسلاميين إبّان المعارضة المسلحة لنظام نميري .. تلك المراسلات التي كتبها شباب الحركة الإسلامية من الصحاري الليبية عندما كانوا وقتها طلاباً في الجامعات والمعاهد العليا تجمعهم وحدة الهدف والغاية والمصير والزهد في هذه الفانية ورجاء ما عند الله والدار الآخرة .. ثم إذا نظرنا إليهم اليوم نجدهم قد انقسموا إلى قسمين: فريق في قيادة الإنقاذ ومؤسساتها العليا يؤمنون بأنها ثمرة جهاد الحركة الإسلامية التي يجب العض عليها بالنواجذ، وفريق في سجونها أو طريداً من أجهزتها بعد أن حاول اسقاطها بكل السبل ولا يهمه حتى لو سقطت في يد الشيطان!.. هذه الظاهرة لا ينبغي أن ينظر إليها كقدر من أقدار التاريخ بل يجب الوقوف عندها كثيراً لكل من يقدم نفسه لقيادة المجتمع وفق تركيبة حزبية إسلامية كانت أو علمانية.. حيث يطرح سؤال كبير نفسه: لماذا تتحول الكثير من حركات التغيير من حركات مثالية إبّان فترات المعارضة إلى حركات واقعية تتنازل عن الكثير من مثالياتها وتحاول أن تتعامل مع الواقع وتتكيف معه كيفما

اتفق.. فتصبح حركة واقعية تربطها بمثلها ذكريات حلوة يتذكرها البعض عندما يخلو إلى نفسه في لحظة صفاء أو عندما تلفظه آلة السياسة الحزبية الواقعية إلى هامشها.. عندئذٍ يتيقظ ولكن هيهات.

الحركة الإسلامية في السودان قدمت النموذج الحسن الذي مكّنها من الوصول إلى أهدافها العليا التي تصل عبرها إلى غايتها الكبرى وهي عبادة الله في دولة العدالة والشورى والحرية.. لكن شابتها عاديات الفتن في بداية المسير وفي عقدها الأول بصورة أذهلت كل الذين علقوا عليها آمالاً عراضاً وانتظروها أن تقدم لهم المثل في الممارسة بعد أن قدمت المثل في المعارضة والتنظير.. ورغم أن الحركة الإسلامية ما زالت تحاول ترتيب صفها وإصلاح ما أعطبته فتنة الإنشقاق لكن تظل هذه الحركة جديرة بالدراسة والتأمل وتتبع تطورات نموها ونضجها السياسي. وهذا ما تحاول هذه الدراسة تقديمه.

مدخل

الطلاب هم قلب الحركة الإسلامية النابض بالحياة وهم رافعو شعارها والمدافعون عن مبادئها والمنفعلون بقيمها والمقاتلون الأوائل في صفوفها رغم ذلك لم يقيّم دورهم في مسيرة الحركة الإسلامية رغم أهميته عليه فهنالك جملة مبادىء دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع تأتي أهميتها في الآتي:

أولاً:

تمثل دراسة روافد الحركة الإسلامية بالسودان بعداً مهماً للغاية في الكشف عن سيرورة هذه الحركة وفاعليتها في سياق السياسة السودانية... كما أن الذين كتبوا عن الحركة الإسلامية في السودان اهتموا في كتاباتهم بالحركة في عمومياتها دون تفصيلاتها كما أنهم تجاهلوا أهم منبع للحركة الإسلامية في السودان هو جامعة الخرطوم، وأهم روافد الحركة فيها وهو الاتجاه الإسلامي.

ثانياً:

تقدم هذه الدراسة رؤية تحاول من خلالها مقارنة الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم بالاتجاهات الأخرى داخل الجامعة مما يتيح من خلال المقارنة استشفاف أبعاد أخرى ومعرفة جوانب التوافق والتباين بينها.

ثالثاً:

قلة البحوث في معاهد البحث السودانية التي تدرس تطورات بني الحركة الإسلامية في السودان بصفة خاصة وتلك التي تبحث التنظيمات الفرعية لاتجاهات السياسة السودانية.

رابعاً:

بعد قيام ثورة الإنقاذ الوطني في ٣٠/ يونيو/ ١٩٨٩م وطرحها لمعظم الشعارات الإسلامية التي كان يتبناها في السابق الاتجاه الإسلامي، رأت قيادة الاتجاه الإسلامي نهاية مهمة التنظيم بشكله القديم لأن شعاراتها أصبحت هي شعارات الدولة، لذلك لا بد من قيام

تنظيم جامع فضفاض يتجاوز صرامة وانتقائية الاتجاه الإسلامي للعضوية ويفتح ذراعيه لاستيعاب كافة قطاعات المجتمع الجامعي الإسلامية بصورة تواكب التداعي الإسلامي في المجتمع السوداني في إطاره الرسمي وأطره الشعبية مما يحتم ضرورة الكتابة عن فترة الاتجاه الإسلامي والتي انقطع مدها بقيام التنظيم الإسلامي الجديد البديل للاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم وهو ما عرف بتنظيم "الإسلاميون الوطنيون".

خامساً:

عند حدوث أي ظاهرة ذات أهمية في مسرح الأحداث العالمية والسياسية على وجه الخصوص هنا يلجأ الدارسون والباحثون لدراسة الظاهرة ودراسة جذورها وتاريخها ووسائلها وخطابها حتى يصلوا إلى نتيجة منطقية وعلمية تتعلق بالظاهرة، وفي السودان وبمجرد وصول التيار الإسلامي للسلطة ممثلاً في قادة ثورة الإنقاذ الوطني عبر المؤسسة العسكرية في ٣٠/ يونيو/ ١٩٨٩م حتى حاولت جهات كثيرة محلية وإقليمية ودولية أن تربط بين الحركة الإسلامية وبين الوضع الحاكم وأن تنسب الانقلاب العسكري إلى تدبير وتنفيذ ما أسمته بالذراع العسكري للحركة الإسلامية داخل المؤسسة العسكرية، وقد دللت على ذلك بتأييد عناصر الحركة الإسلامية الشعبية لذلك الانقلاب... والذي رفد وعضد تلك المزاعم هو سلوك قادة مجلس قيادة الثورة السياسي - في أيامهم الأولى - وسياساتهم الخارجية وشعاراتهم الداخلية ومؤازرتهم للحركات الإسلامية في العالم ووقوفهم ضد الهيمنة الغربية على الموارد العربية والإسلامية... كما تسلم عدد كبير من قيادات الحركة الإسلامية لمواقع هامة في السلطة الحاكمة. باستعراض مواقف الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم واستعراض خطابه السياسي ومواقفه من الأحداث المحلية والإقليمية والدولية يلحظ الباحث أوجه شبه كبيرة بين طرح الاتجاه الإسلامي وبين طرح ثورة الإنقاذ الوطني وبمزيد من البحث والتقصّي في مراحل أخرى يستطيع الباحثون أن يصلوا لكثير من الحقائق الهامة.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

١- التوثيق لأهم فترة في تاريخ الحركة الإسلامية في السودان والتي بدأت بالمصالحة ١٩٦٩م وانتهت بالقطيعة في ١٠/ مارس/ ١٩٨٥م.

٢ - إثراء معاهد البحث العلمي بمثل هذا النمط من الدراسات التي تتعلق بموضوعات تشغل الرأي العالمي السياسي حيث أصبح الحديث عن الصحوة الإسلامية العالمية ونتائجها سلباً وإيجاباً هو شغل الرأي العام العالمي.

٣ - لفت نظر الباحثين في مثل هذه المجالات إلى أن الحركة الإسلامية الحديثة لا تقل أهمية من حيث وجوب الدراسة الأكاديمية المنهجية عن دراسة الثورة المهدية أو مملكة الفونج أو خلافه من الدويلات والحركات الدينية.

٤ - إضافة بحث علمي ومنهجي يعتبر الأول من نوعه على مستوى الدراسات العليا إلى معاهد البحث العلمي ليكون معيناً لمن يريد الاستزادة في ذات الموضوع.

مصادر الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المصادر الآتية:

١ - المصادر الأولية.

٢ - المصادر الثانوية.

(أ) أما المصادر الثانوية فقد شملت أدبيات الحركة الإسلامية من كتب - صحف - ومجلات...

(ب) المصادر الأولية:

وتحتوي على:

١ - اللقاءات.

٢ - الوثائق.

في جانب المصادر الأولية نجد أن وثائق الحركة الإسلامية على وجه العموم ووثائق الحركة الطلابية على وجه الخصوص ظلت مهملة من جانب الدور الرسمية للتوثيق، لكن أجهزة الرصد والمعلومات داخل هذه التنظيمات ظلت تحفظ معظمها بصورة جيدة، وقد تمكن الباحث من وضع يده على حوالي الألف وثيقة موزعة بين منشور وبيان وبرنامج انتخابي ونشرة تعريفية ومجلة جامعية وخطاب دورة انتخابية، سواء كان ذلك فيما يخص الاتجاه الإسلامي أو الاتجاهات الأُخرى أو فيما يخص نشاط الاتحاد السياسي والثقافي.

الترتيب:

كان الاطلاع على ذلك الكمّ الهائل من الوثائق ثم تصنيفها وترتيبها عملاً مضنياً لكنه تمّ بحمد الله وفقاً للصورة التي تتطلبها منهجية البحث وأكاديميته[1] إذ تم ترتيب الوثائق حسب

---

(١) انظر محمد زيان عمر، البحث العلمي ومناهجه وتقنياته، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص (١٢١) عام ١٩٧٧م.

المدى الزمني وجهة الإصدار والمناسبة التي صدر فيها المنشور أو خلافه. . ثم انتقاء الجزء الذي تم الاستفادة منه بصورة كاملة وإبعاد المتشابه، وقد يسّر ذلك الترتيب عملية التسلسل الزمني والموضوعي للدراسة.

أهميتها:

تمثل هذه الوثائق ركيزة هامة وركناً ركيناً في إعداد مادة البحث إذ إن الطلاب هم أكثر الجهات التي تهتم بعكس توجهها الفكري ومواقفها السياسية عبر بيانات الإدانة والشجب أو التأييد والترحيب، ومن خلال هذه الوثائق يتضح مدى ثبات أو تأرجح التنظيمات السياسية تطرفاً واعتدالاً، تصالحاً ومعارضة أو مهادنة.

كما اشتملت هذه الوثائق على أبعاد خارجية مثل الموقف من الثورة الإسلامية في إيران ١٩٧٩م بقيادة الإمام آية الله الخميني ورسائل اتحاد طلاب جامعة الخرطوم إلى الرئيس الأميركي حينها جيمي كارتر وإلى الإمام الخميني ورئيس الوزراء الإيراني الأسبق شهبور بختيار والرئيس المصري الراحل أنور السادات والحسن الثاني ملك المغرب وغيرهم من الرؤساء والملوك. . . كذلك الموقف من الغزو السوفيتي لأفغانستان ورسالة الاتحاد للسيد ليونيد برجنيف رئيس جمهوريات الاتحاد السوفيتي حينها. . والموقف من اتفاقيتي كامب ديفيد. وغيرها من الوثائق التي تمثل أهمية بالغة في طلب الدراسة، كذلك مجلة الجامعة وكتيبات الاتحاد.

التعامل معها

هذه الوثائق والمصادر في مجملها تمثل أساس البحث وقد استعمل الباحث في تناوله لهذه المعلومات منهج تحليل المضمون، كما حاول الباحث أن يقدم نسيجاً مترابطاً ومنسجماً في تسلسل تاريخي[1] منطقي يقدم من خلاله وصفاً وتحليلاً للفترة موضوع الدراسة مع الرجوع أحياناً إلى الفترة التي سبقت وتلت عام ١٩٦٩م حتى ترتبط النتائج بالمقدمات وحتى تتم المقارنة بشكل موضوعي ومنطقي.

اللقاءات:

التقى الباحث بعينات متنوعة من المهتمين والمتابعين الذين عايشوا الفترة موضوع الدراسة من الذين ساهموا فيها وتأثروا بها من مختلف وجهات النظر وحتى الذين لم يستطع الباحث الالتقاء بهم

(١) المصدر السابق ص: (١٣١).

لسبب غيابهم عن السودان أو عدم الاهتداء إلى عناوينهم مثل قيادات الجمهوريين، هنا استعرض الباحث بعضاً من أدبياتهم السياسية مثل كتاب: "الإخوان يلعبون على الحبلين" وكتاب: "لكي يعلم الشعب ماذا يجري في جامعته" و"سقوط الإخوان المسلمين في جامعة الخرطوم". كذلك التقى الباحث بممثلين لكل من:

- الاتجاه الإسلامي.
- عرض آراء الجبهة الديموقراطية - الشيوعيون.
- مؤتمر الطلاب المستقلين.
- الناصريون.
- عرض آراء الجمهوريين.
- طلاب مستقلين.

وقد واجهت الباحث صعوبة بالغة في تنفيذ هذه المقابلات إذ يصعب تحديد الزمان والمكان ثم الالتزام بالمجيء في الوقت المحدد في بلد مثل السودان وفق ظروفه الصعبة حيث شواغل الاجتماعيات وصعوبة المواصلات وانشغال الناس بأمر المعاش. . . وكثيراً ما يتم تحديد الموعد ويحضر الباحث في الزمان والمكان المحددين لإجراء المقابلة ولكن يتخلف الطرف الآخر لظروف خارجة عن إرادته وكذلك العكس. . . ولكن بعد جهد جهيد استطاع الباحث أن يتحصل على معلومات قيمة ومفيدة جداً من خلال المقابلات التي أجراها.




الفصل الأول
الحركة الإسلامية بين الأمس واليوم

تعتبر الحركة الإسلامية في السودان (حركة الاتجاه الإسلامي التي قادها الشيخ الدكتور حسن الترابي) وإلى عهد قريب أميز الحركات الإسلامية الحديثة التي شهدها العالم الإسلامي في القرن العشرين حيث تميزت هذه الحركة بالنضج المبكر في تفكيرها والرؤية المستقبلية لأهدافها والاهتمام بقطاع المثقفين عامةً والطلاب على وجه الخصوص كشريحة هامة في المجتمع تقوم عليها نهضة وتطور المجتمعات الحديثة. لذلك جاء اهتمامها بالنخبة والصفوة في المجتمع تمييزاً لها عن سائر الحركات الإسلامية السودانية والعالمية. كذلك لم تغفل الحركة الإسلامية السودانية قطاعات المجتمع الأخرى كالعمال والمهنيين وحتى العسكريين كان للحركة الإسلامية اهتمام مبكر بهم إذ إنه لم يفت عليها دور المؤسسة العسكرية في حركة التغيير السياسي والثوري في مجتمعات العالم الثالث وأنهم أقرب الوسائل للتغيير الثوري الفوري، لذلك كان اهتمامها بهم مبكراً.

كذلك من نعم الله تعالى على الحركة الإسلامية السودانية أن هيأ لها المجتمع السوداني حيث وجدت أرضية ثابتة صالحة للعمل، فالمجتمع السوداني بعد دولة "الفونج" كان مجتمعاً متديناً لدرجة (الكرامة) وكانت مسحة وروح التصوف السائدة على عقلية المسلم السوداني تمثل ديمومةً بارزة وجلية مما جعل أبناء المتصوفة من المثقفين والطلاب يرون في الحركة الإسلامية البديل الأمثل لهم وسط تيارات وحركات التغريب والعلمانية واليسار التي ضربت أوساط المثقفين عند بروز وقيام الحركة الإسلامية السودانية في نهاية أربعينيات القرن العشرين.

كذلك عرف عن السودانيين إخلاصهم الشديد في تنفيذ ما يؤمنون به وفدائيتهم وتضحياتهم الجسام من أجل تحقيق هدفهم المنشود.. وتسامحهم وبعدهم عن الفجور في الخصومة وتشبعهم بروح الإيثار وبعدهم عن الذات و(الأنا) والمكايدات لبعضهم البعض مما جنب الحركة الإسلامية كل محاولات الإنشقاق منذ نشأتها وحتى نهاية القرن العشرين. كذلك أدت وحدة القيادة وتميّز د. الترابي ومن يختارهم لمكتبه التنفيذي إلى إكساب الحركة

الإسلامية تجانساً فكرياً ووحدة في البرنامج واتفاقاً على الهدف والإستراتيجية والتكتيك وعلى آليات التنفيذ. ورغم أن قيادة د.الترابي للحركة تأتي دائماً عبر إختيار مؤتمر الحركة الإسلامية، والذي يمثل أعلى سلطة في الحركة ويتكون من ممثلين لكافة أوجه وقطاعات الحركة الإسلامية في السودان، لكن هنالك من يرى أن هذه القيادة التاريخية قد أضفت بعداً طائفياً جعل من شخصية الشيخ الترابي شخصية مفتاحية لا بد من ظهور بصماتها في كل أمر متعلق بالحركة بل من غيره ربما تدخل الحركة أزمة بقاء أو وحدة أو تجانس مجمع عليه. وهناك من يرى أن قيادة الحركة قد أصبحت أشبه بالقيادة التاريخية التقليدية، وأصبح الكثيرون من الرموز التاريخية لا يرضون بغير أن يكونوا في موقع اتخاذ القرار مما حرم الحركة من دورة التجديد في القيادة وحجب الكثير من القيادات الشّابة عن تسنّم قيادة الحركة الإسلامية. كذلك يرى البعض أن اختيار الأمين العام يتم في لحظات إنجذاب صوفي عرفاني ووسط جو نفسي لا يقبل أي بديل للقيادات التاريخية أو المؤسسة[1] مما يهدد مستقبل الحركة القيادي إذا ما ذهبت هذه القيادة بقدر من أقدار الله .. ومهما يكن هذا الرأي ومدى واقعيته أو تطرفه لكنه بالطبع يحتاج إلى وقفة وتقييم، فكل ما يقال في حق الحركة الإسلامية وحق قيادتها أو كيفية اتخاذ القرار داخلها لا ينبغي أن يقابل بالرفض المطلق.

كذلك هنالك من يرى أن طريقة الحركة الإسلامية في إصلاح ذاتها وتقويم إعوجاجها طريقة منحرفة عن البعد المنهجي المستقيم. فبدلاً من النظر إلى المآخذ التي يثيرها الخصوم أو الناصحون من أبناء الحركة بعين الجد وإخضاعها لمعايير الضبط والجودة والصحة والخطأ والجرح والتعديل والاستفادة منها في إصلاح قيادة وهياكل الحركة الإسلامية بدلاً عن ذلك يكون الردّ مشبعاً بردود الأفعال العاطفية والدفاع بالحق والباطل عن الوضع السائد بل أحياناً تسمع من القائمين بالأمر كلاماً وتبريراً لبعض الأخطاء التي هم أنفسهم غير مقتنعين بها!! لكن يقال مثل هذا القول من باب المكابرة ومن باب (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً !!).

بل أحياناً يخرج المدافعون عن الحركة الإسلامية عن الموضوعية وعن الموضوع فبدلاً

(١) ذكر لي د. المعتصم عبد الرحيم الحسن بأنه عند انعقاد مؤتمر الحركة الإسلامية بعد قيام الإنقاذ بفترة وعند فتح باب الترشيح لمنصب الأمين العام للحركة الإسلامية قمت بترشيح الدكتور غازي صلاح الدين وبررت ذلك بأننا نريد أن يقود تلاميذ الشيخ الترابي الحركة الإسلامية بحضرته وحياته الدين كيف يتصرفون وكيف تكون قيادتهم .. وما أن انتهيت من كلامي حتى انبرت لي دكتورة سعاد مستنكرة أن يقوم شخصٌ بترشيح شخص آخر لمنصب الأمين العام في حضرة الشيخ الترابي الذي لن نقبل له بديلاً !! ثم قابلني السنوسي وقال لي : " عرفنا حقيقتك ! " .. أي: أن هؤلاء لا يقبلون للشيخ بديلاً .. أخيراً ذهبوا جميعاً ولم يبق منهم مع الشيخ غير السنوسي.

من أن يكون الردّ حول النقاط التي تثار في حق الحركة وفحص مدى صحتها من عدمه بدلاً من ذلك يكون الرد ذا طابع شخصي بصورة قد تصل إلى حد التجني.

ومهما ما يثار حول صحة انتقادات البعض للحركة الإسلامية لكنها في مجملها لا تخلو من الموضوعية.

وإذا كان ما ذكرناه في هذه المقدمة عن أمر الحركة وبعض خصائصها ، كذلك يمكننا القول إن تاريخ هذه الحركة مع أهميته ومع التطورات الهامة التي صاحبت نمو الحركة لم يجد التدوين المستقل الأكاديمي والموضوعي بل إن ما كتب لا يعدو أن يتعلق بعموميات الحركة الإسلامية ولم يتجرأ أحد على الخوض في تفاصيلها، فأبناؤها زاهدون في الحديث عنها والكتابة عن تاريخها ومواقفها ونقاط القوة والضعف فيها، والمراقبون لها لا يملكون تفاصيلها وأسرارها وما يصلون إليه من معلومات لا يعدو أن يكون رأياً شخصياً أو انطباعاً في مجمله والحركة الإسلامية أصبح تاريخها محفوظاً عند أفرادها في رؤوسهم وليس مدوناً في مذكراتهم مما عرض جزءًا كبيراً وهاماً من هذا التاريخ للضياع .. فمثلاً: عند منتصف الثمانينيات ذهب د. التجاني أبو جديري مسؤول العلاقات الخارجية في الحركة الإسلامية ذهب إلى ربه أثر حادث حركه وذهبت معه معظم علاقات الحركة الإسلامية الخارجية وأسرارها مما أحدث فجوةً في العمل الخارجي عانت الحركة الإسلامية منها كثيراً فيما بعد. وقبل عامين وإثر حادث تحطم الطائرة التي كانت تحمل وفد السلام في منطقة ربكونا بأعالي النيل .. ذهب إثر هذا الحادث خيرة أبناء الحركة الإسلامية والذين يملكون معظم أسرار ووثائق وتاريخ مفاوضات السلام في الجنوب السوداني مع حركة التمرد .. وهم الشهيد فضل السيد عبد القادر أبو قصيصة، الشهيد أحمد الرضى جابر، الشهيد موسى علي سليمان، ذهبوا ولم يتركوا توثيقاً لهذا العمل الهام مما يجعل الذين جاؤوا من بعدهم يعتمدون على تنشيط الذاكرة .. نعم لم يتركوا توثيقاً مكتوباً تستفيد منه الأجيال على مستوى الحركة الإسلامية وعلى مستوى دور البحث العلمي ودار الوثائق القومية .. بل إن التلفزيون عندما قام بعرض أسماء وصور شهداء هذه الطائرة فشل في أن يقدم صورة فوتوغرافية للشهيد موسى علي سليمان الذي يعتبر من أهم مفاتيح السلام وصاحب القدح المعلى في الصلات مع الجنوبيين ومع أبناء جبال النوبة منذ أن كان طالباً بكلية التربية بجامعة الخرطوم .. كثيرون ذهبوا وذهبت معهم أسرار الحركة الإسلامية .. وعلى ذات السبيل ذهب الشهيد عبد السلام سليمان في حادثة تحطم طائرة الشهيد الزبير في ١٢/فبراير/ ١٩٩٨، وذهب كذلك الرجل الأمة الشيخ/ مبارك قسم الله زايد، والرجلان يعتبران من خيرة أبناء وقيادات الحركة الإسلامية علماً وورعاً وزهداً وجهاداً وإرتباطاً بمناشطها العامة والخاصة.

هذا دفعني بدوره إلى ضرورة الاهتمام بكتابة وتحليل تاريخ وتطور الحركة الإسلامية تفصيلاً وإجمالاً لأن تاريخ وتطور الحركة الإسلامية ليس ملكاً لها وإنما هو ملك للأجيال القادمة من أبناء هذا الشعب وإن لم يكتب أبناء الحركة الإسلامية تاريخها بكل نقاط قوته وضعفه سوف يأتي (نعوم شقير) آخر ليكتب تاريخ الحركة الإسلامية وسيأتي (هولت) آخر ليكتب هذا التاريخ من وجه النظر التي يراها هو وليس كما هي من واقع حقائقها وممارساتها وسيكتبون تحليلاً لمواقف وليس تاريخاً حقيقياً وعندها يتحرك البعض في الوقت الخطأ ليدافعوا عنها وليوجهوا سهامهم وحرابهم تجريحاً وسباً للمؤرخ الذي تجنى على الحقيقة . . . الخ.

ومن الأشياء التي شجعتني للاهتمام برصد وكتابة تاريخ الحركة أنه عام ١٩٩١م وأثناء انعقاد المؤتمر الوطني حول النظام السياسي وأثناء خروج الوفود إلى أقاليم السودان لطرح والتبشير بفكر ومبادىء ثورة الإنقاذ الوطني، طلب منى الأستاذ أحمد عبد الرحمن محمد وهو يعتبر من القيادات المؤسسة للحركة الإسلامية في السودان ومن أبرز قياداتها طلب مني أن أرافقه في تلك الرحلة وأن أطوف معه مدن ولاية النيل الأبيض. وكانت الرحلة لمدة أسبوع أقمنا خلالها عدداً من اللقاءات التنويرية في كوستي والدويم وكنانة وعسلاية. . الخ.

أثناء هذه الرحلة لاحظت أن الأُستاذ/ أحمد عبد الرحمن يمتلك من المعلومات الهامة والأسرار والأحداث السياسة والتنظيمية التي تستطيع إذا جمعت أن تملأ مجلدات بأكملها وأيقنت أن الرجل سيذهب بما عنده كما ذهب أبو جديري من قبله وأنا أعلم أنه لا ذنب له في ذلك فهو لا يجد الوقت الكافي للكتابة. . فمهامه اليومية وارتباطاته العملية وظروفه الصحية تحول دون ذلك. . كما إن تلك المهمة هي مهمة مؤسسات الحركة الإسلامية التوثيقية التي كان من المفترض أن تقوم بمهمة التسجيل لهذه المذكرات عبر الأشرطة ثم تفريغها وطباعتها ولكن.

ولعل الفرد لا يجد العذر للحركة الإسلامية وهي قد تجاوزت نصف القرن من الزمان منذ نشوئها وهي فترة كافية أن تؤسس فيها كل المؤسسات العلمية البحثية والتوثيقية. .

وعلى سبيل المقارنة نجد أن جانب الحركة الإسلامية في مجال استقطاب العضوية الجديدة لصفوف الحركة ونشر الدعوة وتوسيع قاعدتها وصفها قد صادف نجاحاً وتوفيقاً، لكن جانبها الآخر من حيث الاستفادة من إرثها الثقافي قد شهد تخلفاً ملحوظاً. فالحركة الإسلامية ما زالت تعاني من غبش الرؤية في هذا الجانب وتعاني من غياب المؤسسات ذات الاستمرارية والصبر على البحث والتوثيق. . والحركة الإسلامية تفتقد إلى المؤسسات البحثية والتوثيقية والتي تقوم برصد أحداثها وتدوينها ونشرها . . فمكتب المعلومات الذي ظل يجمع

الكثير من الوثائق عن أنشطة ومنشورات الحركة وكذلك المنشورات والمطبوعات المعادية هذا المكتب أصبح كمقابر الفراعنة في مصر حيث تحنط وتحفظ جثث الملوك والعظماء منذ غابر التاريخ! وكان من المفترض أن ينشأ فيه بنك للمعلومات التي تخص الحركة الإسلامية وأن يكون أحد مهامه الرصد والتحليل لكل المادة التي يحصل عليها وأن يتبع ذلك البنك لمؤسسة بحثية علمية يكون همها نشر وتمويل الدراسات والبحوث التي تصب في ذات الاتجاه.

لكن للأسف إن اهتمام الحركة بالجانب السياسي والاقتصادي والمالي مع أهميته فقد طغى على الجانب العلمي التوثيقي، بل إنك تجد صعوبة بالغة من حيث التمويل إذا أردت أن تقوم بمثل هذا العمل إمّا أن تعتمد فيه على مواردك الذاتية أو أن تسعى سعياً فردياً في هذا الجانب . . .لقد ظل الحال بهذا الوضع منذ عام ١٩٤٩ وحتى نهاية القرن العشرين.

أما فيما يختص بهذه السلسلة فهذا الجزء يغطي ثلاث حقب زمانية، وهي:

١ - مرحلة الانطلاقة الحقيقية للحركة الإسلامية والتي بدأت بعام ١٩٧٧م وهو ما عرف بعام المصالحة الوطنية مع نظام جعفر نميري (مايو ١٩٦٩-ابريل ١٩٨٥) في هذه الحقبة خرجت الحركة الإسلامية من العفوية والانتقائية ومن العزل . . . حيث تجاوزت تركزها في أوساط الطلاب دون غيرهم، إلا النذر اليسير . . وأنصارها وسط الذكور دون غيرهم وإلا النزر اليسير أيضاً. . وتجاوز فقهها الجامد المنظور السلبي في التعامل مع المرأة والفن ومع الاقتصاد ومع المجتمع. كما خرجت من مرحلة التنظير ورفع الشعارات البراقة والعرفانية والوجدانية والهلامية أحياناً إلى إخضاع هذه الشعارات إلى أرض الواقع وإلى فحصها وامتحانها على واقع المجتمع. كذلك في هذه الحقبة من الزمان غيّرت الحركة الإسلامية كثيراً من فقهها السياسي الذي كان فقهاً صدامياً جامداً يقوم على ردود الأفعال وعلى التعبئة المضادة للآخر!! تغير ذلك الفقه وأصبح فقهاً مرناً يجّوز الدخول للاتحاد الاشتراكي والجلوس للتفاوض مع قادة الحكم الذين كان يطلق عليهم في ما مضى أحكاماً قاسية مثل: (كافرين، ظالمين، فاسقين).

وإلى غير ذلك من الأحكام القوية التي هي أقرب إلى الهتافات منها إلى الرؤية العلمية الصائبة.

تغير ذلك الفقه حيث احتل العلم والعقل مكان العاطفة. . والتدبر والبعد المعرفي مكان الشعارات الحماسية الفضفاضة وغير العملية أحياناً. . فالكفر الصراح أصبح كفراً دون كفر. . . الخ وآيات (الكافرين، والظالمين، والفاسقين) حلت مكانها آيات ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال:٦١]. وصلح الحديبية ظل السبيل الذي عبرت به الحركة الإسلامية إلى انطلاقتها الكبرى. . تلك الانطلاقة التي بدأت عند منتصف

عهد النميري واستمرت حتى قبيل انشقاقها في يونيو عام٢٠٠٠ وبروز ما عُرف بالمؤتمر الوطني الحاكم برئاسة الرئيس البشير وبعض أعضاء الحركة الإسلامية الموالين للدولة التي بنوا صرحها ومهروها بدمائهم، والتي تمثل استراتيجية الحركة منذ عهد بعيد، والطرف الآخر هو المؤتمر الوطني الشعبي بقيادة الشيخ حسن الترابي الشخص المؤسس والعقل المدبر للحركة الإسلامية عبر تاريخها الطويل منذ نشأتها وقد اختار جانب المعارضة يؤازره بعض الإخوان الذين رأوا ووصفوا مجموعة الرئيس البشير بخيانة العهود والمواثيق وخيانة الحركة الإسلامية وشيخها فانقلبوا عليه مؤثرين الفانية على الباقية بعد أن فتنتهم السلطة وآثروها على مبادئهم وثوابتهم!!.

حقيقة قد شهدت الفترة التي أعقبت عام ١٩٧٧م تطوراً إيجابياً عظيماً وثورة فقهية وتجديدية كادت أن تصل درجة الإنفلات في نظر البعض، وقد أخرج هذا التجديد الحركة والدعوة من مقبرة التقاليد ومن المتاحف إلى حياة الناس.

كذلك شهد الجانب الاجتماعي تطوراً ومرونة فقهية أفسحت المجال لإنطلاقة كبرى جذبت المرأة السودانية إلى صفوف الحركة الإسلامية بصورة فاقت أعدادها أعداد الرجال وأصبح الحجاب الإسلامي في الجامعات والمعاهد العليا هو المظهر الغالب بعد أن كان لا يتجاوز الـ٥% حتى بداية عام ١٩٧٧م والفضل بعد الله يعود إلى قائد مسيرة الحركة الإسلامية الشيخ الدكتور حسن الترابي الذي قاد ثورة فقهية وتجديدية بجرأة وحزم وإصرار مما جلب له الكثير من العداوات المحلية والإقليمية ولكنه كعادته متوكلاً على الله ولا يبالي.

كذلك ونحن نؤرخ لمرحلة الانطلاقة الكبرى للحركة الإسلامية رأينا في الجزء الأول أن نوثق لهذه الانطلاقة في محضن الحركة الإسلامية وأهم مراكز تخريجها ومصدر قوتها وعزتها.. المكان الذي نشأت وتكونت وترعرعت فيه حتى شبت عن الطوق.. ألا وهو (جامعة الخرطوم) ذاكرين بداية الحركة ونشأتها في هذه الجامعة والظروف التي أدت إلى نشأتها والتحديات والابتلاءات التي مرت بها منذ تأسيسها في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين وحتى عام ١٩٧٧م عام المصالحة الذي خرجت فيه قيادات الحركة من سجون مايو وهم قد تزودوا بالفقه والعلم والمعرفة وحفظ القرآن ليبدأوا الانطلاقة الكبرى.. ثم تناولنا ما بعد عام ١٩٧٧م في هذه الجامعة فكراً وفقهاً وسياسة ذاكرين نماذج من خطب وبيانات ومنشورات التنظيمات المعادية للحركة الإسلامية حتى تتم المقارنة..

كذلك تحدثت الدراسة تفصيلاً عن التطور الفكري والفقهي للحركة الإسلامية في تلك الفترة في ما يتعلق بجانب المرأة والفن..الخ ورأيت أن الجزء الأول والذي بين يدي

القارىء يشكل مسألة ضرورية لكل الباحثين والمهتمين بأمر حركة الإسلام في السودان كما أنه يمثل فترة زمنية وتاريخية صارمة تنطلق في دراسات المستقبل التي ترصد سلوك وتطورات الخطاب والممارسة عند الإسلاميين عبر تاريخهم وعبر انتقالهم من المعارضة إلى الحكم.

٢ - الجزء الثاني من هذه السلسلة يتناول مرحلة الجبهة الإسلامية القومية وما بعدها والتي امتدت من عام ١٩٨٥ مروراً بثورة الإنقاذ ٣٠يونيو ١٩٨٩ والتطورات التي واكبتها ، وهذا الجزء يعتبر ذو اهتمام خاص خصوصاً وأن الحركة الإسلامية التي وصلت قمتها في العقد الأول من عمر الإنقاذ السياسي ولكن عدها التنازلي قد بدأ مع مطلع العقد الثاني لهذه الثورة التي سعى الإسلاميون لقيامها بكل ما أوتوا من قوة ، ثم أصاب بعضهم الندم لإرتباط الحركة الإسلامية بهذه الثورة وبدأوا يعلنون على الملأ ومن أعلى المنابر توبتهم واستغفارهم مما ارتكبوه في الفترة الماضية في حق الوطن وحق الشعب (راجع ندوات الشيخ الترابي بُعيد قيام المؤتمر الوطني الشعبي).

كذلك يعتبر عام ١٩٨٥ ذا اهتمام خاص ويجاوب على أسئلة ما زالت عالقة بأذهان الكثيرين منها (كيف استطاع النميري في عام ١٩٨٥م أن يلقي بالحركة الإسلامية في السجون؟ في حين أنّ قادة الحركة كانوا يؤكدون أن زمان الزج بهم إلى غياهب السجون قد ولى إلى غير رجعة؟ وأن نظام النميري إذا سقط سوف يسقط في أيديهم وهم قد أعدوا العدة لذلك ؟! كيف غاب عنهم وعن توقعاتهم هذا القرار لدرجة أنه في الوقت الذي تم فيه اعتقال د. الترابي ومعظم قيادات الحركة الإسلامية كان الرجل الثاني في الحركة الإسلامية الأُستاذ/ علي عثمان محمد طه - وحتى الساعة السابعة والنصف صباح يوم الاعتقال لا يعلم شيئاً، بل إنه امتطى عربة مجلس الشعب الذي مكان رائداً له وكان ذاهباً لمزاولة عمله اليومي. حتى فاجأه الأخ حسين بلل بالقرب من (مكتبة السودان) بأن معظم قادة الحركة الإسلامية قد تم اعتقالهم فجر اليوم بعدها ترجل الأستاذ/ علي عثمان من العربة وأرسلها مع السائق إلى مجلس الشعب حيث كان أفراد الأمن ينتظرونه بالمكتب لاعتقاله.. أي أنه أفلت بإعجوبة!!! أين وعي التنظيم المبكر؟! أين أجهزة المعلومات والغواصات؟! لماذا لم يسقط نظام نميري في يد الحركة كما زعم قادتها يومئذ؟!!! هذه الأسئلة ستحاول الدراسة في الجزء الثاني الإجابة عليها.

كذلك يشمل الجزء الثاني فصلاً كاملاً عن الجبهة الإسلامية القومية الفكرة - الممارسة- الخطاب - التحالفات - القرارات - الخلافات، حكومة الوفاق الوطني ثم حكومة القصر وثم الإنقاذ.

عند غياب فقه المرحلة

المتتبع لمسيرة العمل الدعوي السياسي بجامعة الخرطوم عبر تاريخه الطويل وحتى اليوم يلاحظ ملاحظات كثيرة وفروقات كبيرة بين ذلك التاريخ الناصع وبين واقع اليوم الذي لا يرضى الطموح .. فالحركة الإسلامية بالأمس في باكورة أيامها كانت تجد الرفض وعدم القبول والاستهانة بأمرها من قادة ذلك الزمان وكانت تعيش غربة عن الذات وعن الوطن وكان أهلها غرباء بين زملائهم غرباء بين أهليهم.. فعندما رفع الطالب علي الحاج محمد الآذان بجامعة الخرطوم كأول طالب يؤذن في الجامعة وقتها كان ينظر إليه كأنه درويش قد جاء به الطريق مصادفةً إلى جامعة الخرطوم أو أنه قذيفة هاون انطلقت من مدفعية القرن السابع لتتناثر شظاياها بين أبناء القرن العشرين.

كانت الحركة بالأمس تهتم بأمر إعداد عضويتها قراءة وتفسيراً ودعوة بالحسنى كحال الدعوة في العهد المكي الأول .. واستمر هذا الحال طيلة عقدها الأول حتى عام ١٩٥٨ حيث أصبح للحركة الإسلامية القبول والاستحسان وسط الطلاب مما جعلهم يقدمون الاتجاه الإسلامي لقيادتهم أثناء الفترة من ١٩٥٨ - ١٩٦٤ ويذكر المتابعون للأحداث المذكرة الشهيرة التي رفعها اتحاد طلاب جامعة الخرطوم بقيادة عضو الاتجاه الإسلامي الطالب جعفر شيخ إدريس في ١٠ ديسمبر ١٩٥٩م للفريق إبراهيم عبود مطالباً فيها بعودة الحياة الديمقراطية وعودة العساكر إلى سكناتهم .. واستمر الحال هكذا طيلة فترة أكتوبر والحركة تهتم بأمر إعداد عضويتها وتربيتهم التربية الروحية والشعائرية الصارمة .. وكذلك الحال أثناء مايو الأُولى .. كان الطلاب الإسلاميون طيلة تلك الفترات السابقة يقودون المعارضة بشراسة وضراوة وكانوا يمثلون انحيازاً للحق ولو على أنفسهم .. كان ذلك يحببهم لنفوس الطلاب التي جبلت على المعارضة والرفض الذي يكون أحياناً رفضاً مطلقاً وغير مبرر.

فالحركة الإسلامية الطلابية عبر تاريخها الطويل لم تزب في أي نظام وقد تبين ذلك إبان فترة المصالحة الوطنية مع نظام نميري الممتدة من ٧/٧/١٩٧٧-١٠/٣/١٩٨٥م طيلة هذه الفترة كانت الحركة الإسلامية شريكاً في حكم نميري وكان جزء من قياداتها مقسم بين الاتحاد الإشتراكي والقصر ووزارة الداخلية وخلافه وكانت استراتيجيتها التنظيمية تحتم عليها البقاء داخل هذا النظام حتى ترثه إن استطاعت وإن لم ترثه أن تجد الوقت الكافي لإعداد صفها وتحضير نفسها لاستقبال قادمات الأيام وما يصحبها من حوادث وعاديات .. ورغم مشاركة الحركة الأُم في نظام نميري، استطاع الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم أن يميّز صفه عن صف السلطة وأن لا يتخلى عن دوره الريادي في قول الحق ومعارضة الباطل..

كما استطاع أن يدير معادلة المصالحة مع السلطة بصورة ذكية وبجدارة أقنعت معظم الطلاب أن الاتجاه الإسلامي أقرب إلى المعارضة منه إلى السلطة وإنه لم يكن مصالحاً حقيقياً .. فقد ظل يهاجم كل نقاط الضعف في الحكومة وكان يقدم النصح متى ما كان ذلك ضرورياً، وكان اتحاد المعتصم عبد الرحيم الحسن من أكثر الاتحادات التي قامت بتقديم النصح وطالبت بحل الاتحاد الاشتراكي في مذكره (كوسو) الشهيرة لرئيس الجمهورية، كما كانت ندوات الاتحاد والاتجاه الإسلامي تهاجم كل نواحي الفساد في السلطة .. كذلك ظل الاتجاه الإسلامي طيلة فترة مصالحة الحركة الإسلامية مع نظام مايو حريصاً على حرية الجامعة ولا يساوم في هذا المبدإ وكان يعلن عبر متحدثيه وكنتُ واحداً منهم أن الحرية لا تعطى هبةً أو منّةً من أحد، وإنما تنتزع وتقدم في سبيلها المهج والأرواح .. وكان الشعار وقتها الحرية لنا ولسوانا .. كما كان الاتحاد تحت قيادة الإسلاميين يحافظ على حرية جميع الطلاب ويتابع عبر الاتصالات والمذكرت إطلاق سراح الطلاب الشيوعيين الذين تقوم أجهزة الأمن المايوية باعتقالهم.

انظر المقابلة التي أجريناها مع محمد جلال أحمد هاشم عضو مؤتمر الطلاب المستقلين.. وأذكر أن الاتحاد قد قام في عام ١٩٨٠ وكان وقتها تحت رئاسة عضو الاتجاه الإسلامي الطالب أمين بناني نيو بإطلاق سراح الطالب الشيوعي السربابو الذي اعتقلته أجهزة الأمن المايوية عندما كان يقوم بتوزيع منشورات الحزب الشيوعي بعطبرة .. ورغم أنه كان يمارس نشاطاً صرفاً للحزب الشيوعي وخارج العاصمة القومية لكن الاتحاد أرسل عضوة الطالب نزار ضو النعيم إلى عطبرة لمقابلة أجهزة الأمن هناك وتابع الأمر بالخرطوم حتى تم إطلاق سراحه. ورغم أن الشيوعيين بالجامعة لم ينفكوا يهاجمون إتحاد الطلاب تحت قيادة الاتجاه الإسلامي ويطلقون عليه نعوتاً مثل (إخوان السلطة... إخوان مايو).. (لا لفرع الاتحاد الاشتراكي المسمى بالاتجاه الإسلامي) رغم ذلك لم يساوم الإسلاميون في حرية النشاط أو حرية الفكر بجامعة الخرطوم ولم يقهروا خصومهم انتصاراً للسلطة .. صحيح أن الاتجاه الإسلامي طيلة الفترة الممتدة من عام ٧٧-١٩٨٥م لم يخرج مظاهرة ضد نظام مايو - في الخرطوم - وإنما اكتفي بالمذكرات والبيانات والمنشورات التي توزع في الشارع السوداني وعلى الجامعات والمعاهد العليا لكنه لم يمنع أي طالب أو تنظيم أو مجموعة من الخروج للشارع للتظاهر ضد نظام نميري ... وعندما قامت انتفاضة فبراير١٩٨١ التي استشهد فيها طالب البيطرة الشهيد عبد الحميد أخرج الاتحاد بياناً قوياً هاجم فيه السلطة وهاجم فيه رجال الأمن وتابع إطلاق سراح كل الطلاب الذين تم اعتقالهم أثناء تلك المظاهرات ...

وأذكر أنه عندما قام رجال الأمن باعتقال الأخ محمد طه محمد أحمد لآرائه الجريئة في انتقاد السلطة وكانت وقتها قيادات الجمهوريين والشيوعيين من غير الطلاب في سجن كوبر.. وكان بين الجمهوريين السيد/ أحمد المصطفي دالي.. حينها عقد الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم ندوة سياسية كبرى بمقهى النشاط كنتُ أول المتحدثين فيها وقد كانت ندوةً حاشدة.. ورغم أن المسؤول السياسي للإتجاه الإسلامي وقتها الطالب محيي الدين الخطيب قد طلب مني أن لا أهاجم رجال الأمن ولكن كما أذكر بدأتُ حديثي قائلاً: (لا يفوتني وأنا في مقدمة حديثي أن أصب اللعنات ثم اللعنات على كلاب الأمن القومي الذين جثموا على صدر الشعب السوداني محاولين تكميم الأفواه ومصادرة الحريات .. ولكن هيهات.. ثم لا يفوتني أن أرسل التحايا.. والتهاني للأسد الذي يربض خلف الأسطور.. أسوار الأمن القومي تحرسه كلاب الأمن وهي مدججة بالسلاح.. ألا وهو أخي المجاهد محمد طه) فضجت الجامعة بالهتافات المعادية للأمن وبالتكبير.. وقد كان رجال الأمن مندسين وسط الطلاب .. وفي الصباح الباكر وصل خبر الندوة إلى الجمهوري أحمد المصطفي دالي ومن في السجن قبل أن يصل إلى محمد طه .. فذهب دالي إلى محمد طه وكانت تربطه به صلة صداقة فقال له كما أخبرني محمد طه فيما بعد : " ناس عبد الرحيم عمر هيّجوا الجامعة وأنت بكره بيطلقوا سراحك" بالفعل قد تم اطلاق سراحه ثاني يوم.. يحدث هذا في ظل المصالحة الوطنية مما يؤكد تميز صف الاتجاه الإسلامي الطلابي عن صف السلطة.

كذلك كانت الأسابيع والمواسم الثقافية تُفتح لكل الآراء من غير حجر على أحد.

هذا الحال استمر بجامعة الخرطوم حتى ٣٠ يونيو ١٩٨٩م. كذلك كان أعضاء الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم في تلك الفترة يعملون بتجرد منقطع النظير في ظروف مادية قاهرة وفي ظروف أكاديمكية ضاغطة وكانت وسائل الحركة لا تعدو المواصلات العامة، وفي أوقات الطوارئ لا تعدو الدراجة النارية التي كان يمتطيها الطالب سراج الدين عبد الغفار عمر الذي كان طالباً بكلية الزراعة، وكان يجوب بها كل كليات الجامعة أثناء انتخابات الاتحاد حيث يقوم بربط غرف العمليات بالجامعة في همة وتجرد ونشاط ، وكان طالب الطب سيف الدين عمر الذي كان يأخذ القلوب بحديثه الممتلئ حيوية وإيماناً والذي يعمل من غير كلل ولا ملل رغم أن النشاط الكثير في أروقة الاتحاد وفي صفوف ومكاتب الاتجاه الإسلامي قد أدى به إلى الفصل الأكاديمي.. لكنه كان شعلة من النشاط ،وأذكر أنه بينما كان يتحدث في ندوة بكلية التربية وسط حضور كثيف.. كان يتحدث ويقاوم الأعياء والإرهاق وما إن انتهى من حديثه حتى سقط مغشياً عليه حيث حمل لحجرة الطالب نزار ضو النعيم.

وعلى نفس المنوال كان الطالب الفقيد/ الوليد محمد أحمد دقنة رحمه الله وكذلك

الأخوان محمد المجذوب محمد الأمين وصديقه عمرعبد العزيز اللذان فصلا من كلية الهندسة ليواصلا دراستهما خارج السودان، الأول بتركيا والثاني بماليزيا.. حيث لم يترك الهم الدعوي مكاناً للهم الأكاديمي في نفسيهما.. وكذلك الأخ حمد علي بتحرير صحيفة " آخر لحظة" وكثيرون مثلهم.

بالطبع هذه الإدارة الحصيفة لهذه المعادلة السياسية قيض الله لها قيادات كانت على قدر التحدي واستطاعت أن تقود مسيرة الاتجاه الإسلامي بقوة وحصافة منهم أُمناء التنظيم الذين تعاقبوا على قيادة الحركة الإسلامية الطلابية في تلك الفترة، أذكر منهم: الشهيد عبيد ختم بدوي والأخ الدرديري محمد أحمد، والأخ صلاح محمد علي، والأخ عبد الإله حسن كوكو، والأخ خالد حسن إبراهيم كما برزت قيادات سياسية أخرى في تلك الفترة مثل: عبد الحليم عبد الله الترابي، أمين بناني، صلاح عبد الله (قوش) موسى سيد أحمد - أبو عبيدة محمد وج. حسب الله - جمال زمقان - عماد الدين حسين، يوسف أحمد يوسف-إبراهيم عبد الحفيظ حسان، وقد كان قبلهم رجال ملأوا الجامعة طولاً وعرضاً أمثال المجاهد محمد عثمان محجوب الشهير بـ (راجل البركس) وآخرين.

مسببات تدهور العمل وسط الطلاب اليوم

أما الجامعة اليوم فظروفها تختلف تماماً عن تلك الظروف فالفترة التي أعقبت عام ١٩٨٩م تختلف تماماً عن الفترة التي أعقبت عام ١٩٦٩م.. فالرئيس نميري عندما جاء في عام ١٩٦٩ كان يمتطي شعارات ومبادئ الحزب الشيوعي وكان يمثل عدواً تقليدياً للحركة الإسلامية.. مما حتم على الحركة الإسلامية الوقوف ضده بضراوة وصلت حد الاقتتال كما أشرنا في غير هذا الموضع.. أما العميد عمر البشير الذي جاء على رأس ثورة الانقاذ الوطني في ٣٠ يونيو ١٩٨٩م فقد جاء يمتطي كل شعارات الإسلاميين وبرنامجهم وتصورهم للحكم في السودان وأصبحت قيادات الحركة الطلابية الإسلامية في عهد النميري هي الفعاليات الهامة التي اعتمد عليها في تنفيذ برنامجه في الحكم.. من أمثال محمد عثمان محجوب.. أمين حسن عمر.. بابكر جابر كبلو.. ابن عمر محمد أحمد - سيد الخطيب - الطيب إبراهيم محمد خير غازي صلاح الدين، مجذوب الخليفة، نافع علي نافع، الشفيع أحمد محمد، عبد المحمود نور الدائم الكرنكي وغيرهم كثير.. بصورة جعلت الكثيرين من المحللين السياسيين على المستوى المحلي والدولي يجزمون بأن هذا الإنقلاب هو من صنع وتدبير وتنفيذ الجبهة الإسلامية القومية..

إذن فالوضع في جامعة الخرطوم بالنسبة للإسلاميين اختلف تماماً.. فالحركة الإسلامية

التي كانت تواجه نظاماً عدواً أصبحت اليوم تواجه نظاماً على أقل تقدير يعتبر نظاماً صديقاً أو حليفاً مما يحتم إخراج العمل السياسي وسط الجامعة بصورة دقيقة وموزونة سيما وأن الطلاب بطبعهم ضد كل حكومة وإن كانت مبرأة من كل عيب . . ولعل الإسلاميين أنفسهم وعبر التاريخ السياسي بجامعة الخرطوم قد أسهموا في تربية الطلاب هذه التربية المعادية والمصادمة للحكومات مهما كان لونها أو توجهها السياسي . . لذا لزم أن تتبدل المعادلة بصورة كلية وبحكمة واقتدار .

كانت أولى المحاولات للتعامل مع هذا الوضع هو محاولة توسيع صف الحركة الإسلامية وضم معظم الطلاب إليها حتى تستطيع فرض نفسها وبرنامجها عبر قوتها الميكانيكية التي تستطيع خلق رأي عام مؤيد لبرنامج التغيير في الخارج . . وكان رأي الكثيرين من مسؤولي الطلاب خارج الجامعة هو أن توسيع القاعدة الإسلامية وسط الطلاب لا يمكن أن يتم في صيغة الاتجاه الإسلامي القديمة التي تعبر عن روح حزبية واسم تقليدي مرتبط بفترة زمنية سابقة، فلا بد إذن من تجاوز هذا الاسم إلى اسم تستطيع أن تعبر به الحركة الإسلامية إلى القاعدة الطلابية العريضة . . كان أبرز المنادين بهذه الفكرة المرحوم محمد عثمان محجوب مسؤول الطلاب حتى ١٩٩٢م ومن دون شك قد تكون الفكرة في منشئها صادرة عن الأمين العام للحركة الإسلامية الدكتور الترابي، فهذه الأفكار تتوافق مع تاريخه ورؤيته المستقبلية لاستقطاب أكبر عدد من المناصرين لبرنامج التغيير الإسلامي . قاد المرحوم محمد عثمان محجوب هذا الرأي وكان يتفق معه فيه أعضاءُ مكتبه الذين كان من بينهم المهندس أحمد البشير عبد الله والذي تولى مهمة الأمين العام للحركة الطلابية بالإنابة إبان ذهاب الأخ محمد عثمان محجوب إلى مناطق العمليات الحربية بالجنوب مجاهداً . . وأذكر في هذه الفترة قد أوكل لي الأخ أحمد البشير دائرة النشاط الطلابي وكلفني بوضع تصور لها وهو التصور الذي تبلور أخيراً فيما عرف بوكالة النشاط الطلابي .

أخيراً: تم إلغاء اسم الإتجاه الإسلامي علناً واستعيض عنه بتنظيم آخر أطلق عليه اسم (الإسلاميون الوطنيون) وعقد له مؤتمر بقاعة الامتحانات بجامعة الخرطوم ووزعت بطاقات الدعوة للكثيرين لحضور هذا المؤتمر وبالفعل قام تنظيم (الإسلاميون الوطنيون) ولكن لم يصل عمره العامين إذ سرعان ما ارتفعت أصوات كثيرة معتبرة أن حلّ الاتجاه الإسلامي هو تذويب للحركة الإسلامية ونهاية لتاريخها الناصع كما أن تنظيم "الإسلاميين الوطنيين" قد فتح صفوف الحركة لكل من هب ودب مما يعرض الحركة للإختراق ويهدد أمنها ووحدتها ومستقبلها . لذلك لم يستمر ذلك التنظيم كثيراً إذ سرعان ما عاد تنظيم الاتجاه الإسلامي إلى وضعه الأول واستطاع أن يتسنم قيادة الاتحاد للدورات اللاحقة وسط تعقيدات أمنية

وتشكيكات في نتائج الانتخابات من الخصوم . . وعلى الرغم من أن الحركة الطلابية الإسلامية بجامعة الخرطوم قد شدت إليها الوسط الطلابي نتيجة لقيادتها لحركة الجهاد الإسلامي في جنوب السودان . فالطلاب بالجامعات السودانية عامة وبجامعة الخرطوم قد كانوا يشكلون معظم مجاهدي الدفاع الشعبي بجنوب السودان فجامعة الخرطوم قد افتتحت موكب الشهداء بتقديم سيد شهداء الطلاب . . الشهيد أبو دجانة الزبير الذي استشهد بجبال تولشي - بجبال النوبة - وأعقبته بعد ذلك قافلة الشهداء من جميع الكليات وبعضهم كان على أعتاب التخرج مثل عبد الخالق الترابي شقيق د. الترابي الذي كان في السنة الأخيرة من كلية الهندسة بجامعة الخرطوم وكذلك طلاب الطب والزراعة. هذه التضحيات الجسام والخارقة التي ارتبطت في معظمها بعدد من الكرامات استطاعت أن ترفع أسهم الحركة الإسلامية الطلابية وسط طلاب جامعة الخرطوم وجعلت الطلاب ينظرون لقيادات الاتجاه الإسلامي بشيء من الإعجاب والتقدير سيما وأن ممارسات المعارضة خارج السودان وارتمائها في أحضان الإمبريالية قد أضعف من دورها داخل الجامعة، حيث أصبح الطلاب لا يرونها بديلاً لحكم السودان . وفي ظل هذه الظروف الاقتصادية الضاغطة التي يعاني منها الشعب السوداني والتي عادةً ما تنعكس على الساحة السياسية الجامعية، يعتبر البعض أن بركات الشهداء ودماؤهم الطاهرة الذكية هي التي حفظت للاتجاه الإسلامي دورة الريادي المستمر في قيادة الطلاب .

تحت إيقاع حركة السياسة المتسارع في الآونة الأخيرة لم يفت على البعض ملاحظة بعض السلبيات التي تؤخذ على الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم اليوم، منها :

١) لم يستطع أن يميّز صفه عن صف السلطة وهذا الأمر يشكل عليه خطورة مستقبلية يمكن أن تفقده القاعدة الطلابية العريضة التي يتمتع بها لأن هذه الظروف تعتبر استثنائية وطارئة . . فمثلاً : إذا حدث سلام في السودان أو حدث انفراج أكبر في الحريات وعلى مستوى حرية الصحافة فكل ذلك سيكون خصماً على رصيد حركة الاتجاه الإسلامي إذا واصل دفاعة عن الحكم القائم وأصبح وكيلاً عنه في الجامعة .

٢) بعض عضوية الاتجاه الإسلامي في دفاعها عن السلطة القائمة - في أيامها الأُولى - تصل إلى درجة قهر الخصوم وإرهابهم مما يصور أعضاء الاتجاه الإسلامي مستقبلاً وكأنهم وكلاء لجهاز الأمن . . فالحركة الإسلامية عبر تاريخها لم تكن وكيلاً عن أي نظام . . فالنظام القائم رغم أنه نظام ذو توجه إسلامي يمثل بعض أشواق وأمنيات الشعب المسلم لكنه ليس نظاماً مبرأ من كل عيب فهو نظام يقوده البشر بكل أخطائهم وخطيئآتهم وتجاوزاتهم وإخفاقاتهم . . فالحركة الإسلامية الطلابية إذا أرادت أن تراهن على قيادة الطلاب مستقبلاً

عليها أن لا تغمض عينيها عن هذه الأخطاء والتجاوزات. . . ولا ينبغي للمجلس الوطني الذي يعمل في دولاب الحكومة ويتلقى أعضاؤه مرتباتهم وكل امتيازاتهم من الحكومة لا ينبغي عليه أن يكون أكثر فاعلية في إنتقاد الحكومة من الحركة الطلابية التي عرفت عبر تاريخها في أكتوبر ١٩٦٤م وفي شعبان ١٩٧٣م ويناير ١٩٨١م ومارس ١٩٨٥م عرفت بمصادمتها للحكومات وللأنظمة الحاكمة. . لا ينبغي عليها أن تصبح وكيلاً داخل الجامعة عن الحكومة. . فالحكومة لها أجهزتها وصحفها ومنابرها التي تدافع بها عن نفسها ويمكن لقيادي الحكومة الرسميين أن يأتوا إلى الجامعة عبر منابرها المفتوحة ويقدموا برامجهم ويطرحوا تصوراتهم ويدافعوا عن الإنتقادات التي توجه لهم ويجيبوا على الأسئلة المطروحة في الساحة . . . أما أن يتولى طلاب الحركة الإسلامية هذا الدور فهذا يصنفهم في صف السلطة مما يفقدهم بريق القيادة وميزة قوله الحق. ويمكن لهم أن يناصروا البرنامج الإسلامي الذي تطرحه الدولة ليس بالدفاع عن أخطائها وإنما بإشاعة روح الأسلمة وسط الطلاب ودواعي مناصرة المشروع الإسلامي ومحاولة إصلاح مساره عبر النصح الصادق.

٣) لم يؤثر عن الحركة الإسلامية الطلابية - قبل إنشقاقها - أن أخرجت بياناً أدانت فيه أخطاء السلطة أو أرسلت وفداً من عشرة أشخاص من قيادتها للقصر الجمهوري ليسلموا مذكرة للفريق البشير كما فعل المعتصم عبد الرحيم الحسن إبان فترة نميري . .فقد كان ممكناً للحركة الإسلامية أن تفعل ذلك بصورة سلمية وأن تنتقد ممارسات النظام الخاطئة وتجاوزاته فالنظام قطعاً يحتاج للناصح الأمين، كما أن مثل هذا الفعل سيرفع من أسهم الحركة الطلابية وسط الطلاب ويجعلها دوماً على قيادة الطلاب.

٤) إن وضع الحركة الإسلامية الحالي ينذر بإمكانية أن يأتي تنظيم إسلامي بديل عن الحركة الإسلامية لقيادة الطلاب إذا لم تلتفت حركة الاتجاه الإسلامي إلى نفسها وتدرك أخطائها وتتجاوزها.

٥) غابت وانقطعت التجربة القيادية التي كانت متصلة في جامعة الخرطوم منذ جيل علي عثمان محمد طه، أحمد عثمان المكي،بشير آدم رحمة، داؤد يحيى بولاد، التجاني عبد القادر، المعتصم عبد الرحيم الحسن، امين بناني، محمد عبد الرحمن مختار عجول، خالد حسن إبراهيم، زيدان عبده زيدان، هذه التجربة قد انقطعت وأهمل جانب تدريب وإعداد الكوادر بالتربية الثقافية والسياسية والشعائرية وأصبحت مظاهر الترف والتطلع وحب الأسفار والوفود سمة بارزة على الحركة الطلابية الإسلامية . . وأصبحت القيادات لا يميزها عن بقية الطلاب شيءٌ يذكر . . لا فكراً ولا قدوة ولا زهداً ولا فقهاً أي أصبحت قيادات الطلاب تعمل بنظرية (رزق اليوم باليوم). . هذا باستثناء نفحات الشهداء الذين حفظوا معادلة التفوق حتى

بعد ذهابهم عن هذه الفانية. هذا ما كان له أن يحدث في الفترة التي أعقبت عام ١٩٧٧م حيث شهد السودان. . كل السودان. . معسكرات إعداد الطلاب والذي كان بعضها بمنطقة أربجي في عام ١٩٧٨م والذي ضم أمراء المدارس من كل مدارس السودان حيث التلاوة والتجويد والفقه والصيام والقيام والرياضة وكان يحضر لهذه المعسكرات التي تستمر لمدة أسبوعين كل قيادات الحركة الإسلامية. . د. ترابي. د. التيجاني أبو جديري. الكاروري. أحمد عبد الرحمن. . . الخ وكذلك معسكرات . . ألتي . . الحصا. كوستي . . . هذه المعسكرات التي تعد فيها القيادات وتربى على الزهد والتجرد والتفاني هذه المعسكرات قد تلاشت بحجة غياب الميزانيات المالية لمثل هذا العمل !! فمال الحركة الإسلامية بدلاً من أن يتجه للإستثمار فخير له أن يستثمر في إعداد قيادات المستقبل. . بالطبع يكون ساذجاً من يبرر هذه الأخطاء بالمسؤوليات وتبدل الظروف والأولويات. . . فالعربة مهما تكن جميلة وقوية لا يمكن أن تعمل من غير وقود وزيوت واسبيرات وصيانة وقائد ماهر. . . الخ.

ولكن يبقى القول إن الحركة الإسلامية اليوم ليست هي حركة الأمس التي تميزت بالصفوية والإنتقائية والتي كان المنتمون إليها يحاولون التشبه بالصحابة في العهد المكي الأول. . زهداً وتديناً واستضعافاً وقلة عدد وهجرة. . فالحركة اليوم إتسع صفُها وانتشرت دعوتها وفتحت صفوفها لكل القادمين إليها ولم يعد حالها كحال العهد المكي الأول، بل أصبح أقرب إلى فتح مكة المكرمة ودخول الناس إليها أفواجاً بمختلف نواياهم وتطلعاتهم وخلفياتهم الفكرية والأيدولوجية وأهوائهم وهواياتهم! من مخلصين أتقياء ومجاهدين شرفاء إلى طلقاء ومتسلقين ومندسين وطوابير وغيرهم.

فالحركة الإسلامية إبان العهد المايوي كادت أن تكون هي الحركة الوحيدة المتصالحة مع نظام النميري وهي الحركة الأكثر استفادة من الانفراج النسبي الذي أحدثته المصالحة الوطنية في ٧/٧/١٩٧٧م وكانت تعمل على أساس أن مثل هذه الفرصة ربما لن تعود ثانية. . بل كانت الحركة الإسلامية تعمل بجد واجتهاد على أن يسقط نظام نميري في يدها.

وأذكر أننا كنا نذهب كثيراً إلى منزل الأمين العام للحركة الإسلامية د. حسن الترابي وكان وقتها يشغل منصب النائب العام في حكومة نميري وكنا وقتها طلاباً بجامعة الخرطوم نقود العمل السياسي الإسلامي داخلها - كنا نذهب إليه مشفقين على الحركة الإسلامة من تلويث النظام المايوي لها والإضرار بسمعتها. . وأن هذا النظام سيسقط شعبياً وسوف ينتفض الشعب السوداني ضد هذا النظام بكل رموزه وسيحاكم الحركة الإسلامية كما حاكم الحزب الشيوعي. . وكنا نقول له إن الحكم الإسلامي الذي يدعيه النميري لا يعدو أن يكون إسلاماً أمريكياً. . كان د. الترابي يرد علينا بثقة شديدة، ويقول: إن هذا النظام إذا قدر له أن يسقط

فسيسقط في أيدينا لا محالة في ذلك. وكان يقول لنا: إن ما فعله النميري من حيث إعلان الشريعة الإسلامية وكتابة ذلك في دستور البلاد قد وفر للحركة الإسلامية مائة عام كنا نحتاجها للوصول لهذه الخطوة.. وعندما كنا نتناقش عن كبت الحريات وتسلط رجال الأمن المايوي وعن خنق حرية الصحافة.. كان د. ترابي يقول لنا: إنكم لم تحضروا الديمقراطية الأولى ولا الثانية التي أعقبت ثورة أكتوبر١٩٦٤ ولو حضرتموها وما بها من فوضى واستهتار وفساد لفضلتهم عليها هذا الوضع.. ثم أكد لنا أن كل المحاولات التنموية في السودان قد حدثت في العهود العسكرية سواء أن كان ذلك في عهد عبود أو النميري..

شاهدنا هنا أن الحركة الإسلامية كانت تسابق الزمن وتعمل بجد وثقة وقناعة بأن النظام المايوي سوف يسقط في يدها لا محالة في ذلك!!! لكن الذي حدث كان هو العكس تماماً.. بل إن الحركة هي التي سقطت في يد النظام بنهاية يوم ١٠ مارس ١٩٨٥م لتعيش أسوأ ظروفها وظل معظم قادتها موزعون على سجون السودان المختلفة إبتداء من كوبر وشالا وانتهاء بسجون الولايات، وكانت قوائم الإعدامات قد أُعدت لقيادات الحركة الإسلامية.. فبدلاً من شعارها "كل النظام بيد الحركة" أصبحت " كل الحركة بيد النظام"!! وكان ما حدث لحركة الإخوان المسلمين في مصر كان يمكن أن يحدث للحركة الإسلامية في السودان، لولا لطف الله سبحانه وتعالى وهبة الشعب السوداني في انتفاضة رجب/ أبريل ١٩٨٥م التي سقط على إثرها نظام مايو. فما كان للحركة الإسلامية أن تخطئ مثل هذا الخطأ التاريخي وتسلم رقاب قادتها في ليلة واحدة لجهاز الأمن بصورة جعلت النائب الأول للرئيس نميري ورئيس جهاز الأمن وقتها عندما جاءه وفد من أهالي بربر تربطهم به صلات كثيرة ملتمسين الشفاعة لقادة الحركة الإسلامية ومن بينهم ابنهم السيد/أحمد عبد الرحمن محمد..ما كان من النائب الأول إلا أن قال لهم: "ديل أفرشوا عليهم (أي أقيموا عليهم مأتماً)!!".. ما كان للحركة الإسلامية أن تصل إلى حافة الهاوية هذه لولا الثقة الزائدة في النفس ولولا التحليل الخاطئ لمجريات الأحداث ولولا الإنطباعية في تقييم الأحداث والثقة المفرطة في النفس عند اتخاذ القرارات.. فرغم المعلومات التي كانت تصل إلى قيادة الحركة بأن النظام المايوي يعد لضرب الحركة الإسلامية، لكن الثقة الزائدة كادت أن تؤدي إلى فناء الحركة الإسلامية.. وأذكر أنه وقبل اعتقالات ١٠ مارس ١٩٨٥م بأيام قليلة جاءني الطالب عصام الدين إدريس البناني وكان طالباً بقسم الرياضيات بكلية التربية وأحد أعضاء الإتجاه الإسلامي الذي تمت زراعتهم داخل الإتحاد الإشتراكي.. جاءني يحمل معلومة مفادها أن السيد أبو القاسم محمد إبراهيم قد ذكر البارحة وأثناء احتفالات حولية الشيخ الصائم بأمدرمان الجديدة ذكر لبعض قادة الإتحاد الإشتراكي: "أن

وقت القضاء على الإخوان قد قرب جاءتني هذه المعلومة حوالي منتصف الليل ولم يكتمل الثلث الأخير من تلك الليلة ولم يتنفس الصبح حتى أمتطيت "موتر" أخونا سيد أحمد يوسف حسن الذي كان يقيم معي بحجرتي بالجامعة وانطلقت من أمدرمان إلى جامعة الخرطوم حيث رئاسة مكتب معلومات الإتجاه الإسلامي وكانت بالنسبة لي هي المرة الأولى التي أقود فيها دراجة نارية، وأذكر أنه بالقرب من إشارة المرور ببحرى قابلني الأخ/ خليل عبد الله الطالب وقتها بكلية الزراعة وأحد قادة الإتجاه الإسلامي ومحافظ كوستي في ما بعد، قابلني خليل ولاحظ إنني لا أجيد قيادة الدراجة النارية وقال لي: حا تروح فيها يا زول.. واصلت سيري إلى الجامعة حيث أبلغت تلك المعلومات للأخ عبد العلى أحمد البشير الذي كان أبرز رجال المعلومات في الجامعة.. ذكرت هذه الحادثة لأؤكد أن التحذيرات والمعلومات كانت تصل إلى قيادة الحركة ولكن كان للحركة الإسلامية حساباتها الأخرى وأحياناً تعتمد على توكل د. الترابي ومغامراته التي تصل إلى حد المخاطرة..

كانت ضربة ١٠ مارس ١٩٨٥م مباغتة لكل الناس وكان الشارع غاضباً على نظام النميري وعلى كل الذين تعاونوا معه.. كانت الجامعات مغلقة وكانت جامعة الخرطوم قد تم إغلاقها بعد أحداث "السيخ" الدامية التي شهدتها في مطلع عام١٩٨٥م وعندما تمت الاعتقالات المايوية لقيادات الحركة الإسلامية كان هناك كشف باعتقالات قيادات الإتجاه الإسلامي من الطلاب.. وقد تم اعتقال الطالب عمر محمد عبد الرحمن القادم من كسلا عند نقطة تفتيش مدني، وتمت مطاردة الطالب خالد حسن إبراهيم رئيس الاتحاد العام للطلاب السودانيين، حيث نُصب له كمين أفلت منه بإعجوبة.. وأذكر عندما حاول الاتجاه الإسلامي الحفاظ على عدد من قياداته خارج الاعتقال.. قد جاءني بمنزل أسرتي بالشجرة الأخوان محمد المجذوب محمد الأمين والشهيد موسى علي سليمان وطلبا مني إجراء اللازم لأختفي عند أحد الإخوان بمدينة أُمدرمان وذلك لأن معلومةً وصلتهم من مصدرهم عصام الدين إدريس البناني بأن أمراً صدر باعتقالي.. فرجال الأمن مصرون على اعتقال كل القيادات الطلابية وذلك لأن فتح الجامعات على الأبواب ويخشون من إثارة الشارع ضدهم وهذا أمر حتمي ما دامت قيادة الحركة الإسلامية وراء القضبان المايوية. نزلت عند أمر الحركة الذي حمله لي الأخوان مجذوب وموسى وقمت بإجراء اللازم.

ومن الطرائف التي تأتي وقت المحن أذكر وأنني بعد أن حلقت لحيتي الكثة - نزولاً عند أمر الأخوان اللذان يمثلان أمانة الجامعة - وأطلقت شاربي ووضعت عمامة كبيرة على رأسي لم يعرفني حتى صديقي الصحفي العبيد أحمد مروح الذي كان يسكن معي في حجرة

واحدة في الجامعة وذلك عندما ذهبت إليه وكان يقيم في منزل أقاربه غرب سوق أمدرمان.
أما شيخنا المرحوم محمد عثمان محجوب هذا الرجل الأمة والمزعج لرجال الأمن وقادة الإتحاد الإشتراكي.. كان معروفاً بلحيته الغزيرة ونظارته التي لا تفارقه ولم يكن من مرتدي "الجلابية" إلا نادراً.. أذكر أنني تعرفت عليه داخل بنك فيصل فرع المحطة الوسطى "القديم" وسط عددٍ كبير من الزبائن وقد أزال لحيته وخلع نظارته ولبس جلباباً كبيراً وعمامة.. فحاولت أن أمثل له رجل أمن فاقتربت منه وقلت له: "محمد عثمان محجوب؟ نظر إليّ باستغراب وكأنه أراد أن يفعل شيئاً ما... وهو معروف - عليه رحمة الله - بذكائه الحاد وسرعة بديهته.. ولكنه استدرك وقال لي: عمر عمر وكان يقول لي عمر كعادته في اختصار الأسماء فضحكت فعرفني وانصرف مسرعاً.. وعندما تقابلنا بعد الإنتفاضة قال لي: "في تلك اللحظة حاولت أن أسدد لك لكمة قوية ثم أصيح الحرامي.. الحرامي.. سيما أن المكان ساحة بنك يكثر فيها الحرامية وألوذ بعد ذلك مختفياً"..

وكذلك كنت ألاحظ أثناء سير المظاهرات الأخ أمين حسن عمر خارجاً بمنطقة بحرى -- شارع الشعبية - متخفياً ومرتدياً بنطلون الجنز والقميص الضيق والنظارات الكبيرة..
ورحم الله الطالب أزهري علي فضل المولى طالب المساحة بجامعة الخرطوم الذي كان يربط كل هذه الدوائر في مخابئها بكل القرارات والتطورات ممتطياً دراجة نارية يطوف علينا ليلاً ونهاراً وكنا في تلك اللحظات ننتظر أوامر وقرارات الحركة الإسلامية التي كانت في اجتماعات مستمرة بقيادة الأخ علي عثمان محمد طه وكانت تراقب الأحداث على المستوى الخارجي وتتابع تصريحات الرئيس نميري من أمريكا التي كان يتوعد فيها قادة الحركة الإسلامية.. كنا ننتظر أوامر الحركة مهما تكن تلك القرارات، وأذكر أن الأخ المهندس مبارك ميرغني محمود القادم صبيحة يوم ١٠ مارس ١٩٨٥من بورتسودان وكان يقول للأخ المهندس عثمان عبد الله (بوظتف (+): إننا ننتظر التوجيهات لننفجر في أي موقع نوجه إليه.. وبالفعل ما حدث في الجزائر بعد اعتقال قيادة جبهة الإنقاذ الجزائرية كان يمكن أن يحدث في السودان سيما وأن تنظيم الحركة الإسلامية في السودان أكثر انتظاماً ودقة وربطاً لكل فئات المجتمع من تنظيم جبهة الإنقاذ الجزائرية... كنا نشعر بالظلم والإستضعاف، ونردد قول الله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠].

وكنا نشعر أن كل الذي حدث كان من تدبير الأمبريالية والصهيونية العالمية التي تقودها أميركا سيما وأن الذي حدث للحركة الإسلامية كان وراءه جورج بوش الأب نائب الرئيس الأميركي ريغان والذي أصبح رئيساً لأمريكا في ما بعد والذي زار في مارس ١٩٨٥م السودان

وقام بإملاء قرارات التخلص من الحركة الإسلامية على النميري إن أراد الأخير لحكمه الاستقرار والاستمرارية والدعم الأمريكي..

كنا نشعر بأن هذه مؤامرة يهودية ضد الإسلام وقادته في السودان وكنا نتذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

كنا في تلك اللحظات أكثر قرباً من الله.. نردد دعاء الرسول الأعظم في أحدى الغزوات عندما بدأت المعركة بين المسلمين والكفار.. **"اللهم أن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض"**. ونردد قول الله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

عند المحن تزداد صلة الإنسان بربه وكنا نكثر من قيام الليل وتلاوة القرآن بصورة كادت أن تفضح أمرنا وذلك عندما لاحظ العم عثمان كمبال الذي كنت أختفي في بيته بالثورة تحت رعاية ابنه الأخ خالد، والعم عثمان كمبال من الذين يقرأون القرآن عند السحر بصوت جميل قراءة صحيحة وجميلة، لكنه ارتاب في أمر وجودي. فسأل ابنه خالد من هذا؟ وخالد هذا كان طالباً بكلية القانون جامعة الخرطوم وأحد أعضاء الإتجاه الإسلامي ووالده كان من قيادات الختمية. ويبدو أن الشك قد ساور العم عثمان وأراد أن يتأكد ولكن الأخ خالد رد عليه قائلاً: "هذا أستاذ قادم من الإقاليم يشارك في تصحيح الشهادات السودانية وسوف يعود بعد انتهاء التصحيح إلى المنطقة". وقد مر الأمر بسلام.

استمر الأمر هكذا حتى قيام الانتفاضة ومن عجب أن الانتفاضة التي بدأها الشماسة حتى أطلق عليها مظاهرات الشماسة، حاول الإعلام المايوي ممثلاً في صحيفتي "الأيام"و"الصحافة" وقتها أن ينسب هذه المظاهرات وأحداث الشغب التي تلتها إلى الحركة الإسلامية إمعاناً في المكيدة وحض النميري على التخلص من قيادات الحركة الإسلامية مما دفع النميري ليصرح من أمريكا للصحف بأن هذه المظاهرات من فعل الإخوان المسلمين وذكر أنهم بهذه الأفعال قد قطعوا أعناقهم وحكموا على أنفسهم بالفناء.. وللحقيقة فإن انتفاضة رجب أبريل ١٩٨٥م لم تكن من صنع جهة سياسية معينه وإنما كانت من صنع كل أبناء الشعب السوداني بكل فئاته.

من جانبها لم تتوقف الانتفاضة والمظاهرات عن التواصل والشدة إلا عندما أعلن قادة الجيش استلام السلطة بقيادة المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب معلنين نهاية العهد المايوي الذي امتد من ٢٥ مايو ١٩٦٩م إلى ٦ أبريل١٩٨٥م.. وهنا دخلت الحركة الإسلامية في امتحان جديد.. وهو عندما حاول التجمع الوطني وقبائل اليسار السوداني والطائفية عزلها عزلاً سياسياً بحجة أن الشعب السوداني قد انتفض في ٦ أبريل ١٩٨٥ ضد نظام مايو بكل سدنته وبكل رموزه ومن بينهم الإسلاميين.. وحاول التجمع الوطني الذي

تكوّن بعد الانتفاضة من قبائل اليسار والذي كان يقود هذه الحملة ضد الحركة الإسلامية، حاول استصدار قانون للعزل السياسي يعزل بمقتضاه الحركة الإسلامية من أي مشاركة قادمة في السلطة وقد شايع التجمع السياسي في هذا الخط الصادق المهدي والذي صمت عن الحديث في السياسة منذ أن قام النميري بإعدام محمود محمد طه حيث فهم أن إعدام محمود هو رسالة موجهة له وإن لم يكف عن المعارضة سيكون مصيره مصير محمود!! بل إنه عندما قامت مظاهرات أبريل خشى الصادق المهدي أن تنسب إليه فيعتقل ثم يعدم عند عودة النميري من أميركا ضمن قائمة الإعدام المعدة سلفاً للإسلاميين.. لذلك اختفى الصادق طيلة فترة الانتفاضة وترك منزله ولم يظهر إلا بعد إعلان سوار الذهب نهاية العهد المايوي وبدء الفترة الانتقالية فخرج الصادق المهدي ممتطياً صهوة التجمع ليعلن رأيه في الحركة الإسلامية رامياً إياها بالموبقات العشر ذاكراً أن الحركة الإسلامية لن تشارك في الممارسة السياسية إلا إذا تبرأت من كل أفعالها السابقة وتابت منها توبة نصوحاً!! أي أن الحركة الإسلامية قد إرتكبت عشرة موبقات لا بد أن تتب وتتطهر منها وإلا سيمارس عليها الحجر والعزل السياسي.

في ظل هذه الحملة الشرسة على الحركة الإسلامية أعلن التجمع لندوة سياسية كبرى بالميدان الشرقي بجامعة الخرطوم.. اشتركت فيها كل تنظيمات التجمع من شيوعيين وبعثيين وإتحاديين وأنصار وخلافه وكان الصادق المهدي أبرز المتحدثين في تلك الندوة.. وقد تم الحشد الجماهيري لتلك الندوة التي صب المتحدثون فيها جام غضبهم وهجومهم على الحركة الإسلامية.. في تلك اللحظات كان قادة الحركة الإسلامية قد خرجوا لتوهم من السجون فعاد د.الترابي وأحمد عبد الرحمن وحاج نور وكاروري وآخرون من سجن شالا بغرب السودان .. حينها أعلنت الحركة الإسلامية لندوة سياسية كبرى في نفس المكان الذي عُقدت فيه ندوة التجمع - الميدان الشرقي لجامعة الخرطوم - وهي الندوة التي قلبت الموازين وجعلت المجلس العسكري الانتقالي يعيد حساباته في التعامل مع الحركة الإسلامية.. جاءت الجماهير لتلك الندوة من كل حدب وصوب.. امتلأ الميدان الشرقي على سعته وتعلق الناس بأبراج الكهرباء بالميدان وامتلأ شارع الجامعة وصعد الناس على ظهور الحافلات.. كان المتحدثون في تلك الندوة د.الترابي مهدي إبراهيم، والقاضي الشهيد/ أحمد محجوب حاج نور.. وقد كان لي شرف تقديم تلك الندوة والتعليق على الأحداث بين كل متحدث وآخر.. وأذكر أن د.الترابي بدأ حديثه بعد حمد الله بأن الحركة الإسلامية قد كانت أول من دخل سجون مايو ١٩٦٩م وكانت آخر من خرج من سجونها في١٠مارس ١٩٨٥م وقد كان حديثاً تعبوياً تمت فيه تعبئة العضوية للمرحلة القادمة، وأذكر

أن هذه الندوة قد تم طبعها على أشرطة الكاست والفيديو وتم توزيعها داخلياً على كل مدن السودان وخارجياً على أعضاء الحركة الإسلامية في كل بقاع العالم. إنزعج التجمع وقادته من تلك الندوة ومن كمية الحشود التي حضرتها... (!!) وأذكر أن صحفية أجنبية قد قامت بتقديم سؤال للصادق المهدي عن رأيه في الحركة الإسلامية التي يقودها د. الترابي.. فأجابها الصادق بأن هؤلاء لا مكان لهم في الشارع السياسي وقد عزلهم الشعب السوداني!! فردت عليه الصحفية الأجنبية مستفسرة ومتعجبة قائلة: كيف يكون ذلك وقد شهدت شخصياً الندوة التي أقاموها بالميدان الشرقي لجامعة الخرطوم وقد فاق حضورها حضور ندوة التجمع التي كنت أنت متحدثاً رئيسياً فيها؟! فرد عليها الصادق المهدي بإنزعاج شديد قائلاً: (هذه كل الحشود..هذه كل الحشود).

الحركة الإسلامية وتجربة توسيع المواعين

وسط هذه الظروف السياسية البالغة التعقيد وسط الاختراق الأمني الجلي والبين داخل الأحزاب السياسية حيث أصبح لكل الدول وكلاء داخل السودان كان لا بد للحركة الإسلامية أن تستفيد من إرثها التاريخي القديم في التحالفات والإستقطاب وأن تخلع قميص "الإتجاه الإسلامي" الضيق وأن تلبس قميصاً فضفاضاً يستوعب كل القادمين من أبناء الشعب السوداني والذين يرغبون في العمل مع الحركة الإسلامية.. وللحركة الإسلامية تجربتها التي أعقبت ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، وقد عُرفت حينها (بجبهة الميثاق الإسلامي) والتي ضمت في صفوفها الكثير من مسلمي الطرق الصوفية وأنصار السنة المحمدية والكثير من الإسلاميين الذين لا انتماء لهم.

لذلك قررت الحركة الإسلامية أن تخوض المرحلة السياسية القادمة تحت اسم (الجبهة الإسلامية القومية)، وبالفعل دعت الحركة الإسلامية لمؤتمر جامع دعت له كل فعاليات المجتمع وعُقد بنادي الأسرة بالخرطوم وسط حضور مكثف من كل أقاليم السودان كما حضره ممثلون من خارج السودان نيابة عن السودانيين المقيمين بالخارج وتمخض هذا المؤتمر عن إعلان ميلاد (الجبهة الإسلامية القومية) التي فتحت صفوفها لكل فئات المجتمع بما فيهم المسيحيين الذين يتفقون على الحد الأدنى مع الإسلاميين. كانت الحركة الإسلامية بعد الانتفاضة هي أول من أقام مؤتمراً حزبياً جامعاً انتخب مؤسساته المتمثلة في مجلس شوراه وانتخاب أمينه العام وبقية مؤسسات الحزب علاوة على اتخاذ قرارات وسياسات واضحة.

وأذكر إننا كنا نقيم معسكراً للقيادات الطلابية بموقع يقرب من ميدان الأسرة.. وقد قرر

مؤتمر الجبهة الإسلامية إعلان بيانه الختامي من أمام مسجد الخرطوم الكبير. وجاءت إلينا الأوامر لنكوّن كتيبة الحراسة وتأمين ذلك المؤتمر عند مسجد الخرطوم الكبير.. أذكر أنه قد كان معنا الأخ هشام توفيق طه الذي كان طالباً بكلية الهندسة جامعة الخرطوم والأخ محمد حسب الرسول الذي كان أميراً للتنظيم بجامعة القاهرة بالخرطوم وكثيرون لا أذكرهم الآن.. وما إن بدأ المؤتمر في إعلان بيانه الختامي من أمام مسجد الخرطوم الكبير حتى ظهر ضيق الأحزاب السياسية بالديمقراطية حيث انهالت حجارة الشماسة على الحضور من أماكن كثيرة بصورة يشتم منها رائحة التخطيط والتدبير.. هذه الحجارة التي ظلت تطارد مؤتمرات الجبهة الإسلامية في معظم أنحاء السودان والتي كان ورائها التجمع وقيادات حزب الأمة الذين يتباكون اليوم على الديمقراطية وحرية التعبير واحترام الرأي الآخر.. وهم كانوا أول من لم يحتمل الرأي الآخر ومن يضيق بحريه التعبير وبحرية الرأي..

بقيام الجبهة الإسلامية تكون الحركة الإسلامية قد دخلت مرحلة جديدة من التكوين حيث إتسع صفها واستقبلت قطاعات كثيرة من فئات وأفراد المجتمع السوداني.

مهما يكن من أمر فإن فترة الجبهة الإسلامية كانت تعني الكثير بالنسبة للحركة الإسلامية وهي تحتاج إلى كتاب منفصل نأمل أن نوفق فيه لاحقاً.. ففي هذه الفترة استطاعت الحركة الإسلامية أن تقاتل بشراسة وأن تستغل كل المنابر وأن تقاوم كل الخصوم في معركة واحدة.. وتمكنت من إدارة حملة إعلامية شرسة ضد خصومها.. وقد كان ذلك واضحاً في باب "حتى لا تنسى" الذي كان يحرر بصحيفة "الراية" وكان يبرز كل مخازي الأحزاب السياسية إبان الفترة المايوية، وكان الأستاذ محمد طه محمد أحمد وحده يشكل أمة وجيشاً كاملاً في الدفاع عن الحركة الإسلامية وفي كشف مواقف ومخازي الأحزاب يسنده مكتب معلومات الحركة الإسلامية بالوثائق والصور.. وكانت صحيفة "ألوان" التي أسسها السادة حسين خوجلي وأمين حسن عمر ومحمد وقيع الله ومحمد عوض البارودي، ثم بعد ذلك آلت للأُستاذ حسين خوجلي ، كانت تمثل حرباً على الطائفية والممارسات الحزبية الخاطئة وكانت صفحة "حلمتيش" التي يحررها د. أحمد الأمين "المتجهجة الأممي" وأقطاب مجموعته أمثال الدكتور الأمين حسن العبد (المستعرب الخلوي) ومحمد الجاك الصراف – ونجم الدين محمد الأمين وشبرا الغلباوي وآخرين يمثلون ازعاجاً بالغاً للحكومة في رأس دولتها ونيابتها العامة ومجلس وزرائها، ثم صحيفة "صوت الجماهير" التي تمثل طلاب الإتجاه الإسلامي، ثم صحيفة "الأسبوع" التي كانت شراكة بين محيي الدين تيتاوي وأحمد البلال الطيب وقد كان يوجد تعاون بينها وبين مكتب إعلام الجبهة الإسلامية القومية أما صحيفة (السوداني) لصاحبها محجوب عروة فهذه كانت تقدم خدماتها الإعلامية داخل وخارج السودان وكان

خطها متسقاً مع خط الجبهة الإسلامية القومية.. ومحجوب عروة عندما جاءت الإنقاذ – يتقدمها بعض الحنابلة – لم تشفع له كل هذه السيرة العطرة ولم ينظر لتاريخه النضالي واعتقالاته في صفوف الحركة الإسلامية ومجاهداته في الصحاري ولم يغفر له خطؤه رغم أن الحركة قد غفرت أخطاء قادة التمرد والتجمع الذين أصبحوا في ما بعد وزراء في صفوف الإنقاذ.. محجوب عروة رغم أنه أخطأ فيما يتعلق بـ "السودان الدولي" لكنه كان يمكن أن يغفر له.. ولعل الله قد اضطلع على أهل بدر فقد كانت صحيفة "السودان الدولي" من الصحف الهامة.

بين الماضي والحاضر

مثلت نهاية الأربعينيات من هذا القرن نقطة البدء[١] بالنسبة للحركة الإسلامية في السودان – حركة الإخوان المسلمين – ثم ظلت تنمو نمواً مطرداً شمل كمها العضوي ومنشطيها الثقافي والسياسي كما أنها ظلت تلعب دوراً بارز الأهمية في مسيرة السياسة السودانية بُعَيد نيل البلاد استقلالها في يناير ١٩٥٦م حيث بدأت كردّ فعل لموجة التغريب العلمانية التي ضربت مجتمع المثقفين على وجه العموم ومن ثم المجتمع الجامعي على وجه الخصوص حيث أضحى التعليم في كلية غردون هو امتداد لثقافة المستعمر وترسيخ قيمه وأخلاقه وسلوكياته... فالحركة الإسلامية كانت في منشئها حركة اصلاحية صفوية مستضعفة لا يؤبه لها... حيث كان التيار الشيوعي والعلماني تياراً راسخاً وفاعلاً ومؤثراً في أوساط الطلاب والمثقفين.

ولكن بعد نيل السودان استقلاله أخذت الحركة الإسلامية تأخذ موقعها الطبيعي النسبي في مجريات السياسة السودانية محاولة أن تعود بالسياسة السودانية إلى المنبع الإسلامي الأصيل وأن تخرج بالولاء السياسي من الإطار الحزبي والعشائري الضيق إلى ولاء إسلامي متسع يسند الأمر كله إلى الله ويتجه في مقاصده وكلياته في سيرورة تنشد إقامة مجتمع الفضيلة ومجتمع الخلافة الراشدة ويعيش المجتمع تلك المعاني والقيم التي عاشها المسلمون الأوائل في صدر الإسلام في حياة تعيش العصر وتستصحب الأصل... تلك المعاني والقيم كانت تمثل أشواقاً وعشقاً للرعيل الأول من مؤسسي الحركة الإسلامية.

لم يفت على الحركة الإسلامية في باكورة أيامها أن تستفيد من الإرث الديني الضارب

---

(١) انظر حسن مكي محمد أحمد، حركة الإخوان المسلمين في السودان ١٩٤٤ – ١٩٦٩م، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم، الخرطوم، ص: (٨).

الجذور في المجتمع السوداني سواء إن كان ذلك في المنحى الصوفي الذي طبع الحياة السودانية منذ عهود الفونج والعبدلاب ومملكة سنار أو النمط الجهادي الذي تمثل في دولة المهدية بقيادة الإمام محمد أحمد المهدي في عام ١٨٨١م، الذي أقام دولة إسلامية على أنقاض الحكم التركي المصري . كانت عضوية الحركة الإسلامية في باكورة أيامها صفوية منحصرة في صفوف طلاب الثانويات وطلاب جامعة الخرطوم، ولكن العضوية في مجملها ظلت خليطاً من أبناء الأنصار والختمية وأتباع الطرق الصوفية، وقد ظلت الحركة الإسلامية تحتفظ بهذه التركيبة إلى يومنا هذا. .

مرت الحركة الإسلامية في السودان بتطورات كبيرة خلال تاريخها ومسيرتها وعطائها وقد كانت عبر ذلك تحاول أن تُنَزل شعاراتها على أرض الواقع السوداني ساعية لإيجاد الأرضية المناسبة لشعاراتها وسط الجماهير، وأن تجد لها أنصاراً ومؤيدين ومدافعين عنها سواء أن كان ذلك وسط المثقفين وجمعياتهم أو العاملين ونقاباتهم واتحاداتهم أو وسط السياسيين وأحزابهم. . . ولم تُيئسها قلة عضويتها من خوض غمار الانتخابات البرلمانية وقد كان لوجودها المحدود في البرلمان الذي أعقب ثورة أكتوبر ١٩٦٤م دوراً كبيراً في قيادة الحملة المنادية بحلّ الحزب الشيوعي السوداني ١٩٦٨م، إذ كان أمينها العام حسن عبد الله الترابي عضواً بالبرلمان عن دوائر الخريجين. . . كما كان للحركة أيضاً دور قيادي وريادي في ثورة أكتوبر ١٩٦٤م والتي انطلقت شرارتها من جامعة الخرطوم حيث كان اتحاد طلاب جامعة الخرطوم تحت قيادة الاتجاه الإسلامي وتحت رئاسة حافظ الشيخ الزاكي الذي كان حينها طالباً بكلية القانون وعند اعتقاله خلفه الطالب ربيع حسن أحمد على رئاسة الاتحاد وكلاهما من أعضاء الحركة الإسلامية بجامعة الخرطوم. .

استمرت الحركة الإسلامية ترنو ببصرها لدور طليعي يقود مسيرة السودان السياسية نحو دولة الشريعة الإسلامية واضعة بذلك الخطط والبرامج المدروسة والمفصلة التي تعبر من خلالها إلى نهايات خطتها التنظيمية ومطمحها الذي من أجله تكونت. . . واستمرت الحركة الإسلامية على هذا المنوال إلى أن جاءت مايو ١٩٦٩م لتمثل نقطة تحول كبرى بالنسبة للحركة الإسلامية. . تمثل ذلك التحول في الانطلاق السياسي الداخلي والخارجي للحركة الإسلامية. . .

أما الانطلاق الخارجي فقد تمثّل في إطار الجبهة الوطنية المعارضة لنظام نميري حيث تولت الحركة الإسلامية منصب السكرتير العام للجبهة الوطنية والذي تولاه عثمان خالد مضوي أما داخلياً فقد تمثل ذلك في سلسلة الأعمال المعادية والمناوئة لمايو والتي بدأت بتوزيع المنشورات ومظاهرات المولد ١٩٦٩م، ثم الاشتراك الفاعل في أحداث الجزيرة أبا

١٩٧٠م مقدمة أميز قادتها محمد صالح عمر الذي استشهد في تلك الأحداث. . ثم أحداث شعبان / نوفمبر ١٩٧٣م والتي قادها اتحاد طلاب جامعة الخرطوم بقيادة أحمد عثمان المكي. . . ثم حركة حسن حسين في سبتمبر ١٩٧٥م وانتهاءً بحركة ٢/ يوليو ١٩٧٦م والتي أطلق عليها نظام نميري "أحداث المرتزقة" وأطلق عليها محمد وقيع الله في كتابه "الإخوان وسنوات مايو"، "غزوة يوليو ١٩٧٦م".

عبر هذه الأحداث مرت الحركة الإسلامية بتطورات كبيرة جسدت ما كانت تتمتع به من مقدرات وإمكانات مهدت لها أن تشارك بثقة في إدارة دفة الحكم في السودان بعد ارتضائها للمصالحة الوطنية التي بدأت في ٧/ يوليو/ ١٩٧٧م بين الجبهة الوطنية المعارضة وبين جعفر نميري رئيس الجمهورية حينئذ ومثلت المصالحة الوطنية فرصة طيبة للسلام حاول كل من النظام والحركة استغلالها بالصورة التي تخدم أهداف وخطط وبرامج كل منهما. . . فالنظام عبر المصالحة وضع حداً لمعارضة شرسة وطموحة أضعفته شعبياً وحاربته بشتى الوسائل بدءاً بالمنشورات وانتهاءً بالحرب المسلحة، وقد بدأ النظام يطمئن شيئاً ما أما الحركة الإسلامية فقد بدأت في تنظيم صفها وإعادة بناء قواعدها وهياكلها بصورة تلائم الظروف الجديدة كما نجحت في مضاعفة أعدادها مرات ومرات.

كانت المصالحة الوطنية بمثابة القنطرة التي عبرت خلالها الحركة الإسلامية إلى معظم أهدافها المستقبلية على مستوى الإعداد والتخطيط والاستعداد المصحوب بالثقة وشبه الطمأنينة بأن المستقبل في السودان لمشروعها الحضاري الذي تتبناه وتكافح من أجل تطبيقه. . . حيث أدت المصالحة الوطنية بعد صدور قرار العفو العام إلى خروج المئات من كوادر الحركة من السجون وهم أكثر علماً وحفظاً للقرآن وفقهاً بأمور السنة والتشريع وأكثر حماساً للعمل الدعوي والجهادي.

كما أدت المصالحة الوطنية إلى انتشار فروع الحركة الإسلامية ذات المسميات الجديدة في جميع أنحاء السودان مثل: شباب البناء - رائدات النهضة - جمعية القرآن الكريم - جمعية الرعاية والإصلاح الاجتماعي - هيئة إحياء النشاط الإسلامي - النادي الثقافي الإسلامي - جمعية الهدى القرآني علاوة على عودة الاتحادات الطلابية والتي كان معظمها تحت قيادة الاتجاه الإسلامي. . . كما ساعد الاستقرار الذي انتظم المؤسسات الأكاديمية بعد المصالحة الوطنية الحركة الإسلامية في زيادة كمها العددي وصقل كيفها النوعي. . . كما اكتسبت الحركة الإسلامية خلالها خبرة مقدرة في إدارة دولاب الحكم على مستوى المركز والأقاليم كانت في أشد الحاجة إليها - الخبرة - وهي ترنو ببصرها لورثة نظام النميري طوعاً أو كرهاً بل وتعد العدة وتحشد الأنصار في كافة مرافق الدولة وعلى المستوى الشعبي وتستعد

ليوم في استراتيجيتها آتٍ وهو يوم الانقضاض على السلطة وتسلم مقاليد الحكم في السودان، إذ يعتبر السلطان في فقه الحركة الإسلامية هو الوسيلة الأهم في تنزيل شعاراتها وبرامجها على واقع المجتمع والعودة به إلى المنهج الإسلامي الصحيح الذي ينتظم كل مرافق الحياة.. لذلك ظلت الحركة الإسلامية تردد دوماً القول المأثور: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"، لذلك اعتبرت الحركة الإسلامية فترة العمل مع النميري هي ذات أهمية خاصة من حيث توسيع مواعين التنظيم ومضاعفة أعداده وحشد الموالين والأنصار لبرامجه.

علاوة على طرح البديل الإسلامي كأنموذج حضاري مستقبلي وتقديم القيادات الإسلامية كبديل للطائفية والعلمانية.. كذلك كانت الحركة الإسلامية تعتبر ممارسة السلطة على محدوديتها داخل أجهزة الخدمة الديوانية والسياسية في عهد مايو تعتبر تجربة تمهيدية للحركة لا بد منها.

أما الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم فه ومن أهم تنظيمات الحركة الإسلامية، فهو الذي جسد فكر الحركة وانطلق بها على المستوى الجامعي حتى أصبح ذا أهمية بالغة في الحياة السياسية بجامعة الخرطوم، إذ ظل يقدم نفسه دوماً لقيادة الحركة الطلابية كما ظل متصدياً للأفكار التي يعتبرها أفكاراً وافدة ودخيلة على المجتمع السوداني مثل الفكر الشيوعي والجمهوري وتيارات اليسار بصفة عامة..

كما ظل الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم هو المصدر الرئيسي للحركة الإسلامية في السودان، إذ راح يرفد مكاتبها وهيئاتها بالكوادر المدربة والمؤهلة. والذي يرجع إلى قائمة مرشحي الجبهة الإسلامية لدوائر الخريجين في البرلمان السابق في الفترة من ٨٦-١٩٨٩م مثلاً يجد معظمهم من قيادات الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم مما يؤكد ما ذهبنا إليه وقد كانت تقع على عاتق الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم في الفترة التي سبقت المصالحة الوطنية المسؤولية عن عضوية التنظيم من طلاب الثانويات والمتوسطات في عموم مدارس السودان.

أما على المستوى السياسي في فترة ما قبل المصالحة الوطنية فإن استراتيجية الاتجاه الإسلامي بالجامعة كانت جزء من استراتيجية التنظيم الأم بالخارج حيث مثّل الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم معارضة سافرة لنظام مايو.

بالطبع فإن قبول الحركة الإسلامية لمبدأ المصالحة الوطنية هو قبول ملزم لكل عضويتها وفروع تنظيمها داخل السودان وخارجه.

عندئذ بدأ الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم يصول ويجول داخل دائرة المصالحة

الوطنية فتارة نجده يقترب من مركز الدائرة بصورة تحسبه فيها حليفاً مخلصاً للنظام الحاكم حيث يذكر مثلاً - ابن عمر محمد أحمد، أبرز خطباء الاتجاه الإسلامي في فترتي قبل المصالحة وبعدها في إحدى الندوات السياسية التي تلت المصالحة بالجامعة قائلاً: "إن رجل النميري اليسرى أفضل من كل الشيوعيين في العالم وذلك على الأقل لأنه يشهد لا إله إلا الله.."

بالطبع كان يعلم أن مثل هذه العبارات سوف تصل في حينها إلى أذن الرئيس مما يكون له مردود إيجابي على العمل الإسلامي.

وتارة تجد الاتجاه الإسلامي ينأى عن مركز الدائرة ويقترب من محيطها بصورة يكاد يخرج فيها عن دائرة المصالحة تماماً وذلك عندما تتحدث صحيفة الاتجاه الإسلامي "آخر لحظة" عن الفساد السياسي والمالي وعن سلطة الفرد المطلقة وعن قمعية رجال الأمن... كما كانت صحيفته "أشواك" أكثر المنتقدين لنظام النميري ولسياساته الخاطئة. وبين هذا الاقتراب والاغتراب عن مركز دائرة المصالحة الوطنية استمر الاتجاه الإسلامي متمسكاً بإطار المصالحة الوطنية وحريصاً عليها رغم المضايقات والتجريح الذي يتعرض له من النظام الحاكم حتى اعتقال قادة الحركة الإسلامية في ١٠/ مارس/ ١٩٨٥م بعد زيارة جورج بوش نائب الرئيس الأميركي وقتها للسودان مباشرة... كان إلتزام الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم بالسير وفقاً لخطة المصالحة الوطنية يمثل نقلة كبيرة في تطوره السياسي وما يتبع ذلك من الأطر الفكرية والأوعية والهياكل التنظيمية... وهذا ما تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن مواطنه.

نشأة الاتجاه الإسلامي ودواعيها

ارتبطت نشأة الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم بعاملين أساسيين أسرعا في نشأته وساهما في تقويته وانطلاقه من مجموعة طلابية إصلاحية تسعى لحفظ الفرد وصونه إلى تنظيم سياسي جامع يسعى إلى إخضاع الحياة كلها لله تعالى، والعاملان هما:

١ - نمط الحياة الغربية والتفسخ والإنحلال الذي ضرب أوساط المثقفين والاستلاب الحضاري والثقافي الذي وقعوا فريسة له وذلك بعد الحرب العالمية الثانية.

٢ - سيطرة التيار الشيوعي على الحركة الطالبية بوصفه البديل الأنسب للاستعمار.

فالعامل الأول قد ارتبط بإنشاء كلية غردون التذكارية التي أنشئت تخليداً لذكرى الجنرال الهالك غردون باشا الذي اغتاله مجاهدو الثورة المهدية ١٨٨٥م وذلك عند فتحهم للعاصمة

الخرطوم عنوةً واقتداراً تحت قيادة إمامهم الملهم المهدي رضي الله عنه. كان تخليد الذكرى يعني تخليد المبادىء والأفكار في نفوس الجيل الجديد مع إماتة معاني الإسلام الجهادي في نفوس هذا الجيل حتى ينشأ جيلاً تابعاً للحضارة الغربية، يحمل من السودان اسمه ويتبع سنن الخواجات حتى إذا دخلوا إلى جحر ضب خرب دخلوه خلفهم. جيل مسلم بشهادة[١] الميلاد ولكنه مشبع بحب وثقافة وأدب وفنون الغرب، جيل منهزم نفسياً ومستلب ثقافياً، تابع ومنهزم حضارياً ليس له مقومات شخصية نابعة من دينه وتراثه .. بل إن هذا الجيل كان يرى خلاصه في الغرب والتبعية له وكان يرى اللحاق بالعصر والتحديث يتمثل في تبني قيم وأفكار وأخلاق الغرب لذا فقد حدث الانفصام والطلاق بين بيئة هذا الجيل الفكرية والنفسية وتطلعاته وطموحاته القائمة على مرتكزات الحضارة الغربية...

ويلاحظ أن السياسة التعليمية في الفترة التي أعقبت سقوط الدولة المهدية كانت تقوم على النقيض لمبادىء الثورة المهدية التي كانت تسعى لتزكية النفس بالزهد والجهاد ونبذ قيم وأخلاق الغرب نلاحظ أن سياسة الحكم الثنائي التعليمية حاولت استئصال كل ما هو ديني وكل ما يمت للدين بصلة من مؤسسات التعليم...

إذا كان ما ذكرناه يمثل العامل الأول المحفز لظهور الحركة الإسلامية في جامعة الخرطوم فإن العامل الثاني هو:

سيطرة التيار الشيوعي

في غضون عام ١٩٤٦م وفي ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية وما تبعها من دعاية للشيوعية التي انتصرت على النازية بتحالفها مع الإمبريالية التي تمثلها بريطانيا وفرنسا وأميركا، إذ تحالفت روسيا مع هذه الدول لدحر ألمانيا، وفي ظلّ هذه الظروف ظهرت الحركة الشيوعية في السودان لتلعب دوراً مؤثراً وعلى الرغم من أن الحركة الشيوعية السودانية كان لها وجود منذ الثلاثينيات على أيدي بعض الأرمن ولكن الوجود الحقيقي بدأ عندما زرعه الإنجليز وسط كلية غردون بواسطة جندي يدعى "ستون" ووسط الطلاب السودانيين بمصر بواسطة اليهود مثل هنري كوريل وسوارتز[٢] وغيرهم.

(١) حسن مكي محمد أحمد، الحركة الطلابية السودانية بين الأمس واليوم، الخرطوم، دار الفكر، د. ت، ص: (١١).

(٢) أحمد سليمان، ومشيناها خطى، صفحات من ذكريات شيوعي اهتدى، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٣م، ص: (٨٦).

في النصف الثاني من الأربعينيات سيطر الشيوعيون على حركة الطلبة وانعطف عدد كبير من طلاب المدارس نحو حركة اليسار وربما كان مرد ذلك إلى خيبة الأمل التي صاحبت انقسام مؤتمر الخريجين، حيث انعقدت آمال المثقفين على حركة مؤتمر الخريجين[١] واعتبروه أداة المثقفين لتوحيد الأمة وتخليصها من الاستعمار.

ولكن مؤتمر الخريجين انقسم إلى الشوقيين والفيليين حيث ظهرت منه مجموعة الأشقاء بقيادة إسماعيل الأزهري ومحمد نور الدين كما ظهر الاستقلاليون بقيادة إبراهيم أحمد ومحمد أحمد محجوب وعبد الرحمن علي طه حيث دخل الأشقاء في تحالف مع طائفة الختمية بقيادة السيد علي الميرغني بينما استظل الاستقلاليون بالسيد عبد الرحمن المهدي وطائفة الأنصار. أدى ذلك إلى ظهور ردود فعل عنيفة وسط المثقفين وكذلك الطلاب وهم يرون قياداتهم المثقفة ترتمي في أحضان الطائفية وترتبط بالرجعية والعشائرية بحثاً عن دور سياسي يتطلعون إليه... تلك المؤسسات التي نذروا أنفسهم لمحاربتها عند مبتدأ ظهورهم.. هذا السلوك دفع بعض الطلاب للانحياز نحو اليسار.

كذلك إن الأحزاب السياسية التي ظهرت في الساحة وانقسم حولها مؤتمر الخريجين لم تكن تنطوي على نظرية سياسية للنضال ضد الاستعمار تستطيع أن تجتمع حولها قطاعات المثقفين وإنما كانت ترفع شعارات فضفاضة تفتقر إلى التفاصيل والسياسات والخطط والبرامج التي تستند عليها مثل شعارات - السودان للسودانيين[٢] - وحدة وادي النيل - فلم تشبع تلك الشعارات رغبة الشباب المثقفين للعطاء والنضال والثورة بل إن شعار "السودان للسودانيين" كان يقف وراءه الإنجليز وشعار "وحدة وادي النيل" كان يقف وراءه المصريون... لذلك وجد الكثيرون من المثقفين في شعارات الشيوعيين ضالتهم المنشودة حيث كانت الحركة الشيوعية تقدم فكرة مذهبية أيدولوجية ذات شعارات جذابة تنادي فيها بوحدة الطبقة العاملة وإقامة المجتمع غير الطبقي وطرد الاستعمار من السودان، والتحالف مع الاتحاد السوفيتي نصير الشعوب الضطهدة!! فوجدت القطاعات الطلابية في مقولات الشيوعيين ونظرياتهم ضالتها المنشودة في وقت عنت فيه الشيوعية التقدم واللحاق بالعصر،

(١) انظر مذكرات عبد الماجد أبو حسبو، جانب من تاريخ الحركة الوطنية في السودان، الجزء الأول، دار صنب للنشر والتوزيع، فبراير ١٩٨٧م، ص: (٧٨).

(٢) انظر عفاف أبو عفان، حركة الخريجين وتطورها حتى قيام الأحزاب السودانية ١٩١٨ - ١٩٤٥م، ملف مؤتمر الحركة الوطنية في السودان، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، ص: (٢١ - ٢٩).

وفي وقت دمر فيه الاستعمار تماماً مفهوم الدين والتدين في نفوس الجيل الجديد، حتى أن الصلاة والصوم وكافة فرائض الدين ما كانت تعتبر من شأن المثقفين[1] بل ما كان أحد من طلاب كلية غردون يجرؤ على الجهر بالآذان بل حتى الصلاة كان بعضهم يؤديها داخل غرفته في استحياء. وفي هذا الظرف كانت قد شاعت في المؤسسات التعليمية أخلاق الغرب – السُكر – الرقص – والتشبه بالغربيين في مظهرهم.

حركة التحرير الإسلامي

عندما وصل الأمر إلى ما ذكرناه سابقاً من استهتار بقيم الدين وتنصل من التزاماته ومجاراة لأساليب الحياة الغربية مما استفز بعض عناصر الشباب المتدين الذي فكر في وسيلة للخلاص والإصلاح الديني والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وكان على رأس هذه المجموعة بابكر كرار – محمد يوسف محمد – يوسف حسن سعيد – ومحمد محمد علي حيث قرروا تكوين حركة إسلامية سرية باسم "حركة التحرير الإسلامي" وكان الدخول إليها يتم بعد أداء القسم بالمحافظة على سرية الانتماء.

وهنا تبرز ملاحظة تؤكد ما ذكرناه سالفاً عن الاستهتار بقيم الدين والسخرية من المتدينين واستضعافهم ووصمهم بالرجعية وخلافه وما يؤكد ذلك هو بداية حركة التحرير التي اتخذت أمرين يؤكدان ذلك هما:

١ – السرية.

٢ – أداء القسم بالمحافظة على سرية الانتماء.

وقد تمت صياغة دستور للحركة استنبط من كتاب محمد حسين هيكل "حياة محمد" وتأثرت حركة التحرير الإسلامي بمقولات وأطروحات حركة الإخوان المسلمين في مصر وتبنت كثيراً منها إلى أن انتهى بها الأمر إلى اتخاذ اسم "الإخوان المسلمين" ابتداءً من العام ١٩٥٤م.

استطاعت حركة التحرير الإسلامي أن تبعد الشيوعيين عن قيادة الطلاب وأن تحارب الأخلاق الوافدة الغربية وسط الطلاب حتى استطاعت أن تخلق وعياً سياسياً وسط الطلاب. وعند تحويل كلية غردون إلى كلية جامعية استطاعت أن تحرك الطلاب في إتجاه خلق منبر

(١) انظر حسن مكي، الحركة الطلابية السودانية بين الأمس واليوم، مصدر سابق، ص: (١٨).

جديد للطلاب، وهو اتحاد طلاب الكلية الجامعية بدلاً عن مؤتمر الكلية، واستطاعت أن تستحوذ على كل مقاعد الاتحاد العشرة وأصبح أحد أعضائها وهو الطالب الرشيد الطاهر بكر رئيساً للاتحاد وأحمد الشيخ البشير سكرتيراً للاتحاد... ورغم أن هناك آراء أخرى حول نشأة الاتجاه الإسلامي ودواعي النشأة سوف نذكرها تباعاً في هذا السياق لكن الباحث يلحظ ملاحظة جديرة بالوقوف عندها..

فإذا كانت الملاحظة الأولى مرتبطة بشيوع روح الغرب والتحلل من قيم الدين واستضعاف المتدينين مما حدا بحركة التحرير أن تبدأ حركة سرية يقسم المنتمون إليها على القسم بحفظ سرها والانتماء إليها. لكن تبقى الملاحظة الثانية وهي سرعة التأثير القوي والفعال لهذه الحركة التي انتقلت من السرية إلى المجاهرة بالدعوة ومواجهة تيار التغريب وسط الطلاب وأن تطرح نفسها بديلاً للحزب الشيوعي وسط الطلاب.. بل استطاعت أن تقنع غالبية الطلاب بطرحها مما جعلها تستحوذ على كل مقاعد الاتحاد العشرة وأن يصبح أحد قادتها الرشيد الطاهر بكر على قمة الجهاز النقابي الطلابي في العام ١٩٥٨م، وقد تلى ذلك على رئاسة الاتحاد الجديد دورة ١٩٥٩م عضو الحركة الإسلامية الطالب جعفر شيخ إدريس الذي أصبح رئيساً للاتحاد في الدورة التالية...

ارتباط الحركة الطلابية بجامعة الخرطوم

مما تقدم يتأكد ارتباط نشوء الحركة الإسلامية بالوسط الطلابي على وجه العموم وبجامعة الخرطوم على وجه الخصوص حيث تعتبر الجامعة هي المنشأ الحقيقي والفعلي للحركة الإسلامية في السودان فيها اتخذت الحركة شكلها النهائي وتكونت أجهزتها التنظيمية وتبلور نمط القيادة لها وطرحت برامجها. ثم من جامعة الخرطوم انطلقت لتؤسس فروعها في المجتمع السوداني، وفي هذا المجال يقول محمد عمر بشير: "تكونت جماعة الإخوان المسلمين أساساً في صفوف طلاب جامعة الخرطوم في عام ١٩٥٢م وازداد تأثيرها على السياسة بوجه أخص بين صفوف الطلاب بعد ١٩٥٦م... حيث قامت تعاليم الإخوان المسلمين بمصر والسودان على أساس من تعاليم وسنن الإسلام ودعا الأخوان المسلمون إلى إحياء التراث الإسلامي وإنشاء دولة إسلامية في جميع الأقطار التي تدين بالإسلام وإلى وحدة العالم الإسلامي ورفضوا صراحة الإيديولوجيات الأخرى وبوجه أخص الإيديولوجية الشيوعية كما حملوا حملة شعواء على الاتحاد السوفيتي.. ولما انتهى الحكم العسكري في أكتوبر/١٩٦٤م عادت جماعة الإخوان المسلمين لممارسة نشاطها من جديد وتبلور نشاطها بوجه أخص في صفوف طلاب جامعة الخرطوم وأضحت معارضة الحزب الشيوعي والنظام

الناصري هما الشغل الشاغل لجماعة الإخوان المسلمين بعد ١٩٦٤م[١]".

وهنا يلحظ الباحث أن محمد عمر بشير قد وصف حركة الإخوان المسلمين بأنها عادت لممارسة نشاطها بعد أكتوبر ١٩٦٤م من جديد والباحث لا يرى أن نشاط الحركة قد انقطع حتى تواصله بعد ١٩٦٤م بل يعتبر قمة نشاط الحركة في جامعة الخرطوم هو في الفترة التي سبقت ثورة أكتوبر واستمر ذلك إلى سقوط حكومة عبود حيث كان اتحاد طلاب جامعة الخرطوم تحت قيادة الاتجاه الإسلامي وكان رئيسه وقتها الطالب، حافظ الشيخ الزاكي وعند اعتقاله خلفه الطالب ربيع حسن أحمد وهو ذات الاتحاد الذي أشعل فتيل ثورة أكتوبر حيث نظم الندوات وقاد المظاهرات هذا على مستوى الطلاب، أما على المستوى القيادي فقد كان حسن عبد الله الترابي الأمين العام للإخوان المسلمين أبرز المشاركين في ندوات التعبئة التي سبقت ثورة أكتوبر . . كما أن قيادة اتحاد الطلاب في الفترة الممتدة من ١٩٥٨ - ١٩٦٤م كانت تحت قيادة الاتجاه الإسلامي . . حيث رفع الطالب جعفر شيخ إدريس رئيس اتحاد الطلاب بجامعة الخرطوم حينها مذكراته الشهيرة بتاريخ ١٠ ديسمبر للفريق إبراهيم عبود مطالباً فيها بعودة الحياة الديموقراطية.

وفي هذا السياق يذكر حسن مكي اندلاع ثورة أكتوبر التي قادها الاتحاد بقيادة الاتجاه الإسلامي - لجنة حافظ الشيخ وحينما اعتقل حافظ ولجنته باشر ربيع حسن أحمد - اتجاه إسلامي - ولجنته مواصلة قيادة حركة الثورة بالتنسيق مع قيادات الشارع والتي كان أبرزها حسن الترابي العائد من فرنسا بعد نيله درجة الدكتوراه من جامعة السوربون في القانون الدستوري والذي أهله دوره الكبير في قيادة حركة الثورة لقيادة الحركة العامة للاتجاه الإسلامي في كل السودان . .[٢]".

ونعود إلى الحديث عن ارتباط منشأ الحركة الإسلامية بالوسط الطلابي حيث يشير حسن الترابي إلى ذلك . . "كان الطلاب أول وسط في المجتمع مسته نفحات الصحوة الإسلامية فكان مهد نشأتها وبيئتها الأولى وكان الميلاد الأول للحركة في قمة الوسط الطلابي بالجامعة ثم نزل إلى المرحلة الثانوية من المدارس"، ويمضي حسن الترابي "كان الطلاب هم محور كل الحركة الإسلامية ولم تكن شعب الجماعة خارج المعاهد إلا فروعاً خارجية للحركة الأصل في الجامعة . . فالتعليم وقتها كان يعني الانسلاخ عن الدين لذلك لم يكن غريباً أن

(١) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠ - ١٩٦٩م، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، ط (٢٠٦).

(٢) حسن مكي، الحركة الطلابية السودانية بين الأمس واليوم، مصدر سابق، ص: (٢١).

تنهال الحجارة على أول طالب يؤذن للصلاة في جامعة الخرطوم ويضطر الإسلاميون لحراسة المؤذن . . وكانت الصلاة قبل هذه الفترة تؤدي في الحجرات سراً لهيمنة اليسار وخوفاً من الاحتقار والاضطهاد الذي يقابل به من يعرف أنه يصلي . . واستمرت المعركة سجالاً بين الإسلاميين وخصومهم.

الحركة الطلابية لكونها منبت الأمر وأساس القيادة تتمتع باستقلال ذاتي مقدر وقد حفظ لها أن تدير هي شؤون عضويتها وتربيتها وأن تتميز بعنوانها "الاتجاه الإسلامي" وأوضاعها التنظيمية وأنماطها العملية وأن تختص في كثير من شؤونها بالمبادرة والقرار تتخذه وفق نظمها الشورية والتنفيذية[١]".

كذلك ظل الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم عبر منشوراته وكتيباته التي يوزعها على الطلاب ظل يؤكد دوماً على دوره الريادي في قيادة الصحوة الإسلامية في الجامعة، وعلى محاربته لتيار التغريب الذي كان يهيمن على الجامعة، وكذلك على وقوفه حاجزاً قوياً في وجه انتشار الشيوعية والأفكار اليسارية وسط الطلاب ففي إحدى نشراته يشير إلى نشأته ودواعيها والظروف المحيطة بها التي كانت تسود الجامعة فيقول:

" في بداية ١٩٥٢م اجتمعت مجموعة من الإسلاميين لتضع اللبنات الأولى لجماعة تعبد الله في هذه الجامعة بكل ما تحتوي كلمة عبادة من معاني . . ولم يكن الأمر سهلاً إذ إن الفساد قد ضرب بأطنابه في الجامعة وأحدث فجوة واسعة بين الجامعة وطلابها من جانب وبين الشعب وأصالته من جانب فكانت الكلية - كلية غردون - برجاً لا يستنهض الأمة ولا يعكس آمالها أو يحكي آلامها ولم يكن الشعب ليميز بين طلابها والإنكليز ولم يكن يثق فيهم جميعاً وكان يكفي دخول الطالب لكلية غردون حتى يصطبغ بصبغة غربية السلوك يسارية المنهج فيصبح غريباً عن مجتمعه منعزلاً عن همومه حتى زالت دولة اليسار بالجامعة وانداح المد الإسلامي مرفرفاً خفاقاً[٢]".

وفي ذات الاتجاه يكتب أمين حسن عمر قائلاً: "قد نشأت الحركة الإسلامية لأول وهلة استجابةً لتحدي التعدي الاستعماري الذي نسخ شرائع الأمة وغير قيمها واستلب ثقافتها وألحقها بمؤخرة ركبه تدفع تقدمه الحضاري بجهدها وإمكاناتها المادية دون أن يكون لها أن

(١) حسن عبد الله الترابي، الحركة الإسلامية في السودان: التطور، الكسب، المنهج، الطبعة الأولى، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، ١٩٨٨م، ص: (١٣١).

(٢) الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم، الاتجاه الإسلامي المولد والفكرة، منشورات الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم، أكتوبر/ ١٩٨٢م، ص: (٥).

تحدد للمسار غاية أو ترسم للركب طريقاً أو تنشد له مقصداً. جاءت الحركة الإسلامية المعاصرة مسلحة بانفعال عظيم ضد الاستغراب الحضاري والاستلاب الثقافي والتبعية الاقتصادي والسياسي، فأثارت الكوامن وحركت طاقات الشباب في حركة تعبوية عظيمة أعادت للناس الثقة في عقائدهم وشرائعهم وعرفتهم بالأخطار التي يستتبعها أتباع نصارى الغرب[1]".

وفي موقع آخر يؤكد حسن الترابي هيمنة موجة التغريب والعلمانية والمد اليساري على معاهد العلم قبل طروء الحركة الإسلامية ثم يتحدث بعد ذلك عن الدور الذي لعبته الحركة الإسلامية في مواجهة تلك التيارات العلمانية. فيقول الترابي: " لعل من أعظم فضل الحركة الإسلامية الطلابية أنها هي التي تصدت مباشرة للغزو الثقافي الحضاري المتمثل في معاهد التعليم النظامية، فقد أُسست تلك المعاهد في غالب فلسفتها لتستلب النشىء من تقاليد المجتمع وتعزلهم عن نمط حياته ولتكون محاضن تربية للالتزام العلماني والترخص الأخلاقي وبالفعل كانت الإتجاهات الليبرالية والشيوعية رائجة في الوسط الطلابي قبل طروء الحركة الإسلامية كما شاعت بعض ظواهر الفساد السلوكي ولكن الحركة الطلابية الإسلامية أبطلت هذا التدبير وعكست تيار التغريب. وإن لم تستطع أسلمة التعليم أو تغيير المناهج والأوضاع فقد بدلت مضمون الحياة الطلابية وأضفت عليها صور الالتزام الإسلامي والاستقامة الخلقية وجندت غالب قوة الحركة الطلابية لصالح الإسلام، أما في مجال الفكر فقد حركت الحركة قضايا الفكر في أوساط الطلاب فشغلتهم بالهموم المذهبية والوطنية وصرفتهم عن حياة تافهة، وكان الطلاب الإسلاميون في قيادة حركة التجديد الإسلامي[2]".

وتؤكد ما ذهب إليه حسن الترابي بيانات الاتجاه الإسلامي التي كانت تصدر في المناسبات الوطنية والتي تؤكد فيها أهداف نشأة الجامعة وفلسفتها والنمط الغربي الذي يسود خطابها التعليمي ومنهجها الدراسي وكذلك تشير بيانات الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم بمناسبة الاستقلال إلى الهدف الذي أنشأ من أجله الاستعمار كلية غردون: "لقد أراد المستعمر الغاصب أن تقوم جامعة الخرطوم إحياء لذكرى غردون الذي اقتلعته الثورة المهدية وعصفت بدولته الاستعمارية، ولقد أراد لها الاستعمار أن تكون بؤرة تذكر فيها مبادؤه الغربية وثقافته الوافدة وفكره الغريب عن جذور هذه الأمة وأصالتها الكريمة والقيم الفاضلة وتقاليد

(١) أمين حسن عمر، أصول فقه الحركة: ملامح من تجربة الحركة الإسلامية بالسودان، منشورات الجبهة الإسلامية القومية ١٩٨٩م، الطبعة الأولى، ص: (٥).

(٢) حسن عبد الله الترابي، مصدر سابق، ص: (١٣٤).

المجتمع السوداني التي تنبع من قيم الدين وأسس العقيدة الإسلامية.. ولكن الحركة الإسلامية بقيادة الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم قد خيبت فأله وأفسدت سياسته في الاستعمار الفكري والسياسي واستطاعت أن تخلق تياراً إسلامياً مؤثراً وأن تجعل منها قلعة إسلامية أصيلة[1]".

أما اتحاد طلاب جامعة الخرطوم فقد سار على ذات النهج عندما أصدر كتابه عن سيرة الاتحاد فقال: " فإنك إذا ذكرت لك جامعة كمبردج مثلاً تمثلت لك صورة الأمة الإنكليزية بطبعها الحاضر... أما إذا ذكرت جامعة الخرطوم فسوف تتمثل لك صورة نصفية لحضارة الإنكليز وذلك إلى زمن قريب أن لم يكن زماننا هذا وما ذلك إلا لأنها بنيت على خارطة كنيسة وفق منهج ليبرالي يسخر كل الإمكانات ليجعل منها جامعة بلا هوية أو هويتها الغرب يعرض فيها كل الفكر إلا الإسلام.. وتضطهد فيها كل اللغات الا الإنكليزية.. الدخول إليها امتياز والخروج منها تميز والعمل فيها أمنية حتى صار خريجوها طبقة لأتماذج خريجي الجامعات الأخرى وإن عظمت ورغم ذلك تبقى القضية الأساسية، وهي أنها جامعة تبحث عن هويتها وتطالب بمعرفة شخصيتها.. صحيح أنها جامعة سودانية قومية ولكن هل تكون للسودان قومية بدون مقومه الأساسي وهو الإسلام فإلى أي مدى ترتكز عليه هذه الجامعة فلسفياً أو إلى أي مدى ترفضه.. وصحيح أنها جامعة سودانية تربط بين ماضي السودان وحاضره ولكن هل يبعث الرسول إلا بلسان قومه فإلى أي حد تستبعد هذه الجامعة لغة أهل السودان.. ولماذا تصر على دراسة تاريخ وجغرافية السودان بلغة الإنكليز وآرائهم؟ وإذا كانت مهمة الجامعة هي أن تفتق طاقات الأمة فكيف تفعل ذلك هذه الجامعة وبينها وبين الأمة أمداً بعيداً[2]".

الاتجاه الإسلامي إبَّان الفترة المايوية ١٩٦٩-١٩٧٧

عندما جاء انقلاب مايو في صبيحة ٢٥ مايو ١٩٦٩م كان الصراع في جامعة الخرطوم على قمته بين الاتجاه الإسلامي وتنظيمات اليسار، جاءت مايو بوجهها اليساري السافر وكانت عبارة عن تحالف بين الشيوعيين والاشتراكيين والناصريين مع تنظيم الضباط الأحرار بالمؤسسة العسكرية. ولما كانت طبيعة الثورات والانقلابات العسكرية أنها تحتاج إلى سند شعبي وموطىء قدم في أوساط النُخَب والصفوة لذلك جاء انقلاب مايو ليرفد ويقوي التيار

(١) بيان من الاتجاه الإسلامي في الذكرى الرابعة والعشرين للاستقلال، أول يناير/ ١٩٨٠م.

(٢) اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، اتحاد طلاب جامعة الخرطوم بين الماضي والحاضر، منشورات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ص: (٦).

اليساري داخل الجامعة إذ إن مايو جاءت كتيار معارض لحركة الدستور الإسلامي وكرد فعل لحل الحزب الشيوعي السوداني سنة ١٩٦٨م. أرادت السلطة أن تصفي حساباتها مع التيار الإسلامي بجامعة الخرطوم والذي يعتبر رأس الرمح في أي حركة سياسية مناوئة أو تحرك شعبي معارض..

لذلك أرادت سلطة مايو أن تقهر هذا التيار مبكراً حتى تلتفت إلى غيره من شؤونها... فباركت السلطة اليسارية الوليدة - إمعاناً في الاستفزاز والتحدي للإسلاميين - إقامة حفل للفنون الشعبية في قاعة الاجتماعات بحضور أعضاء مجلس الثورة، كبديل وثأر للحفل الذي أوقفه أعضاء الاتجاه الإسلامي في العام ١٩٦٨م - وهو ما عرف عند الاتجاه الإسلامي بحوادث "رقصة العاجكو".

كذلك ملئت الجامعة باللافتات والشعارات والدعايات المناوئة لحركة الاتجاه الإسلامي بصورة استفزازية مليئة بالتحرش والوعيد الذي يفهم من صياغ الشعارات.. وبالرغم من ذلك ما إن جاءت انتخابات الاتحاد حتى سجل الاتجاه الإسلامي أكبر انتصار له في ظل الاتحاد النسبي إذ أحرز (١٩) مقعداً من أربعين مقعداً بينما أحرزت بقية الأحزاب من يساريين وحزب أمة واتحاديين ما تبقى من مقاعد الاتحاد الأربعيني.. حيث تسلم الطالب علي عثمان محمد طه (اتجاه إسلامي) رئاسة الاتحاد...

جاء اتحاد علي عثمان في ظروف صعبة ومعقدة داخل الجامعة وخارجها فداخل الجامعة مثل الشيوعيون واليساريون سنداً قوياً للسلطة الحاكمة وكذلك الأساتذة الاشتراكيون - كما سيرد لاحقاً - وخارج الجامعة تمثل السلطة الحاكمة قمة العداء للتيار الإسلامي الذي اعتقلت قياداته خارج الجامعة وتتحين الفرص للانقضاض على أنصاره وعضويته داخل الجامعة من طلاب وأساتذة فكانت السلطة بالخارج واليساريون بداخل الجامعة يتحينون الفرص للانقضاض على الاتحاد الذي أصبح تحت قيادة الخصم التقليدي لليسار..

فصل الأساتذة

وحانت الفرصة عندما أعلنت السلطة فصل ثلاثة عشر أستاذاً من جامعة الخرطوم بحجة أنهم يمثلون التيار الرجعي، وقد أعلن وقتها رئيس مجلس قيادة الثورة: "إن يد القانون سوف تدخل أي مكان لإيقاف الخونة والمجرمين وأعداء الثورة[1]".

(1) Yahiya Hussin Babiker, Ksus, Political Role During 1969 - 1979, Kusu 1980 P (10) (1) .

أما الإسلاميون واتحاد الطلاب فقد رأوا في فصل الأساتذة انتهاكاً صارخاً لحرية الجامعة واستقلالها الأكاديمي حيث كانت جامعة الخرطوم تعتبر قلعة للفكر والحرية ولها شخصيتها الاعتبارية المستقلة ولا يجوز التدخل في شؤونها الداخلية من أي جهة كانت.. لذلك كان من الطبيعي أن يبادر الاتحاد وأن يمسك بزمام المبادرة وأن يعلن معارضته لفصل الأساتذة، وهذا ما فعله بالضبط إذ قام بإنزال توصية لقاعدته الطلابية بالإضراب لمدة ثلاثة أيام احتجاجاً على فصل هؤلاء الأساتذة وهنا يروي حسن مكي" وهنا لجأ اليساريون متحالفين مع إدارة الجامعة إلى تخويف الطلاب وإرهابهم بالفصل والتشريد إن هم وقفوا إلى جانب التوصية مما أدى إلى سقوط التوصية بعدد (٦) أصوات وهنا انتهز اليساريون والحكومة من ورائهم الفرصة لتصفية حساباتهم مع الاتحاد فقاموا بتسيير موكب من الجامعة إلى وزارة الداخلية هاتفين "سقطت سقطت يا حمد الله[1]"، ثم عادوا بعد ذلك وقدموا استقالاتهم - من الاتحاد - لمشرف الطلاب مما أحدث انهياراً دستورياً في مجلس الاتحاد وقامت الإدارة فوراً بحل الاتحاد وقامت السلطة إثر ذلك بمطاردة واعتقال أعضاء الاتجاه الإسلامي من داخل الحرم الجامعي[2]".

ويلاحظ الباحث أن ما قامت به سلطة مايو لم يكن مستغرباً في دول العالم الثالث عموماً فالانقلابات العسكرية والثورات عموماً تلجأ أول ما تلجأ إلى تأمين نفسها وذلك عن طريق القضاء على خصومها إن كانوا خصوماً عقائديين يختلفون معها في الأصول.. فالقضاء عليهم إما أن يكون نهائياً بالتصفية الجسدية أو يكون قضاء على نشاطاتهم وذلك بالحظر والاعتقال...

أما الذين يختلفون معها اختلافاً عمومياً في فرعيات وعموميات السياسة فيمكنها أن تصل معهم إلى مصالحات واتفاقيات تضمن بها ولاءهم أو حيادهم.

أما بالنسبة للاتجاه الإسلامي فإن عداءه للتيار اليساري الحاكم يقع في خانة العداء التاريخي العقائدي والمنهجي فكل واحد منهم يمثل العدو التقليدي للآخر... ونلحظ ذلك بأن أول من دخل سجون ماي ومن السياسيين هم قادة الحركة الإسلامية - حسن الترابي - يس عمر الإمام - صادق عبد الله عبد الماجد..الخ.

لذلك كان طبيعياً أن تسعى سلطة مايو إلى تأمين نفسها بكل السبل التي تكفلها لها

(١) حمد الله هو فاروق عثمان حمد الله عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية حينها والتي أسقطت هي توصية الاتحاد بالإضراب احتجاجاً على فصل الأساتذة.

(٢) حسن مكي، الحركة الطلابية السودانية بين الأمس واليوم، دار الفكر الخرطوم، مصدر سابق، ص: (٢٧).

الشرعية الثورية التي تعتمد عليها سيما وأن اليساريين بخصوص الجامعة قد رفعوا شعارهم المشهور "لن تظل الجامعة جزيرة للرجعية وسط مدٍ ثوريٍ هادر" قاصدين بذلك تصفية مؤسسات الجامعة النقابية والأكاديمية من عناصر الحركة الإسلامية أو عناصر "الثورة المضادة" أو "الرجعية" كما يسمونها.

وبالطبع ما فعلته سلطة مايو ١٩٦٩م فعلته ثورة الإمام الخميني في إيران ضد حزب توده ومجاهدي خلق وفعلته ثورة الفاتح من سبتمبر ذات التوجه الناصري ضد الإسلاميين في الجماهيرية إلى درجة التصفية الجسدية في الميادين العامة وتفعله السلطة المصرية اليوم ضد خصومها من الإسلاميين وكذلك في الجزائر وتونس وفي معظم دول العالم الثالث وكذلك في السودان عندما قامت ثورة الإنقاذ سعت إلى تأمين نفسها عن طريق الاعتقال والإحالة للصالح العام في وسط المدنيين من خصومها وإلى مرحلة الإعدامات وسط العسكريين الذين قاموا بالمحاولة الانقلابية ضدها.

سكرتارية الجبهات التقدمية

بعد سقوط توصية الاتحاد وانسحاب الشيوعيين من مجلس الاتحاد وحلّ الإدارة له قام الشيوعيون بتكوين سكرتارية الجبهات التقدمية بديلاً للاتحاد حيث تم عزل تيار اليمين منها عزلاً كاملاً وقد كانت تلك السكرتارية تمثل ذراعاً للسلطة داخل الجامعة وقد كان من أقوى شعاراتها لتطهير الجامعة من الإسلاميين ولوقف نشاطهم هو الشعار المشهور "لن تظل الجامعة جزيرة للرجعية وسط مد ثوري هادر" بل وفي ندوة أقامها اليسار في الجامعة تحدث فيها مرتضى أحمد إبراهيم – وقد كان وزيراً للري في مجلس وزراء مايو – قائلاً " لن يرى الترابي النور بعد اليوم" وقد كان يومها الشيخ حسن الترابي حبيس سجون السلطة.. وهنا يروي حسن مكي قائلاً: "عندما جئنا إلى الجامعة ونحن طلاب جدد في يوليو ١٩٧٠م وذهبنا إلى لقاء مدير الجامعة بالطلاب الجدد وقف مدير الجامعة حينها عمر محمد عثمان وقال: إن الجامعة هي انحياز كامل لليسار وأنها لن تتوانى في ردع أي تخريب يميني، وأشار إلى أن الجالسين وراءه هم اتحاد الطلاب.. وهنا قام أحدهم وقال: أنهم ليسوا اتحاد الطلاب وإنما هم سكرتارية الجبهات التقدمية وهم البديل التقدمي للاتحاد وأنهم قرروا تماماً عزل الإخوان وأشياعهم من الاتحاد وأنه ليس هنالك مصالحة أو مهادنة مع اليمين[١].

(١) مقابلة أجراها الباحث مع حسن مكي، أحد الأعضاء البارزين بالاتجاه الإسلامي في الفترة التي سبقت المصالحة الوطنية، الخرطوم، ١٩٨٢م.

في ذلك الجو المتوتر كان الكثير من قيادات الاتجاه الإسلامي بالسجن أمثال جعفر ميرغني، عبد الرحيم علي، محمد عبد الله جار النبي وخلافهم.

احتلال الجامعة مارس ١٩٧١م

وسط هذه الأجواء المتوترة أعلن النميري ما عرف بخطاب حنتوب في مارس ١٩٧١م والذي أعلن فيه أن الجامعة ستتغير فيها نظام الإعاشة والتسيير وأنها ستتبع لوزارة التربية... كان الوضع على مستوى العلاقة بين الشيوعيين وسلطة مايو متوتراً لكنه لم يصل إلى مرحلة الفصام النهائي والقطيعة البائنة إذ تمت إقالة ثلاثة أعضاء من مجلس قيادة الثورة هم فاروق عثمان حمد الله – هاشم العطا وبابكر النور كما تم القبض على عبد الخالق محجوب وتم إرساله إلى مصر فاهتز موقف الشيوعيين في الحكومة فأرادوا أن يستثمروا ورقة الجامعة والضغط بها على الحكومة، هنا أصدر الاتجاه الإسلامي بالجامعة بياناً سياسياً رفض قرارات حنتوب وخطاب النميري وأكد فيه أن التغيير يأتي من الجامعة وليس من خارجها ودعا في بيانه إلى وحدة الطلاب وتكوين جبهة طلابية لمقاومة ذلك...

لكن الشيوعيين رفضوا بيان الاتجاه الإسلامي وقالوا لقد انتهى زمن التفاوض مع اليمين... في هذه الظروف السياسية المتداخلة تكون ما عرف بجبهة وحدة الطلاب والتي اشترك فيها الطلاب الجنوبيون والمستقلون والاتجاه الإسلامي وحزب الأمة واستطاعت أن تقود الطلاب، ثم قررت جبهة وحدة الطلاب بعد ذلك احتلال الجامعة وكان هذا أول تحد يواجه السلطة العسكرية..

أما الشيوعيون فقد اعتبروا احتلال الجامعة من قبل اليمين هي الفرصة السانحة للسلطة لتصفية اليمين من الجامعة حيث خرج اليساريون من الجامعة في موكب إلى وزارة الداخلية وجاؤوا بعد قليل وهم يمتطون ظهور الدبابات برفقة الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم واللواء خالد حسن عباس وهم يهتفون: "اضرب اضرب يا أبو القاسم بالحسم الثوري يا خالد" بينما هتف الطلاب من داخل الجامعة "رجال الجامعة داخل الجامعة.. الوحدة الوحدة يا طلاب" ولما رأت القيادة العسكرية تماسك الطلاب وأن اقتحام الجامعة سيكلف الكثير من الأرواح والممتلكات حينها دخلت في حوار مع الطلاب انتهى بالموافقة على شروط جبهة وحدة الطلاب[١].

(١) حسن مكي (قصتي مع الحركة الإسلامية) مجلة الملتقى، العدد ٦٢، ١-١٥/ أكتوبر/ ١٩٩٢م.

وحول حادثة احتلال الجامعة يروي الصديق يونس أحد الذين نظموا الإضراب الآتي: "حدث احتلال الطلاب الوطنيين للجامعة في ١١/ مارس/ ١٩٧١ فحمل الطلاب السلاح وقنابل الملتوف مستقلين سطوح مباني الجامعة بينما تجمع الشيوعيون واليساريون خارج الجامعة على شارع الجامعة بقيادة أبو القاسم محمد إبراهيم وخالد حسن عباس وأحاطوا بالجامعة بالدبابات مهددين بأنهم سيقتحمون الجامعة ويفتحونها عنوة كما فتحوا من قبل الجزيرة أبا.. وأخذ الشيوعيون يرددون الهتافات المستفزة لمشاعر الطلاب محرضين أبو القاسم محمد إبراهيم وخالد حسن عباس "اضرب اضرب يا أبو القاسم"، "حاسم حاسم أبو القاسم" فرد عليهم الطلاب الوطنيون داخل الجامعة "رجال الجامعة داخل الجامعة"، "طلاب الجامعة داخل الجامعة" كما ردوا على أبو القاسم محمد إبراهيم بأن الجامعة لن يدخلها إلا من هو "أهل لها بالشهادة والمؤهلات المطلوبة" وهنا انطلقت الزغاريد من الطالبات الباسلات اللائي كن يقفن في مواجهة الدبابات المصطفة في شارع الجامعة فأشعلت تلك الزغاريد حماسة الطلاب وصعدت بمعنوياتهم فاكفهر شارع الجامعة بلهيب الحرب... في هذه اللحظة تدخل الوطنيون من الأساتذة وعلى رأسهم بروفسور مصطفى حسن إسحاق نائب مدير الجامعة واجتمعوا بأبي قاسم وخالد حسن عباس في نادي الأساتذة محذرين بأن أي اعتداء وضرب لمباني الجامعة سينتج عنه تفجير المعامل والمختبرات التي تحتوي على متفجرات ومواد حارقة قابلة للاشتعال وسيمتد الدمار والخراب لكل الخرطوم والكبارى والمنشآت العامة والخاصة... وانتهى الأمر إلى هدنة[١].

ولكن الأستاذ/ يحيي الحسين يرى أن موقف السلطة تجاه الحركة الطلابية قد مر بأربعة مراحل هي:

(١) المرحلة الأولى:

وتبدأ من ٦٩ إلى ١٩٧١م وفي هذه الفترة كان غرض النظام الكلي هو قهر خصومه ومعارضيه في الجامعة وقد أعلن رئيس مجلس قيادة الثورة أن يد القانون سوف تدخل أي مكان لإيقاف الخونة والمجرمين وأعداء الثورة.

(٢) المرحلة الثانية ١٩٧١-١٩٧٣م:

وهذه الفترة تبدأ بالمحاولة الانقلابية الشيوعية عام ١٩٧١م وتستمر حتى شهر ٨/ ١٩٧٣م وفي تلك الفترة فقد النظام حليفه الأساسي وهو الحزب الشيوعي كما بدأ النظام

(١) صديق يونس، الصراع في جامعة الخرطوم، السوداني، الخرطوم، ١٦/ أبريل/ ١٩٨٧م.

في التحول من اليسار إلى اليمين وهنا قلّت حدة الصراع خارج الجامعة وقد ألقت هذه الظروف بظلها على داخل الجامعة وبدأ حديث الطلاب حول إرجاع اتحادهم وتكونت لجنة لتعطي مشورتها حول قضية الاتحاد ودستوره، وقد قدم اقتراح للجمعية العمومية الطلابية للتصويت على خياري الحر المباشر والتمثيل النسبي ففاز دستور الحر المباشر وفي عام ١٩٧٢م قامت الانتخابات لينال الاتجاه الإسلامي والجبهة الوطنية، والجبهة الوطنية الإفريقية جميع المقاعد وهو ما عرف باتحاد أحمد عثمان المكي - وهنا أيد الاتحاد خطوات أديس أبابا نحو تحقيق السلام في الجنوب ومن جانبه حاول النظام تحييد الطلاب وعدم الدخول في صراع مباشر معهم.

(٣) المرحلة الثالثة ٨/ ١٩٧٣ - ١٩٧٧م:

وهذه الفترة تبدأ بعد انتفاضة شعبان ١٩٧٣م في هذه الفترة أراد النظام أن يكسب المعركة ضد خصومه في الجامعة عن طريق جر الطلاب إلى تنظيم الاتحاد الاشتراكي السوداني، وقد تم إنشاء فرع له في الجامعة في هذه الفترة قد تم حل الاتحاد أكثر من مرة وحاول النظام احلال فرع الاتحاد الاشتراكي محل النظام.

(٤) الفترة الرابعة:

وهي تبدأ منذ سنة ١٩٧٧م وهي فترة المصالحة الوطنية التي اعترف فيها النظام بالاتحاد وتعاون معه أحياناً وقد اكتسبت نشاطات الطلاب السياسية قدراً من الشرعية وهنا بدأ الاتحاد يركز اهتمامه على القضايا الغير سياسية[١].

هنا يلحظ الباحث عدة ملاحظات حول ما دار في هذا الفصل، وهي:

١) في غمرة الفرح ونشوة الانتصار باستلام السلطة في السودان ارتكب الشيوعيون أخطاء استراتيجية وقاتلة أدت إلى بروز عزلة بينهم وبين معظم الطلاب قاد ذلك إلى حرمانهم من قيادة الاتحاد منذ نهاية عام ١٩٦٩م، وقد تمثل ذلك التحدي والاستفزاز لمشاعر الطلاب في الآتي:

١ - الولاء السافر لسلطة مايو والتحدث باسمها وترصد كل من يعاديها علاوة على الاستفادة من قوة السلطة لتصفية حساباتهم مع خصومهم السياسيين.

(١) Yahia Hussen, OPCIT, P (10)

٢ - السعي لحل اتحاد الطلاب المنتخب من قبل الجمعية العمومية الطلابية وفرض سكرتارية الجبهات التقدمية على الطلاب بشكل بوليسي وإرهابي.

٣ - عزل كل من لا ينتمي لليسار من الالتحاق بالسكرتارية بحجة الرجعية وإعلان أن لا مكان للرجعية وسط مدٍ ثوري هادر وأن "الجامعة يسار.. يسار ولا مكان لليمين الرجعي".

٤ - تأييد فصل الأساتذة من الجامعة ومباركة ذلك الفصل والدفاع عنه... وهنا يمكننا أن نستعرض بعض فقرات البيان الذي أصدرته الجبهة الديموقراطية بخصوص فصل الأساتذة... إذ أصدرت الجبهة الديموقراطية بجامعة الخرطوم بياناً بتاريخ ٣٠/ فبراير/ ١٩٦٩م أيدت فيه فصل الأساتذة الجامعيين وأدانت دفاع الإتحاد والإخوان عنهم.. جاء فيه: " قام مجلس قيادة الثورة بفصل اثني عشر أستاذاً من الجامعة مدشناً بذلك حركة التغيير فيها وتعالت إثر ذلك الصرخات تستنكر فصل (الكفاءات) وإبعاد (الرؤوس المثقلة بالعلم والمعرفة) واجتمعت اللجنة التنفيذية وأصدرت إنذاراتها ومذكراتها المجهولة المصير وحاول الإخوان استغلال هذا الموقف للتعبئة السياسية لمواجهة النظام مستعملين حججاً لا تصمد للحظة واحدة أمام الاختبار فالحجة الأساسية التي يرتكزون عليها هي أن التغيير يجب أن يحدث من الداخل! ومن الذي لا يعرف بؤس هذه الحجة فاليمين يحتل مراكز قوة داخل الجامعة تؤهله لمقاومة أي تغيير[١]".

٥ - أراد الشيوعيون تصفية حساباتهم مع خصومهم السياسيين بالدبابات التي وقفوا خلفها وهم يهتفون اضرب اضرب يا أبو القاسم... بالحسم الثوري يا خالد.. أمام آلاف الطلاب مما اعتُبر نقطة سوداء في سجل حركة الشيوعيين في الجامعة.

٦ - تجاهل الشيوعيون أقدار التاريخ التي ليس فيها ديمومة أو ثبات لجهة ما في السلطة بل لعلهم حسبوا أن سلطة مايو هي سلطة البروليتاريا التي ظلوا يبشرون بها وأنها أبدية سرمدية، لذلك تعاملوا وفق هذا الواقع وبهذا الأسلوب!! وكان بإمكانهم أن يديروا معادلة متزنة لا تستثير الطلاب ولا تستفزهم وأن يتركوا أمر سياسات التصفية والعزل - إن كان لا بد منها - للحزب خارج الجامعة. من جانبه كان الاتجاه الإسلامي يسجل ويرصد تلك المواقف للجبهة الديموقراطية في الجامعة من تأييدٍ للنظام المايوي وتأييد فصل الأساتذة وفرض سكرتارية الجبهات التقدمية وتحريض السلطة لضرب الطلاب بالدبابات...

(١) بيان من الجبهة الديموقراطية بجامعة الخرطوم، حول التغيير الجديد بالجامعة، ٣٠/ ديسمبر/ ١٩٦٩م، منشورات الجبهة الديموقراطية بجامعة الخرطوم.

٧ - إذا كانت مواقف الجبهة الديموقراطية تلك قد حرمتها من قيادة الاتحاد منذ عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٨٦م فإن ذات المواقف قد كانت عاملاً مهماً من عوامل تطور الاتجاه الإسلامي السياسي بجامعة الخرطوم وهذا التطور هو موضوع هذه الدراسة... فالصراع في الجامعة كان صراعاً عقائدياً إيدولوجياً بين الإسلاميين والشيوعيين وكانت الهيمنة والسيطرة في بادىء الأمر للشيوعيين وكانت الشيوعية تياراً مقبولاً وسط الطلاب لكن مواقف الشيوعيين آنفة الذكر أدت إلى تأرجح كفة الميزان السياسي لصالح الإسلاميين وبالطبع فإن تأرجح كفة الميزان السياسي لصالح الاتجاه الإسلامي له أسباب كثيرة وهامة لكن مواقف الجبهة الديموقراطية كانت من أهمها وذلك لعاملين هما:

أ - مواقف الجبهة الديموقراطية صنفتها في خانة العمالة للسلطة ومعاداة الطلاب والظهور بمظهر المتسلط مما عزلها عن الطلاب الذين أصبحوا أقرب إلى برنامج ومواقف الاتجاه الإسلامي وإلى قيادته.

ب - نتج عن مواقف الجبهة الديمقراطية ضد الإسلاميين من استفزازات واعتقالات وتشريد نتج عن ذلك ظهور قيادة إسلامية قوية تصدت للمعارضة ولقيادة الطلاب وأصبحت قيادات معروفة وذات شعبية كبيرة، قادت بعد ذلك العمل السياسي في الجامعة لحقبة كبيرة ومستمرة وفي ظل تلك القيادات ظهرت قيادات جديدة ومن تلك القيادات جعفر ميرغني، عبد الرحيم علي، علي عثمان محمد طه، محمد عبد الله جار النبي، محمود شريف، أحمد عثمان المكي، محمد عثمان محجوب، المعتصم عبد الرحيم الحسن وهكذا توالت القيادات جيل بعد جيل.. الخ..

يلاحظ أيضاً أن الجبهة الديموقراطية لم تكن وحدها في الجامعة التي تناصر السلطة الحاكمة وتؤيد وتبارك فصل الأساتذة من الجامعة بل قد سار معها في ذات الطريق تنظيم الأساتذة الاشتراكيين بجامعة الخرطوم والذي أصدر بياناً يؤيد فيه فصل زملائهم الأساتذة بتاريخ ٩/ ديسمبر/ ١٩٧١م نقتطف منه: " لقد ظلت جماهير شعبنا منذ ثورة أكتوبر ترفع شعار تطهير عناصر الثورة المضادة والفاسدة والتي كانت تعمل تحت أمرة الحكم الرجعي للأحزاب الرجعية المبادة والتي ما زال بعضها يتبوأ مراكز في مختلف المؤسسات، وجاءت ثورة الخامس والعشرين من مايو لتؤكد ضرورة التطهير كإجراء ثوري ووضعت له أسس محددة منها العداء للثورة ومنها الجمود والتحجر ومنها الفساد بجميع أشكاله، وعليه فإن إبعاد خمسة من هيئة التدريس بالجامعة مساء ٣/ ديسمبر/ ١٩٧٠م كان تطبيقاً لتلك الأسس وتأكيداً لرغبة في إزالة كل المعوقات التي تقف في طريق تطوره ومسيرته لبناء الاشتراكية".

موقف النقابات داخل الجامعة من فصل الأساتذة:

أما تجمع العاملين بالجامعة فقد أصدر بياناً بتاريخ ٩/ ديسمبر/ ١٩٧٠م حمل أسماء وتوقيعات النقابات الآتية:

أ - نقابة عمال الجامعة/ أسعد الزبير.

ب - نقابة موظفي الجامعة/ مختار الأمين.

ج - التنظيم الاشتراكي للأساتذة السودانيين بجامعة الخرطوم/ محمد الأمين التوم.

نقتطف منه: "لقد سبق لنا أن عبرنا عن وجهة نظرنا في تحركات قوى اليمين داخل الجامعة ابتداءً من ثورة أكتوبر وما بعد ثورة مايو الظافرة وقد نبهنا في كل بياناتنا إلى أسلوب اليمين المتستر وراء استقلال الجامعة كما أشرنا بوضوح بأن عزل العناصر المناوئة والمفسدة من الجامعة هو الطريق الوحيد لضمان سير الجامعة في ركب الثورة، وانطلاقاً من هذا الموقف الثوري الأصيل أيدنا التطهير الذي تمّ في الجامعة من قبل والذي تمّ مساء ٣/ ديسمبر/ ١٩٧٠م بإبعاد خمسة من أعضاء هيئة التدريس لأسباب تتصل أساساً بمستقبل هذه الثورة وتأمين سلامتها وتأكيد سيرها[1]".

عليه فإن الاتجاه الإسلامي الذي يُصنَّف وفقاً لهذه المواصفات في خانة العداء للثورة وفي خانة الرجعية الواجبة التطهير لم يكن مواجهاً بالسلطة لوحدها وإنما بأنصارها من طلاب وأساتذة بالجامعة وعمال وموظفين كما تشير بيانات نقاباتهم...

لكن الوضع سُرعان ما تبدل لغير صالح كفة الشيوعيين سياسياً وذلك عندما دبر الحزب الشيوعي انقلابه الفاشل على نظام نميري ١٩٧١م وذلك بعد أن قام النظام بعزل ثلاثة من أنصار الحزب الشيوعي هم هاشم العطا وبابكر النور وفاروق عثمان حمد الله، كما قام النظام باعتقال عبد الخالق محجوب السكرتير العام للحزب الشيوعي وتمّ إبعاده إلى مصر عندئذ بدأت المواجهة بين نظام النميري وكوادر الحزب الشيوعي المدنية والعسكرية والطلابية. وشهدت الساحة السودانية الإعدامات رمياً بالرصاص لكوادر الحزب الشيوعي العسكرية والشنق لبعض كوادره المدنية والاعتقالات لمعظم قياداته الطلابية وهنا حدث التحول الجذري في حياة الرئيس النميري كلياً حيث انتقل من اليسار إلى اليمين كما خف الصراع بين السلطة والإسلاميين لعدة أسباب منها:

(١) بيان من تجمع العاملين بجامعة الخرطوم، ٩/ ديسمبر/ ١٩٧٠م.

أ) خروج التيار الشيوعي الذي كان يؤجج العداء بين السلطة والإسلاميين إلى دائرة المعارضة.

ب) ربما أراد النميري أن يستفيد من عداء الإسلاميين للشيوعيين ويستعمله ترياقاً ضد وصول الشيوعيين إلى قيادة الحركة الطلابية، وهذا ما حدث رغم أن النميري لم تكن له يد في ذلك ولكن التسلسل المنطقي للأحداث أدى إلى عزل الشيوعيين من قيادة الطلاب. لكن مهادنة الإسلاميين للنظام لم تستمر طويلاً إذ تعتبر أهم الأحداث التي أعقبت ذلك حتى مجيء المصالحة الوطنية في ٧/ يونيو/ ١٩٧٧م هي:

أ - انتفاضة شعبان ١٩٧٣م.

ب - أحداث الاتحاد الاشتراكي.

ج - حركة ٢ يوليو ١٩٧٦م.

ثورة شعبان

وهي ترتبط بحركة المعارضة التي تقودها الجبهة الوطنية المعارضة لنظام نميري بالخارج وأنصارها بالداخل. وقد كان اتحاد طلاب جامعة الخرطوم يمثل رأس الرمح في معارضة النظام بالداخل وكان الاتحاد تحت قيادة الاتجاه الإسلامي وكان يرأسه حينها الطالب أحمد عثمان المكي[1]... ففي تاريخ ١١/ يونيو/ ١٩٧٣م أصدر اتحاد طلاب جامعة الخرطوم بياناً بتوقيع أحمد عثمان المكي رئيس الاتحاد أعلن فيه أن هذا العام هو عام الحسم مع النظام وحذر قائلاً: "إن الأمر لم يعد يحتمل التأخير والتأجيل فالجائع لا يحتمل الصبر أكثر من ساعات، فليستعد كل منكم لتحمل دوره الموكول على عاتقه، ولنكن عند حسن ظن شعبنا بنا نسأل الله أن يجعل هذا العام حافلاً وحاسماً وأن يوفقنا لنقوم بمسؤوليتنا التاريخية وأن نضيف إلى أمجاد هذا الشعب مجداً آخر، وأن نضيف إلى سجل انتصاراتنا في أكتوبر ومارس انتصاراً آخر[2]".

لقد كانت انتفاضة شعبان انتفاضة عظيمة اشتركت فيها كل مدارس السودان ومعاهده وجامعاته في مظاهرات عنيفة اضطرت النائب الأول لرئيس الجمهورية حينها محمد الباقر

(١) ماذا كتبت الصحافة عند رحيل ود المكي؟ انظر الملحق.

(٢) محمد وقيع الله، الإخوان وسنوات مايو: وثائق الصراع والمصالحة، دار الفكر، الخرطوم، د.ت.. ص: (٢٣).

أحمد إلى إعلان حالة الطوارىء في البلاد واضطرت الرئيس النميري الذي كان خارج البلاد، إلى أن يقطع زيارته ويعود للسودان لمتابعة الأمر.

القصة الكاملة لثورة شعبان ١٩٧٣م

تولت (لجنة المسائل الطلابية) الإشراف على إجراء الانتخابات التي انحصر التنافس فيها بين قائمتين:

١ - قائمة الجبهة الوطنية، وتضم تنظيمات:

الجبهة الوطنية الإفريقية، الاتجاه الإسلام F.N.A الأنصار والاتحاديون.

٢ - قائمة القوى اليسارية.

وجاءت نتيجة الانتخابات كما يلي :

عدد طلاب الجامعة = ٤٢٨٥ طالباً.

عدد الطلاب المصوتين = ٣٦٣٣ طالباً.

نسبة التصويت = ٨٤,٧٩٪.

وفازت قائمة الجبهة الوطنية بجميع مقاعد المجلس الأربعيني للإتحاد كما يلي :

١ - الاتجاه الإسلامي = ٢٤ مقعداً.

٢ - الجبهة الوطنية الإفريقية = ٨ مقاعد.

٣ - الأنصار والاتحاديون = ٨ مقاعد.

ومن ثم اختير الطالب أحمد عثمان المكي - رئيساً للإتحاد والطالب / تاج السر مصطفى مديراً للمجلس الأربعيني.

وفيما يلي أسماء أعضاء المجلس الأربعيني للإتحاد دورة ٧٢ - ٧٣م:

١ - فتحي خليل محمد.

٢ - أحمد عثمان مكي.

٣ - تاج السر مصطفي.

٤ - بشير آدم رحمة.

٥ - وليم بيور دون.

٦ - التجاني سراج.

٧ - ابتسام حسن الطيب.

٨ - فيصل خضر مكي.

٩ - حسن مكي محمد أحمد.

١٠ - أحمد صديق عمارة.

١١ - آسيا محمد.

١٢ - سيد عمر كمبال.

١٣ - الهادي أحمد خليفة.

١٤ - مالك منير.

١٥ - مكي يوسف.

١٦ - تاج الدين الشريف.

١٧ - عباس برشم.

١٨ - عبد الله عشميق.

١٩ - علي شمار.

٢٠ - سعيد نصر الدين سعيد.

٢١ - علاء الدين زين العابدين.

٢٢ - كلتوم أبو القاسم حاج.

٢٣ - شارلس ماجاك السير.

٢٤ - أحمد عباس محمد.

٢٥ - هنري ماكنج.

٢٦ - محمد الحسن أحمد بابكر.

٢٧ - حامد بشير حامد.

٢٨ - سايمون الحاج.

٢٩ - سيف الدين محمد أحمد.

٣٠ - إبراهيم علي محجوب.

٣١ - عبد الرحمن محمد مكين.

٣٢ - أحمد عبد القادر صالح.

٣٣ - محمد صالح عبد الرحيم.

٣٤ - شقاي متات.

٣٥ - إسماعيل محمد أحمد.

٣٦ - محمد حامد آدم.

٣٧ - كلمنت ليقي.

٣٨ - سايمون مانوجا.

٣٩ - محمد آدم أحمد سعيد.

٤٠ - يوانس ماجوك.

ثم تكونت اللجنة التنفيذية للاتحاد كما يلي :

١ - أحمد عثمان مكي: رئيساً للاتحاد.

٢ - عباس برشم: السكرتير العام.

٣ - عبد الرحمن محمد مكين : نائب السكرتير العام.

٤ - سايمون الحاج: سكرتير الشؤون الخارجية.

٥ - فتحي خليل: سكرتير الشؤون الاجتماعية.

٦ - حسن مكي محمد أحمد: سكرتير الشؤون الثقافية.

٧ - فيصل خضر مكي: سكرتير الشؤون الأكاديمية.

٨ - شارلس ماجاك: سكرتير شؤون الدار.

٩ - مالك منير: سكرتير الشؤون الرياضية.

١٠ - التجاني سراج.

مع بداية دورة الاتحاد الجديدة ، إتجه الاتحاد إلى تأسيس مكاتب له ، كما استطاع الاتحاد أن يقنع إدارة الجامعة بزيادة ميزانيته من أربعة آلاف إلى ثمانية آلاف جنيه ، و يعتبر هذا بمثابة إنجاز كبير لاتحاد جديد يعدّ نفسه لنشاطات كبيرة في المجتمع . كما استطاع الاتحاد الوليد أن يحصل على مقاعد له لتمثيل الطلاب في كل من مجلسي الأساتذة والجامعة وهي أعلى أجهزة إدارية بجامعة الخرطوم.

ثم إتجه الاتحاد إلى التعبير علناً موضحاً مواقفه للرأي العام تجاه مجمل القضايا المطروحة على الساحة مثل :

١ - قضيه الدكتاتورية والتسلط.

٢ - إطلاق حريات الصحافة والتنظيم والتعبير عن الرأي والعقيدة وحرية التجمع حسب ما جاء في ميثاق ١٩٦٤م والذي اتفق عليه ممثلو الجبهة القومية الموحدة مع ممثلي القوات المسلحة في ٢٧ أكتوبر ١٩٦٤م.

ثم توالت الأحداث لتقوم السلطة بتنفيذ حملة اعتقالات واسعة ضد الطلاب الشيوعيين عقب فشل المحاولة الانقلابية التي قادها الرائد/ هاشم العطا انتهى اللقاء بموافقة الرئيس لإطلاق سراح الطلاب المعتقلين في نهاية شهر نوفمبر ١٩٧٢م.

ثم جاء عام ١٩٧٣م ليحمل في داخله بذرة ثورة كادت تطيح بالنظام.

ثورة شعبان (أغسطس ١٩٧٣م)

عند استئناف الدراسة بجامعة الخرطوم - عقب العطلة الرسمية - في يوليو ١٩٧٣م. بدأ واضحاً للمراقبين أن الصحف الحائطية بدأت خطة للتعبئة السياسية ضد النظام القائم . وكثرت المنشورات المعارضة لحكم الرئيس جعفر نميري وأصدر الاتحاد بياناً يهاجم فيه السلطة ويحرض فيه الطلاب للثورة على السلطة والإستعداد لخوض معركة كبرى. . . جاء ذلك في البيان الذي تلاه رئيس الاتحاد "أحمد عثمان مكي" بتاريخ ١١/٧/١٩٧٣م والذي جاء فيه ما يلي: (إننا لا نود هنا أن نعدد المشكلات التي تواجه الطلاب فهي لا تحصى ولا تعدّ ولا نودّ أن نحدد مناطق معينة، فالبلاد من أقصاها إلى أدناها تعيش أياماً سوداء لا تستثنى مرفقاً واحداً من مرافق الدولة فالخراب قد أصاب كل مرفق، والنظام كله منها إن تعدد المشكلات لا يعني هذا الشعب المسكين ولا يطعمه ولا يسقيه، فالمهم هو أن تعلموا أن عيون الشعب كلها تتجه نحوكم أنتم ، ترتجي على أيديكم، وترتقب تحرككم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه إن كان ثمة شيء قد تبقى لإنقاذه. إن الأمر لم يعد يحتمل التأجيل والتأخير، فالجائع لا يحتمل الصبر أكثر من أيام والظامئ لا يحتمل أكثر من ساعات فليستعد كل منكم لتحمل دوره على عاتقه ولنكن عند حسن ظن شعبنا بنا. أما اتحادكم الذي تحمل المسؤولية بوعي كامل بكلّ تبعاتها فهو على العهد العام وهو أقوى عزماً وأصلب عوداً لتحمل مسؤولياته التاريخية ولن يكون ذلك إلا بدعمكم ومساندتكم، فاتحادكم هو أنتم وبكم ولكم، وأخيراً نسأل الله أن يجعل هذا العام حافلاً وحاسماً، وأن نوفي بمسؤولياتنا التاريخية لنضيف إلى أمجاد هذا الشعب مجداً آخر وإنتصاراً إلى سجل انتصاراتنا في أكتوبر ومارس انتصاراً آخر. . وبالله التوفيق).

وكتبت مقالات أخرى تهاجم سياسات الدولة وتصفها بالتخبط والضعف والتبعية . ثم

بدأت سلسلة من الندوات السياسية التي أقامها إتحاد الطلاب والروابط الأكاديمية . أقيمت أولى الندوات في يوم ١٨/ أغسطس ١٩٧٣م ، والتي نظمتها (رابطة طلاب كلية القانون) ، وكان موضوعها (الوضع الأمني بالبلاد). ولقد وجهت الدعوة إلى السياسيين، وإلى الحكومة لترسل مندوباً عنها ليشارك في الندوة التي تحدث فيها كل من:

١ – نقيب المحامين السيد / ميرغني النصري.

٢ – السيد / أحمد خير المحامي – وزير خارجية أسبق.

٣ – د. زكريا بشير إمام – محاضر بكلية الآداب – قسم الفلسفة.

٤ – د. جعفر شيخ إدريس – محاضر بكلية الآداب – قسم الفلسفة.

ولقد هاجم المتحدثون السلطة هجوماً شديداً ، ودعوا المواطنين إلى الثورة على هذا النظام وإسقاطه. ثم أقيمت ندوة أخرى في يوم ٢٦/٨/١٩٧٣م، ونظمها (اتحاد الطلاب).. بعنوان (الاتحاد الإشتراكي في الميزان) وتحدث فيها :-

١- الأستاذ / بهاء الدين حنفي – اتجاه إسلامي.

٢ – الأستاذ /محمود برات – اتجاه إسلامي.

٣ – الأستاذ / آدم عبد القادر – حزب أمة ورئيس شباب الأنصار.

٤ – الحاج مضوي محمد أحمد – وطني إتحادي.

٥ – د. زكريا بشير – اتجاه إسلامي.

واستمر المتحدثون في انتهاج سياسة التعبئة العامة ضد الحكم القائم ودعوا الطلاب إلى الخروج إلى الشارع وإسقاط النظام، وأصبحت الجامعة متنفساً للمواطنين فهي المكان الوحيد للتعبير .. وظلت الحكومة تراقب هذه الندوات بقلق شديد ، مما اضطرها للتفكير في إيقاف هذا النشاط المعارض ومحاصرته مبكراً .في ظهر يوم ٢٩/ أغسطس ١٩٧٣م، أصدر السيد/ مهدي مصطفى الهادي محافظ الخرطوم، بياناً بثته إذاعة أم درمان، هاجم فيه طلاب جامعة الخرطوم لتنظيم الندوات المعارضة للحكومة وطالب مؤيدو ثورة ماي ومن (كتائب مايو وأعضاء الاتحاد الاشتراكي والشعب الطلابية) بضرورة إيقاف العمل المعارض واقتحام الجامعة. وحذر البيان من أية محاولة تستهدف قلب نظام الحكم وتقويض السلطة، كما طالب البيان المواطنين بالتحلي باليقظة والحذر وتفويت الفرصة على المتآمرين والوقوف إلى جانب الثورة ضد هذه المحاولات، وأعلنت السلطة في البيان أنها ستتعامل بحسم مع أعداء الثورة.

بعد هذا البيان تسارعت الأحداث داخل جامعة الخرطوم، فلقد ثار الطلاب الشيوعيون

في وجه الاتحاد ورفعوا مذكرة احتجاج ضد تصريحات السيد/ محافظ الخرطوم، يطالبون فيها الاتحاد بإتخاذ موقف واضح من هذه التصريحات.. بعد هذا الضغط الطلابي إضطر الإتحاد إلى التعجيل ببعض خطواته في حملته التعبوية التي بدأها بإقامة الندوات السياسية .. فقام الاتحاد برفع مذكرة احتجاج بتاريخ ٢٩/ أغسطس ١٩٧٣م كخطوة أخرى ضاغطة ثم تبعت تلك الخطوة، اتصالات بالنقابات والإتحادات الطلابية ونقابات "السكة حديد" والنقل الميكانيكي والمخازن والمهمات والنسيج والإدارة المركزية وغيرها وذلك لإعلان الإضراب السياسي الشامل والعصيان المدني.

بحلول فجر ٣٠ أغسطس ١٩٧٣م كان رئيس الاتحاد أحمد عثمان مكي يخاطب الأعداد الغفيرة من المواطنين الذين احتشدوا في الميدان الشرقي بالجامعة خطاباً حماسياً قوياً حضره الآلاف من طلاب الجامعات والمدارس الثانوية، ثم تلا عليهم المذكرة التي سترفع لرئيس الجمهورية وهي ممهورة بتوقيعات ممثلي الاتحادات الطلابية والعمال والأطباء والقانونيين تطالبه بالآتي :

١ – رفض الحكم العسكري القائم.

٢ – الاعتراف بأحزاب الجبهة الوطنية وإشاعة الحريات.

٣ – التأكيد على أن الشريعة هي خيار السودانيين الوحيد.

٤ – تطوير الحكم الإقليمي وتوزيع الثروات توزيعاً عادلاً والاهتمام بالجنوب.

ثم وجه رئيس الاتحاد الدعوة إلى كل القطاعات الشعبية، ودعاهم لحضور المؤتمر الهام الذي سيعقد في ديسمبر ١٩٧٣م . وبعد خطاب رئيس الاتحاد خرج الطلاب والمواطنون في مظاهرات صاخبة، تهتف بسقوط النظام، واعترضت قوات الأمن والشرطة المتظاهرين وفي ذات الوقت الذي اندلعت فيه المظاهرات بالعاصمة الخرطوم، خرج المواطنون في مظاهرات عارمة في كثير من مدن السودان المختلفة. ولقد حاولت السلطة قمع المظاهرات بشتى السبل، وعاونتها على ذلك منظمات الثورة مثل كتائب مايو وأعضاء الشُعَب الطلابية وقوات الأمن الاحتياطي المركزي والجيش.

وسقط عدد من الشهداء في تلك المظاهرات:

١ – الشهيد المواطن الشاب / جمال عبد الرحمن جار النبي . ولقد ظن طلاب الجامعة أنه واحدٌ منهم، وتوجهوا إلى مستشفى الخرطوم لإستلام الجثمان وتشييعه في اليوم التالي وذلك لتكرار مشهد ثورة أكتوبر عند تشييع الشهيد القرشي. ولكن الشرطة تصدت للطلاب داخل المستشفى واعتقلت منهم (٣٠٠) ثلاثمائة طالب، وازدادت التظاهرات وقد

انضم إليها طلاب الثانويات والمدارس المتوسطة والابتدائية!، واستشهد خلال هذه المظاهرات:

الطالب / حاتم المبارك العبيد.

المواطن / حمد البشير الأمين الشيخ أبو كساوي . .

واستمرت التظاهرات والاحتجاجات دون توقف وفي يوم ٤/ سبتمبر ١٩٧٣م، أعلنت أحدى عشرة نقابة واتحاداً إضراباً عاماً عن العمل تضامناً مع قضية الطلاب من بينها نقابة السكة حديد والنقل الميكانيكي.

وكان لهذا الإعلان أثره الكبير في نفوس الطلاب والمواطنين وبقية النقابات الأخرى وبالفعل بدات تلوح في الأفق بوادر ثورة شعبية اكتملت حلقاتها بعصيان مدني شامل. وفي تلك الأثناء أعلن السيد / رئيس نقابة السكة حديد في مدينة عطبرة السيد / موسى متى، أعلن الإضراب السياسي. . وتلتها المؤسسات والمصالح ثم أعلن السيد/ عثمان جسور رئيس فرعية الخرطوم الإضراب السياسي وكذلك نقابات المحامين والأطباء وأساتذة في جامعة الخرطوم الذين طالبوا السلطة بإطلاق سراح جميع المعتقلين وأعلنوا عن دعمهم لمواقف الطلاب.

إعلان حالة الطوارئ ومحاصرة الجامعة

لم تنجح السلطة الحاكمة في كبح جماح المتظاهرين، رغم اعتقالها لعدد من قيادات النقابات والاتحادات المهنية والطلابية . وقد كان الرئيس جعفر نميري موجوداً بالمملكة المغربية لحضور جلسات مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في الدار البيضاء وبعد مرور أسبوع على اندلاع التظاهرات وفي يوم ٦/ ٩/ ١٩٧٣م أعلن النائب الأول لرئيس الجمهورية اللواء / محمد الباقر أحمد حالة الطوارئ القصوى بالبلاد، وأوكل إلى الجيش مسؤولية الحفاظ على الأمن. وتولى بعدها الجيش مسؤولية حراسة المنشآت الحكومية العامة التي تعرضت للتخريب خاصة مباني هيئة المراهنات الرياضية (المعروفة باسم توتو كورة) إذ أحرقها المتظاهرون باعتبارها (أندية للقمار)، كما أحرق المتظاهرون طلمبات البترول ومباني الإتحاد الاشتراكي السوداني ومنظماته الشبابية والنسوية.

بعد إعلان حالة الطوارئ خرج الطلاب في واحدة من أكبر التظاهرات، ولكن صدرت الأوامر لقوات الشرطة والأمن باحتلال مباني الجامعة وداخلياتها، فتسللت القوات الحكومية بعد خروج الطلاب إلى التظاهرات، وعبثت بممتلكاتهم ومنع الطلاب من العودة إلى الجامعة

لأخذ أمتعتهم وممتلكاتهم. وتم ترحيل الطلاب قسراً إلى أقاليمهم المختلفة وقدم عدد من الطلاب والأساتذة والنقابيين إلى المحاكمة بإغلاق جامعة الخرطوم، انطلقت تظاهرات أخرى قادها طلاب المعهد الفني وطلاب جامعة أم درمان الإسلامية وطلاب جامعة القاهرة - فرع الخرطوم (جامعة النيلين حالياً) واستمرت المظاهرات عدة أيام أخرى.

كان لنزول الجيش إلى الشوارع وتوليه مسؤولية الحفاظ على الأمن أثر كبير في تهدئة المظاهرات ، وشنت السلطة الحاكمة حملة إعلامية كبيرة تصف فيها (حركة شعبان) :

١ - بالعمالة والارتزاق.

٢ - الارتهان لقوى عميلة أجنبية.

ثم صدرت قرارات أخرى صارمة بحق طلاب جامعة الخرطوم:

١ - إغلاق جامعة الخرطوم إلى أجل غير مسمى.

٢ - حل اتحاد طلاب جامعة الخرطوم وتجميد نشاطه نهائياً.

٣ - مصادرة النشاط الطلابي ومنعه بالجامعة.

٤ - منع قيام أي أحزاب بالجامعة.

كان من المفترض أن يشارك الجهد الحزبي مشاركة فعالة في حركة شعبان التي هزت استقرار الحكومة القائمة ولكن لم يحدث كل ما هو مطلوب. وتوقفت الدراسة بجامعة الخرطوم في سبتمبر ٧٣ ولم تفتح الجامعة أبوابها إلا في نوفمبر ١٩٧٣م بعد إغلاق دام شهرين.

وبعد أن فتحت أبوابها وضعت لطلابها ضوابط صارمة، فصدرت لائحة قواعد السلوك الطلابي التي تنظم النشاط الطلابي داخل الجامعة كما يلي:

١ - إلزام الطلاب الجدد بكتابة تعهد بعدم خرق هذه القواعد.

٢ - منع قيام المظاهرات.

٣ - تأميم الصحف الحائطية.

٤ - منع قيام الندوات والتجمعات.

وبعد صدور هذه اللائحة، تمّ فصل عدد من طلاب الجامعة، وأعلن رسمياً أن أعضاء المجلس الأربعيني لإتحاد الطلاب مطلوب القبض عليهم بواسطة البوليس. لم يستجب طلاب الجامعة لتلك الضوابط التي أصدرتها عمادة الطلاب ، وبدأوا عملياً في عدم الإلتزام بها صراحة إمعاناً في التحدي لإدارة الجامعة وللسلطة الحاكمة ومواصلة لثورة شعبان . . .

فأقيمت ندوة للتحدي، داخل الحرم الجامعي في يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣م وخاطبها رئيس الإتحاد (وهو مطلوب القبض عليه) الطالب أحمد عثمان مكي ثم تحدث بعده في الندوة الطلاب:

١ - التجاني سراج.

٢ - الهادي أحمد الخليفة.

٣ - بشير آدم رحمة.

٤ - عبد الرحمن مكين.

وكانت الندوة مؤثرة وقوية حضرها آلاف الطلاب الذين حضروا ليخاطبهم رئيس الاتحاد دون أن تستطيع أجهزة الشرطة والمن إلقاء القبض عليه وفي نهاية الندوة سير الطلاب مسيرة حاشدة إلى مكتب السيد / مدير الجامعة رفعوا خلالها مذكرة تحتوي على المطالب الآتية:

١ - إرجاع جميع الطلاب المفصولين حوالي (١٠٠) والموقوفين حوالي (٣٠٠) طالب.

٢ - الإعتراف بالاتحاد كممثل شرعي للطلاب.

٣ - إلغاء الأوامر المؤقتة التي وضعت بعد إغلاق الجامعة في أغسطس الماضي.

٤ - إرجاع الحريات السياسية في الجامعة.

٥ - إطلاق سراح جميع الطلاب المعتقلين.

٦ - إرجاع الأساتذة المفصولين والمعتقلين لعملهم في الجامعة.

تم عقد اجتماع بين مدير الجامعة وممثلو الطلاب ، بينما بقي الطلاب ينتظرون نتائج الاجتماع بالخارج . ثم خرج رئيس الاتحاد/ أحمد عثمان مكي ليعلن للطلاب أن مدير الجامعة قد التزم بأنه سيصدر بياناً الاثنين القادم يلبي فيه مطالب الطلاب ويعترف فيه بشرعية الاتحاد. وعندما جاء يوم الاثنين صدر بيان من مدير الجامعة تنكر فيه لكل عهد قطعه مع الطلاب مما جعل الطلاب يفسرون ذلك بأنه تراجع أمام ضغط من السلطة الحاكمة .. في خضم صراع الاتحاد مع السلطة ومع الإدارة ومع لائحة قواعد السلوك الطلابي ، ورغماً عن حل الاتحاد من قبل الإدارة وتجميد نشاطه.. رغم كل هذا أطل شهر أكتوبر (شهر الإنتخابات) وكان لا بد من إقامة إنتخابات جديدة .. ولكن الإتحاد القائم أصلاً والذي لم تعترف به إدارة الجامعة (طرح استفتاء) لجمعيته العمومية حول ثلاثة نقاط:

١ - أؤيد الاتحاد في الإستمرار لحين قيام اتحاد آخر.

٢ - أؤيد مذكرة الاتحاد وما فيها من مطالب.

٣ - أؤيد القرارات الايجابية التي تنتج عن المذكرة.

وجاءت نتيجة الاستفتاء كما يلي :

١ - شارك في الاستفتاء = ٧٨٪ من الطلاب.

٢ - الذين يؤيدون استمرار الاتحاد = ٦٦٪ من الطلاب.

٣ - الذين يؤيدون ضرورة اتخاذ خطوات حاسمة لإعادة الطلاب المفصولين = ٦٥٪ من الطلاب.

بعد هذه النتيجة استمد الاتحاد شرعية جديدة بحصوله على نسبة ٦٦٪ من جمعيته العمومية.

وبعد هذا التفويض رأى الطلاب أنه لا بد من اتخاذ (خطوة حاسمة تحقق الآتي) :

١ - تعيد الحريات إلى الجامعة.

٢ - تعيد الطلاب المفصولين.

٣ - تعيد شرعية الإتحاد.

٤ - تحذر الإدارة والسلطة من مغبة التعرض لنشاطات الطلاب.

والخطوة الحاسمة التي قرر الاتحاد اتخاذها هي (احتلال مباني الجامعة).. وحدد للاحتلال تاريخ ١٠/ ديسمبر ١٩٧٣م. وقدر الطلاب أن السلطة لن تقف مكتوفة الأيدي لتتفرج على ما يحدث داخل الجامعة وتوقعوا اقتحام الجامعة بالقوة في أية لحظة وتحوطاً لذلك، وضع الاتحاد خطة يمنع بها تدخل قوات الأمن والجيش إلى داخل الحرم الجامعي لفض الإحتلال، فتم إحضار كميات كبيرة من السيخ والعصي الغليظة، ووزعت الحجارة على مداخل الجامعة وأقيمت الحواجز والمتاريس وأُغلقت الأبواب، ووضعت القنابل الحارقة (المولوتوف) موزعة بأيدي الطلاب في أنحاء متفرقة داخل الجامعة.

القصة الكاملة للاحتلال

مع بداية الاحتلال تم تقسيم الطلاب على مجموعات في شكل كتائب وكونت وحدات فدائية خاصة سميت بـ (مليشيا اليوم الحار) لتتدخل في الوقت المناسب.

وبدأ الطلاب يشكلون الطوابير العسكرية وهم يرددون: (اليوم الحار ما بندار)، (ضرب النار داير ليهو رجال). كما تم تقسيم مجموعات أُخرى من الطلاب لتقوم بمهمة إيصال

المؤن الغذائية والعلاج، ومجموعات أُخرى إعلامية وأخرى لتقوم بمهام استخبارية.

على الصعيد الإعلامي أنشأ الطلاب شبكة اتصال إعلامية تربط داخل الجامعة بخارجها بواسطة خمسة ميكروفونات كبيرة جرى توزيعها على أجزاء من الجامعة لإذاعة قرارات اللجنة التنفيذية للاتحاد. كما أنشأ طلاب كلية الهندسة (إذاعة) تبث من داخل الجامعة موجهة للمواطنين في أنحاء العاصمة المثلثة. فكان المواطنون يلتقطون هذه الإذاعة عبر أجهزة الراديو وهي تبث الأناشيد الوطنية الحماسية وتذيع أخبار الاحتلال وتطورات الموقف داخل الجامعة. وفي ذات الوقت توجه نقداً شديداً لسياسات النظام وتصدر بيانات تحرض المواطنين للثورة ضد هذا النظام.

أعلن رئيس الاتحاد/ أحمد عثمان مكي بداية الاحتلال بتاريخ ١٠/ ديسمبر ١٩٧٣م بعد خطبة عصماء خاطب فيها الآلاف من طلاب الجامعة والمواطنين، ولقد شاركت التنظيمات السياسية بعضويتها مشاركة كبيرة في تنفيذ الاحتلال، وتناست خلافاتها السياسية في وحدة طلابية واضحة.

وبعد إعلان الاحتلال بفترة قصيرة كانت قوات الجيش والاحتياطي المركزي وعناصر جهاز الأمن القومي تحكم حصارها تماماً حول الجامعة. فقامت بإغلاق شارع الجامعة من الشرق عند نفق كبري بحري، تجاه داخليات الطلاب (البركس). ومن الناحية الجنوبية قرب القمسيون الطبي وداخلية تهراقا لطلاب كلية الهندسة، كما أغلق شارع النيل شرقاً من تحت كبري النيل الأزرق ومن الغرب من ناحية وزارة الصحة ومباني كلية الهندسة . . .

بعد محاصرة الجامعة ترك الأمر للطلاب كي يخرجوا منها بشرط ألا يعودوا إليها مرة أخرى. وقد تسربت أعداد قليلة من العناصر الطلابية لا تزيد عن العشرات . وبدأت السلطة تبث في الإشاعات معلقة أن العدد داخل الجامعة قليل جداً لا يتعدى ألفاً من (الإخوان المسلمين) والمتعاطفين معهم والذين ستقوم السلطة بكنسهم في دقائق قليلة. . .

بدأت اللجنة المسؤولة عن توفير التموين اللازم للطلاب داخل الجامعة وهم تحت الحصار، بدأت نشاطها لتوفير الآتي:

١ - تم شراء أكثر من عشرين صفيحة جبنة وطحنية.

٢ - عدد كبير من علب المربى.

٣ - جوالات بلح وسكر وأرز ودقيق وعدس وفول.

٤ - تم جلب مولد كهربائي من كلية الهندسة للإشراف على الماء والنور وجلبت فوانيس للإحتياط.

٥ - تم شراء عدد كبير من صناديق الشاي والسجائر والتمباك.

٦ - تم كسر مخزن الغذاء في الجامعة وقاد أحد الطلاب إحدى العربات لتحمل الغذاءات.

٧ - أخذ الغذاء إلى داخل الحرم الجامعي عند الساعة (١١) صباحاً ليتم تخزينها في مسجد كلية القانون.

٨ - استطاعت لجنة التموين تهريب خبز بمبلغ (٨٥) جنيهاً، عبر مدرسة الخرطوم القديمة ، وذلك بعد أن قامت بإنشاء سلالم طويلة تربط بين داخلية مروي وخط السكة حديد.

٩ - في اليوم الثالث قامت لجنة التموين بشراء رغيف (٦٥) جنيهاً من الخرطوم بحري، وتمّ ترحيله بعد منتصف الليل وحتى الرابعة من صباح اليوم التالي إلى جزيرة توتي بزورق صغير عبر النيل. . ولكن العملية لم تمر بسلام فلقد كانت الخطة تقضي ترحيله مساء بواسطة الزورق إلى الجامعة، ولكن خوف أصحاب الزوارق على أنفسهم وترددهم من المغامرة أخرت تنفيذ العملية حتى النهار.

حاول الطلاب إيجاد مراكب أخرى، فتمكنوا من استئجارها مقابل (٦) جنيهات لتوصيل الرغيف إلى مستشفى العيون القريب من الجامعة (هكذا كانت الخطة). . و لكن انتبه رجال الشرطة إلى جوالات الرغيف المتجهة إلى مستشفى العيون فقال لهم البوليس: (إن المستشفى لا يأتيها الرغيف بالمراكب) وعند ذلك هجمت مجموعة أخرى من الطلاب كانت تراقب الموقف وبعد اشتباك قصير استطاع الطلاب الحصول على (٢٧) جوالاً من أصل (٣٦) هي كل الكمية.

١٠ - وضعت لجنة التموين خططاً أخرى لتزويد الجامعة بالرغيف اللازم وهي تحت الحصار، ووضع مقترح يقضي بإحضار الرغيف من الخرطوم بحري بواسطة عدد من الطلاب ويحملونه في قطار مشترك كريمة، وعند محازاة القطار إلى الجامعة يقفز الطلاب بجوالات الرغيف خارج القطار المتحرك لإدخالها إلى الجامعة.

١١ - كانت هنالك محاولة أخرى تقضي بأن يذهب عضو الاتحاد/ بكري عثمان سعيد ليلتقي بعضو آخر هو/ عباس برشم المكلف بجمع أموال لشراء رغيف يتم جمعه من عدة أماكن حتى لا ينكشف أمره ثم يلتقيان عند فرن يعرف بـ (فرن سيحة) بالسوق العربي. . ولكن لم تنجح المحاولة وتعذر على الطرفين أن يلتقيا.

١٢ - كانت هنالك محاولة أخرى تقضي بأن يقود عضو الاتحاد/ غازي صلاح الدين

بص كلية الطب بعد شحنه بالرغيف، ثم يدخل به عنوة إلى داخل الحرم الجامعي ولكن تزامنت ساعة صفر تنفيذ المهمة مع لحظة فض الإحتلال بعد التوصل لإتفاق.

١٣ - أما أحد أهم المحاولات الناجحة هي تلك التي نفذتها لجنة التموين، عندما قامت بتكليف طالبين من كلية البيطرة لشراء ستة خراف وإدخالها للجامعة عبر المستشفى البيطري الملاصق للجامعة (وفق خطة تمويه محكمة)... قام الطالبان بشراء الخراف ولبس كل منهما ملابس أعراب بدويين (ملابس بالية وكورة فارغة وإبريق ومسواك)... لزوم التمويه.. ثم أتوا بالخراف عن طريق الجامعة حيث استوقفهم البوليس طويلاً وشك بالفعل في هيئتهم، ولكنهم أوضحوا له أنهم يريدون أن يذهبوا بهذه الخراف إلى المستشفى البيطري للعلاج وأن بقية خرافهم ماتت بسبب المرض.

كان مظهرهم ولغتهم وملابسهم تدل على أنهم أناس سذج حيث أدوا دورهم بإتقان وبعد محاولة طويلة ورغم شكوكه فيهم ، سمح لهم البوليس بالدخول واكتفي بمراقبتهم حتى أدخلوا الخراف للمستشفي حيث تم حجزها، ومن هناك تسللوا إلى داخل الجامعة، فحضرت قوة من الطلاب فأخذوا الخراف واستطاعوا إدخالها إلى داخل الحرم الجامعي وسط فرحة كبيرة من الطلاب الذين لم يتذوقوا لحماً منذ بدء الاحتلال.

فض الاحتلال

نشطت لجنة وساطة شارك فيها أُساتذة من جامعة الخرطوم بينهم البروفسيور/ مدثر التنقاري وذلك لإيجاد حل للأزمة المتصاعدة. وظل الطلاب يقدرون موقف أساتذة الجامعة تجاه مطالبهم، ويقدرون كذلك موقف مدير الجامعة مصطفى حسن الذي يعتبره الطلاب منصفاً لهم.

وبعد مفاوضات شاقة، نجحت لجنة الوساطة في التوصل لإتفاق يقضي بالآتي:

١ - فض الاحتلال فوراً.

٢ - التزام إدارة الجامعة باعترافها بشرعية الاتحاد القائم وإقامة الانتخابات الجديدة في موعدها.

٣ - حرية ممارسة النشاط الطلابي بدار الاتحاد. واستمر الاحتلال من ١٠ ديسمبر ١٩٧٣م، لينتهي بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٧٣م منهياً بذلك مرحلة مهمة في صراع اتحاد الطلاب مع السلطة.

أحداث الاتحاد الاشتراكي

حاول النظام بعد انتفاضة شعبان أن يجد له موطىء قدم في المحيط الجامعي وأن يجد من يسانده في الوسط الطلابي فأعلن النظام لقاءه بمن أسماهم بقيادة الطلاب في الجامعة وكان مكان اللقاء هو ساحة الاتحاد الاشتراكي، وتمت كل الترتيبات الأمنية والتحوطات والتحسبات لأي طارىء يحدث، وحشد الأمن بكميات كبيرة وبدأ اللقاء بخطاب الرئيس نميري.. وهنا يروي محمد وقيع الله "اقتحم الإسلاميون في جامعة الخرطوم لقاء الاتحاد الاشتراكي الذي دبر بين (الرئيس المخلوع) وبعض القيادات المزيفة للطلاب وقام الطلاب الإسلاميون بقيادة فضل السيد أبو قصيصة ومحمد محيي الدين الجميعابي بالهتاف الداوي داخل الاتحاد الاشتراكي حيث هتفوا أولاً هتافات محايدة بحياة الشعب السوداني وهتافات في هذا الإطار، ولكنهم ما لبثوا أن حولوا الهتافات بعدها إلى هتافات صارخة ضد النظام وضد رئيس النظام فهتفوا (لن ترتاح يا سفاح) (جوعت الناس يا سفاح) (لن تحكمنا عصابة مايو)، وكان ذلك مذاعاً على الهواء مباشرة وقد سمعها الناس في سائر أرجاء القطر وبهت الرئيس وعملاؤه وأجهزة إعلامه، وكانت ضربة داوية انتشر صداها في العالم فعلقت عليها صحيفة الغارديان البريطانية قائلة: إن طلاب الجامعة كأنهم دخلوا على الرئيس في مخدعه الخاص فأرهبوه[1] وبالطبع قد نتج عن ذلك اعتقالات واسعة في صفوف أعضاء الاتجاه الإسلامي.

وحول الفترة التي أعقبت قيام مايو ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٧٧م التقى الباحث أحد أبرز قيادات الاتجاه الإسلامي الذين اعتقلوا وشردوا وقادوا الهتافات ضد الرئيس نميري داخل الاتحاد الاشتراكي هو محمد محيي الدين الجميعابي[2] والذي يرى أن حركة الاتجاه الإسلامي في الفترة من ٧٣ - ١٩٧٧م قد مرت بمراحل عديدة ففي عام ١٩٧٣م كان الاتجاه الإسلامي تنظيماً قوياً جداً داخل الجامعة والجسم المكافيء له في ذلك الحين هو الجبهة الديموقراطية فهي في ٧٣-١٩٧٤م كانت تعتبر في أوج عظمتها وكانت التنظيم الند بالنسبة للاتجاه الإسلامي... أما الاتجاه الإسلامي من حيث القيادة فقد كانت له قيادات متميزة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد محيي الدين الجميعابي... أبرز قيادات الاتجاه الإسلامي في الفترة موضوع الدراسة.. كان طالباً بكلية الطب دخل الجامعة عام ١٩٧٣م، وتخرج عام ١٩٨٣م قضى عقداً كاملاً في الجامعة بين السجن السياسي والعمل النقابي والأكاديميات ظل يمثل الأب الروحي لكل قيادات الاتجاه الإسلامي التي دخلت الجامعة بعد المصالحة في ١٩٧٧م. التقاه الباحث بمنزله بأمدرمان يوم ١١/ أكتوبر/ ١٩٩٢م.

وتاريخية بقيادة أحمد عثمان المكي - بشير آدم رحمه - التجاني سراج - الهادي أحمد خليفة - عثمان الهادي.

كذلك الجبهة الديموقراطية كانت تمتاز بقيادات متميزة مثل صدقي كبلو، أبو اليسر يونس، الخاتم عدلان، الشائب أقلع، ومجموعة من الشيوعيين كانوا على مستوى عال من الخبرة في العمل السياسي ولم يكن هنالك وجود للوسط، هنالك وجود ضعيف لحزب الأمة ووجود لا يكاد يذكر للاتحاديين ووجود نسبي للجبهة الوطنية الإفريقية (ANF).

كما يرى الجميعابي أن التوجه الفكري للاتجاه الإسلامي كان بارزاً ومواقفه السياسية كانت لامعة، كما أعطت أحداث الجامعة الاتجاه الإسلامي فرصة للقفز بصورة كانت شبه دائمة لقيادة الحركة الطلابية. الطلاب كانوا ينظرون للإسلاميين بشيء من العظمة ويحسون فيهم كل صفات القيادة، لأنهم شخصيات وقيادات أجمعت عليها الجامعة وشخصيات تاريخية.. كما يذكر الجميعابي أن رئيس الاتحاد وقتها أحمد عثمان المكي هو الشخصية التي أجمعت عليها الجامعة عبر تاريخها، وأن القيادة التي جنتها حركة الاتجاه الإسلامي من اعتقالات ٧٣-٧٤ كانت قيادة صقلتها السجون ودربتها على العمل التنظيمي والقيادة وخلافه.

جاء هؤلاء القادة خارجين من السجن باندفاع شديد وسمعة متقدمة استفاد منها الاتجاه الإسلامي في برنامجه السياسي وكوادره الانتخابية منهم محجوب عروة، عبد العظيم عبد الله التوم، محمد شيخ الدين، عبد الرحيم البدوي، غازي صلاح الدين، سيد الخطيب... هذه القيادة قد أكملت في سجن كوبر إعدادها التربوي والثقافي والتعبدي وخرجت بطاقات إيمانية وتعبدية كبيرة... أما بالنسبة للطلاب فقد كان كثير منهم موالين للتيار العام للاتجاه الإسلامي وقد كانوا مشدودين للبطولات الخارقة لأعضاء الاتجاه الإسلامي ٧٣ - ١٩٧٤م كانت دورة بشير آدم رحمة على رئاسة الاتحاد ويذكر الجميعابي أن دورة ٧٤ - ١٩٧٥م التي كانت دورة داؤد بولاد جاءت تمتطي كل انتصارات ثورة شعبان ومن قادة تلك الدورة بولاد، تجاني عبد القادر، بشير آدم رحمة، غازي صلاح الدين، مطرف صديق، ابن عمر محمد أحمد، سيد الخطيب، محمد البشير عبد الهادي، الطيب إبراهيم محمد خير، فاروق أحمد آدم..الخ.

كذلك كانت القيادت السياسية الخارجية للحركة الإسلامية تمثل حضوراً منتظماً للجامعة، حسن الترابي، إبراهيم أحمد عمر، يس عمر الإمام".

وعن الجبهة الديموقراطية يقول الجميعابي:

"الجبهة الديموقراطية لم تكن موفقة سياسياً عند احتلال الجامعة في ١١ مارس ١٩٧١م وكذلك في موقفها من انتفاضة شعبان من هنا لازمتها حالة فشل مستمرة.

بالرغم من أنها في عام ١٩٧٣م كانت جسماً - قوياً - جداً وكانت الند للاتجاه الإسلامي في العددية والنشاط لكن الاتجاه الإسلامي قد استفاد من أخطائها بمستوى كان المعول الأساسي الذي حمله الاتجاه لتحطيم الجبهة الديموقراطية... الشيوعيون حاولوا أن يفشلوا حركة شعبان ١٩٧٣م لأنها لم تكن تحت قيادتهم وقد خرجت صحيفة الجبهة الديموقراطية "مساء الخير" أثناء انتفاضة شعبان ومكتوب عليها بالخط العريض "أحمد عثمان المكي رئيس الاتحاد ضابط في جهاز الأمن القومي".

هذه الترهات بالطبع كانت مرفوضة لدى الطلاب وقد كان ود المكي شخصية تاريخية أجمعت عليها كل الجامعة، وبعد الفترة التي أعقبت انقلاب المقدم حسن حسين عام ١٩٧٥م تدهور وضع التنظيم في الجامعة، تم فصل أعداد كبيرة من الجامعة، تمت كذلك اعتقالات واسعة وسط صفوف الاتجاه الإسلامي.. وكذلك التجربة القيادية بدأت تنقطع، اختفت قيادات الاتجاه الإسلامي بين السجن والهجرة خارج البلاد عدا بعض المناورات التي قادها تجاني عبد القادر، داؤد بولاد كذلك تقوى الاتحاد الاشتراكي داخل الجامعة كجسم مناوىء للاتجاه الإسلامي.

٧٦ - ١٩٧٧م الاتجاه الإسلامي كان يبحث عن وضعية تتيح له فرصة مخاطبة الطلاب بشيء من الأمن والسلام. وعندما جاءت المصالحة الوطنية جئنا وقذفنا بكل القيادات التاريخية المعتقة إلى داخل الجامعة مما أعطانا فرصة للانتشار الشديد والسريع... جئنا ولدينا أكثر من ٢٥٠ قيادي من خريجي السجون والقادمين من الخارج وكلهم كانوا قمماً في تجربتهم وتاريخهم النضالي.

وفي أكتوبر ١٩٧٧م نزل الاتجاه الإسلامي إلى ساحة الجامعة بعدده وعتاده وبكوادر لم تكن متوفرة للتنظيمات الأخرى وقيادات تاريخية كانت بمستوى أساتذة الجامعة وبمستوى سيادي داؤد بولاد، التجاني عبد القادر، المعتصم عبد الرحيم، ابن عمر محمد أحمد، أمين بناني، الشفيع أحمد محمد..الخ. أسهمت تلك القيادات في إرساء دعائم التطور السياسي والفكري الذي حدث للاتجاه الإسلامي بعد عام ١٩٧٧م.




الفصل الثاني
المصالحة الوطنية

جاءت المصالحة الوطنية بين نظام مايو الحاكم والجبهة الوطنية المعارضة المكونة من حزب الأمة، الحزب الاتحادي الديموقراطي - الإخوان المسلمون، جاءت المصالحة في تاريخ ٧/ يوليو/ ١٩٧٧م بعد مرحلة طويلة من العراك والاحتراب والخصام والكيد السياسي امتدت منذ ٢٥/ مايو/ ١٩٦٩م حتى ٢/ يوليو/١٩٧٦م حيث شهدت الساحة السودانية أعنف أنواع المعارضة السياسية التي بدأت بمعركة الجزيرة أبا ١٩٧٠م والتي راح ضحيتها المئات من المواطنين وفقد فيها الأنصار قائدهم الروحي الإمام الهادي عبد الرحمن الذي لقي ربه في طريق الهجرة كما فقدت فيها الحركة الإسلامية أبرز قادتها الشهيد محمد صالح عمر. . . كذلك استمر الصراع حيث قامت انتفاضة شعبان ١٩٧٣م والتي انتظمت كل ربوع السودان، ثم حركة المقدم حسن حسين في عام ١٩٧٥م والتي اشترك فيها من الحركة الإسلامية القاضي عبد الرحمن إدريس ومن حزب الأمة عباس برشم ثم توجت المعارضة أعنف أعمالها في حركة ٢/ يوليو/ ١٩٧٦م المسلحة والتي أطلق عليها نظام نميري "أحداث المرتزقة". لذلك عندما لاحت بارقة المصالحة الوطنية لم تجد مقاومة تذكر وتقبلها الطرفان في عمومها وإن ظهرت بعض الخلافات حول فنياتها، ثم عارضها بعد ذلك الشريف حسين الهندي وكذلك تحفظ عليها عثمان خالد مضوي رغم التزام الأخير بقرارات حزبه، وكذلك شارك التيار الاتحادي في سلطة مايو رغم خلاف الهندي مع النظام.

كانت الجبهة الوطنية المعارضة للنظام يرأس مكتبها الصادق الصديق المهدي ويتولى الشريف حسين الهندي منصب نائب الرئيس بينما يتولى عثمان خالد مضوى منصب السكرتير العام للجبهة.

ظهرت بوادر الخلاف بين أطراف الجبهة الوطنية المعارضة بعد أحداث ٢/ يوليو/ ١٩٧٦م. . . إذ أن فشل حركة ٢/ يوليو/ ١٩٧٦م قد فتح باباً كبيراً للشك وتبادل الاتهامات[1] بين أعضاء الجبهة الوطنية سيما وأن الحركة كان قد أعد لها إعداداً ما كان

(١) انظر محمد طه محمد أحمد، آخر أيام الصادق المهدي: قصة الحريق السياسي الذي انتهى بالإنقاذ الوطني، دار الإعلام للطباعة والنشر، الخرطوم ١٩٩٤م ص: (١٥).

ينبغي له أن يفشل وقد كانوا يعدون لها السنين الطويلة. . كان فشل الحركة بمثابة خيبة الأمل التي أحبطت النفوس وثبطت الهمم كما أدت الاتهامات التي تبودلت بين أعضاء الجبهة إلى بروز التناقضات والخلافات المبطنة بعداء النظام حيث ظهر أن الجامع الوحيد بين أحزاب الجبهة الوطنية هو إسقاط نظام نميري.

وحول هذه التناقضات نورد هنا ما ذكره الأخ محمد طه محمد أحمد في كتابه (آخر أيام الصادق المهدي) حيث يقول: (. . . بعد مصالحة الصادق المهدي التي رفضها الشريف حسين الهندي في لندن اختار الإسلاميون أن يصالحوا أيضاً وخرج الدكتور حسن الترابي من المعتقل وأعلن عن حل الجبهة الوطنية!!

وبعد تصريح الدكتور حسن الترابي الذي نشرته الصحف غضب الصادق المهدي أيما غضب، ففي اعتقاده أن مثل هذا التصريح يصبّ في مصلحة النميري والمصالحة ما زالت طرية العود غضة الإهاب وليس من حق زعيم الإسلاميين الإعلان عن حلّ الجبهة الوطنية وإنما يجب أن يترك مثل هذا الأمر لرئيسها الصادق المهدي!!.

لم يكن تصريح الدكتور الترابي إلا توكيداً لواقع ما. . فالجبهة الوطنية قد بدأت في التلاشي والذوبان بعد فشل حركة ٢ يوليو ١٩٧٦م حينما اغتالت سهام المطامع الأهداف النبيلة وحولت الآمال الكبيرة إلى حطام.

كان الصادق المهدي ينظر إلى أغلبيته داخل معسكرات التدريب وكان يقول: إن الاتحادي الديموقراطي لا يملك إلا الشريف حسين الهندي، أما شباب الحركة الإسلامية فرغم بسالتهم وسرعة استيعابهم للسلاح المعقد فهم في نظر الصادق المهدي لا يمثلون إلا أقلية!

وحينما استولت الجبهة الوطنية على الحكم وأعلن الأستاذ إبراهيم السنوسي المسؤول عن قيادة المنطقة المجاورة لكبرى النيل الأزرق وسلاح الأسلحة وجامعة الخرطوم حينما أعلن إبراهيم السنوسي من منبر صلاة الجمعة في مسجد البركس القديم (إنهم قد أسقطوا مايو تحت رايات الجبهة الوطنية) كان إعلان الأستاذ السنوسي يمثل الشبر الأخير في السفينة التي تكاثرت فيها ثقوب المطامع. . كان السنوسي يقف على المساحة التي لم تصلها المياه بعد، فقبل أن يقول السنوسي كلمته في مسجد الجامعة كان حزب الأمة الذي ظن أنه قد فتح الخرطوم مرة أخرى يخطط للانفراد بالسلطة ومنطقه الذي يقنع به نفسه هو امتلاكه للأغلبية التي تدربت في الصحراء!!.

أين جهد الآخرين وجهادهم؟ ولماذا يبخس حزب الأمة الناس أشياءهم؟؟ إنها ثقوب

في سفينة يظن الجاهلون والظالمون أنها قد وصلت إلى شواطيء الأمان لأن عيونهم لا ترى إلا ما يشبع مطامعها!!

فكر حزب الأمة في الانفراد بالسلطة وحتى الإذاعة السودانية التي احتلتها قوات من الجبهة الوطنية جاءت التعليمات لمحتليها بألا يقترب من مايكرفونات الإذاعة إلا الصادق المهدي والذي لن يصل من طرابلس إلا بعد أن يضمن أن غردون قد قتل.. لكن غردون الجديد ما زال على قيد الحياة!!

وجاءت حركة ٢ يوليو ١٩٧٦م حركة بكماء صماء عمياء فهي لا تتكلم ولا تسمع ولا ترى!!

وإذا كان الأستاذ إبراهيم السنوسي قد حمل سلاحه وجبينه ينزف وصعد على منبر مسجد البركس فقد كان الرجل صادقاً في أن يزيل البكم والصمم والعمى عن حركة ٢ يوليو!!

ولكن جامعة الخرطوم وفي يوم الجمعة لم تكن كافية للإعلان عن الثورة.. إن الإذاعة تحت يد رجال ٢ يوليو ولكنها لا تنطق لأنها تنتظر وصول الصادق المهدي!!

واستفادت ماي ومن الحركة البكماء الصماء العمياء وانطلقت شائعة أنها حركة مرتزقة قدموا من خارج السودان للاستيلاء على السلطة، وبدأ رجال القوات المسلحة يتجمعون من هنا وهناك ويقاومون، وأجهضت ٢ يوليو قبل أن يصل الصادق المهدي من طرابلس!

إذن فإن ما حدث في حزب الأمة في ٢ يولي ومن خيانة عظمى للحلفاء هو الثقوب التي أغرقت سفينة الجبهة الوطنية فكيف يغضب الصادق المهدي إن أعلن الدكتور حسن الترابي وبعد مصالحة بورتسودان عن انفضاض الجبهة الوطنية؟ انتهى.

الطيب زين العابدين يطلق مبادرة المصالحة

أما عن مقدمات المصالحة الوطنية فهنالك من يرى أن أول إشارة لمصطلح المصالحة الوطنية وردت في مذكرة رفعها دكتور الطيب زين العابدين والذي كان معتقلاً منذ انقلاب المقدم حسن حسين ١٩٧٥م بسجن كوبر لرئيس الجمهورية جعفر نميري في ذات يوليو ١٩٧٦م.. حيث مثلت تلك المذكرة مبادرة شخصية ذكر فيها أنه لا يميل لسياسات سفك الدماء لحل قضايا الوطن واقترح على الرئيس نميري أن يتبنى سياسات مصالحة وطنية مع الجبهة الوطنية... وذكر أن الصراع الدائر ليس فيه غالب أو مغلوب والخاسر الوحيد سيكون

السودان.. لم يستشر الطيب زين العابدين القيادة الإخوانية في أمر مذكرته المرفوعة للنظام لتعذر الاتصال بالقيادة في ذلك الوقت نسبة لظروف السجن ولأنه كذلك رأى أن مبادرته قد تؤدي لحقن دماء عدد من المقاتلين ممن هم تحت المحاكمة أو رهن الحبس[١].

كذلك جاءت مبادرة الأمير محمد الفيصل آل سعود التي شجعت كل من الرئيس نميري والصادق المهدي في اتجاه الحوار.

الصادق المهدي يشير إلى جدوى التصالح

في يناير ١٩٧٧م وفي إحدى فنادق لندن عقد السيد/ الصادق المهدي مؤتمراً تشاورياً مع عدد من قيادات الجبهة الوطنية لمناقشة جدوى التصالح مع نظام نميري حيث حضر اللقاء من الإخوان المسلمين عثمان خالد مضوي، أحمد عبد الرحمن محمد، ربيع حسن أحمد، زكريا بشير إمام، أحمد إبراهيم الترابي وآخرون وفي هذا اللقاء مال معظم متحدثي الاخوان المسلمين لخيار الحوار مع النظام باستثناء عثمان خالد مضوي السكرتير العام للجبهة الوطنية [٢].

في ٧/ يوليو/١٩٧٧م فوجيء الإخوان بخبر لقاء الصادق نميري في بورتسودان حيث استغرق اللقاء وقتاً طويلاً وتسرّب أن الصادق المهدي قد وافق في اللقاء على [٣]:

١ - الموافقة على الدستور الدائم الراهن مع تعديله.

٢ - الموافقة على مبدأ الجمهورية الرئاسية.

٣ - الموافقة على مشروع الولاية الثانية.

٤ - الموافقة على التنظيم السياسي الواحد.

■ - الموافقة على إطار اتفاقية أديس أبابا.

كما وعد النميري في المقابل بإصدار عفو شامل عن المحاكمين وإخلاء سبيل المعتقلين ومواصلة الحوار مع الصادق المهدي...

لكن الصادق المهدي قد تحدث لاحقاً إلى مجلة الجامعة عن المصالحة الوطنية قائلاً: "بعد يوليو ١٩٧٦م خشينا من أن يلجأ الصراع إلى الاستعانة بقوى خارجية فقد كان يتحتم

(١) حسن مكي، الحركة الإسلامية في السودان ٦٩ - ١٩٨٥م تاريخها وخطابها السياسي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، الخرطوم، ١٩٩٠م ص: (٧٣).

(٢) Zakaria Bashir, The National Reconcitiation of the Sudan and (3) its After Math

(٣) حسن مكي، مصدر سابق، ص: (٧٣).

علينا التحالف مع أثيوبيا إذا أردنا السير في المعارضة المسلحة إذ لا توجد إمكانية تحرك مسلح من ليبيا لبعدها.

لذلك بدأ الكلام عن إمكانية قبول مصالحة مبنية على إصلاح حقيقي يقبله الناس، وحصل تفويض على هذا الأساس، والشيء الوحيد الذي لم يناقش وكان مفاجأة هو مقابلتي للرئيس نميري في بورتسودان وهذه الخطوة حصلت بعد مراحل عدة شاركت فيها شخصيات أشهرها فتح الرحمن البشير الوسيط بيننا وبين النميري".

ويمضي الصادق المهدي " لقد حدثت مفاوضات بيني وبين الرئيس نميري وقد عقدت مؤتمراً صحفياً أعلنت فيه أربع نقاط واعتبرناها برنامجاً للمصالحة الوطنية.

وهذه النقاط هي:

أولاً:

حلّ الاتحاد الاشتركي وإجراء انتخابات من القاعدة إلى القمة وعقد مؤتمر استثنائي للنظر في تسع نقاط مقدمة لإحداث إصلاح جذري في الاتحاد الاشتراكي.

ثانياً:

النص بوضوح على الشريعة الإسلامية لتكون المصدر الأساسي للقوانين وإزالة جميع الجوانب التحكمية والفردية والفوقية في الدستور الحالي.

ثالثاً:

مراجعة جميع القوانين المقيدة للحريات والقوانين الاستثنائية.

رابعاً:

مراجعة كل الأداء لطرح السلبي وتثبيت الإيجابي في المجالات الاقتصادية والسياسية الخارجية والحكم الشعبي المحلي وخلافه[١].

وفي إحدى جلسات المؤتمر الأول للإسلام في السودان علق الصادق المهدي أثناء حديثه عن المصالحة الوطنية بقوله: " في تلك الظروف طرح النظام مبادأة المصالحة الوطنية فأزالت المصالحة التوتر والصراع الدموي وخلقت مناخاً من التسامح والحرية النسبية ووضعت برنامجاً للإصلاح القومي الجزري، ولكن فاتها تطبيق ذلك البرنامج رغم ما أتاحت من مجال

(١) انظر الجامعة، الخرطوم، العدد: ٢٤، أغسطس.

تمدد فيه الوعي الإسلامي شعبياً في القطاع الحديث والتقليدي وصار للحركة الإسلامية في السودان بكل روافدها حيوية وزخم عريض[١].

أما فيما يتعلق برأي الحركة الإسلامية داخل السودان حول إجراءات المصالحة الوطنية فقد قام السيد/ :فتح الرحمن البشير بعد لقاء بورتسودان بين الرئيس نميري والصادق المهدي بمقابلة الدكتور حسن عبد الله الترابي المعتقل بسجن كوبر طارحاً عليه ورقة المصالحة الوطنية ومطلعاً إياه على ما تمّ بين الصادق والنميري.. وقد وجد فتح الرحمن البشير استعداداً كاملاً من الترابي للدخول في مشروع المصالحة الوطنية إذا ما شفع الرئيس نواياه بإصدار قانون عفو عام عن المعتقلين السياسيين... وفي ١٩/ يوليو/ ١٩٧٧م أعلن النميري من خلال برنامج المكاشفة الشهرية أنه قد قابل الصادق المهدي وأنه قد كوّن ثلاث لجان لتنظر في أمر المعتقلين السياسيين ثم تلا ذلك صدور قانون العفو العام في أغسطس/ ١٩٧٧م وتمّ إطلاق جميع المعتقلين السياسيين باستثناء الشيوعيين.

تعامل الاتجاه الإسلامي مع المصالحة الوطنية

كانت أحداث المصالحة الوطنية بالنسبة لعضوية الاتجاه الإسلامي في جامعة الخرطوم منذ وهلتها الأولى تعتبر حدثاً غريباً لم تستطع نفوس الكثيرين من الإخوان التكيّف معه أو تألفه.. إذ كيف تتصالح الحركة الإسلامية مع نظام شمولي حاربته قرابة العقد من الزمان، قدمت خيرة أبنائها من الشهداء والسجناء والمشردين والمفصولين أكاديمياً من الجامعات في سبيل مجاهدته.. قادت المظاهرات وأشعلت النيران ووصل الحال بها للنزاع المسلح ضد النظام في حركة ٢/ يوليو/ ١٩٧٧م. ولم يكن سهلاً على الكثيرين استيعاب أمر المصالحة الوطنية في بادىء الأمر.

فالمصالحة كما رفضها بصفة شخصية عثمان خالد مضوي السكرتير العام للجبهة الوطنية ولم تقبلها في بادىء الأمر مجموعة الإخوان المسلمين المعسكرين في معسكرات التدريب بليبيا كذلك لم يألفها الكثيرون من أعضاء الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم الذين تطبعوا على أدب المعارضة السياسية الطويلة.. أيضاً كان الكثيرون يذكرون شهداءهم الذين استشهدوا في قتال ضارٍ ضد نظام نميري مثل: الشهيد/ محمد صالح عمر الذي يمثل قدوة جهادية لمعظم شباب الإخوان... وكذلك زملاء الدراسة الجامعية الذين كانوا حتى الأمس

(١) انظر الجامعة، الخرطوم، العدد: ٢٢، فبراير ١٩٨٣م.

ملء السمع والبصر في الجامعة والذين استشهدوا في أحداث حركة ٢/ يوليو/ ١٩٧٦م[1]. والذين لم يستطع النميري أن يخفي إعجابه ببسالتهم وذلك عندما صرح للإعلام عن سيطرتهم على دار الهاتف بعد فشل حركة ٢/يوليو ١٩٧٦ بقوله: (لقد وجدنا صموداً أسطورياً في دار الهاتف والمطار فالمليشيات التي كانت تقاتل هناك لم تستسلم أبداً وإنما قاومت حتى النهاية وللأسف فقد كانوا من طلاب جامعة الخرطوم!! .. لذلك لم يكن من السهل على أبناء الحركة الإسلامية أن ينسوا تلك الدماء الطاهرة والنفوس الذكية التي استشهدت في سبيل الفكرة والمبدأ.. فجاء وقع المصالحة الوطنية في نفوس هؤلاء وقعاً غير محبب وفيه ابتلاء شديد.

في الجانب الآخر كان على قيادة الحركة الإسلامية في الجامعة وخارجها أن تدير حواراً فكرياً وفقهياً عميقاً لإقناع العضوية بمبدأ المصالحة. ثم المشاركة إن دعا الأمر..

وقد كان فقه الحركة في قبول المصالحة اهتداء بالنص الكريم ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] كما استرشدت قياساً بصلح الحديبية. يقول د. حسن الترابي[2] معضداً فقه وفكر المصالحة"... قديماً شارك يوسف عليه السلام في إدارة الشؤون العامة لتحقيق مصلحة في رعاية تموين العباد لا تحقق في السجن بينما كان قد آثر السجن على الفتنة المحتومة... فاللبيب من عرف متى تكون مشاركته فتنة عليه بغير جدوى لحركة تغيير المجتمع نحو الإسلام فيعتزل وكيف تكون إصلاحاً للمجتمع وتثبيتاً لنفسه فيقبل.

وحول نية النظام في استدراج الحركة الإسلامية إلى المصالحة والمشاركة بغرض الكيد لها والغدر بها وامتصاص شعبيتها أو إذابتها داخل كيانه كان رد الترابي هو " لم يكن خافياً على الجماعة مكر النظام الذي يريد أن يتقوى بالحركة ويعزلها من الشعب ثم ينقلب عليها ويضربها متى بدا له منها خطر، لكنها لم تجعل من هذا التخوف رهبة تجمدها في انتظار المصيبة الماثلة، بل توكلت على الله آخذة حذرها عاملة على مكانتها مغتنمة كل يوم يؤخر الله بلاءها لتكسب لآجلة تمكينها... أما أن تُحتوى الحركة وتذوب طبيعتها وتبتلع في مؤسسات النظام فقد كان وارداً لدى البعض من حيث أن الجماعة اضطرت إلى كتم اسمها

(١) الشهيد عبد الله ميرغني طبيب بيطري تخرج في جامعة الخرطوم عام ١٩٧٤م، عبد الإله خوجلي درس بجامعة الخرطوم ثم تركها لدراسة الطب بالقاهرة - حسن عوض الله، كلية العلوم - حسن سليمان، كلية الهندسة وكان إماماً لمسجد البركس - عبد الفضيل إبراهيم، كلية الآداب وكان عضواً باتحاد طلاب جامعة الخرطوم - ختم عبد الكريم، كلية التربية - إدريس همت، تربية - محمد أحمد يوسف - عبد الرحمن إمليس وجميعهم لهم علاقة بجامعة الخرطوم واستشهدوا في حركة ٢/ يوليو/ ١٩٧٦م.

(٢) حسن الترابي، المصدر السابق، ص: (١٩٨).

وكبت كيانها وإلى العمل من خلال التنظيم السياسي الذي أسسه النظام - الاتحاد الاشتراكي - وضمن له بالقانون احتكار الساحة السياسية لكن الجماعة كانت واثقة أنها أركز من أن تطمس معالمها في إطار النظام الرسمي وأقوى من أن يطوح بها تياره وأكبر وأنصح من أن يحيط بها مكر. وقد صدّقت التجربة ثقة الحركة بشأنها فما ازدادت إلا تميزاً ولا انقلبت إلا بخير كثير[1]".

كانت تلك النقلة الكبيرة من المعارضة والمواجهة إلى المصالحة كان من الممكن أن تحدث انشقاقاً كبيراً في صفوف الاتجاه الإسلامي ولكن ارتباط القيادة ممثلة في الشيخ حسن الترابي الأمين العام للحركة الإسلامية والكثيرين من أعضاء المكتب التنفيذي بالوسط الطلابي باستمرار وانتظام كان له الأثر الإيجابي في حفظ وحدة الحركة... علاوة على فقهاء الطلاب الذين أفرزتهم السجون مثل - محمد عثمان محجوب، أمين حسن عمر، سليمان صديق، الزبير أحمد الحسن، عبد الرحيم المهدي الجيلي، يوسف فضل الله وغيرهم كثير كان عاصماً للتنظيم من الانشقاق بعد رعاية الله ولطفه.

أيضاً هنالك عوامل أخرى نجملها في:

١ - التحدي الكبير الذي واجه الحركة الإسلامية في الجامعة والمتمثل في توسيع الصف الإسلامي كضرورة استراتيجية والمحافظة على قيادة الطلاب سياسياً وإحداث برنامج الأسلمة في الجامعة.

٢ - روح التجرد الإسلامي والبعد عن الهوى والمصالح الشخصية كان رافداً لقوة ووحدة التنظيم، كذلك التخوف من التسبب في قيادة فتنة الانشقاق التي تقود إلى ضعف الصف الإسلامي.

لذلك استطاعت الحركة أن تحفظ وحدتها وتنتقل بها كوحدة مترابطة من مرحلة المعارضة إلى مرحلة المصالحة والمشاركة ولم يحدث سوى مظاهرة احتجاجية أخذت بعداً احتجاجياً منظماً لتنتقل بعض آرائها للقيادة وأصدرت صحيفة في النشاط أسمتها "الجهاد". كان من أبرز قادة تلك المظاهرة الاحتجاجية، قيصر موسى الزين - إبراهيم محمد زين - وبعض الطلاب الآخرين ويذكر الأستاذ قيصر وإبراهيم محمد زين أنها لم تكن انشقاقاً ولا تنظيماً وإنما كانت مظاهرة احتجاجية انتهت بعد أداء مهمتها.

لم يكن الاحتجاج وعدم الرضا عن المصالحة الوطنية محصوراً في طلاب جامعة

(١) حسن الترابي، المصدر السابق، ص: (١٩٧).

الخرطوم أو الأخ/ عثمان خالد بل حتى الإخوان في المعسكرات الليبية قد ابدو عدم رضاهم وتحفظهم على هذه المصالحة مع نظام نميري عدو الأمس. وهنا يجدر بنا أن نورد الرسالة التي بعث بها اعضاء الحركة الإسلامية من معسكرات التدريب العسكري في الصحراء الليبية والتي تحتوي على اعتراض وعدم رضى عن الانخراط في فخ المصالحة الوطنية كما عبروا عن ذلك في مذكرتهم للقيادة التي جاء فيها:

آراء المحاربين حول المصالحة الوطنية

المقدمة:

" هذه هي آراء جنود الحركة الإسلامية الذين ينتظرون بعد أن ودعوا إخوتهم إلى جنات الخلد بإذن الله.. جلس نفرٌ منهم وبعيداً عن أجواء الانفعال قلّبوا الحديث ونظروا في أمر المصالحة مع نميري من كل وجه.. وهم إذ يدفعون بآرائهم في المصالحة التي أصبحت على كل لسان يعتبون على الإخوان المسؤولين من إهمال مشورتهم ابتداء وإهمالهم حتى هذه اللحظة وهم إذ يقدمون ملخص ندوتهم يسألون الله أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحب ويرضى.

في بداية الأمر قُدّم خطاب نميري لتناقش فقرة المصالحة فيه عن طريق الجبهة ولكن كل الخطوات التي تمت لم يكن فيها تنسيق مع الجبهة وتضاربت الأخبار الرسمية في هذا الأمر إذ جاء في الأخبار: " أن المصالحة ماضية مع الإخوان فقط"، ونعتقد أن المصالحة مع نظام نميري فيها خطورة للأسباب الآتية:

كثرة القوى الحانقة على نظام نميري على المستوى الشعبي إذ إن آلافاً من الأسر السودانية تبكي قتلاها على يد نظام نميري كما أن ضنك العيش أساس الغضب الشعبي. أما على المستوى العسكري فالعداوات لنظام نميري تترى من كل الاتجاهات نذكر منها أصحاب الثأرات والطامحين وهم..

(أ) أبناء الغرب أقوى التنظيمات العسكرية (الجبهة القومية).

(ب) أبناء غرب السودان (جبال النوبة).

(ج) الجبهة الوطنية.

(د) الشيوعيون إذ يعتقدون أنهم أكبر أحزاب القارة السوداء والتي ارتفعت رايات الشيوعية فيها في كل اتجاه حتى أن لهم وجوداً شرساً في دولة مجاورة.. وقوى كبرى أسكرتها انتصاراتها.. فبعثت بالكوبيين إلى الحبشة.

(هـ) القوميون العرب الذين يمتازون بوجود داخل الحكومة يطمح في حسم الصراع لصالحه.

(و) الأمريكان والكنيسة الذين يوالون النميري ظاهراً ويعملون على تدريب الجنوبيين وإمدادهم عن طريق كينيا وقد بلغ تدريبهم مستوى القوات المدرعة.

(ز) الجنوبيون الذين يتدربون بالجيش.

(ح) الجنود الذين لهم طموح شخصي وسيركبون موجة الغضب الشعبي.

يمكن أن نقول إن النظام في عداء مع كل أهل السودان على المستوى الشعبي وعلى المستوى العسكري مما يؤكد حتماً سقوطه وإن بقي فسيبقى على أنفاس الناس.

كما أن المصالحة تفوّت علينا فرصة الإعداد التي أصبحت أخيراً ميسرة ومؤاتية.. مما يجعل الناس يصالحون من موقف القلة المستضعفة.

كما أن كل السودانيين يكرهون نظام نميري وإن في ربطْ الإسلام بنميري فيه فتنه للناس. كذلك نلاحظ أن اقتصاد نميري منهار ولن يصلح إلا بتضحيات من الناس الذين يعتقدون أنهم ضحايا سياسة نميري... كذلك إن التغيير الذي ننشده هو مطاردة الفساد في كل صوره.. ووزراء نميري يشكلون أكبر صور للفساد ولا بد أن يكون التغيير شاملاً ونميري لن يرضى بذلك.. ولو تمّ تغيير مبتور باسم الاتجاه الإسلامي فإن ذلك سيكون بمثابة خذلانٍ للفكرة.

كما أن نميري متهم في كل كلام قاله عبر تاريخه.. وخطابه الحالي فيه حديث عن الطفرة الإنمائية وعن العدالة في المحاكمات العسكرية، ولا شك أن الأكاذيب التي أذاعها نميري من وحي قلم من يسعون بالصلح بيننا.. ونميري يعادي الإسلام ودعاته قصداً وطبعاً.. برز طبعه المعادي للإسلام حين تحدث في مؤتمر موريشص وقال: إن رجال الجبهة يريدون الإسلام وكان يستعدي الناس على إسلام الجبهة فما بالك بإسلام الإخوان الذي يقف العالم كله ضده؟. ولن يفوت علي النميري أن يلعب ذات الدور الذي لعبه من كان قبله.. ويضرب الحركة الإسلامية كما ضرب الشيوعية.. ونميري ضحل وكذاب وغير جاد في كل أمره وبصفة خاصة في تطبيق الإسلام الذي يجهله. ويتبين ذلك عندما سأله صحفي من مجلة "الصياد" عن الموجة الدينية في حكومته وسأله هل هي لسحب البساط من تحت رجال المعارضة فقال: " نعم" !.

يبدو أن النميري على أحسن الفروض لا يعي ما يقول أو لا يعني ما يقول.. والرشد والحكمة أمران هامان في الحاكم المسلم. كما أن نميري مغامر لم يعرف عنه الوفاء لواحد ممن تعاونوا معه .. لا هم له سوى البقاء في السلطة والهالة والأبهة ويمكن أن يسير تحت أية راية وفي أي زقة وقد فاوض فرنسا قبل شهور حول استقلال إقليم عفار ويمكن أن ينفذ أقبح مخططاتها..

ونميري جاهل وما ذكر الحكم في القرآن إلا ذكر معه العلم والرشد فكيف الانخراط في مسيرةٍ هذا قائدها. . . كما أن المملكة عميلة وغير محايدة ولن تنفذ إلا ما يحفظ نظام نميري المتداعي.

والنميري في خطابه يعتبرنا قلة ونحن لا نجرده من كبر الإمارة ولكن لن نأمنه على دعوة يتهم أبناءها أنهم قلة في الجامعة وليسوا في موضع الخطورة كما مضى، ويقول عنهم إنهم يتاجرون بالدين كما قال في مجلة الصياد في ذات المقابلة. . فكيف بقلة تتاجر بالدين تهاوت كل حصونها أن تصالح نميري الذي لا أمان له. . وقوانين الشريعة هل ستعود عبر مجلس الشعب الذي رفضها. . وستعدل على أسس ديموقراطية لتحكم من بعد ذلك؟!!

وتفاؤلاً نقول إن المصالحة إن كان لا بد منها أن يكون المُصالِح يملك القوة التي تسند الحق الذي صالح عليه. . كما أن أسلوب نميري في الخطاب لم يكن أسلوب مصالحة. . ولكم أن تنظروا الخطاب مرة أخرى. .

والإخوان عندما عادوا النظام لم يعادوا نميري لشخصه أو لمن حوله فالخلاف إذن خلاف منهج يخالف منهجنا الذي هو البعث والثورة على كل المؤسسات. . أما الترقيع فلا يعدو أن يكون عملية جراحية موضعية. . ولعل في عدم استفتاء الإخوان والمضى في هذا الطريق إشارة إلى أن بعض المسؤولين يسيرون في طريق بغير رفقة. . أما المملكة فإنها ظالمة وهي هدف من أهدافنا يوماً ما. . ويرى البعض أن الفرار إلى فئة تلتزم بمنهج الإخوان أمر لا بد منه إن تمت المصالحة. . لأن من حول نميري من السدنة لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه. . فكيف يحكمون الشريعة.

أما سادة المملكة والنميري "الأمريكان" فإنهم يعلمون علم اليقين بحمل الحركة الإسلامية للسلاح وبهيمنة الحركة الإسلامية على دور العلم والخدمة المدنية مما يعقد لواء المستقبل لها لذا لا بد من تلويثها وسحب البساط من تحت أرجلها برفع شعاراتها تحصناً بها وشلاً لإرادتها الغلابة بإذن الله. . والنميري في لقاء "الصياد" وصف نفسه بأنه داعية الإسلام الحقيقي ووصف الإخوان بأنهم تجار دين فكيف يُحَالف رجل مثل هذا عرف تاريخه كله الغدر والخيانة وقد جرب في شعارات كثيرة طرحها مع أصحابها واليوم يرفع الشعار لإرضاء المملكة التي لا تسمح بوجود ولا نشاط للإخوان في أرضها إلا عندما يتفق ذلك مع سياساتها وعندما تدور الدائرة تحرم عليهم الحج والعمرة. . عجباً. . . وبهذه المناسبة نحب أن نؤكد رفضنا لإدخال المملكة رجلها في أمور تخص الإخوان الأمر الذي يجعلنا ننظر لها بعين الريبة.

بقيت كلمات أخيرة أن نميري عندما عزم على مفاوضة الجنوبيين كفل لهم من الاحترام

أكثر مما كفل للمعارضة واليوم يجمع أبناء الجنوب السلاح لأنهم يعتقدون أن نميري قد تنكر لاتفاقية أديس أبابا.

كما أننا نعتب على الإخوة الذين فاوضوا سعيهم لأناس ليسوا أمناء على أسرار التفاوض وهم يعلمون أن هباني من الأسرة ذات الولاء لحزب الأمة فكيف لا يتسرب الحديث إلى أطراف الجبهة ونسجل بذلك خيانة نجاهر بها. . ثم أين قرار التنظيم في العمل تحت لواء الجبهة. . وأين مبدأ الشورى. . وما رأي أمير الجماعة؟ ثم إن الدخول في مصالحة مع نظام نميري أمر قد لا يتم فكان الأحرى أن يحاط بسرية كاملة لأن على ذلك ستكون آثار مترتبة أولها ضياع ماء وجهنا أمام الجبهة وعدم ثقة الحكومة الليبية والتي تستفيد من إمكاناتها.

في الختام نحب أن ندعو الأخوة المسؤولين لزيارة معسكرات التدريب بليبيا رغم كثرة مشغوليتهم حتى يروا وليس من رأى كمن سمع وهنالك سيسمعون من إخوانهم شفاهة الأمر الذي يجعل آرائهم واضحة لا يذهبها عن معناها جنوح الجبابرة وعدم الدقة في النقل. وهذا ملخص لما دار بين الإخوة المرابطين وللبعض آراء لم تكتب لأسباب عملية منها استقبالهم ميادين الإعداد والتدريب ويقينهم أن الجهاد ماضي إلى يوم القيامة لا يبطله عدل عادل ولا ظلم ظالم والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير. "

والكاتب يلاحظ من خلال الرسالة أعلاه أنها قد كُتبت مباشرة بعد لقاء المكاشفة الشهرية التي أعلن فيه الرئيس نميري مؤشرات حول المصالحة الوطنية. أي قبل أن تعلن المصالحة بصورة رسمية . . وهذا يلاحظ من حديث الرسالة على أن الإخوة في معسكرات التدريب قد تنامى إلي أسماعهم خبرٌ عن مصالحة بين النميري والحركة الإسلامية وليس الجبهة الوطنية مما اعتبره الإخوان بالمعسكرات نوع من عدم الاحترام لمبادىء واتفاقات الجبهة الوطنية بل نوع من الخيانة للعمل العسكري المشترك . . ويؤكد ذلك الإشارة إلى اسم هباني الذي تربطه علاقات أُسرية بحزب الأمة والذي على علم ببعض محتويات هذه المصالحة مما يعرض أسرارها أن تتسرب لحزب الأمة! ولعل الرسالة تعني بهباني هذا الناظر عمر إدريس هباني الذي كان من أقطاب المعارضة لنظام نميري خارج السودان وكذلك العديد من أفراد أسرته وقبيلته منهم شقيقه تبيرة إدريس هباني. . وأحمد موسى سعد " بلاع" وإدريس شكيري وبلال عوض الله الذين كانت لهم أدوار متفاوته في حركة ٢/يوليو ١٩٧٦. كما يتضح من سياق الرسالة أن الإخوة المعسكرين في الصحراء الليبية بعد فشل حركة ٢ يوليو لم يكونوا على اتصال ومواكبة بمجريات الأحداث بين النميري والسيد الصادق المهدي ولا يعلمون أن المصالحة يقودها رئيس الجبهة الوطنية شخصياً السيد/ الصادق المهدي وأن الحركة الإسلامية قد قبلتها كأمر واقع حدد مستقبل استراتيجيتها في العمل السياسي. كذلك

تشير الرسالة وبقوة إلى عدم رضاء الاخوان المعسكرين في الصحراء الليبية وعدم اقتناعهم بجدوى المصالحة مع نظام نميري الذي وصفوه بما وصفوه به في رسالتهم.. كذلك تعيب الرسالة على القيادات انقطاعهم عن المعسكر وتفقد أحوال الإخوان وأخذ رأيهم ومشاورتهم في مثل هذه الأمور الخطيرة.

لم تكن هذه الرسالة هي الوحيدة التي تعبر عن رأي الإخوان في المعسكرات الليبية أو تحفظهم حول المصالحة مع نظام نميري وإنما كانت هنالك العديد من الرسائل والآراء التي كانت تبعث للقيادة سواء أن كانت داخل السودان أو الإخوان في قيادة الجبهة الوطنية بالخارج.

الرسالة التالية تعبر عن تداول الآراء بين الإخوان وقياداتهم ومستوى الشورى الذين يعيشون فيه بكل صفاء وشفافية. فالأخ/ ع.م.يوسف يبعث برسالته من طرابلس بتاريخ٢٦/ ٢/ ١٩٧٧ أي بعد أحداث حركة ٢/يوليو ١٩٧٦ وقبل لقاء الصادق المهدي بالنميري في بورتسودان .. أي قبل إعلان المصالحة الوطنية بفترة. ونحن ههنا نوردها كما هي من دون حذف أو إضافة ثم نعلق عليها بعد إيرادها:

٢٦/ ٢/ ١٩٧٧م

تقرير من الأخ/ ع. م. يوسف.

هذه ملاحظات أردت أن أكتبها للمكتب وأظن أنها تعبر عن رأي الكثيرين من الإخوان في طرابلس.

١ - يرى الإخوان أنه كان من واجب المسؤولين في المكتب زيارة المعسكرات وأماكن التدريب وأن يتدربوا هم أنفسهم حتى يضربوا القدوة لإخوانهم وحتى يكونوا على علم تام بما يجري ويحسبوا حساباتهم الخاصة دون أي تأثير خارجي من أحد.

٢ - يقف الإخوان في حيرة شديدة من غموض موقف التنظيم من التدريب ويحملون المكتب المسؤولية في شرح هذا الأمر للإخوان خاصة وأن هناك تياراً يقف موقفاً سلبياً في التعامل مع الجبهة .. وكل من لا يلتزم قرار التنظيم يجب ألا يعتبر أخاً بأي حال من الأحوال فهناك مجموعة في مصر عندها موقف وكثير من الإخوان في السعودية لهم موقف فما السبب ما دام الأمر مقر من مجلس الشورى. فأرى أن يذهب لهم المكتب ويقنعهم.

٣ - الإسراع في هذا الأمر من الأشياء الضرورية جداً لأن هذه الفرصة نادرة جداً وهي قابلة للضياع لأن هناك تياراً ليبياً داخل الحكومة يرى أن لا داعي لتعريض ليبيا لمحاربة العالم ومواجهة أمريكا وهذا التيار في ازدياد دائم وكما أعلم أن الشعب الليبي ملول بطبعه ففكرة التغيير عنده سهلة والتنفيذ ربما يتم ما بين يوم وليلة ولا عجب أن يغيروا كل هذا النظام المنيع وهو تغذية الحركات المعادية لحكوماتها تحت شعار مناصرة قضايا الشعوب.

٤ - أظن أن المكتب يعارض مكث الإخوان في الخلاء بمجموعات كبيرة ولكن أرى أنه لا بد منه وذلك لتدريب إخوانهم بأنفسهم لأن الأنصار مع عدم مقدرتهم في سرعة التفهيم للغير أيضاً غير مستعدين لتدريب الإخوان لأنهم يعرفون خطر الإخوان ويعرفون أن مجموعات من الإخوان تأتي للتدريب في زمن وجيز ويذهبون وهذا لا يريحهم أولاً: من ناحية التخوف لأن الإخوان صاروا خارج ليبيا ويمكن أن يتصرفوا أي تصرف. ثانياً: يرون أنهم أحق بالسلاح من الإخوان لأنهم مرابطون معه لمدة سنين فكيف بإنسان يأتي لمدة شهر يتعلم ما تعلموه هم في سنين.

٥ - يحضر الإخوان للتدريب بشكل مجموعات قليلة أو فرادى في أوقات متباعدة فإنه من العسير تحديد وقت معين للكورس وهو يدخل الإخوة المسؤولين في طرابلس في حرج شديد أمام الحكومة الليبية ويظهر عدم جدية الإخوان في هذا الأمر (مع العلم بأن كورس

الصاعقة يبدأ بخمسة وعشرين على الأقل) وإذا قارنا بالأنصار فإنهم على أهبة الاستعداد في كل وقت لأنهم متجمعون ويسهل جداً أخذهم من مكان لمكان لتدريب جديد.

٦ - المعسكرات الأخرى في الجبهة الوطنية لا ترى ثقل الإخوان في الأعداد المتدربة وأيضاً عدم ثقلهم في الداخل خاصة بعد فقدان الإخوان للجامعة والنقابات ولذلك أخشى أن يعزلوا في الجبهة ولا شك أن ثقل الجبهة قد تحول إلى الحبشة عددياً لأن كل الأنصار في ليبيا لا يتجاوزون أربعمائة وهم ألوف في الحبشة والسلاح قد نقل للحبشة ولا أحد من الإخوان هناك، ولذلك أرى أن يذهب بعض الإخوان للحبشة وأن يتم تدريب بعض الإخوان في الحبشة ولا شك أن طريق الحبشة سهل وقريب.

٧ - تنوي الجبهة عمل عمليات خاصة وقد تكون قريباً وأرى إن حدث هذا إن لم تصب التنظيم منها كارثة فليس بعيداً أن تصيبه شظايا من آثار تلك العمليات فأرى التنبيه حتى لا تتم بغير علمهم واستعداداهم لها وذلك بأن يكون للإخوان في المعسكرات وجود حتى يعلموا أي تحرك للأنصار.

٨ - يرى بعض الإخوان أن تدريب الإخوان يمكن أن يكون داخل البلاد بل داخل الخرطوم نفسها ويمكن أن يُلغى ضرب النار من التدريب أو يكون في الخلاء بعيداً .. هذا بعد أن يجيد الأخ التفكيك والتركيب والتصويب والتسديد وأوضاع الرمي.

٩ - المعاملة الليبية معاملة طيبة للغاية ولكنهم في نفس الوقت يريدون أن تكون كل مجموعة يساعدونها جادة ولا يحبون الخلاف ولذلك أرى أن يحافظ الإخوان بقدر المستطاع على عدم إظهار الخلاف الموجود في الجبهة للحكومة الليبية .. مع العلم بأن أحداثاً بعينها أظهرته أمام الضباط الليبيين وذلك لأن الإخوان جاؤوا هذه المرة بفكرة أنهم ثلث الجبهة وهم يحاسبون على كل صغيرة وكبيرة ويقفون مواقفَ من ذلك.

١٠ - ومن أخطاء المسؤولين في طرابلس التي أرى أن تصلح وتعالج، هي:

أولاً: يفهم الإخوان بل بكل تأكيد أنهم جزء جانبي في الجبهة وليسو هم الذين يحددون المواعيد أو يتخذون القرار الفصل في التدريب.

أ - عدد الإخوان في الدبابات زاد أربعة فقط عن العدد المقرر فقام الحلفاء لذلك وقعدوا - مع العلم بأن عددهم زاد أكثر من الضعف وهو ٨٧ بدلاً من ٤٠ وتذمّر الإخوان كثيراً واتصلوا بعثمان.

ب - كان المفروض إعطاء كورس قيادة في مدرسة الصاعقة وتدريب الإخوان على القيادة ولم يحدث هذا.

ج - لا يعرف الإخوان ماذا يفعلون الآن هل يمكثوا في المنازل أو يذهبوا للخلاء، وماذا في الخلاء المهم لا يوجد تصور صحيح لما يحدث.

د - ذهب الإخوان بعد انتهاء كورس الصاعقة للخلاء ومكثوا ١٨ يوماً في انتظار التدريب ولم يحدث أي تدريب وقد كتبوا في الصحراء لعثمان ويرون أن المسؤولين تجاهلوهم.

هـ - يرى كثير من الإخوان أن علاقة المسؤولين في طرابلس بقادة الجبهة صارت شخصية ووثيقة مما يصعب على المسؤولين الحزم والمواجهة.

و - معظم الإخوان إقامتهم انتهت أو أوشكت أن تنتهي مما يفرض عليهم عدم التحرك لأي جهة من جهات ليبيا ويفرض عليهم مغادرة ليبيا قانونياً ولا يسمح لهم بسكن الفنادق ولم يقم المسؤولون بعمل إقامة لهم في الجوازات حتى يخففوا على المنزل في السكن.

ز - أنهى الشريف كورس الدبابات في أسبوع بدلاً من أسبوعين وذلك ليتقرب للأنصار بعد مشكلة أمراء الدبابات التي كان الإخوان هم أكثريتها وقال إنه غير معروف من الذي سيحضر العملية.

ح - فصل الإخوان عن الأنصار هذه المرة أيضاً بحجة التدريب.

ط - والذي أحب أن يعرفه الإخوان أن الشريف والصادق المهدي يحاولون تقليل دور الإخوان وأن يقللوه .. وهذه العراقيل التي توضع والخداع كله يهدف لخلق مشاكل للإخوان حتى يشكوا في عمل الجبهة وينحسر عددهم وحتى لا يسببوا لهم مشكلة بكبر العدد وقوة الحجم والوزن.

وأيضاً أحب أن يعرف الإخوان بأن الشريف والصادق ليسوا جادين في قضية الإسلام ويعرفون أن مودة الإخوان معهم وقتية وزمانها محدود ولذلك يتخوفون كثيراً منهم.

ي - أيضاً يجب أن يعرف المكتب ويطمئن أن كل أخ يأتي إلى ليبيا سوف يسكن ويتدرب ويرجع إن حب التنظيم ذلك ولا يمكن للشريف مجاهرة الإخوان بالعداء لأنه يحافظ على سمعة الجبهة مع الليبيين ويخشى أن يحدث له ما حدث لبابكر كرار وحزبه .. ولا شك أن موقف الشريف ضعيف من ناحية العدد كالتحاديين فلذلك يسعى بطرق خفية لتقليل عدد الإخوان أيضاً.

ك - يعمل الشريف على عدم مغادرة الإخوان لليبيا وهو واضح في رأيه عندما زار معسكر الدبابات وهو أيضاً يعرقل ذلك بختم الباسبورتات وقد قال إن ذلك يخلق مشكلة بين

وزير الداخلية ووزير الدفاع وأرى أن يعمل الإخوة المسؤولين جاهدين لعدم ختم الباسبورات لأن ختم ليبيا يسبب مشكلة في دخول الأخ السودان بواسطة المطار". انتهى التقرير.

يلاحظ أن هذا التقرير قد كُتب قبل المصالحة بفترة كبيرة حيث لم ترد فيه أي إشارة للمصالحة مع نظام النميري.. كذلك تطرق التقرير إلى عدم الرضى عند بعض الإخوان الذين يرون ضرورة أن تكون القيادة قريبة من القاعدة وأن تضرب المثل الأعلى في القدوة الحسنة.. كذلك ركز التقرير على تحفظ بعض الإخوان في مصر والسعودية على فاعلية التدريب وجدواه وربما كانوا لا يثقون في ليبيا كما أشار التقرير إلى عدم ثبات الليبيين على رأي واحد وجنوحهم نحو التغيير. لكن الشيء الذي ركز عليه التقرير بوضوح هو الخلاف الباطن والظاهر بين الإخوان في المعسكرات من جانب وبين الشريف حسين الهندي ومجموعات الأنصار من جانب آخر والغيرة التي تصيب الأنصار بسبب أن الأخوان يتعلمون في شهر واحد ما تعلموه هم في سنين.

مداولات الإخوان في الصحراء الليبية

كانت الدولة الإسلامية تمثّل أشواقاً وعشقاً مقدساً في نفوس أبناء الحركة الإسلامية.. من أجله قاسوا الصعاب وواجهوا كل المحن والإحن.. تركوا قاعات الدراسة في الجامعات وهاجروا إلى الصحارى ليتدربوا على السلاح بعد أن ضاق بهم السودان وامتلأت بهم السجون المايوية.. كان شعارهم النصر أو الشهادة وأن طعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم.. وإن لم يكن من الموت بدّ فليكن ذلك الموت من أجل الفكرة السامية المقدسة ومن أجل إحداث خلافة الله في الأرض.. ومن أجل تأسيس منهج الأنبياء في الحياة.. كانت الخلافة الراشدة نصب أعينهم وكانت كتب السيرة ومغازي الرسول تملأ جوانحهم حباً للجهاد والشهادة والزهد في الدنيا والتقشف في الحياة. فلذلك كانوا وهم في الجامعات والمعاهد إخواناً طلاباً.. ولم يكونوا طلاباً إخواناً.. كانوا جنوداً أينما وجهوا ذهبوا ولسان حالهم يردد قول الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. ولي الأمر لم يكن الطاغوت المايوي وإنما كان أمير الحركة الإسلامية في قمة هرم الحركة الإسلامية ممثلاً في رمزها الشيخ الدكتور حسن الترابي.. وتتنزل الإمارة من أمير إلى أمير حتى أمير الحي وأمير الأسرة في ترابط تنظيمي قلَّ أن تجد له مثيلاً حتى في المؤسسات العسكرية..

الخيار العسكري لم يكن هو الخيار الأمثل والوحيد للحركة الإسلامية لتسيطر على مقاليد الحكم في السودان.. ولكنه لم يغب عن خاطرها.. لأن إعداد القوة أمراً دينياً مأمور

به المسلم كفرد والجماعة كجماعة.. فالقوة أمر ضروري يحتاجه المسلم للدفاع عن نفسه وعن فكره ومعتقده.. والقوة أحياناً تكون ضرورية مسايرة لواقع الحال الذي لا يحترم الضعفاء ولا يحمي لهم حقاً ولا يحفظ لهم نفساً ولا ديناً.. والقوة تكون ضرورة وفريضة عندما تقفل كل نوافذ الحوار وتوصد كل أبواب الحريات وتصادر الكلمة الحرة والأمينة وتضطهد العقيدة وأصحابها وتفتح لهم أبواب السجون وتنصب لهم المقاصل والمشانق عندئذٍ لا تكون القوة ضرورة بل تكون فريضة ولا أعني بالقوة أعدادها فحسب وإنما استعمالها واللجوء إليها كوسيلة لم يتح غيرها.. عندها وعندها فقط يصدق قول شاعر الإسلاميين:

صمت لينطق المدفع   لأنني أيقنت بأن القول لا ينفع
فما دامت رياض الخلد تحت قذائف المدفع   فقف واسمع لرشاشي إذا جلجل أو قعقع
ودر النار كالإعصار في عرصاتهم واردع   وصبحهم على حال ومسهمو على أبشع
وكَبِّر.. وصح فيهم أنني قادم لرفع الراية الأرفع.

هذه هي الأوقات التي يجوز فيها استعمال القوة لبسط الفكرة وشرح المنهج والبرنامج في جو حر ومعافي.. أما إعدادها فهو واجب في كل الظروف وأما استعمالها فهو مشروط بما أسلفنا من ضرورات.

فالحركة الإسلامية عندما جاءت ثورة مايو ١٩٦٩ بقيادة العقيد جعفر نميري كانت شيوعية التوجه مع تحالف مع القوميين وكانت رايتها حمراء وشعاراتها علمانية فلم تجد ماي ومن أبناء الشعب السوداني المسلم المجاهد مرجعاً فكرياً غير الأمين العام للحزب الشيوعي عبد الخالق محجوب.. ولم تجد من عمال السودان الحنفاء الأتقياء من يمثلهم غير الزعيم العمالي الشيوعي الحائز على جائزة لينين، الشفيع أحمد الشيخ... وهكذا أصبح الشيوعيون هم أهل الفكر والرأي والتنفيذ والقيادة والريادة في العهد الأول لثورة مايو في توجه قصد منه عزل السودان عن المنطقة الإسلامية وربطه بدول المعسكر الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي.. وقد كان الحزب الشيوعي السوداني أكبر الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي وإفريقيا..

أراد الشيوعيون وقف التوجه الإسلامي المتنامي الذي عرف به أهل السودان.. وأرادوا كسر الحركة الإسلامية قبل أن تشب عن الطوق.. وأرادوا أيضاً ضرب كل البيوت والمؤسسات والمعاهد والجامعات الدينية في السودان.. فشعارهم هو "لن يظل السودان جزيرة للرجعية وسط مدٍ ثوري هادر".

جاء انقلاب ٢٥/ مايو ١٩٦٩ عندما كان البرلمان السوداني يناقش مسودة الدستور

الإسلامي التي تمت إجازتها في مرحلتي القراءة الأولى والثانية.. فجاء انقلاب مايو ليوقف هذا التوجه الإسلامي للدولة..

وجاءت مايو يمتطي صهوة جوادها الشيوعيون بعد أن خرجت جموع الشعب السوداني في مظاهرات عارمة وقوية وحاصرت البرلمان ونادت بحل الحزب الشيوعي السوداني ولم تنفض عن محاصرة البرلمان إلا بعد أن أصدر البرلمان قراراً بحل الحزب الشيوعي السوداني.. وذلك لأن أحد أعضائه قد تجرأ ونال من شرف بيت الرسول (ص).. وقد كان هذا العضو يومها طالباً بمعهد المعلمين العالي.

لذلك عندما جاءت مايو كان أول سجنائها هم الإسلاميون.. فقد دخل الدكتور الترابي السجن المايوي قبل أن يدخله الصادق المهدي أو الزعيم إسماعيل الأزهري أو باقي قيادات الأحزاب.. ثم توالت اعتقالات قادة الحركة الإسلامية في المجتمع وفي الجامعات والمعاهد العليا وبدأت المطاردات في الجامعات والطرد من الخدمة باسم الصالح العام وبدأ التضييق في الرزق والمعاش من جانب والسعي لمحو التوجه الإسلامي في السودان من جانب آخر.

هنا تقدم خيار القوة على غيره من الخيارات.. فكانت الجزيرة أبا التي تعتبر البادرة الأولى لتنزيل فقه الجهاد من التنظير إلى التفعيل.. ومن العشق والأشواق إلى المعايشة والممارسة والمجاهدة والمصابرة.. كان زهرة شباب الإخوان الشهيد محمد صالح عمر.. ويلاحظ هنا أن الحركة الإسلامية لم تقدم فتيانها من طلاب الثانويات أو الجامعات ليبدأوا مسيرة الجهاد الحي.. بالذخيرة الحية.. وإنما قدمت شيوخها ليبدأوا المسيرة القاصدة نحو الله والجنة.. حتى يعلم الشباب من بعدهم أن الأمر جدّ لا هزل فيه، وأن طريق الدعوة والدولة الإسلامية لم يكن في يوم من الأيام مفروشاً بالورود والرياحين، وإنما بالأشواك والجماجم والأشلاء.. وصدق الدعوة في شعاراتها دليله أن يتقدم هذا الطريق قادتُها وليس عامة عضويتها.. فإذا تقدم القادة كان سير الشباب وبقية الأعضاء في هذا الطريق سهلاً وسلساً..

لذلك عندما جاءت الجزيرة أبا في عام ١٩٧٠ قذفت الحركة الإسلامية بقادتها ومؤسسيها لميدان الجهاد فكان أستاذ القانون بجامعة الخرطوم الشهيد محمد صالح عمر.. وكان شيخ مشايخ الإخوان / محمد محمد صادق الكاروري.. ومن خريجي جامعة الخرطوم كان الشاب المثقف المجاهد مهدي إبراهيم والشاب محمد أحمد الفضل دقشم والمجاهد بابكر العوض وآخرون..

ورغم أن معركة الجزيرة أبا قد حُسمت في ظاهرها الدنيوي لصالح معسكر البغي.. وقد استشهد إمام المجاهدين الإمام الهادي المهدي.. لكنها قد فتحت نوافذ الجهاد

مشرعه.. فكانت سنة بدأها السابقون من قادة الحركة الإسلامية فسار عليها اللاحقون من جحافل الحركة الإسلامية..

بعد معركة الجزيرة بدأت السلطة المايوية أكثر شراسة وعدواناً على أعضاء الحركة الإسلامية فامتلأت السجون بالطلاب وقيادة الحركة في المجتمع بل امتدت الاعتقالات لتشمل حتى طلاب الثانويات.. وتمّ فصل العشرات من طلاب الجامعات والثانويات بسبب نشاطهم السياسي..

عندئذٍ بدأ الإعداد لجولة أخرى ومنازلة أخرى ضد النظام المايوي فكانت ثورة شعبان التي أشرنا إليها في غير هذا الموقع، ثم كانت حركة ٢ يوليو ١٩٧٦م المسلحة التي لم يحالفها النجاح أيضاً.

كانت حركة ٢ يوليو ٧٦ نقطة تحول في تاريخ الحركة الإسلامية فمن جانب النظام المايوي فقد أدرك النميري أن الإخوان المسلمين هم القوة المحركة والعقل المدبر لحركة ٢ يوليو فهم الذين احتلوا دار الهاتف وهم الذين أوكلت لهم مهمة المطار لاغتيال الرئيس نميري الذي كان في مهمة خارج السودان وكان من المفترض أن تهبط طائرته في ذلك الحين حيث كان المجاهدون ينتظرونه على أهبة الاستعداد ولكنه أفلت بأعجوبة.. منذ ذلك الحين فكر النميري جدياً أنه لا بد من مخرج سلمي يسلمه شخصياً من كيد الجبهة الوطنية المعارضة ويضمن له حياة سياسية مستقرة.

أما من جانب الحركة الإسلامية فقد كانت حركة ٢ يوليو تمثل امتداداً لأشواق أبناء الحركة الإسلامية في الجهاد والاستشهاد وهم يرون زملاء الدراسة أمثال الشهيد عبد الفضيل والشهيد ختم والشهيد عبد الإله خوجلي والشهيد عبد الله ميرغني بين شهيد ومعلق حتى الموت داخل مشانق ومقاصل الأمن المايوي.. كان هذا الوضع يمثل حافزاً ودافعاً للكثيرين من طلاب الجامعات للذهاب إلى معسكرات التدريب في الصحارى الليبية واللحاق بإخوانهم الذين انسحبوا بعد فشل حركة ٢ يوليو.

توالت أفواج أعضاء الحركة الإسلامية بعد حركة ٢ يوليو على الصحراء الليبية ليلحقوا بمعسكرات التدريب العسكري استعداداً لجولة قادمة لا محالة ضد النظام المايوي.. وقد ظلت أفواج الإخوان تتقاطر على المعسكرات حتى بعيد المصالحة الوطنية أي طيلة عامي ٧٧-١٩٧٨م ولم يتوقف ذلك السيل إلا بعد أن تمّ إعلان حل الجبهة الوطنية.

وهنا وبعد مرور ربع قرن على هذه الأحداث وبعد أن تحولت الحركة الإسلامية من حركة مستضعفة ومضطهدة ومطاردة بين الصحارى والسجون وأصبحت الآن دولة وأصبح بعض الذين كانوا في الصحارى الليبية في معسكرات التدريب العسكري حيث كانوا في

العشرينات من أعمارهم طلاباً لم يكملوا دراساتهم الجامعية بعد.. قد أصبحوا اليوم في ظل الإنقاذ وزراء وولاة ومحافظين منهم غازي صلاح الدين، الطيب إبراهيم، يحيى حسين، محمد محيي الدين الجميعابي، أحمد العاص، عصام البشير، محمد البشير عبد الهادي، علي كرتي، عمر عبد المعروف، الصافي نور الدين، هاشم علي. الخ.

فبعد مرور ما يزيد عن ربع قرن من الزمان وبعد توفر الوثائق الأولية عن هذه الفترة ونحن ندون تاريخ الحركة الإسلامية سنذكر بعض مداولات ومراسلات الاخوان في الصحارى الليبية كما نذكر "وصايا" بعض الإخوان الذين كان شعارهم إما النصر وإما الشهادة.. هذه الوصايا مكتوبة بخط أيادي أصحابها.. نذكرها ونرجو أن لا تسبب حرجاً لأحد فهي قد مضى عليها أكثر من ربع قرن من الزمان كما أسلفنا وأصحابها كانوا في العشرينات من أعمارهم والآن منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقد تجاوز أو قارب الخمسين من عمره.

قد جال أولئك الشباب وصالوا في الصحاري الليبية.. صادقوا وألفوا معظم أنواع الأسلحة استعداداً ليوم فاصل يعز فيه الإسلام وأهله ويذل فيه الشرك والنفاق وأهله.. اتخذوا أسماءً حركية بقصد التمويه وتحصلوا على جوازات لا تحمل اسماءهم الحقيقية حتى لا يتم رصدهم من قبل الأمن المايوي الذي كان إليهم بالمرصاد..كان الطالب محمد محيي الدين الجميعابي يحمل اسماً حركياً هو بشير محمد الحسن .. وكان يحيى حسين يحمل اسم حسن فقير حسين.. وكان عصام أحمد البشير يحمل اسم أمين مبارك إبراهيم.. وكان غازي صلاح الدين يحمل اسم سعيد محمد علي.. وكان الصافي نور الدين يحمل اسم الشيخ عبد الله الشيخ. وكان عمر عبد المعروف يحمل اسم محمد حسين خالد.. وكان الشهيد محمد عبد الرحمن مختار عجول يحمل اسم عثمان عبد الرحيم.. وكان عبد الرحيم العقلي يحمل اسم بشار محمد أحمد عركي. وكان الشهيد فضل السيد عبد القادر أبو قصيصة يحمل اسم ميرغني عبد القادر الطويل.. وكان الطيب إبراهيم محمد خير يحمل جوازاً باسم/ عبد الرحيم إبراهيم علي.. بينما حمل أحمد العاص اسم معاذ محمد أحمد. وحمل الشهيد الدكتور محمود شريف اسم عبد الرحمن محمد معروف .. بينما حمل محمد البشير عبد الهادي اسم عبد الرحمن أحمد عمر .. كانت جميعها أسماء حركية مكتوبة بخط يد المذكورين أعلاه مع إعطاء تفاصيل عن أسرة كل واحد منهم ومراحل دراسته وتاريخ إلتحاقه بالحركة الإسلامية وهل يرغب في العودة بعد نهاية التدريب العسكري إلى السودان أم يود البقاء بليبيا. وهنا أذكر نموذجاً كتبه الأخ الحبيب الشيخ المرحوم/ محمد الحسن علي عبد الرحمن - ومن شيوخنا في المنطقة - وتربطني به أواصر الإخاء والمودة ونشهد أنه قد كان

من الأتقياء الأوفياء وقد انتظم أخيراً في صفوف جماعة البلاغ والدعوة إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى ... وكان يمثل الساعد الأيمن لشيخ الدعاة بالنيل الأبيض الشيخ العارف الحافظ الأمين عثمان علي الذي كان مثالاً للزهد والتقشف والموالاة لكتاب الله حفظاً وعملاً .. رحم الله شيخ الأمين عثمان.

كتب محمد الحسن الآتي:

الاسم: محمد الحسن علي عبد الرحمن.

الاسم الحركي: الريح أحمد الريح.

تاريخ وصول المعسكر: ١٩٧٧/٦/٢٣.

المدة التي قضاها بالمعسكر: ٥٣ يوماً.

الأسلحة التي تدرب عليها: كلاشن - بنك - F.N - - غدارة - Sterl - مسدس - أغراض - R.B.G . براونج - متفجرات - رمانات يدوية.

درجة التحمل والاستعداد للعمل العسكري:

- المحافظة على المواعيد : جيد.
- اللياقة البدنية : جيد.
- الانضباط : جيد.

هذا المثال يكاد يكون شبه عام بين الإخوان الذين يمموا شطر المعسكرات الليبية استعداداً لمنازلة سلطة مايو. كذلك كتب بعض الإخوة وصايهم تحسباً أن يستشهدوا أثناء تأدية واجبهم.

وهنا نورد وصية الأخ عصام البشير التي كتبها بخط يده والتي أرفق معها نبذة كاملة أشار فيها إلى أنه من مواليد ١٩٥٦/١١/٢٧ وعنوان أسرته بتندلتى هو (تندلتى - ص ب - ٤٣ - ت:٦٤) ثم ذكر أنه قد درس الابتدائي والثانوي العام بتندلتى - الثانوي العالي بالحصاحيصا الصناعية ثم انتقل إلى مدني الصناعية الثانوية العليا ثم أكمل دراسته الثانوية العليا بمدرسة الكاملين، ثم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية في عام ١٩٧٦ كلية أصول الدين، ثم قدم خلفية عن تاريخ التحاقه بالحركة الإسلامية والمهام التي أوكلت له وكذلك تفصيلاً عن أفراد أسرته وأفاد أنه من أسرة ميسورة الحال حيث يعمل والده بالتجارة.

الوالد الحبيب أحمد البشير

السلام عليكم ورحمة الله

أرجو الله أن تتلقاك كلماتي وأنت كما عهدتك.. مطمئن القلب.. واثق الإيمان.. ثابت الجأش.. صابر النفس.. محتسب الأجر لله.. وداعياً لي بحسن القبول.. والدي العزيز.. نحمد الله الذي جعل لنا الآخرة عوضاً عن الدنيا. فإنه من لاح له كمال الآخرة ونعيمها هان عليه فراق الدنيا.. وقد نعانا الله قبل أن نخلق بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقد وقّت الله لكل أجل ميقات لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها.. ولكن أيها الوالد الحبيب ليس كل من مات فهو في طاعة ربه وما أحسن من قال:

وطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

ما أعظم أن يموت المرء مستشهداً في سبيل الله وهو يسمع قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧]. ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩]. وفي الحديث أنهم على حواصل طير خضر.. بعد هذا كله يهون في قلبي حطام الدنيا.. فارتضيت هذا الطريق ولا شك أنك ممن يوقنون بصحته.. فنسأل الله أن يجمعنا على جنته ورضوانه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.. فعهدي بك أيها الوالد الحبيب وعموم أهلي الدعاء لي بحسن القبول والعفو والرضا والصبر على ما قضى الله ولا تبكوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين.

وأوصيكم ونفسي بتقوى الله والمحافظة على فعل ما يحب ربنا ويرضى وموعدنا معكم في جنات الروض بحول الله.. واطلبوا الصفح والعفو لي من الأهل والجيران وكل أهل تندلتي ونسألهم الدعاء الصالح.. واستودعكم الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ابنكم

عصام أحمد البشير

الوصية أدناه كتبها الطالب يحيى حسين بابكر الذي كان طالباً بجامعة الخرطوم كلية الاقتصاد (اقتصاد وعلوم سياسية) وكان عضواً بالمجلس الأربعيني لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم وعضو مجلس شورى الاتجاه الإسلامي بالجامعة.. كان عمره يومئذٍ ٢٥ عاماً.. وقد ذكر أنه قد انتظم في صفوف الحركة الإسلامية في أوائل عام ١٩٧٤، وقد كانت وصيته التي كتبها بخط يده كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به عبد الله: يحيى حسين بابكر قبل مغادرته
متوجهاً إلى [illegible] استعداداً للجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى
الذي [illegible] هذا العمل بإحدى الحسنيين الشهادة
[illegible] أسأل الله أن يرزقنيها - أو النصر الذي أسأل الله
أن يكون حليفاً للمؤمنين.
[illegible] ما أوصي به نفسي وأهلي هو ما أوصانا به الله
تعالى حين قال «ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
وإياكم أن اتقوا الله» وتقوى الله [illegible] امتثال أمره
واجتناب نهيه وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالصبر وعدم [illegible]
عند المصيبة والرضاء بقضائه.
وقد أوصانا الله سبحانه وتعالى أيضاً بقوله «يا أيها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا
في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله
بما تعملون بصير» فالموت كما قال الله سبحانه وتعالى
«أينما تكونوا يدرككم الموت» وقال «قل لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم» بل إنه أمر
[illegible] إذ أن الله سبحانه وتعالى قال «إنك
ميت وإنهم ميتون» وقال الشاعر:
إذا غامرت في أمر عظيم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم
وقال: ومن لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد
فأرجو إذا حييت أمر الله أن تكثروا لي بالدعاء ولا
تجزعوا ولا تحزنوا فإنه لا يغير شيئاً من الشكل.
هذا ما أردت أن أقوله وأستودعكم الله وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صورة من أصل الوصية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أوصى به عبد الله: يحيى حسين بابكر قبل مغادرته متوجهاً إلى التدريب استعداداً للجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى الذي وعد من يقوم بمثل هذا العمل بإحدى الحسنيين الشهادة.. وهي التي أسأل الله أن يرزقنيها.. أو النصر الذي أسأل الله أن يكون حليفاً للمؤمنين.

وخير وما أوصي به نفسي وأهلي هو ما أوصانا به الله تعالى حين قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] وتقوى أمر جامع يشمل امتثال أمره واجتناب نهيه وقد أمرنا الله سبحانه بالصبر وعدم الجزع عند المصيبة والرضاء بقضائه. وقد أوصانا الله سبحانه وتعالى أيضاً بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦]. فالموت كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء:٧٨]، وقال: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[آل عمران: ١٥٤]. بل إنه أمر محقق إذ أن الله سبحانه نعانا قبل أن نولد قائلاً: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال الشاعر:

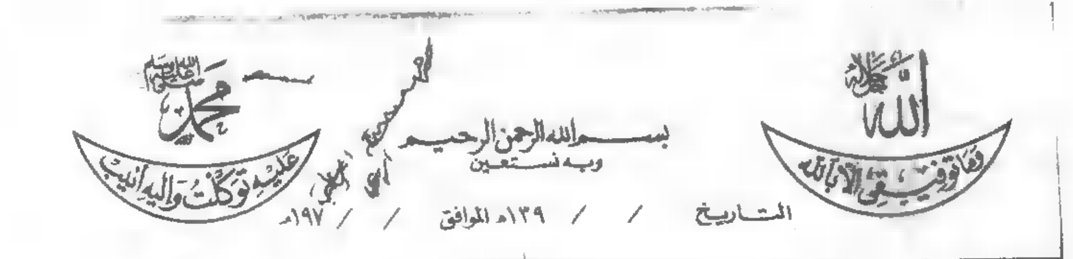
إذا غامرت في أمر عظيم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

وقال:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.

تتعدد الأسباب والموت واحد.

فأرجو إذا حدث أمر الله أن تكثروا من الدعاء ولا تجزعوا ولا تحزنوا فإنه لا يغير شيئاً بل العكس. وهذا ما أردت أن أقوله وأستودعكم الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

التاريخ / / ١٣٩هـ الموافق / / ١٩٧م

صورة من أصل الوصية

أما صديقنا محمد الدكتور محمد البشير عبد الهادي فهو كعادته حازماً ومقلاً يحب الاختصار والإيجاز في الأمور فقد كانت وصيته مختصرة جداً.. فبعد أن ذكر أنه من مواليد ١٩٥٢ وأنه طالب بكلية التربية جامعة الخرطوم - قسم الكيمياء والأحياء - عضو اتحاد طلاب جامعة الخرطوم دورة ١٩٧٥وأنه قد التحق بالحركة الإسلامية في عام ١٩٧٠ بعد ذلك قدم وصيةً مختصرة جاء فيها:

"١ - إذا حصل أن استشهدت في أثناء تأدية واجبي، أرجو أن تُفهموا أهلي على أن هذا العمل في سبيل الله وعليه أرجو منهم الصبر وعدم الحزن والإكثار من العفو والرضا - بالذات الوالدين -.

٢ - أن تُخْبَر بنت عمي التي أخطبها أيضاً هذا الفهم وأن تعفو لي أيضاً إن كنت قد تسببت في تأخير زواجها. والله يوفقنا لما فيه خير الإسلام والحمد لله رب العالمين".

وصية المجاهد حسن إبراهيم شبو:

قبل أن يكتب الأخ حسن شبو وصيته ذكر أنه من مواليد ١٩٣٥ بمنطقة كريمة - قرية المقل، وأنه درس في أحد مراحله الدراسية بمصر بمدرسة حلمية الزيتونة الابتدائية وتخرج منها عام ١٩٥٢ وأنه قد التحق بالحركة الإسلامية ببورتسودان عام ١٩٥٨. رئيس جبهة الميثاق الإسلامي عام ١٩٦٥ بحي سلبونة ببورتسودان. عند كتابة وصيته كان له ابن اسمه الترابيو عمره ١٢ سنة وبنت هي: إيمان وعمرها ٤ أعوام. وقد اتخذ اسماً حركياً هو عبد الله فضل المولى.

كتب الأخ حسن شبو عبر صحارى ليبيا عدداً من القصاصات بها وصايا لزوجته ولابنه الذي سماه على شيخه الترابي وبعض الأشعار نستعرضها فيما يلي:

رسالته إلى ابنه

ابني العزيز الترابي حسن شبو:

سلام الله عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

اعلم يا ابني أن اسمك مصدر سعادتي وراحتي وانضمامك للإخوان هو أملي وغايتي.. وإخلاصك لله سبحانه وتعالى هو أولاً وقبل كل شيء مبعث السرور في نفسي وتالله ما سميتك بهذا الاسم لمجرد الصدفة أو الهوى أو المجاملة أو صداقة شخصية وإنما سميتك باسم الداعية الإسلامي ورئيس جماعة الإخوان المسلمين الأخ الدكتور حسن عبد الله الترابي لأنني أشعر شعوراً لا يساورني فيه أدنى شك بأنه مخلص في دعوته لله سبحانه تعالى وأتمنى أن تكون أنت كذلك.. سر وفقك الله وأسرع في الانضمام إلى معسكرات الإخوان تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله وأنا راضٍ عنك وأنت الابن البار بوالديه إن شاء الله.

وأوصيك بأختك إيمان ووالدتها خيراً.

والدك/ حسن إبراهيم علي شبو

ثم بعث رسالة لزوجته في كريمة اختصرها في سطرين أو ثلاثة ذكرها فيها بارتباطه المبدئي بجماعة الإخوان، جاء فيها :

إلى زوجتي العزيزة عواطف:

تعلمين بأن ارتباطنا كان على سنة الله ورسوله كما تعلمين سلفاً بأن طريق الدعوة شاق في بدايته وراحة في نهايته.. وتعلمين جيداً ارتباطي بالإخوان المسلمين .. فخذي منهم حرّاساً وهم أولياء أُمورك فهم إخوة صادق عبد الله عبد الماجد الذي تثنين عليه دائماً وبأخلاقه.. كما أُوصيك خيراً بابني الترابي وفقك الله يا أُم إيمان.

زوجك/ حسن إبراهيم علي شبو

قصائد حسن شبو:

بعد ذلك يبدو أن شاعرية أهلنا الشايقية قد تفجرت في دواخل الأخ المجاهد حسن شبو فنراه يسطر بعض القصائد الجهادية حيث يذكر:

أقسمت يا وطني أن أحميك بسلاحي الأكبر.

" قسم الإسلام "

أقسمت يا وطني أن أحميك بإيماني وهو سلاحي الأكبر

وأن أُطهر يا وطني الجيش من كل جبان أو خائن عربيد يتبختر

أقسمت يا وطني قسم الإسلام قسم الأحرار قسم الأبرار

لن تكون في بلادنا مؤامرة تتنكر لعقيدة الشعب أو حوادث يوليو تتكرر

أقسمت يا ترابي ويا ابني الأوحد ذو اللون الأسمر

أن آخذ الثأر لذات العشرين ولن أترك أُماً تتحسر.

مراسلات الصافي – السنوسي

عند فشل حركة ٢ يوليو ١٩٧٦م المسلحة ضد نظام نميري بدأت رائحة المؤامرة تتضح للحركة الإسلامية من جانب حزب الأمة.. فحزب الأمة كما أسلفنا ومنذ ذلك التاريخ المبكر هو حزب الأغلبية حيث تشكّل طائفة الأنصار انتشاراً قوياً في غرب السودان والنيل الأبيض وجزء مقدر من شمال السودان.. فحتى ذلك الوقت كانت الحركة الإسلامية الحديثة محصورة في جامعة الخرطوم وجامعة أمدرمان الإسلامية وبعض المعاهد والمدارس الثانوية وبصورة محدودة جداً.. لذلك لم تكن المشابهة والمقارنة واردة بين حزب طائفي كبير مثل: حزب الأمة وحركة إسلامية ناشئة كل قادتها من المثقفين وخريجي الجامعات ومعظم عضويتها من الطلاب والقليل جداً من الخريجين.. فحزب الأمة رغم أنه كان يجمع خامات من الكم البشري لكن تعليمهم في معظم الأحيان يصل إلى الصفر .. أما ولاؤهم فلا تشوبه شائبة لدرجة تكفير من لا يؤمن بإمامة الإمام المهدي رضي الله عنه.. كان الصادق المهدي يدرك المحدودية الفنية والمعرفية لأنصاره "أهل الحارة".. ويدرك تماماً أن أفندية حزب الأمة يكثرون عند الطمع أما الأنصار فيكثرون عند الفزع وهم وقود المعارك.. لذلك كان بحاجة للتنسيق مع الحركة الإسلامية والاستفادة من كوادرها المتعلمة والمؤهلة والعبور بهم

مرحلة المعارضة والمقاومة لنظام نميري وعندما يحسم الصراع لصالح الجبهة الوطنية عندئذٍ يكون التمثيل السياسي في الحكومة حسب الأوزان البشرية والدوائر الانتخابية التي يحرزها كل حزب..

كذلك أدركت الحركة الإسلامية أنه أثناء لحظات التنفيذ التي واكبت حركة ٢ يوليو ٧٦ كانت هنالك خيانات أدت إلى فشل الحركة ومفادها أنه ينتهي دور الحركة الإسلامية بمجرد استلام المعارضة المسلحة للخرطوم!

والحركة الإسلامية من جانبها كانت تدرك محدودية كمّها البشري لكنه كمّ يتفوق على الكتل البشرية التي لا حظّ لها من المعرفة.. وكانت الحركة تراهن على المستقبل وتراهن على الحريات السياسية ووعي الجماهير.. وكانت تدرك أنها فقط تحتاج للحريات السياسية التي تمكنها من طرح برنامجها السياسي والفكري ومخاطبة الجماهير في جوّ حر ومعافي.. عندئذ وعندئذ فقط ينداح الوعي وتغرب شمس الطائفية والولاءات للأسر والأفراد ويتوحد الولاء لله وحده.. لذلك ما إن انتهت حركة ٢ يوليو ٧٦ التي لم يحالفها النجاح والتي قدمت الحركة الإسلامية خلالها شباباً من خيرة شبابها شهداء.. حتى رجع الذين لم تكتب لهم الشهادة ولم يحالفهم النصر إلى صحارى ليبيا مرة أخرى للإعداد لمرحلة قادمة.. وقد لحق بهم أعضاء جدد من أفراد الحركة الإسلامية وأقاموا المخيمات التي أطلقوا عليها أسماء شهدائهم في حركة ٢ يوليو حيث كانت خيمة الشهيد عبد الإله خوجلي وخيمة الشهيد عبد الله ميرغني وخيمة الشهيد ختم وخيمة الشهيد همت ..الخ.

كان استشهاد هؤلاء حافزاً لزملائهم في الجامعات أن ينضموا إلى مواكب المجاهدين بعد أن فاتتهم قوافل الشهداء.. لذلك بدأت جحافل شباب الحركة الإسلامية يتقاطرون على معسكرات التدريب في الصحارى الليبية وكانوا يخرجون في شكل منتظم في مجموعات لا تتجاوز أعداد المجموعة الواحدة العشرة أشخاص .. ونسبة لكفاءاتهم التعليمية العالية فقد كانوا يتقنون ويختصرون الدورات العسكرية في فترات تقل عن الشهرين يجيدون فيها النظري والعملي في المجال العسكري ثم يعودون للخرطوم ينتظرون الجولة القادمة ضد نظام نميري..

من خلال الوثائق التي حصلتُ عليها من مكتب معلومات الحركة الإسلامية، فقد كان واضحاً أن المهندس الصافي نور الدين كان يمثل قناة الوصل بين المعسكر وقيادة الحركة الإسلامية التي يمثلها من الجانب العسكري الشيخ إبراهيم السنوسي الذي اشترك ميدانياً في حركة ٢ يوليو ٧٦ ولم تكتب له الشهادة ولم تستطع قوات الأمن المايوي القبض عليه..

لذلك ظل مطلوباً للمحاكمة من قبل النظام المايوي.. بينما هو يدير معسكرات الحركة الإسلامية من مدينة طرابلس أو إحدى المدن الليبية القريبة من المعسكرات.

المكاتبات بين الشاب يومئذٍ الصافي والذي اتخذ اسماً حركياً هو الشيخ عبد الله وبين الشاب إبراهيم السنوسي كانت تشير إلى تقاطر شباب الحركة الإسلامية إلى معسكرات التدريب ونوعية الأسلحة التي تدربوا عليها وتقييم لأدائهم وكفاءاتهم.. حيث شهدت معسكرات التدريب خيرة أبناء الحركة الإسلامية من أمثال الشهيد محمود شريف الذي كان يحضر لدرجة الدكتوراه في بريطانيا والتحق بمعسكرات التدريب عندما نادى منادي الجهاد.. والشهيد محمد عبد الرحمن مختار عجول الذي كان طالباً بكلية البيطرة وفصل منها لأسباب سياسية والشهيد فضل السيد عبد القادر أبو قصيصة الذي كان طالباً بكلية الصيدلة وفصل منها بعد أحداث الاتحاد الاشتراكي التي اقتحم فيها هو ومحمد محيي الدين الجميعابي وآخرون دار الاتحاد الاشتراكي وهتفوا - بينما كان النميري يخطب وسط أنصاره وأمنه - هتفوا: سفاح سفاح يا نميري - لن تحكمنا عصابة مايو.. ويقيننا أن تلك المرحلة قد أصبحت تاريخاً ملكاً لأبناء الحركة الإسلامية في مرحلة من أدق مراحل تكوينها وقد مضت على تلك الحقبة قرابة الثلاثين عاماً والحركة الإسلامية قد مرت خلال هذه السنين بمراحل هامة وخطيرة انتقلت خلالها من الاستضعاف والمطاردة والتشريد إلى مرحلة المصالحة والاستقرار والبناء والانتشار.. ثم إلى مرحلة المنافسة الحرة في فترة الديموقراطية بعد سقوط نظام نميري ٨٥ - ١٩٨٩م.. ثم مرّت أيضاً بمرحلة التمكين حيث سيطرت الحركة الإسلامية - عبر كوادرها المدربة - على مقاليد السلطة عبر ثورة الإنقاذ الوطني في ٣٠ يونيو ١٩٨٩م. وقد ذكر ذلك صراحة كلٌّ من الشيخ حسن الترابي والرئيس البشير عند احتدام النقاش والخلاف بينهما.. حيث قال الشيخ الترابي أنه قد كتب بيان الثورة وأعطاه إلى البشير حيث (ذهب هو إلى القصر رئيساً وذهبت أنا إلى السجن حبيساً).

وأثناء مرحلة التمكين مرت الحركة الإسلامية بمرحلة الفتنة والاختراق والانقسام والسعي لتقويض البناء الذي ترك من أجله هؤلاء الشباب قاعات المحاضرات ولذات الدنيا واستبدلوها بصحارى ليبيا ومعسكرات التدريب وحرّ الصحراء الليبية وشظف عيشها علاوة على المطاردة والتضييق في الرزق.. جاءت مرحلة الفتنة لنرى بعض أبناء الصحراء الليبية وأخوة الهجرة والجهاد والعقيدة بعضهم في سجون حكومة الحركة الإسلامية يقودهم شيخ الحركة الترابي والمشرف العسكري للحركة الإسلامية إبّان المعارضة إبراهيم السنوسي ومسؤول المعسكرات الميداني الصافي نور الدين وآخرين من أخوانهم الذين كانوا معهم بالمعسكر..

والبعض الآخر من إخوان معسكرات الصحارى الليبية حكاماً ووزراء في حكومة الحركة الإسلامية منهم غازي صلاح الدين - الطيب إبراهيم - عصام البشير - يحيى حسين وآخرون.. وهكذا تتكرر معركة الجمل حيث خيرة الصحابة من أمثال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وهما من المبشرين بالجنة في معسكر المواجهة ضد معسكر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يسانده خيرة الصحابة وأبناؤه سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين ومحمد بن أبي بكر الصديق..

وهكذا تتكرر معركة صفين.. ويعيد التاريخ نفسه من غير عبرة أو دروس مستفادة.. ويصدق حديث الرسول لصحابته: " فما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم".

الرسائل التالية تمثل المكاتبات التي كانت تدور بين أمير المعسكرات في الصحراء الليبية المهندس/ الصافي نور الدين الذي أخذ اسماً حركياً هو الشيخ عبد الله وبين الشيخ إبراهيم السنوسي المسؤول العسكري للحركة الإسلامية وقتها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾

الأخ/ إبراهيم:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

كيف حالكم وأحوالكم بحمد الله نحن بخير وصلنا رسلكم وكذلك رسائلكم. أثلج اهتمامكم بقضايانا صدورنا زادكم الله حرصاً ووفقكم لما يحب ويرضى.

١ ـ وصلنا الأخ/ صالح يرافقه خليل ثم أعقبهما أحمد محمد صالح، من المتوقع أن يكون معه عبد الرحمن معروف إلا أنه حتى ساعة إعداد الرسالة لم يصل نسبة لقيامه بالبر من بنغازي على حد قول محمد أحمد. وأخيراً وصل الأخوان يس وعمر.. يواصلون جميعاً تدريبهم على قدم وساق.

٢ ـ وصل مع الأخ/ صالح مبلغ ٧٥٠ جنيه رغم أن خطابكم يشير إلى ٨٠٠ جنيه وعلمنا أن ذلك صرف في السفر. كما وصلنا مبلغ آخر مع أحمد محمد ٤٠٠ جنيه ليصبح المبلغ ١١٥٠جنيه وإليك تفاصيل الميزانية لشهر مارس:

المبلغ المستلم: ١١٥٠

الديون: ٦٢٥

الباقي = ٥٢٥ + (٣٠ باقي ميزانية التسفير) = ٥٥٥ جنيه.

يوجد بالمعسكر الآن ٢٧ أخاً، عشرة منهم في انتظار التصفية. الميزانية المطلوبة لتسفير (٢٧-١٠) = ١٧.

١٧x٣٥ =(٥٩٥-٥٥٥) = ٤٠ جنيه.

الميزانية المطلوبة لتكملة ميزانية التسفير ٤٠ جنيه.

ميزانية شهر مارس الحالي ٧٠٠ جنيه.

الجملة ٧٤٠ جنيه.

٣ـ أما إذا جاز سؤالكم عن أسباب تأخير الدفعة الأخيرة فلسوء الحظ سافر أبو بكر منذ بداية الأسبوع دون علمنا. وحاولنا الاستعانة بمكتب الأمن الليبي لترتيب سفر الأُخوة إلا أن ردود مكتب الطيران أكدت عدم وجود مقاعد كما أن أبو بكر سليم لم تكن له مقاعد محددة

في الأسبوع. وتأكدت لنا من بعض التصرفات من قبل أبو بكر سليم أن تلك بداية لفرض المزيد من الضغوط على المعسكر. إذ ترتب على سفر أبو بكر سليم قطع التموين والوقود مما حمل الأنصار إلى شراء الوقود نقداً - على حد زعمهم - ومن المتوقع فرض مزيد من المضايقات والله المستعان على ما يفعلون.

٤ ـ مرسل لكم عمر عبد المعروف وكان من المفروض سفره في الأسبوع الماضي ولكن إرادة الله حالت دون ذلك كما تبين نرى الاستفادة من الآتي:

أ ـ أرجو تكليف عمر بحرق أوراق البيانات الاجتماعية التي أرسلت إليكم إذ إنها أصبحت عديمة الجدوى بوجود الرموز والمفتاح هنا.

ب ـ معه كشف يحتوي على جميع الوثائق التي بعثت.. الرجاء تكليفه بمراجعتها وتنظيمها والكتابة لنا بذلك.

* ـ بخصوص شعبة الأمن:

أولاً: إن العمل في هذا الجانب رغم التوفيق الذي حظي به إلا أنه يحتاج إلى متابعة دقيقة ولا بد لتحقيق هذه المتابعة من وضع ضوابط للأسباب الآتية:

أ ـ إن المكتب يمثل سريرة الحركة ومن ثم أي تفريط فيه يكشف نوايا الحركة للأعداء الأمر الذي يكلف التنظيم الكثير جداً.

ب ـ يقتضي العمل في هذا الحقل بجانب سرعة البداهة وحسن التصرف يقتضي عدم الحماس المتزايد والانضباط كما يستدعى أيضاً عدم استعجال النتائج.

لهذين السببين انحرف مسار العمل هنا في الشعبة في الآونة الأخيرة مما أدى ذلك إلى الآتي:

١ ـ كشف نوايا الإخوان حيال الأنصار.

٢ ـ فتح ثغرة استغلها البسطاء من قادتهم لصدّ الباب أمام عامتهم الذين كانوا يكونون قدراً من التقدير لأفراد الحركة ناهيك عن الحركة كلها.

لذلك حسماً لهذا الأمر رفع المكتب شعاراً بعنوان: "ترشيد عمل مكتب الأمن" وفي سبيل تنفيذ هذا الشعار حددت النقاط الآتية:

١ - تحديد أهداف المكتب في المرحلة القادمة في الآتي:

أ - المحافظة على تواجد الإخوان بمنزل الكفرة.

ب - المحافظة على بعض مظاهر الودّ مع الأنصار مع إيقاف الهجوم على معتقداتهم وقادتهم.

ج - متابعة تحركاتهم بما يضمن سرية العمل لئلا يؤخذ الناس على حين غرة.

د - تغير بعض الشخصيات التي كانت تمارس هذا العمل في منزل الكفرة وقصر التناوب على ود بشرى وأحيمر لحين قرار آخر.

واستمر العمل على هذا المنوال من قبل أكثر من شهرين وحتى الآن. ولعلنا بعد الترشيد لسياسة الأمن التي اتبعناها انحسر العمل وانحصر في الجوانب التي حددت بالإضافة إلى جانب آخر هو:

جمع المعلومات عن معسكرات الهندي.

ما زلنا نعتقد كمكتب أن ترشيد هذا العمل لا بد منه في أي فترة من الفترات ولضبط سيره خوفاً من حدوث ما ذكرناه وتحديد خط عام تلتزم به في التعامل مع هذا الجانب لذلك نرى تحديد النقاط الآتية كخط عام:

١ - تحديد الأهداف المطلوبة منذ الوهلة الأولى وفق خطط مرحلية ولفترات قصيرة الأجل.

٢ - ألا يكون المعيار في اختيار الأفراد الحماس دون التروي.

أ - ورد في خطابكم توجيه بدعم المكتب. ثم ترشيح اثنين من الإخوان سنختار منهم واحداً إن شاء الله.

ب - أما بخصوص النقطة "ج" فإن أفراد هذا المكتب مفرغون بطبيعة تواجدهم بالكفرة حتى أنهم نعتوا من قبل إخوانهم هنا "بالمفرغين السياسيين" إلا أني لا أرى ضرورة لتفريغهم هنا بالمعسكر إذ إن كل رغباتهم وطلباتهم تلبّى دون أن تشل حركتهم. وملاحظة أخرى أن تواجد أفراد هذا المكتب بالكفرة حرمهم من ممارسة جميع الأنشطة التي ظلّ بقية الإخوان يتمتعون بها مما أثر ذلك في أدائهم، لذا من واجبنا أن نوفر لهم بقدر المستطاع الحد الأدنى من التأهيل. لذا نرى مراجعة هذا القرار.

ج - بخصوص ترشيح الأخ الذي يمكث بالكفرة نسبة لأهمية الأمر وأنه لا يقل بأي حال من الأحوال من مجمل الأعمال التي ينبغي أن يوليها التنظيم كل اهتمامه. تم ترشيح الآتية أسماؤهم.. يمكن اختيار واحداً منهم ونفضّل أن تعطي الأسبقية وفق الترتيب كما نرجو الإلحاح في ذلك:

١ - صالح مصطفى عبد الغني — **مهندس بالإدارة المركزية سابقاً.**

٢ - الهادي أحمد خليفة — **مدير تجاري.**

٣ - سيد الزبير — **مفرغ من قبل مكتب الطلبة.**

إننا نفضّل صالح مصطفى وأرجو أن تلحوا على التنظيم في الداخل، فهو ذو خصائص تميزه عن أخويه بجانب تقمص أي شخصية تحتاجها الحركة ويتطلبها العمل.

إذا تمت موافقتكم يمكن حضوره مع أي أخ بجواز عادي ويمكث بلكوندة الكفرة على أن يبلغنا الأخ لنتولى ترحيله من الفندق دون أن يمر بالمنزل وينبغي أن يكون ذلك في أسرع وقت ممكن.

بجانب ذلك نرى ضرورة اختراق معسكرات الهندي وتولي الإخوان بشعبة الأمن ترشيح الإخوان الآتية أسماؤهم:

١ - عبد الله أبكر - ترزى بكوستي من أبناء أبا.

٢ - الطيب آدم إدريس - ترزى شعبة أبا.

٣ - أدم خاطر - ساعاتي يسكن شعبة كوستي من أبناء أبا.

علاوة على ذلك يرى الإخوة في مكتب الأمن ضرورة القيام بالآتي:

١ - محاولة الاتصال بأحمد منصور ويرشح التنظيم من له سابق علاقة به من الإخوان.

٢ - مراقبة قرى الاتصال وتنفيذ توصيات مكتب الأمن المذكورة في التقرير السابق.

٣ - التوصية لاستكشاف الطريق عبر وادي ملعي ولو من داخل السودان.

٨ - الخريطة مرسلة إليكم بعد مقارنتها مع الخريطة هنا.

٩ - المحاولات جارية مع أبو بكر سليم لتعويض خمسة الأسبوع المنصرم.

١٠ - مرسل إليكم تقارير المكاتب، وهي:

المكتب العام يتكون من التقارير الآتية:

١ - الأمير ٢ - المكتب العسكري ٣ - التوثيق ٤ - الثقافي

▪ - المكتب الاجتماعي.

بقيت رسالتان في طور التكملة رسالة عن الأنصار، وأخرى عن العمل العسكري.

١١ - جاء في خطابكم تحديد عشرة إخوان يظلون بالمعسكر لتحقيق التواجد الفعلي للإخوان ويرى الإخوان بالمكتب في ذلك الآتي:

أ - كان من الأفضل ترك تحديد الشخصيات التي ستبقى لتحقيق هذا الهدف.

كان من الأفضل ترك التحديد لمكتب الشعبة إذ إن بعض الظروف المحيطة بالعمل هنا قد تكون غير واضحة الرؤيا.

ب - إذا كان المعسكر سيرتبط إلى حد بمعسكر الأنصار لا بد من إدراك الآتي:

١ - توفير بعض الاحتياجات لتوفير سبل الحياة فالآن أصبحت عربة النقل الوحيدة التي يستعان بها للماء والحطب عاجزة عن الحركة لهذه المشاوير بسبب عطب لحق باسبيرها الوحيد. لذا نرى ضرورة رصد ميزانية لاسبير المارسيدس.

٢ - إجراء بعض الإصلاحات للتايوتا وتم تقدير ذلك في حدود الآتي:

١ - اسبير المارسيدس حوالي	٢٠٠	جنيه
٢ - ٢ اسبير للتايوتا	٧٥	
٣ -	١٢٥	
٤ - اسبيرات خفيفة	١٠٠	
الجملة	٥٠٠	جنيه

ج - أما إذا أريد للتدريب أن يستمر بصورته العادية للإستفادة من التواجد فالأمر يقتضي في مثل هذه الحالة توفير بعض الاحتياجات الآتية:

١ - الذخيرة إذ إن الكمية الموجودة لا تتجاوز احتياطيّ الدفاع.

٢ - إصلاح عربة من عربتي القيت تقدر الإصلاحات بحوالي ٣٠٠ جنيه.

١٢ - بخصوص الإخوان القادمين إليكم ظللنا هنا نوجههم بين الحين والآخر بضرورة دخول السودان ونؤكد لهم النقاط التالية:

١ - إن طبيعة الصراع في المنطقة صراع مسلح ولا بد للحركة من الاحتفاظ بكوادرها المدربة في الداخل لصد أي وجهة تحرك.

٢ - إننا لا نتفاءل كثيراً بما يجري فالدس والكيد والمكر.. كل عنصر من هذه العناصر متوقع الحدوث إذ لا بد من تواجد الكادر المدرب لئلا نؤخذ على حين غرة.

٣ - بجانب ذلك إن الانفتاح يضيف إلى الحركة أعباء إضافية مما يلزمها مزيداً من الكوادر الحركية.

٤ - من مساوىء الانفتاح إختراق صفوف الجماعات عناصر غير مأمونة الجانب لذا لا بد من ترسانة للحركة وجموع الإخوان المتدربين مأمونو الجانب في ذلك. أرجو تزكية هذه الروح علنا نكون قد أعنا إخواننا على الخير المطلوب.

١٣ - أ - محمد آدم من العشرة الذين اقترحتم في خطابكم.. رأينا أن نبعثه إلى طرابلس خوفاً من مضاعفات المرض إذا رأيتم ضرورة بقاءه مع التسعة المرسلين أرجو إرساله بعد شفائه وإلا نضع أحداً مكانه بغيابه.

ب - عبد المنعم كذلك ظل يعاني من بعض الاضطرابات منذ قدومه.

هذا بالإضافة إلى سندوتشات صغيرة يقدمها لك الأخ محمد حسين لئلا نطيل عليكم.

والسلام

الشيخ عبد الله

الرسالة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

٩ ربيع الأول ١٣٩٨

أخي/ إبراهيم المحترم:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.. الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. نحن بخير وعلى خير.

نحمده جلت قدرته أن هيأ لنا من الخير ما لا يحصى وأسبغ علينا من النعم ما لا تعد.

نسأله تعالى أن يصلكم رسولنا ورسائلنا وتجدكم ذاكرين له شاكرين.

أما بعد....

١ - هذه هي الدفعة الثالثة معها جوازات الدفعة الرابعة والمعلومات الاجتماعية عن كل فرد.

٢ - نفد المال المرصود للترحيل إذ إن المال المرصود ٢٠٠ جنيه وصرفنا حتى الآن للتسفير ٣٨٥.

٣ - التدريب يسير على قدم وساق وكل الترتيبات جارية على أساس إنهاء المعسكر في مدة أقصاها منتصف مارس.

٤ - **الأمن:**

أ - تحركات الأنصار تشير إلى تصفية الخلافات السابقة إذ إن مجموعة الميدوب المتمردة بالكفرة عادت إلى المعسكر.

ب - آدم جمل عميل الهندي أيضاً حضر إلى المعسكر.

ج - حركوا جميع العربات ووصلتهم كميات من اللساتك مما يؤكد واحداً من أمرين:

١ - أما أن يكونوا قد أخبروا بالاستعداد للدخول للسودان بسياراتهم بصدق.

٢ - أما يكونوا ضللوا بأكاذيب لتخديرهم.

د - استؤنفت كورسات التدريب مرة أخرى وبدأت الرماية مما يؤكد ذلك شعورهم بقرب الميعاد (الأنصار).

٥ - علاقات:

علاقاتهم معنا لا بأس بها وحاولنا جهدنا بالاحتفاظ بالمسودة السابقة.

٥ - بخصوص الإخوة هؤلاء:

١ - عبد اللطيف غادر المعسكر بحجة رغبة أخيه في الحضور إلى طرابلس.

٢ - خليل طالب بالسعودية ولا يمانع الذهاب إلى السودان إذا كان الأمر يقتضي ذلك.

٣ - أسامة من الذين فصلوا من الجامعة حضر إلى المعسكر في يوليو.

٤ - نصر الدين لديه مشاكل مالية ينوي حلها بالعمل في طرابلس أو السعودية لمدة قصيرة ثم يدخل السودان.

▫ - دفع الله لم يبد لنا ثمة مشكلة.

وأخيراً: جدول المعلومات الاجتماعية يبين أكثر إذا رغبت.

ختاماً تقبل تحيات جميع الإخوان هنا.

السلام

أخوك الشيخ عبد الله

ملحوظة:

مرسل لكم طي هذه الرسالة تقرير الأمن عن آخر معلوماتهم حول تحركات الهندي وجماعته.

الرسالة الثالثة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أخي العزيز/ إبراهيم السنوسي:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته:

نحمد الله نحن بخير وعلى خير نجد راحة في الضمير وسكينة في النفس رغم أن كل الذي من حولنا يبدو للذي لا يعلم غيره، وتلك رحمة الله وفضله علينا ليبلونا أنشكر أم نكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فعليها.

أما بعد..

١ - هذه هي الدفعة من الدفعات التي ستتوالى عليكم تترا إن شاء الله معها جوازات الدفعة الثانية إن شاء الله.

٢ - ثانياً سنحاول الاستفادة من طائرة الصادق المهدي G130 لتسفير عشرة إخوان في الدفعة القادمة إن شاء الله إذا تيسر ذلك. رغم تأكيدنا من الإزعاج الذي ربما يحدثه حضورهم لكم بهذه العددية. ولكن هذا بالقياس إلى الفائدة المرجوة يعتبر أخف بكثير.

٣ - مرسل لكم مستندات الأمن للاستفسار عن أي شيء يمكن الرجوع إلى سعد والطيب.

٤ - مرفق لكم في هذه الرسالة المعلومات الاجتماعية المطلوبة عن الإخوة المسافرين.

٥ - طلب منا الأخ سعيد إعداد كشف ببعض المعلومات جهزنا الكشف ورأينا عرضه عليكم للموافقة.

٦ - كل الأشياء التي اتفقنا عليها يسير العمل فيها على قدم وساق.

طلبات:

١ - أرجو أن تبعثوا لنا لوائح المكاتب الآتية:

أ - مكتب الشعبة، ب - المكتب الثقافي، ج - الاجتماعي، د - التوثيق، هـ - السلاح الطبي.

٢ - نشادر لحام.

٣ - الطلبات التي كتبت لكم.

وفي الختام آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام

أخوك الشيخ عبد الله

الرسالة الرابعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز/ إبراهيم المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحمد لله نحن بخير وعلى خير

كتبنا لك في رسائلنا السابقة عن أمور مستعجلة نريد فيها رأياً فيصلاً. ورغم تقديرنا لاهتمامكم الشديد بقضايانا إلا أن الزمن أصبح يشكل عنصراً أساسياً في مجريات الأحداث الأمر الذي دعانا أن نبعث برسولنا إليكم ليخبركم عن قرب بما نحن قادمون عليه وليبين لكم ما ينبغي تبيانه.

وقبل أن أحدد القضايا التي يدور حولها النقاش إن شاء الله الرجاء إنجاز مهمة أبي شامة في أسرع وقت ممكن وتجهيزه للرجوع فوراً. إذ إنه لا غنى لنا عنه البتة علاوة على ذلك لدينا من الأمور التي ترتبط بالتوثيق لم يكملها بعد ولا أحد غيره يقوى على ذلك.

أما المواضيع التي نريد فيها رأياً إليك رؤوسها:

١ - العلاقة بين آدم جمل وود البشرى.

أ - الطريق بالاختراق.

٢ - السلاح:

أ - كل الكمية.

ب - خمسة قطع.

٣ - المال.

٤ - توضيح موضوع صالح والمعلم.

أحمد الزين أكمل فترته وأبدى رغبته في الذهاب إلى بنغازي بدلاً من طرابلس.

سررنا لحديث الإخوان يس وعلي عثمان وعبد الجليل.

نسأل الله لهم التوفيق والثبات والسداد.

والسلام وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين

أخوكم

الشيخ عبد الله الشيخ

الرسالة الخامسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز/إبراهيم المحترم:

سلاماً! ثم سلاماً! ثم سلاماً! سلام من الله عليكم ورحمته تعالى وبركاته..

الجميع هنا بخير وعافية، وصل أبو شامة الأربعاء يحمل إلينا تحياتكم وأخباركم. وحمدنا الله على عافيتكم ومعافاتكم.

١ - لطرفكم الإخوة الصراف وبخيت. بعد أن أمضيا ثلاثة أسابيع في عمل شاق مثقل تقبل الله منهم.

٢ - تخلف ثالثهم لرغبته الشخصية في إكمال الدورة التدريبية. سيكون لطرفكم في الأسبوع القادم إن شاء الله.

٣ - بخصوص بخيت رغم أنه أمضى الفترة التدريبية وأداءه فيها لا بأس به، إلا أنه تبين لي أنه قليل الصبر، كثير الضجر، سريع الانفعال، وكلها حالات لا تتناسب مع طبيعة العمل العسكري. لذا يستحسن ألا توكل له أعمال في هذا الميدان خاصة في مثل هذه الظروف. ويمكن صرفه عن العمل العسكري بالعمل التنظيمي العام.

٤ - ذكر أبو شامة وصول منصور إلى الكفرة إلا أننا لم نلتق به، لربما قفل أدراجه.

٥ - مرسل لكم الوثائق والودائع بجانب شهادات رشوان ومختار.

٦ - أرجو أن تبعثوا لي بأفلام سينمائية إن وجدت، ولا أخالني أجد قادماً منكم سواك إذا تيسر أمر حضورك، مع كثرة الأعباء عليك وقلة الناصر ولكن حسبك الله ونعم الوكيل.

٧ - حالتنا العامة بحمد الله جيدة جداً خاصة بعد فصل التموين ورغم إيقاف الأنصار لحصتنا من الماء إلا أن الله أبدلنا بما يغنينا عنهم. وقد نسخر عربة القيت للكفرة للماء أو المارسيدس للبئر. كلما دعت الحاجة لذلك والله خير حافظ وهو أرحم الراحمين.

٨ - علاقتنا بالأنصار لا بأس بها. استأنفنا الزيارات هذا الأسبوع - من جانب واحد - حفاظاً على ما تبقى من ود قديم ومراعاة لواجبات الإسلام.

٩ - سنسعى إن شاء الله لموافاتكم بتفاصيل الحادث الذي تم بمعسكرهم.

وختاماً سلامي إلى الجميع

أخوكم

الشيخ عبد الله

ملحوظة:

مرسل لكم رسالة أرجو أن تعنونها للأخ عمر عبد المعروف لجهلي بعنوانه.

وأخرى لصالح عز الدين دون ذكر أو تعريض لمكان.

الرسالة السادسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز/ إبراهيم المحترم:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بحمد الله نحن بخير

وصل إلينا أبو شامة قادماً بعد لقائه بكم وأطلعنا على نتائج الرحلة وشكرنا الله كثيراً على ما يجري عندكم سائلين الله لكم التوفيق والسداد.

لطرفكم الأخ يحيى أحيمر بغرض العلاج وقد أجهده المرض كثيراً، ورغم صبره الشديد عليه إلا أن شدة المرض أعوزه عن الصبر أكثر من ذلك. لذا رأينا أن يتحرى مظان العلاج. بعد أن أمضى زهاء العشرين يوماً في الكفرة عجز الطب تماماً من اكتشاف بيت الداء. والجدير بالذكر أن مرضه مزمن لذا الرجاء أن توفروا له سبيل العلاج حتى ولو خارج ليبيا.

في اعتقادي بعد قرار التنظيم الأخير باستبطاء التصفية لا بد من أن تذكروا الإخوان بالداخل برعاية بعض أسر المرابطين وخاصة أسرتي محمد البشرى ومحمد أحمد إبراهيم فقي.

بشرنا بقدومكم الأسبوع القادم إن شاء الله أرجو أن يتم ذلك.

أما بخصوص علاقاتنا بالأنصار تحسنت جداً هذه الأيام لا سيما أن أبا بكر سليم أعاد المياه إلى مجاريها بزيارته للمعسكر ومصافحة جميع أفراده.

وختاماً آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والسلام

الشيخ عبد الله

ملحوظة:

بخصوص موضوع "الطنطا" الذي بشرنا بها ليعمل فيها المعلم اقترح الأخ المعلم أن يكون مارسيدس صغير "٢ دفرنش" بدلاً من الطنطا إذ إن الفرق في الثمن قد يكون بسيطاً. وقد أخطرنا المعلم بهذا الأمر للإعلام مع إعانتنا بالكتمان.

الرسالة السابعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز/ إبراهيم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

بحمد الله نحن بخير

١ - ها هي الدفعة السابعة مكونة من عشرة أشخاص نسأل الله أن تصلكم بالسلامة ثلاثة منهم من إخوان فيهم الأستاذ "يوسف محمد أحمد" والمعروف أنه أمضى أسبوعين فقط. رأينا ذهابهم إلى مناطقهم مباشرة تخفيفاً لكم للأزمة المتوقعة في المنازل. على أن تتصلوا بهم ليأتوكم من فورهم وقتما شئتم.

٢ - الدفعة القادمة إن شاء الله أقل من خمسة.

٣ - أزمتنا المالية حادة جداً لا زلنا نطالب بالاستعجال بمبلغ الـ ٧٤٠ جنيه التي فصلت في الرسالة الماضية.

٤ - كل التساؤلات والاستفسارات التي حملتها لكم رسالتنا الماضية تقرر إلى حد كبير وجهة المعسكر نرجو استعجال الرد عليها.

٥ - الأخ جابر "حافظ جمعة" رغم أن التسفير ينبغي أن يشمله في الدفعة القادمة إلا أننا أخرناه لحين معرفة مصيره وما تم بخصوص استيعابه في المركز الإسلامي عند ذلك نقوم بترتيب أمر سفره.

٦ - تم اختيار رشوان خلفاً من محمد آدم ليكون من العشرة إذ إنه مشرف على الدورة العاملة مالياً "البراء بن مالك".

٧ - نضيف إلى قائمة الاستفسارات عما تمّ عن الأفلام والبرجكتور.

٨ - **الأمن:**

أ - بدر لنا اقتراح استحسناه هنا وهو محاولة للاستفادة من صالح والمعلم كسواقين للعربات الثقيلة في خط الكفرة - مليط أو الكفرة باو - إذا وافقتم على الاقتراح نرجو

الشروع في ترتيب اللازم أما من جانبنا فتحنا لهم دورة تخصصية في قيادة العربات الثقيلة خاصة "المارسيدس".

ب - الأنصار: واصلوا الرماية حتى نهاية الأسبوع الماضي وتوقفت هذا الأسبوع، أما التدريب على البيادة مستمر بنفس القوة الابتدائية.

ج - زيارات الاستكشاف واستقاء المعلومات ما زالت مستمرة من قبلهم ولكننا على يقين أنهم لن يزدادوا بذلك إلا جهلاً عن حقيقتنا.

د - اختناقات الوقود ما زالت مستمرة بحجة تقليل أبو بكر للكمية المقررة. وتقرر تبعاً لذلك تقليل حصتنا إلى ٣ براميل فقط في هذا الشهر. مع العلم أننا لم نحظ ببرميل واحد في الشهر الماضي.

حملت إلينا إذاعة أمدرمان نبأ اختيار الترابي عضواً في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي.

لمحمد حسين

١ - نرجو أن يوافينا بأسماء الإخوان الذين لم يكتبوا "المعلومات الخاصة".

٢ - كما نرجو أن يبعث لنا بمعلوماته الخاصة عن نفسه.

والسلام

أخوك الشيخ عبد الله

ملحوظة:

مرسل لك في هذه الرسالة عناوين الإخوان الثلاثة بـ " سبها" يمكن الاتصال بهم إن شئت وبلغناهم أن يتوقعوا طلبهم في طرابلس.

الرسالة الثامنة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ إبراهيم المحترم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١ - بحمد الله انضم إلى ركبنا الأخ "أحمد الزين" قادماً من بنغازي في مطلع الأسبوع الماضي. بدأ تدريبه بجد ونشاط في مجموعة النعمان.

٢ - بما أنه أصبح من العسير جداً العثور على أبي بكر سليم نرجو تحديد صيغة للتعامل مع الإخوة القادمين من قبلكم. نقترح: تحديد الساعة العاشرة إلى الساعة العاشرة والنصف صباحاً من كل يوم موعداً لمقابلة أي قادم منكم في حالة عدم وجود أبكر سليم - بالمقهى تحت الفندق على أن يقابله أحد الإخوان بالكفرة - يلبس ساعة بيده اليمنى ويوجد شريط أبيض على يده اليسرى مستعيناً بكلمة السر المتفق عليها.

٣ - لطرفكم الدفعة السابعة بحوزتهم بعض الوثائق. وأما الدفعة الثامنة فيها ثلاثة إخوان لطرفكم الأسبوع القادم إن شاء الله.

٤ - موضوع جابر أرجو أن نفاد في أول رسالة قادمة بخصوصه.

٥ - سبق أن كتبت لك بما تبقى ونضيف هنا ٣٥ جنيه قيمة تذكرة الأخ أحمد الزين.

٦ - أما عن ميزانية أبريل تصبح ٣٥٠ بدلاً من ٧٠٠ في الشهر لقلة العدد.

٧ - الأمن:

أ - عمال الهندي يعملون ليل نهار فيهم العريف والترزي وأحمد الميدوبي.

ب - كتب لك د/علي في رسالة مفصلة بعض الأخبار لا شك أنها تفيدكم بعض الشيء.

ج - الأنصار قلقون جداً للنقص الذي حدث في معسكرنا وصار موضع اهتمامهم ومثار سؤالهم.

٨ - حاولنا اختراق جماعة الهندي تمهيداً لما اتفقنا عليه في الخطاب الماضي حول متابعة الهندي، وتمّ الآتي:

أ - اتصل أحد أفراد مكتب الأمن بآدم جمل وذكر له رغبته في الدخول معه. أقسم أمام آدم جمل على ألا يخونه. ثم قابله بلجنة اختبار الجنود المكونة من الجندي والترزي وأحمد الميدوبي وأبدوا له تخوفهم منه إلا أنهم سيتصلون فيما بعد.

ب - أخبَرنا الأخ بالاحتفاظ بهذه العلاقة على ألا يتجاوزها إلى شيء آخر لحين ردكم.

وفي تقديرنا الآتي:

أولاً: بهذه المحاولة تبين لنا رأس الخيط الذي يحرك أمر الهندي هنا ويمكن متابعة هذا الخيط لمعرفة حركة الهندي.

ثانياً: تحديد طبيعة الاتصال للأخ المقترح مكونة بالكفرة إذا تيسر حضوره.

ثالثاً: معرفة بعض المعلومات بعد استدراجهم.

رابعاً: إمكانية اختراقهم إذا رفعتم الراية الخضراء وبالعدم يمكن أن نهدم ما بنيناه مع آدم جمل دون خسران.

وأخيراً: إذا وافقتم على اختراق جماعة الهندي لا بد أن نضع في الاعتبار الآتي:

١ - قد يدخل الأخ بحجة أنه أخ مسلم يريد القتال لأن التنظيم رفض القتال.

٢ - عند ذلك قد يستغل الهندي وجود هذا الأخ ككرت رابح يعلن به انشقاق التنظيم.

هذا ما توقعنا حدوثه لذا رجونا رأيكم نرجو إفادتنا كما نرجو إفادتنا باستيعاب صالح والمعلم كسواقين في خط الكفرة ومليط وما تمّ بشأنهما.

والسلام

الشيخ عبد الله

الرسالة التاسعة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أخي العزيز/ إبراهيم المحترم:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كيف حالكم وأحوالكم بحمد الله نحن بخير وعلى خير

١ - ها هي الدفعة الخامسة من المسافرين معهم جوازات الدفعة القادمة إن شاء الله. أرسلنا لكم جواز حسان في الأسبوع الماضي وتخلف حسان ليكون البخاري بدلاً عنه.

٢ - كما تعلمون أن ميزانية التسفير نفدت منذ الأسبوع المنصرم ولا زلنا نستدين من الإخوان لمواصلة التسفير بلغت جملة الديون حتى الآن ٦٢٥ جنيه، تفاصيلها كالآتي:

٤٠٠ ديون من الأفراد ٢٠٠ في المرة السابقة و٢٠٠ للحالية.

٢٢٥ ديون من ميزانية المعسكر.

٦٢٥ الجملة.

٣ - العدد المتبقي بالمعسكر حتى الآن ٢٧ فرد منهم ٢٣ من قدامى الإخوان الذين تتراوح مددهم بين ٨ شهور إلى عامين.

٤ - بنهاية آخر أسبوع من شهر فبراير نطالبكم بميزانية الفترة المتبقية. علاوة على الديون.

٥ - قصر ذات اليد قد يحول دون مواصلة التسفير إذ من المتوقع أن تنفد المبالغ الموجودة بأيدي الناس وبذلك لا سبيل للاستلاف.

٦ - سبق أن طالبنا بأحذية لبعض أفراد المعسكر بمقاسات مختلفة نرجو أن تصلنا مع أول قادم لو تيسر.

٧ - موضوع سفر أبي شامة لبريطانيا وما تم بخصوصه.

٨ - أما عن الأنصار يبدو عليهم بعض مظاهر الحركة الدائمة من تدريب متواصل على قيادة السيارات ورماية لأفراد المعسكر. ولكن يبدو ذلك فقط تهدئة خواطر.

٩ - المجموعة القادمة يوم السبت ٥/مارس/١٩٧٨ لا يوجد فيها من له سابق معرفة بطرابلس وخاصة المنازل المعدة للإخوان لهذا نرجو محاولة استقبالهم بالمطار.

وختاماً: يؤسفنا جداً إزعاجكم المتواصل والإلحاح عليكم مع علمنا التام بحرصكم الشديد على تلبية كل رغباتنا، ولكن ربما تلتمسوا لنا العذر إذا علمتم أن دافعنا لهذا الإلحاح هو حرصنا على تنفيذ قرار التنظيم والله نسأل التوفيق والسداد وعليه قصد السبيل.

تقبل سلام كل الإخوان.

أخوكم الشيخ

الرسالة العاشرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز/ إبراهيم المحترم:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته..

أملي أن يصلكم كتابي هذا ويجدك بخير وعافية.

وصلني كتابك وتبين لي انزعاجكم لما يجري حولنا من أحداث وأقول لك: لا عليك يا أخي فالله الذي جعل في الصخرة الصماء التي تحيطنا رحمة ولنا في جوارها أنساً وسلوى، قادر أن يجعل لنا من كل هم فرجاً ومن كل ضيق فرجاً.

إخوانك هنا بخير وعلى خير يشغَلهم عن كيد الماكرين ومكر اللئام شيء أجل وأسمى. فهم يتطلعون ويتسامون إلى رب السماء. فيزدادوا بالصبر على كيد الكائدين قرباً من الله عز وجلّ. يفيض الله عليهم بعد الصبر رحمة تبارك الكثير وتزيد القليل. وما ذلك على الله بالعزيز فهو القائل جل شأنه﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[فصلت: ٣١]، وهو القائل: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٣٥٧].

١ - ومن هنا أقول لك ما حولته لنا من مبلغ يسدّ حوائجنا ولو لشهر واحد، ونحاول أن نقتصد بقدر المستطاع ونوفر لأنفسنا حوائجنا ما استطعنا حتى يجعل الله من بعد عسرٍ يسراً.

٢ - أما عن إبقاء المعسكر نرى أن الأسباب التي ذكرتها وجيهة ونسأل الله التوفيق.

٣ - بخصوص الإشارة رفض أبو بكر أن يبعثها بحجة أن وسيلة الاتصال بيننا وبينكم أسبوعية ولا حاجة للتلكس أو اللاسلكي.

٤ - موضوع اللتيتر لا حاجة لنا في جديد إذ إن الموجود يفي بالحاجة.

▪ - صالح مصطفى عبد الغني والهادي الخليفة حسب وصايا مكتب الأمن. يمكن بهم اختراق معسكر الهندي لما لهم من مقدرة على انتحال أي شخصية. وهم إخوة أكفاء تنظيماً بالسودان يمكن طلبهم بواسطة التنظيم سريعاً لا سيما أننا هيئنا الجو هذه الأيام ووضعنا التدابير التي يمكن بها اختراق معسكر الهندي بالجبل الأخضر والكفرة.

٦ - هذه الأيام الهندي بالكفرة وتجري عملية التجنيد على قدم وساق.

٧ - لهم عربتان تايوتا تعملان كوسائل نقل في نقطة تجمع بين الكفرة ومعسكرنا.

٨ - حدثت بعض المضايقات لعربات الأنصار من قبل عربات الهندي الأمر الذي دعا الأنصار إلى مزيد من اليقظة وفرضوا على منزلهم بالكفرة دورية حراسة مسلحة لئلا يؤخذوا على حين غرة.

٩ - كتبت لكم عن موضوع محمد البشرى ومحاولته الاستفادة من آدم جمل خبير الهندي المعروف. وبالأمس اتفقوا على مشروع تجاري مشترك في الطريق بين الكفرة ووادي

هور "طريق التهريب حيث لا رقابة ولا أمن". على أن يساهم فيه محمد البشرى بمبلغ ٢٠٠ جنيه. ونحن نرى في هذا الأمر الآتي:

أ - أنها فرصة ثمينة جداً لمعرفة هذا الطريق السري أولاً وثانياً توثيق الصلة بآدم جمل الذي أقسم الكتاب على ألا يخونه.

ب - نرى بدلاً من أن يساهم بمبلغ ٢٠٠ نرفع المبلغ إلى ٦٠٠ ونشرك معهم المعلم ليؤازره أولاً وليتعاون على معرفة الطريق ثانياً.

ج - لو تمت موافقتكم على هذا المشروع - الذي أظنه يفتح أمام الحركة الإسلامية الفرصة لمعرفة مداخل هذا البلد ولا شك نحن في حاجة ماسة لذلك - إذا وافقتم على المشروع نرجو أن تبعثوا لنا فوراً بأي مبلغ من المال حتى ولو أقل مما طلبناه ونحن نكمل ما تبقى من المال الذي بحوذتنا أرجو الرد سريعاً.

١٠ - علاقتنا بالأنصار جيدة وتوالت الزيارات بيننا. كما أنهم يواجهون ضغوطاً حادة جداً من أبي بكر سليم مما دفع بهم سوء الحال إلى إرسال شخص لطرابلس لرفع الأمر إلى الصادق بالسودان.

١١ - أظنك فهمت موضوع صالح والمعلم فهماً خاطئاً ربما لرداءة الخط. كنت أقصد بذلك أن تدريبهم على المارسيدس يتم هنا بالمعسكروليس على الطريق المؤدي إلى السودان. ولعل فرصة إشراك المعلم وود بشرى في المشروع سالف الذكر يفتح لنا فرصة تدريبهم على معرفة الطريق مع سلامتهم دون مخاطرة إن شاء الله.

١٢ - موضوع أبو ستة، الطبيب البيطري. تم الاتصال به بواسطة عاصم وأحيمر ساعة سفر عاصم وأنكر صلته بالإخوان رغم شهادة عاصم وأحيمر أنه كان من خيرة الإخوان كفانا الله شرّه ولا حول ولا قوة إلا بالله سائلين له الهداية.

١٣ - بخصوص تسفير البقية الباقية عن طريق مليط الكفرة نرجىء ذلك لحين حضورك إذ إنه لا حاجة للعجلة محاولين تجميع المعلومات اللازمة عن هذا الطريق.

١٤ - المهمة الشفهية وصلت وتمَّ تنفيذها ونسأل الله أن يشرفنا بها.

١٥ - ها هي الدفعة الثامنة وحاولنا تذكيركم بضرورة الدخول للسودان يمكن تأكيد ذلك لهم. بخصوص الدفعة التاسعة فيها واحد هو أحمد الزين ورحلته تنتهي في بنغازي إن شاء الله، لذا قد لا يصلكم قادم من قبلنا الأسبوع القادم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الترابي يرنو ببصره إلى الأفق البعيد
حيث تلوح بشارات النبوة الموعودة وصدق الوعد الرباني بالاستخلاف.



الشيخ الدكتور حسن عبد الله الترابي
قيادة فكرية وسياسية قاد الحركة الإسلامية في أحلك الظروف

صورة من شهادة التطعيم الدولية الخاصة بالشهيد الدكتور عبد الله ميرغني الذي استشهد في غزوة ١٩٧٦ ضد نظام نميري. تاريخ التطعيم كان في ١٩٧٣/٤/٢٣ كما هو مبيّن في الشهادة أدناه.

الهيئة الصحية العالمية

شهادة تطعيم دولية

صادرة إلى

جواز سفر رقم

أو

وثيقة سفر رقم

INTERNATIONAL CERTIFICATE OF VACCINATION OR REVACCINATION AGAINST YELLOW FEVER

CERTIFICAT INTERNATIONAL DE VACCINATION OU DE REVACCINATION CONTRE LA FIEVRE JAUNE

شهادة دولية بالتطعيم أو إعادة التطعيم ضد الحمى الصفراء



بعض قيادات الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم ١٩٨٢:

الجالسون من اليمين: قريب الله خضر – عبد الرحمن عبد الله – عبد الرحيم عمر محيي الدين – يوسف محمد أحمد – الوليد محمد أحمد دقنة

الواقفون من اليمين: نجوى سعيد الخليفة – مدثر إبراهيم – محجوب سعيد – عبد الفتاح يوسف – عبد الله حركو – بشير عمر – منال شمس الدين الغول –



المؤلف مع الأستاذ/ يس عمر الإمام.



هاشم علي محمد خير

عُرف في جامعة الخرطوم بعد المصالحة الوطنية باسم هاشم كراتي.



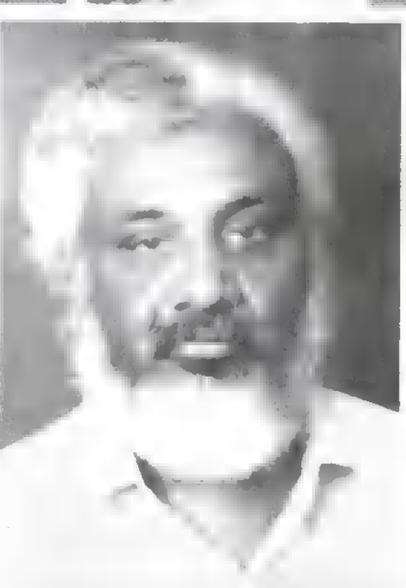
المؤلف مع الشيخ الدكتور حسن الترابي



الأستاذ/ أحمد عبد الرحمن محمد أحد قادة الحركة الإسلامية ومن أبرز قيادات الجبهة الوطنية المعارضة لنظام نميري حتى المصالحة عام ١٩٧٧م.



الشهيد محمد صالح عمر:
قاد الجهاد في الجزيرة
أبا ضد نظام نميري ١٩٧٠م.



بروفسور محمود برات
من قيادات الحركة
الاسلامية
البارزين الذين عارضوا
نميري



المؤلف عضواً باتحاد طلاب جامعة الخرطوم
دورة ٨١ – ١٩٨٢م.





مهدي - السنوسي - هاشم علي - عبد العظيم التوم - العقلي - عروة - عجول



السنوسي - عثمان خالد - هاشم علي - عمر عبد المعروف وآخرون

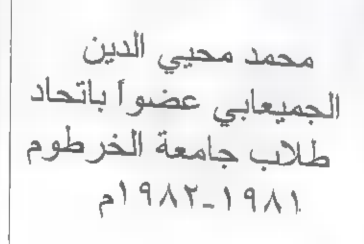


محمد البشير عبد الهادي وعبد الكريم وآخر



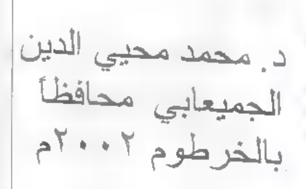
مهدي إبراهيم عمر نور الدائم الصادق المهدي في الصحراء الليبية





محمد محيي الدين
الجميعابي عضواً باتحاد
طلاب جامعة الخرطوم
١٩٨١-١٩٨٢م





د. محمد محيي الدين
الجميعابي محافظاً
بالخرطوم ٢٠٠٢م



يحيى محمد حسين



الشهيد/ إدريس محمد سعدابي



هاشم علي مع أحد الإخوة يستمعون لشريط مسجل



يحيى حسين مع سليم



في الصف الثاني: عروة - عجول - العقلي



عثمان خالد - عمر نور الدائم - الصادق المهدي



عجول في صحراء ليبيا في مطلع السبعينات



عجول رئيساً لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم: ٨١ - ١٩٨٢م



هاشم علي -- سليمان حامد وآخرون أثناء التدريب



المعتصم عبد الرحيم وهاشم علي من التدريب إلى المطبخ



السنوسي - عثمان وآخرون



من أقصى شمال الصف الثاني يظهر الطيب إبراهيم



من اليمين: مهدي إبراهيم - الصادق المهدي - عمر نور الدائم



عثمان خالد والسنوسي جلوساً في مقدمة الصورة



من اليمين: غازي - السنوسي وآخرون في معسكرات ليبيا



بينما يلوّح غازي بعلامة النصر يظهر السنوسي وعروة والعقلي وعجول وآخرون



إبراهيم السنوسي وعثمان خالد مع شباب الإخوان
في معسكرات التدريب في السبعينات

الفصل الثالث

الخطاب والوسائل الفكرية والسياسية للاتجاه الإسلامي

عند بداية المصالحة الوطنية كان لزاماً على الاتجاه الإسلامي أن يجري قدراً من إعادة الترتيب للأهداف والخطط والبرامج والرؤي التي تناسب الظرف السياسي حيث أن الحركة في مجملها أخذت تنتقل من أجواء المعارضة السافرة للنظام إلى حركة تبحث لها عن شخصية جديدة ودور جديد تسهم بهما في تنفيذ برنامجها للتغيير السياسي والإصلاح الاجتماعي.. فكان عليها أن تصمم خطابها السياسي والفكري بصورة، تلاحظ فيها عدة نقاط مثل:

١ - إن فقه المعارضة يختلف عن فقه المصالحة إذ أن المعارضة سهلة وجذابة، أما المصالحة والمشاركة فتعتورها مشاكل وتعقيدات سياسية ونفسية.

٢ - لا بد للخطاب الفكري والسياسي أن يصمم بصورة تراعى فيها الموازنة بين ضرورة التصالح من أجل الوطن والمبادىء وضرورة مساندة الحق ومحاربة الباطل السياسي المتمثل في تجاوزات السلطة السياسية الحاكمة.

٣ - ظلت مناصرة الطلاب المستمرة للاتجاه الإسلامي إعجاباً ببطولاته في المعارضة ومواقفه الصلبة في وجه طغيان النظام مما يحتم تحويل هذا الإعجاب الطلابي إلى موالاة سياسية والتزام تنظيمي لأن الظرف الذي جمعهم قد اختفى.

٤ - إن التنظيمات السياسية في الجامعة والتي تبلغ التسعة تنظيمات سياسية جميعها تقف في خندق المواجهة مع الاتجاه الإسلامي وضد المصالحة مع النظام.. وجميعها لها وجود إعلامي وسياسي متفاوت وسط الطلاب...

فهذا الواقع ينبغي على الاتجاه الإسلامي أن يتحسب له...

فمثلاً نشير في مقدمة هذا البحث إلى البرنامج الانتخابي للجبهة الديموقراطية لانتخابات الاتحاد دورة ٨٠ - ١٩٨١م حيث جاء فيه عن المصالحة الوطنية: "وليس صدفة أن ارتضى الإخوان المسلمون دخول السلطة من باب المصالحة فما يجمع بينهم وتسلط حكم الفرد هو الاتجار بالدين والعداء لحركة الجماهير الديموقراطية واحتقار الوطنية السودانية وضيق الأفق والتعصّب والاستعلاء والفزع من تطور وعي الشعب والحياة السياسية الراشدة وادعاء الشجاعة

تغطية للجبن وممارسة الغوغائية والسوقية في العمل السياسي وفرض الوصاية والقهر على الرعية في الداخل والخنوع لمشيئة حكام السعودية وأمريكا في الخارج تحت ستار حماية الاسلام من الخطر الشيوعي"[(١)] .. يلاحظ أن الجبهة الديموقراطية قد كتبت على غلاف برنامجها الانتخابي الخلفي الشعارات التالية:

- ضد قانون أمن الدولة.
- لا لفرع الاتحاد الاشتراكي الجديد المسمى ب"الاتجاه الإسلامي" داخل الجامعة.
- الحرية للمعتقلين السياسيين.
- فلتتحد قوى المعارضة الشعبية لإسقاط سلطة الفرد.

وعلى نفس الوتيرة سار إعلام بقية التنظيمات الذي كان يطلق على الاتجاه الإسلامي أسماء مختلفة مثل "إخوان مايو" "إخوان السلطة".

أما صحيفة حزب الأمة فقد كانت تطلق عليهم "الاتجاهيين" وليس الاتجاه الإسلامي...

والسؤال هنا هو كيف أدار الاتجاه الإسلامي خطابه السياسي والفكري وكيف استخدم أدواته حتى استطاع أن يحافظ عبرها على قيادة الطلاب طيلة الفترة التي أعقبت المصالحة الوطنية في ١٩٧٧م وحتى عام ١٩٨٥م عدا دورتين؟

أدار الاتجاه الإسلامي معادلته السياسية ووجه خطابه الفكري والسياسي من خلال أداتين هما:

الأداة الأولى:

تنظيم الاتجاه الإسلامي كتنظيم سياسي وعقائدي له إمكاناته وبرامجه ووسائله ومنابره الفكرية والسياسية المقتدرة وله كوادره المدربة والمجربة.

الأداة الثانية:

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم ذلك الجهاز النقابي الذي يمثل جميع طلاب جامعة الخرطوم بكل اتجاهاتهم السياسية والفكرية والحيادية... إذ ظلّ اتحاد طلاب جامعة الخرطوم عبر السنين له وقعه السياسي والمعنوي والفكري الخاص في نفوس الكثيرين من أفراد الشعب السوداني والسياسيين بصفة خاصة فمجرد السيطرة عليه تعتبر دليل قوة...

---

(١) الجبهة الديموقراطية، البرنامج الانتخابي للجبهة الديموقراطية دورة ٨٠ - ١٩٨١م، منشورات الجبهة الديموقراطية بجامعة الخرطوم.

كما أن للاتحاد منابره الثقافية والفكرية المتمثلة في المواسم الثقافية - مجلة الجامعة - وإمكانية جمع الطلاب وحشدهم للخطاب السياسي... العمل الصيفي... إصدار البيانات السياسية... وقد ظلت كل هذه الإمكانات تحت إدارة الاتجاه الإسلامي طيلة السنوات التي أعقبت المصالحة عدا دورتين. وبتناول الأداتين يتضح دورهما الفاعل في دفع نمو وتطور الاتجاه الإسلامي السياسي والفكري والعضوي في الجامعة:

أداة التنظيم:

كان تنظيم الاتجاه الإسلامي يعمل في جبهتين في وقت واحد ويوجه خطابه الفكري والسياسي لذات الجبهتين، **فالجبهة الأولى**: هي جبهة الدعوة أي الأمر بالمعروف والتبشير بالمشروع الإسلامي الذي يدعو له الناس بكل السبل والوسائل المتاحة. **والجبهة الثانية**: هي ما يكاد يطلق عليه "النهي عن المنكر" وهي مقارعة ومواجهة التنظيمات الأخرى التي تعادي الاتجاه الإسلامي بداخل الجامعة.. علاوة على مواجهة تجاوزات النظام الحاكم بالخارج.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ظلّ الشيخ حسن الترابي عبر ندواته في الجامعة يذكّر أنصاره والموالين للاتجاه الإسلامي بأن أمر الشريعة قد اقترب...

ففي محاضرة ألقاها في قاعة الامتحانات بالجامعة - تمّ طبعها في ما بعد - يقول الترابي: "نسأل الله سبحانه وتعالى ألا ننتكس وأن لا نتعثر في هذا السير الذي استقام نحو شريعة الإسلام وأن يضطرد سيرنا ويتسارع في غير ما اقتحام حتى يرفق بالناس ولا يتهور بهم فيوقعهم في الفتنة، وفي غير ما تلكؤ يسوف تطبيق الشريعة ويؤخر البركات الواسعة الوفيرة التي ستعود علينا إن شاء الله بتطبيقها... إننا موعودون إذا أقمنا أمر الله سبحانه وتعالى أن سيأتينا الرزق من فوقنا ومن تحت أرجلنا وستزول عنا المعيشة الضنك التي ابتلانا بها الله سبحانه تعالى بما أعرضنا عن ذكره، فالبركات التي تعود من تطبيق الشريعة الإسلامية لا تقتصر على إصلاح أخلاق الناس وإنما تتجلى أيضاً في اتساع حياتهم المادية بما يحقق نهضة دينية شاملة[١]".

كانت مثل هذه الندوات الفكرية التي يقدمها الاتجاه الإسلامي تمثل جرعات قوية لأعضاء الاتجاه الإسلامي تدفعهم لمزيد من الكسب والعطاء وتمثل حافزاً ودعوة للتيار الموالي من الطلاب للانضمام إلى صفوف الحركة الإسلامية.

(١) الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم، جدول المحاضرات، ١٩٨٢م، منشورات الاتجاه الإسلامي.

كان النشاط الدعوي مكثفاً في الجامعة وكانت أمانة النشاط الجاري بالهيكل التنظيمي للاتجاه الإسلامي من أنشط الأمانات فالحركة الإسلامية كانت تدرك عظم المسؤولية التي تقع عليها وتدرك حجم التحدي الذي تواجهه في داخل الجامعة وخارجها وكانت تدرك أن أي هزيمة في جامعة الخرطوم للاتجاه الإسلامي كانت تعني الحرج السياسي الذي ربما يقود لمضايقة قيادة التنظيم خارج الجامعة التي تشارك في أجهزة سلطة مايو مما يعني أن وجود الحركة الإسلامية على قيادة الحركة الطالبية بجامعة الخرطوم كان بمثابة كرت قوة تستعمله قيادة الحركة في حواراتها مع النظام وكأنما تقول له إن وجودنا على قيادة الطلاب يعني الكثير... كما أن النشاط الدعوي المكثّف تتنزل بركاته كماً وكيفاً على العمل السياسي بصورة مضطردة... لذا فقد اتبع الاتجاه الإسلامي أساليب عدة في أمر نشر أفكاره والتبشير بأهدافه وبرنامجه وقد كانت أدواته تشتمل على الصحف الحائطية مثل صحيفة "آخر لحظة" - أركان النقاش - الندوات الفكرية - النشرات التعريفية - والكتيبات الدورية - الاتصال الفردي المباشر للطلاب - المساجد المركزية بالجامعة والكليات.

كما كان الاتجاه الإسلامي يستغل كل المناسبات الدينية والوطنية للتبشير ببرنامجه، وقد استطاع الاتجاه الإسلامي من خلال وسائله المتعددة إثراء الجامعة بالنشرات والمطبوعات الفكرية. وهنا يذكر الباحث بعض النماذج من خطاب الاتجاه الإسلامي الدعوي للطلاب.

كان قدوم الطلاب الجدد (البرالمة) يتزامن في معظم أحيانه مع موسم انتخابات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم وكان الوسط السياسي في الجامعة يطلق على موسم الانتخابات وقدوم الطلاب الجدد اسم "سوق عكاظ" الذي يعرض فيه كل تنظيم فكره. ففي عام ١٩٨٢م قام الاتجاه الإسلامي بطبع وتوزيع جدول محاضرات لكل طلاب السنة الأولى بكل الكليات في شكل كروت ممتازة ومصقولة من حيث ورق الطباعة وقدم فيها تعريفاً به وبأطروحاته نقتطف منها " يسرنا ويشرفنا في الاتجاه الإسلامي أن نهنئكم بالنجاح الباهر الذي حققتموه في امتحانات الشهادة السودانية ودخولكم للجامعة قلعة العلم ومنبت الفكر صانعة المجاهدين وأم الشهداء، ومن حسن الطالع أن قدومكم يتزامن مع بعث إسلامي ونهضة في المسلمين وكل ذلك يبشر بفجر جديد تسود فيه القيم الإسلامية حيث العزة لله ولرسوله وللمؤمنين[١]".

فهذا الجدول الذي يمر عليه الطالب صباح مساء يعتبر رسالة إعلامية مستمرة، كذلك في واحدة من النشرات التي أصدرها الاتجاه الإسلامي بالجامعة تحت عنوان "الاتجاه

(١) حسن الترابي، نظرات في الفقه السياسي، الشركة العالمية لخدمات الإعلام، الخرطوم، ص: (١٧٢).

الإسلامي والوحدة الوطنية" دعا فيها الطلاب إلى وحدة الصف المسلم وعزل أعداء التحرير والتعمير من العملاء وأصحاب الأفكار المدمرة والمعادية لقيم الشعب، ثم ذكر أن وحدة الصف ضرورة تفرضها طبيعة المرحلة ثم ذكر أن المسلمين يقفون على مفترق الطرق والأعداء يحاصرونهم من كل جانب.

وفي كتيب صغير أصدره الاتجاه الإسلامي وجه سؤالاً للطالب الجامعي والطالبة الجامعية يقول فيه: " لماذا لا تنضم للاتجاه الإسلامي؟". حيث جاء في الغلاف الآتي:

- لكل مسلم يعتز بإيمانه.
- لكل باحث عن القيم النبيلة.
- لكل من يريد إفناء شبابه في سبيل الله.
- لكل من تؤرقه قضية الإنسانية المعذبة.

ثم وصف الكتيب دعوة الاتجاه الإسلامي بأنها دعوة لهزيمة ليل اللامبالاة ليشرق فجر المشاركة فتصبح لحياة الفرد معنى حينما يندفع بقوة الجماعة، ثم ذكر... إن الحياة الإنسانية لم يكتب لها الاستقرار والاستمرار إلا في ظلّ الجماعة المنطلقة من قواعد الإيمان.. ومن أجل هذه الجماعة كانت صلة السماء بالأرض وكان خط النبوة المستقيم من عهد آدم.

وفي نشرة أخرى من ثمانية صفحات أصدرها الاتجاه الإسلامي عام ١٩٨٣م بعنوان الاتجاه الإسلامي يقدم العمل التنظيمي من منظور إسلامي نقتطف منها:

- ليس البديل عن التنظيم إلا الفوضى.
- رفض التنظيم يعني اعتماد الفوضوية.
- الفوضى والعفوية نقيض القوة.
- الفوضى والعفوية نقيض الوحدة.
- الفوضى والعفوية نقيض النواميس الكونية.
- النظام والتخطيط أساس كل عمل ناجح.
- التنظيم أساس المنهج الإسلامي.
- التنظيم عنوان الهدى القرآني.
- التنظيم أساس عمل الرسول (ص).
- أهداف الإسلام الكبرى تفرض التنظيم.

- ضخامة التحدي للإسلام تفرض التنظيم[١].

أما في النصف الثاني من أكتوبر الذي يمثل فترة انتخابات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم كما ينص دستور الاتحاد، في هذا الشهر تستعر حمى الانتخابات ويقف الاتجاه الإسلامي في حالة طوارىء مستمرة وحالة استنفار دائم حيث ترتفع درجة حرارة الاستعداد وسط عضويته إلى الدرجة القصوى حيث يتم هذا الاستعداد على مستوى جميع الكليات.. وفي غرف عمليات الاتجاه الإسلامي يتم إحضار قوائم جميع طلاب الجامعة وتبدأ أجهزة "الأمن والمعلومات" التابعة للتنظيم الطلابي، تبدأ في تصنيف قوائم الطلاب إلى منضمين - موالين - محايدين - أعداء... ثم يبدأ بعد ذلك العمل وفق خطة انتخابية تبدأ بتنشيط الموالين وكسب المحايدين وكسر شوكة الأعداء.. في هذه الظروف الانتخابية يقاطع معظم طلاب الاتجاه الإسلامي الأكاديميات وحضور المحاضرات وتتحول كل الطاقات إلى الحملة الانتخابية.. وقد جرت العادة في هذه الفترة أن يظل إعلام كل التنظيمات السياسية بالجامعة موجهاً ضد الاتجاه الإسلامي بصورة سافرة.. وأحياناً تجتمع هذه التنظيمات فيما عرف باسم "اللجنة السياسية للتنظيمات الطلابية"، وكان أهم أهدافها هو إزالة الاتجاه الإسلامي من قيادة الطلاب وكانوا يطلقون عليه "الكابوس الذي جثم على صدر الطلاب". كان الاتجاه الإسلامي يدرك حجم هذا التحدي لذلك كان يدير إعلاماً وحملة انتخابية بمستوى كبير.. وكما ذكرت في فصل سابق أن الاتجاه الإسلامي كان يفخر بعضويته وقياداته التي صقلتهم السجون والتجارب والظروف المعارضة، لذلك كان الاتجاه الإسلامي يؤكد دوماً أن من يقدمهم لقيادة الطلاب هم من فئة "القوى الأمين" وهم "أصلب العناصر لأصعب المواقف" وهم الذين تم اعدادهم " ليوم كريهةٍ وسواد ثغر" ففي إحدى ملصقاته التي تملأ الجامعة جاء الآتي:

الاتجاه الإسلامي

- أصالة في الفكر وأخلاقية في الممارسة.
- خبرة في العمل النقابي.. قيادة واعية.
- لحماية استقلال الجامعة وصيانة حريتها.
- أصلب العناصر لأصعب المواقف.

---

(١) الاتجاه الإسلامي، العمل التنظيمي من منظور إسلامي ١٩٨٣م، من منشورات الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم.

- للمشاركة القومية الصادقة.

وفي إحدى الملصقات الأخرى جاء:

أيها الطالب.. أيتها الطالبة

- صوتك أمانة في عنقك..
- صوتك سيف يقطع دابر المفسدين..
- صوتك إدانة للاغتيال السياسي[1]..
- صوتك رفض للفوضى وتكريس للنظام..
- صوتك تمييز للحق من الباطل..
- صوتك رفض للعلمانية والماركسية.
- صوتك دفع لبرنامج حركة التغيير الإسلامي..
- صوتك يبرهن أن الدين ليس أفيوناً للشعوب..

كما أصدر الاتجاه الإسلامي بياناً عن ضرورة قيادة الحركة الإسلامية للاتحاد وعدد فيه صفات أعضاء الاتجاه الإسلامي التي تؤهلهم لقيادة الاتحاد وذكر فيه أهمية الاتحاد نقتطف منه:

"إن العمل في المؤسسات الطلابية باتحاد طلاب جامعة الخرطوم يحتاج إلى كثير من القدرات والمؤهلات ولا يقوى على تحمل أعباء القيادة فيه إلا من وطد نفسه وأعدّها إعداد المجاهدة والمكابدة والتضحية بكل مرتخص وغالي من أجل المصلحة العامة.. فالذي يريد أن يكون في قيادة الاتحاد عليه أن يكون مستعداً للتضحية بوقته وراحته البدنية والنفسية وأكاديمياته ودراسته الجامعية وحياته* إن لزم الأمر وذلك لا يتسنى لأحد إلا إذا صغرت الدنيا وهانت في عينيه واتخذ من الدنيا وملذاتها ومعاناتها وسيلة لغاية أسمى أحب إليه من الدنيا وما فيها فيُقبل على العمل العام باعتباره تكليفاً ربانياً تهون أمامه الأكاديميات وتسهل في سبيله التضحيات بالنفس والنفيس.

---

(١) قصد بالاغتيال السياسي هنا اغتيال عضو الاتجاه الإسلامي الطالب الغالي عبد الحكم حاج المكي الذي كان طالباً بكلية الزراعة وقام باغتياله أحد أعضاء الجبهة الديموقراطية ويدعى عبد السلام في عام ١٩٧٩م.

* الإشارة هنا للطالب عبد الفضيل إبراهيم عضو الاتحاد الذي اشترك في أحداث ٢/ يوليو/ ١٩٧٦م واستشهد هناك.

وذلك لا يتم إلا لمن تجرد لله سبحانه وتعالى وكان صادقاً في تجرده ومسعاه، أميناً مع نفسه ومع الطلاب فيكون بذلك حارساً أميناً لحقوق ومكتسبات الطلاب، لا يثنيه عن ذلك منصب أو عناء ما دام واثقاً بأن عمله هذا ما هو إلا جهاداً يتقرب به إلى الله زلفي ويتقي فيه عذاب يوم لا يسلم فيه إلا من أتى الله بقلب سليم.. والعمل العام في ذلك كله يحتاج إلى الصمود عند البلاء والتصدي لكل من يتعدى على حرية الجامعة والاندفاع نحو الأهداف السامية بقوة الرجال وعزم وعزيمة المجاهدين الذين يحرصون على الشهادة في سبيل الله كحرص الكافرين على الحياة.. ولا يجدي في مثل هذه الحالات التباكي على الحرية والمناداة بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين من وراء الجدران كما يفعل الزملاء والزميلات** اليوم فالحرية تؤخذ ولا تعطى بالتسول والتباكي على حرية المناضلين.. والعمل في اتحاد طلاب جامعة الخرطوم يحتاج إلى الكوادر الإدارية والنقابية والعملية والذي يمثل "كوسو***" ينبغي أن يكون مؤهلاً تأهيلاً فكرياً وعلمياً ليمثل الطلاب في المحافل القومية والدولية تمثيلاً يشرّف طلاب جامعة الخرطوم".

ثم يتحدث البيان عن مواصفات التنظيم الذي ينبغي أن يقود الاتحاد فيقول: "والتنظيم الذي يقود كوسو بأعبائه الداخلية والخارجية ينبغي أن يتمتع بالقدرة الحركية.. ويحتاج إلى قاعدة عريضة ملتزمة يحركها كيف يشاء وأنى شاء ومتى شاء.. والاتجاه الإسلامي والحمد لله هو التنظيم الوحيد الذي تتوفر فيه كل هذه الصفات وهو زاخر بكل المؤهلات التي تؤهله لقيادة الطلاب، فقد عرفت قيادته بالأمانة والصدق والوفاء بالعهود والالتزام بالمواثيق.. وقد عرف الطلاب تحت قيادة الاتجاه الإسلامي التضحية ونكران الذات وعرفوا فيهم الصمود والتصدي فكانوا بحق وحقيقة "أصلب العناصر لأصعب المواقف.. تسندهم قاعدة عريضة ملتزمة تقف وراءهم في أحلك الظروف..."

وقد كان الاتجاه الإسلامي يذكر الطلاب دوماً أن الاتحاد ليس هو الأربعين طالباً الذين يكوّنون المجلس الأربعيني وإنما هو مئات الأشخاص الذين يقومون بمهام اللجنة التنفيذية ويساعدون إخوانهم في تحمل أعباء التكليف، وكان الطلاب يشاهدون عشرات الطلاب من عضوية الاتجاه الإسلامي النشطة تتعرض للفصل الأكاديمي والملاحق وإعادة السنوات الدراسية.. ويشاهدون أعضاء الاتحاد يشكلون غياباً شبه كامل عن حضور المحاضرات الأكاديمية وكانوا يكبرون هذه التضحيات من أجل العمل العام...

** الإشارة هنا إلى الجبهة الديموقراطية التي تبدأ خطابها دائماً بعبارة الزملاء والزميلات.

*** كوسو اختصار لكلمة Khartoum University Student Union

الاتجاه الإسلامي عند فقدانه الاتحاد

كان الاتجاه الإسلامي يعبر عن رأيه في السياسة الداخلية والأحداث العالمية عبر منبر الاتحاد ولكن عندما يفقد قيادة الاتحاد لا يتخلف عن أداء دوره في أي حدث من الأحداث بل يحاول جرّ الاتحاد الذي يسيطر عليه خصومه لمواقف محرجة للاتحاد ويقوم بتعبئة الرأي الطلابي لمناصرة الحدث المعين، فمثلاً عندما وقعت أحداث الغزو الروسي لأفغانستان عام ١٩٧٩ لم يكن اتحاد طلاب جامعة الخرطوم تحت قيادة الاتجاه الإسلامي وإنما كان تحت قيادة تجمع التنظيمات السياسية وكان الشيوعيون - الجبهة الديموقراطية - تحتل أهم المراكز في اللجنة التنفيذية (السكرتير العام) وكان يتولى ذلك الطالب الصديق الزيلعي * حيث لا يمكن للجبهة الديموقراطية أن تخرج الاتحاد في مسيرة لإدانة الاتحاد السوفيتي مما جعل الاتحاد في موقف حرج ازاء مطالبة صحيفة الاتجاه الإسلامي (آخر لحظة) التي ظلت باستمرار تطالب الاتحاد باتخاذ موقف واضح من الغزو السوفيتي لأفغانستان وتطالبه بالخروج في مسيرة جماهيرية لإدانته... بالطبع لم يستطع الاتحاد أن يدين الغزو الروسي لأفغانستان وإنما اكتفي بالرد بأن الروس قد دخلوا أفغانستان "بناء على طلب الحكومة الشرعية في كابول".

كانت "آخر لحظة" تعبىء الطلاب ضد الاتحاد الذي أصبح بوقاً للحزب الشيوعي ولم يناصر المسلمين في أفغانستان وكانت تفرد صفحتين بصورة دائمة مكتوباً عليهما "المجد للمجاهدين في كابول والجبال".

وفي ١٩٧٩/١٢/٢٩م قرر الاتجاه الإسلامي أن يتخطى الاتحاد وأن يخرج في مسيرة هادرة إلى الشارع وإلى السفارة السوفيتية لإدانة هذا الغزو كما أصدر بياناً نقتطف منه "... تشهد البلاد الأفغانية اليوم معارك ضارية في كل ربوعها في أعنف اعتراك بين الكفر والإيمان في هذا العصر والقتال لا يكاد يهدأ بين شعب حمل السلاح دفاعاً عن دينه وشرزمة كافرة تعمل لإزالة الدين وإبادة المؤمنين مدعومة من الاستعمار السوفيتي.. وتطوعت الإمبريالية الشيوعية بجيوشها وبالامداد العسكري لتسهم في حرق القرى التي تتهم بإيواء المجاهدين دون تورع حتى عن استخدام الأسلحة المحرمة من نابالم وغيره دون تفريق بين طفل وشيخ

* أبو بكر الصديق الزيلعي هو أحد أبرز قادة الجبهة الديموقراطية - الشيوعية - في الجامعة في الفترة التي تلت المصالحة واستمرت حتى مطلع الثمانينات وكان المتحدث الرئيسي في كل ندوات الجبهة الديموقراطية.

ورجال ونساء والعالم لا يحرك ساكناً ولا يمد يد العون للمستضعفين والمجاهدين الذين استجابوا لنداء الجهاد. شعب يقاتل من أجل الحرية وتأكيد ذاتيته الإسلامية وللحفاظ على استقلاله وأراضيه..(ثم يمضي البيان مخاطباً الاتحاد السوفيتي.. قد فضح تدخلكم السافر كل الأقنعة والدعاوى التي كنتم تخادعون بها وتخدعون من مناصرة الشعوب التي تجاهد من أجل الحرية والسلام ويعيد تدخلكم للأذهان تاريخاً أكثر بشاعة وشناعة ولتعلموا أن غزوكم لأفغانستان اعتداء موجه لكل جماهير المسلمين وفي كل مكان ولن يكون مصير هجمتكم الاستعمارية بأي حال من الأحوال أفضل من الهجمة التي سبقتها وتأكدوا أن أفغانستان ستكون مقبرة للغزاة[(١)]".

"... قد كانوا أربعين رجلاً قبل عام لم يكد ينقضي حتى انتفضت الأمة بأجمعها تقاتل في سبيل الله.. إن الشعب الأفغاني بتصديه للاستعمار الشيوعي يدافع عن عقيدة كل المسلمين برده للزحف الشيوعي وسيجعل من بلاده مقبرة للشيوعيين وللجيوش الشيوعية وسيكتب هذا الشعب المجاهد ملحمة للجهاد المسلح الذي تقوده الجماهير ضد كل أنواع الاستعمار والاستبداد ومحاولات عزل الأمم المسلمة عن جذورها الإسلامية بعثاً للجهاد وحب الاستشهاد[(٢)]".

والباحث يرى أن مثل هذه البيانات التي تخاطب وجدان المسلم وتشعره بالاستهداف الشيوعي أو الصليبي لعقيدته الإسلامية تعتبر في حد ذاتها دعوة للطالب لاستشعار التحدي الحضاري الذي يواجه المسلمين وما أفغانستان إلا واحدة من عدد من الدول المستهدفة.. فالبيان يخاطب وجدان الطلاب ويدعوهم لمناصرة إخوانهم المستضعفين في كابول والجبال وفي نفس الوقت يعتبر البيان والمسيرة الشعبية إدانة إسلامية وسياسية للاتحاد الذي كان ينبغي أن يقوم بهذا الدور لولا سيطرة اليسار عليه.. كما وجه الاتجاه الإسلامي بالجامعات والمعاهد العليا رسالة لرئيس الاتحاد السوفيتي ليونيد برجنيف جاء فيها:

" بتدخلكم العسكري في أفغانستان تؤكدون لشعوب العالم بأجمعها أنكم تعبرون إلى المياه الدافئة بروح توسعية استعمارية على أشلاء ودماء شعب ابتلى بجواركم وانطلقت جيوشكم تدمر وتقتل لتجعل أفغانستان دولة تابعة لكم...".

كما أصدر الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم بياناً آخر إلى جماهير المسلمين نقتطف

(١) بيان من الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم ٢٩/ ١٢/ ١٩٧٩م.
(٢) بيان من الاتجاه الإسلامي بالجامعات والمعاهد العليا ١٩٨٠م.

منه[١]" يا جماهير المسلمين.. الجيوش الروسية تتدفق على أفغانستان طائرات ودبابات تقصف وتدمر في حرب شرسة لا تفرق بين الشيوخ والنساء والأطفال والثوار.. خمسة وأربعون ألفاً من الجنود السوفيت يحملون الموت والدمار وأربعون ألفاً آخرون ينتظرون على الحدود والنيران لا تكاد تخمد أزيز المدافع لا يكاد ينقطع والمجاهدون في كابول يتسابقون إلى الموت ليكتبوا لأمتهم الحياة[٢]".

الإعلام المضاد

إذا كان المحور الأول من آداة التنظيم يمثل الأمر بالمعروف.. نشراً للدعوة والفكر الإسلامي وإشاعةً لروح التدين وسط الطلاب، فإن المحور الآخر فهو محور النهي عن المنكر والذي يمثل خط دفاع الاتجاه الإسلامي... ففي هذا المحور تتركز آليات الاتجاه الإسلامي السياسية والتي تقوم بمواجهة التنظيمات الأخرى المعادية ومقارعتها الحجة بالحجة وكشف مواطن ضعفها والانقضاض عليها متى ما وجدت ذلك ممكناً سيما إذا علمنا أن جميع التنظيمات السياسية التي سيرد ذكرها لاحقاً كان يجمعها العداء للاتجاه الإسلامي، وما عدا ذلك فهي شراذم أحزاب تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى. لذلك كان على الاتجاه الإسلامي أن يقوم بإدارة المعادلة السياسية بين الحركة الإسلامية ونظام نميري بكفأة عالية تحفظ للحركة الطلابية حريتها السياسية في إبداء الرأي ونقد التجاوز والفساد السياسي للنظام بصورة لا تصل لمرحلة المواجهة.. ذلك لأن الحركة الإسلامية الطالبية في دواخلها لم تكن ترى في المصالحة الوطنية إلا هدنة مع نظام نميري لذلك إن انتقاد أخطاء النظام المايوي يعتبر أمراً لا بد منه لسببين هما:

١ - صدعاً بالحق وإعمالاً لمبدأ المناصحة لحكام المسلمين.

٢ - حتى يدرك الطلاب أن الاتجاه الإسلامي في مصالحته للنظام لا يغض الطرف عن الباطل ولا يجامل في قولة الحق، كما أنه لم يذب في صفوف مايو كما يدعي خصومه.. لذلك نرى أن صحيفة "آخر لحظة" وبعد مظاهرات ١٩٨٢/١/٤م التي انتظمت معظم المدن السودانية.. تكتب تحت عنوان " دعوة للجماهير" الآتي: "إن أزمة الشعب السوداني ليست هي زيادة أسعار السكر أو الدقيق أو البترول وإنما هي أزمة نظام بكل مناهجه ومؤسساته... أزمة أن يسرق الكبار ليموتوا من التخمة بينما تموت الجماهير من الجوع، أزمة أن يصبح

(١) بيان من الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم، ٢/ يناير/ ١٩٨٠م.

(٢) راجع نص البيان كاملاً في ملف الوثائق، وثيقة رقم: (٢).

الفرد هو الإله المعبود، أزمة آلاف المنافقين والذين يحتلون مواقع قريبة من "معبود الجماهير"... هذه البلاد ليست فيها سلطة تشريعية مستقلة وليست فيها سلطة قضائية مستقلة وليست فيها حتى تنظيم سياسي له القوة على محاسبة رئيسه... وإنما لها رئيس يأخذ بتلابيب تنظيمه في مواقف المراجعة والترجيع.. نحن أحوج ما نكون إلى دستور يضع رئيس الدولة تحت القانون وليس فوق القانون كما قال النميري في إحدى خطاباته الدورية.. قضية الشعب السوداني ليست زيادة الأسعار وإنما هي قضية الحرية وقد كان الانفجار قاسياً في انتفاضة الرابع من يناير حيث أطاح ببعض الرؤوس .. بعضها كان مجرد كبش فداء لحماية النظام وامتصاصاً لغضبة الطلاب الثائرين.. لقد ثار الطلاب لأن رئيس الجمهورية حرّم اللحم يومي السبت والأربعاء وأحلّ الخمر في كل أيام الأسبوع وثاروا لتعطيل قانون الثراء الحرام حتى لا يطال سدنة الصحافة وكهان رئاسة الجمهورية.. إن الترقيع والتخدير والخداع بواسطة وسائل الإعلام لن يحلّ قضية الجماهير، وعلى الجماهير أن تختار بديلاً مناسباً وتنحاز له ونحن نقدم لها هذا البديل في الإسلام فهل تنحاز الجماهير للحركة الإسلامية في السودان لإقامة دولة الإسلام في السودان"[١].

ويلاحظ هنا الآتي:

أ - إن الاتجاه الإسلامي لم يخرج في تلك المظاهرات لأنها ضد نظام هُم جزءٌ منه مهما ادعوا ومهما كتبوا وأن إدانة النظام هي إدانة لكل النظام بكل تركيبته السياسية صغُر دور المشاركين أم كبُر.

ب - الحركة كانت تخطط لورثة نظام مايو ولا تريد له أن يسقط إلا في أيديها فهي تعدّ العدة وتسابق الزمن لذلك.. ونلحظ ذلك في خاتمة كلمة "آخر لحظة" أعلاه.

ج - هاجم المقال النظام الحاكم هجوماً مرّاً أثبت للاتجاه الإسلامي تميز صفه عن صف النظام وذلك حتى لا يظهر وسط الجامعة بمظهر الشريك الراضي عن تصرّفات النظام سيما وأن "مساء الخير" صحيفة الجبهة الديموقراطية - لسان حال الحزب الشيوعي - كانت تسمي الاتجاه الإسلامي باسم " فرع الاتحاد الاشتراكي المسمى بالاتجاه الإسلامي"..

أما بالنسبة لتصدّي الاتجاه الإسلامي للتنظيمات الأخرى فإن ذلك أشد ما يكون في فترة انتخابات الاتحاد والذي يكثر فيه النشاط الطلابي السياسي، ويمتلىء مقهى النشاط الطلابي بالصحف السياسية والندوات وأركان النقاش، وتتحوّل الجامعة إلى معرض سياسي كبير تسمع بها أصوات مكبّرات الصوت من مكان بعيد لدرجة جعلت إدارة الجامعة تتدخّل أكثر من مرة

(١) آخر لحظة، صحيفة الاتجاه الإسلامي الرسمية، يناير ١٩٨١م.

لمنع استعمال مكبّرات الصوت أثناء فترات الدراسة الصباحية داخل الجامعة.. كان إعلام الاتجاه الإسلامي إعلاماً قوياً ومنتظماً وكان عدد صحفه بمقهى النشاط الطلابي يزيد عن صحف جميع التنظيمات السياسية مجتمعة لأن هنالك بعض التنظيمات لا تظهر لها صحف على مدار السنة إلا في شهر أكتوبر، موسم الانتخابات وهو ما يطلق عليه الاتجاه الإسلامي "البيات الشتوي للتنظيمات الكرتونية".. لم تكن هنالك صحف توالي الصدور بانتظام غير صحيفتي "آخر لحظة" وصحيفة " مساء الخير " لسان حال الجبهة الديمقراطية.

فصحيفة " آخر لحظة " هي الصحيفة الأم للاتجاه الإسلامي التي ظلّت تواظب الصدور في أحلك الظروف ومنذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمن.. إلى جانبها كانت تصدر صحف الاتجاه الإسلامي الأخرى مثل "معالم في الطريق"، "آفاق"، "البلاغ"، "القلم"، "أشتات"، "أشواك"، "الصباح الجديد" والأخيرة كانت صحيفة فكرية تهتم بأخبار الحركات الإسلامية في العالم وتقدّم نماذج من الأفكار الثورية أمثال كتابات المفكر الإيراني على شريعتي ومقولات الإمام الخميني، وقد كانت من أميز صحف النشاط وكان لها قراء ومعجبون كثر وكان محرروها يكتبون تحت عنوانها الشعار الآتي: "الصباح الجديد.. صوت الضمير الإنساني".

وكان من أبرز محرريها: محمد طه محمد أحمد - محمد المجذوب محمد الأمين - ناجي شريف بابكر. كما كانت مجموعة بكداش أحمد المصطفي، آدم سعد جبارة، إبراهيم محمد علي - حمد علي من أبرز صحفيي الاتجاه الإسلامي بالجامعة التي تولت إصدار " آخر لحظة" طيلة وجودهم في الجامعة .. للأسف الشديد، فبعد قيام ثورة الإنقاذ الوطني في ٣٠ يونيو ١٩٨٩ لم نجد أثراً لهؤلاء الأعلام من الصحفيين الأفذاذ الذين يشكلون مدرسة ويمثل الفرد منهم أكثر من دبابة أو راجمة في دفاعه عن البرنامج الإسلامي.. لكن يبدو أن الانقاذ بعد محاربتها للصحفي الإسلامي محجوب عروة - ولم تغفر له زلته - أرادت أن تعتمد في إعلامها - لا أقول على المتردية والنطيحة وما أكل السبع - ولكن على بعض تجار الصحافة وبعض الذين يكثرون عند الطمع.!!!! لذلك تفرقت كوادر الحركة الإسلامية الصحفية في الأصقاع ولم يبق منهم غير الأستاذ محمد طه وحسين خوجلي وكلّ يعمل وفق اجتهاداته وإمكاناته الفردية ويتعرض للكثير من المضايقات والرقابة. وحتى المؤتمر الوطني - بعد انشقاقه - عندما قرر إنشاء صحيفة خاصة به اختار لها اسم "المؤتمر" أتى بشخص مغمور لتولي قيادتها متجاهلاً الرصيد الهائل للإسلاميين في العمل الصحفي اهـ.

عموماً كانت صحيفة "آخر لحظة" تمثّل هاجساً بالنسبة للتنظيمات حيث كانت تفاجىء التنظيمات بنشر محاضر جلساتهم السرية وبسرد أقوالهم داخل الاجتماعات وبأرقام الغرف

التي يجتمعون فيها.. حتى ظنت بعض التنظيمات أن الاتجاه الإسلامي يمتلك أجهزة للتنصّت ولكن حقيقة الأمر أن الاتجاه الإسلامي كان يستفيد من كوادره " المزروعة" داخل التنظيمات السياسية التي تتبوأ مواقع قيادية تؤهلها لحضور الاجتماعات والتحدث باسم التنظيمات السياسية... ونذكر هنا مثالاً من حملة "آخر لحظة" على التنظيمات السياسية..

في يوم الثلاثاء ٩ ديسمبر ١٩٨٠م أصدرت صحيفة "آخر لحظة" عدداً خاصاً ومطبوعاً وزّعته على الطلاب، ويلاحظ أن هذا العدد جاء بعد أحداث الجامعة التي استشهد فيها الطالب الغالي عبد الحكم حاج المكي ١٩٧٩م بواسطة أحد أعضاء الجبهة الديموقراطية.. نقتطف من ذلك العدد ما يلي: " في هذا العدد نحدثكم عن التنظيمات السياسية.. النشأة.. الميلاد.. الفكرة.. الطبيعة والممارسة، نحدثكم حديث الشاهد العارف عن التاريخ الناصع للحركة الطلابية في هذه المؤسسة العريقة.. عن المواقف المشرّفة والأمجاد العظيمة.. ونحدثكم عن التاريخ الأسود لأعداء النضال الطلابي واخترنا هذا الوقت بالذات حتى نميّز الخبيث من الطيب ونحن مقبلون على انتخابات الاتحاد حتى نضع كل عابث في حجمه الطبيعي... وتواصل "آخر لحظة" حديثها عن التنظيمات السياسية: "تنظيم المؤتمر.. كانت البداية السياسية الفعلية لتنظيم المؤتمر هو يوم أن أخرج هذا التنظيم بياناً سياسياً معلناً بذلك ميلاد تنظيم جديد يمثّل امتداداً لفكر المواطن. السوداني.. وتأتي بعد ذلك الأسئلة متدفقة عن مصادر تمويل هذا الحزب الجديد .. من أين يتحصل على آلات الطباعة وما هي أهدافه؟؟.. والحقيقة أن هذا التنظيم أو هذه اللافتة المزورة التي تختبيء خلفها التنظيمات السياسية الكسيحة بالجامعة قد صُنع يوم ٣/أكتوبر/١٩٧٩م أي قبل ١٨ يوماً فقط من انتخابات الاتحاد الماضية وذلك حتى يُجَمِّل قائمة تحالف التنظيمات الورقية وكان أن تكالبت التنظيمات كلها بواسطة كوادرها السرية لاستلام مواقع القيادة فيه حتى أصبح هذا التنظيم برلماناً صغيراً يضم كل أحزاب الجامعة اليسارية.

وأصبح من المألوف أن تجد شيوعياً أو بعثياً أو غيرهم وهم يعلقون بيانات أو إعلانات تنظيم المؤتمر.. كما سيطر تنظيم الأساتذة الاشتراكيين بقيادة عميد الطلاب الحالي (عبد الوهاب بوب) على قيادة هذا التنظيم بالتعاون مع العناصر اليسارية وأصبح العميد منظراً إيديولوجياً ومفكراً سياسياً، وكانت النتيجة أن اغتيل أحد الطلاب.. وبعد انكشاف الحقيقة سقط المؤتمر في جميع الروابط في العلوم والآداب والزراعة والاقتصاد وأصبح قيادة بلا قاعدة أو قيادة هي القاعدة..)

ثم تحدثت "آخر لحظة" عن الجمهوريين قائلة: "المحموديون.. وهم جماعة باطنية خارجة عن الملة بإنكارها القطعي الثابت من أصول العقيدة وبرفضها للشريعة الإسلامية

وتبنيها لبرنامج اشتراكي ديموقراطي علماني يفصل الدين فصلاً تاماً عن التأثير على الواقع الاجتماعي وذلك بإعادة تأويل القرآن والسنة مع مقتضيات البرنامج العلماني المطروح ونسخ ما تعارض مع البرنامج المزعوم بدعوة نبي الرسالة الثانية(١). والجمهوريون قد أبدوا عداء سافراً وواضحاً لبرنامج التغيير الإسلامي وتطاولوا بالشتم على لجنة تعديل القوانين لتتناسب مع الشريعة الإسلامية وعلى أعضائها وعلى رئيس القضاء بينما صمتوا صمت الكلب الذليل عن صاحب القرار الجمهوري الذي كُوّنت بموجبه اللجنة".

وعن الحزب الاتحادي الديموقراطي ذكرت "آخر لحظة": "هذا الحزب بلا قاعدة في الجامعة والمجتمع وبلا إيديولوجية فمرّة ينادي رئيسه بالإسلام - وهو تارك للصلاة - مجاراة للإسلاميين في الجبهة الوطنية المنحلة ومرة ينادي بالقومية على النسق الناصري مجاراة للعقيد القذافي، ثم يقوم الآن ليعلن عداءه لبرنامج التغيير الإسلامي متقرباً لأسياده الجدد في العراق رافعاً راية القومية العربية على النسق العراقي البعثي التكريتي - أما أتباعه في جامعة الخرطوم فهم شرذمة من اليساريين الانتهازيين الذين انضم أحدهم في أكتوبر الماضي قبل انتخابات الاتحاد ليفوز بمقعد في الاتحاد مؤهلاً نفسه وزيراً لحكومة الشريف الهندي القومية العلمانية البعثية التكريتية القادمة!".

أما عن حزب الأمة فتذكر "آخر لحظة" :" هو حزب طائفي يعتمد على طائفة الأنصار.. علماني يعتمد على خريجي كلية غردون من غلاة العلمانيين أمثال المحجوب والشنقيطي.. وهو حزب متناقض من حيث تكوينه فقاعدته إسلامية تقليدية متحمسة للشريعة وقيادته علمانية تدعو إلى الاشتراكية.. ولهذا التناقض ظلّ الحزب يرفع راية الصحوة الإسلامية لإرضاء قاعدته ثم لا يبذل أي خطوة لإنفاذ هذا الوعد إرضاء لقيادته المهيمنة ولم يجد هذا الحزب أي حرج في التحالف مع الماركسية الدموية الحمراء ودماء شهداء الأنصار التي سفحها الشيوعيون في مجزرتي أبا وود نوباوى لم تجف بعد".

كذلك تتحدث "آخر لحظة" عن التاريخ الأسود للجبهة الديموقراطية ثم تذكر أن الشيوعيين هم الذين جاؤوا بمايو عام ١٩٦٩م وهم الذين حلوا اتحاد علي عثمان محمد طه عام ١٩٦٩م وفرضوا سكرتارية الجبهات التقدمية وهم الذين أحضروا الدبابات لضرب الطلاب في أحداث احتلال الجامعة في ١١/ مارس/ ١٩٧١م، وهتفوا اضرب.. اضرب يا

(١) المحموديون اسم يملأ صدور الجمهوريين بالغيظ لأن اسمهم هو "الجمهوريون" والاتجاه الإسلامي يحاول ربطهم بمحمود محمد طه وليس بفكرة معينة وهم في نظر الاتجاه الإسلامي عبارة عن نسخ لمحمود قد ألغوا عقولهم تماماً.

أبو قاسم.. وهم الذين اغتالوا الطالب الغالي عبد الحكم.. وهم الذين غنوا للنميري.. يا حارسنا وفارسنا وجيشنا ومدارسنا.. يا سيف الفداء المسلول تشق أعداءنا عرض وطول".

وتختم "آخر لحظة" مقالها عن تحالف التنظيمات بقولها ".. وبعد عزيزي القارىء فهل يلتقي من جديد حزب الأمة الطائفي الرجعي مع الحزب الشيوعي الأحمر التقدمي وهل يصفق المادي الماركسي للباطني الجمهوري وهل يصفق الجنوبي المتعصب لداعية البعث العربي الشيفوني؟".

فاعلية اتحاد الطلاب السياسية

ظلّ اتحاد طلاب جامعة الخرطوم جهازاً نقابياً يمثّل جميع الطلاب بمختلف اتجاهاتهم الفكرية والسياسية... الطلاب يخوضون حملته الانتخابية كتنظيمات سياسية ولكنهم يتقدمون للترشيح لعضويته كأفراد أو طلاب فقط لأن دستوره لا يتعامل مع التنظيمات والأحزاب كأحزاب وإنما مع الطلاب كطلاب فقط... والاتحاد بالنسبة للاتجاه الإسلامي ولأي تنظيم يعني الكثير خصوصاً إذا كان في مستوى اتحاد طلاب جامعة الخرطوم بتاريخه الناصع وسمعته الطيبة فهو الاتحاد الذي فجّر ثورة أكتوبر١٩٦٤ والذي قاد ثورة شعبان ١٩٧٣ والذي رفع المذكرات السافرة في معارضتها لنظام نميري، وهو الجهاز النقابي الذي عبره يتم تدريب وتأهيل كوادر التنظيمات.. وهو المنبر الذي يتيح للتنظيم الذي يسيطر عليه مخاطبة كثير من الجهات خارج السودان وداخله، مما يترتب على ذلك علاقات مستقبلية طيبة بين تلك الجهات والتنظيم المسيطر على الاتحاد.. كذلك إن للاتحاد ميزانيته المعتبرة وشخصيته الاعتبارية التي تجعله يؤثر في كثير من القرارات الجامعية التي تخدم خطه الفكري والسياسي.

وإذا كان الخطاب الفكري الذي يقدمه الاتجاه الإسلامي عبر أداة التنظيم في معظمه تأصيلاً لقيم المجتمع ودعوة لجماهير الطلاب للالتفاف حول برنامجه للتغيير الإسلامي وفي جانبه الآخر ملاحقة للتنظيمات السياسية المناوئة كما أسلفنا.. فإن أداة الاتحاد كان خطابها خطاباً سياسياً في معظمه.. حيث برز الاهتمام بالثورات العالمية.. والمؤتمرات الخارجية.. والاهتمام بالمواسم الثقافية الفكرية.. كذلك على مستوى السياسة الداخلية لعب الاتحاد دوراً مقدراً في انتقاد سياسة النظام المايوي فيما يتعلق بالمواقف الدولية فيما يهم أمر السياسة الخارجية.. لقد لعب الاتحاد في هذا المضمار دوراً جعله يميز صفه عن صف النظام وجعله يقف موقف الناصح الأمين الذي لا يخشى في الحق لومة لائم... سيما وأن الاتجاه الإسلامي قد سيطر على كل الاتحادات الممتدة من ٧٧ - ١٩٨٥م عدا دورتين، علاوة على سيطرته على كل الاتحادات - منذ ١٩٦٩م .

وعندما جاءت المصالحة الوطنية في ١٩٧٧/٧/٧ بين الجبهة الوطنية ونظام نميري أصدر الاتحاد بياناً قوياً بشأنها بتاريخ: ١٩٧٧/٨/٢م نقتطف منه الآتي:

"يا جماهير شعبنا الصابرة.. إن المصالحة أطلت من بين الوحل والدم وبدأت مشوارها وهي تتعثر على أكوام الظن والحقد والظلمات، كما أن ما تبشر به الحكومة من حرص على تنقية الأجواء وحسم الخلافات بينها وبين المعارضة يشكل خطاً جديداً لا يفتقد إلا أن يكون جاداً وقاصداً.. ويجدر أن نقرر هنا أن البداية الصحيحة لهذا الطريق أن تطلق حرية المواطنين في التعبير عن آرائهم وأن يكون ذلك مدخلاً للحريات العامة (ثم يمضي بيان الاتحاد حول المصالحة) ونحن في قيادة الحركة الطلابية نذكّر الحكومة والمعارضة على السواء بأن الحركة الطلابية ثابتة عند مواقفها المبدئية المنحازة بلا تحفظ للمصلحة العامة ولعل مواقفنا الثابتة من سلطة مايو منذ مجيئها أكبر دليل على صدق ما قلناه وحتى هذه اللحظة ونحن نعاني من جراء ما اتخذته ضدنا الحكومة من قرارات قضت بحلّ اتحادنا وتشريد أعضائه وفرض أجواء غريبة على مؤسساتنا التعليمية ولكننا صمدنا لكل تلك الأعاصير، ولن نلقي الراية حتى يسقط آخر فرد منا.. كما وأننا لن نتردد في دعم أي اتجاه من شأنه أن ينقذ بلادنا من التمزّق الذي أصابها من جراء الحكومة والمعارضة... إن الحركة الطلابية ظلت صخرة صلبة تحطمت عندها كل السياسات الرامية لتطويقها ولا نذيع سرّاً إن قلنا إن الحركة الطلابية لا تعارض حباً في المعارضة، ولكن تعارض رفضاً للظلم والتسلط وأنا بهذا الصدد لعلى استعداد لأن نفتح صدورنا حتى للأيادي التي تلطخت بدماء الشهداء منا شريطة أن تكون في ذلك مصلحة البلاد وأن تتحقق به حرية الحركة الطلابية في التعبير عن رأيها دون إملاء من أحد... ونؤكد أننا لسنا حريصين على الحرب إذا ما جنح من نحارب للسلم وهذا مبدأ نقرره ونلتزم به"[١].

بالطبع هذا البيان لم يقصد به نظام نميري في المقام الأول ولم تقصد به جماهير الشعب السوداني المعنون لها بالمقام الأول أيضاً، وإنما قصدت به القاعدة الطلابية بالجامعة حيث أراد البيان أن يؤسس أرضية صلبة وسط الطلاب لمقبولية مشروع المصالحة الوطنية الذي ستتناوله كل التنظيمات بالنقد والتجريح والتحليل، وتحاول أن تخلق منه موضوعاً لحصار الاتجاه الإسلامي، لذلك جاء البيان قوياً يحمل عبارات الصمود والاستعلاء والاستعداد لتقديم الشهداء وأن الراية لن تسقط.. وما دام من نحارب قد جنح للسلم فعلينا فقهاً أن نجنح للسلم مقدمين مصلحة الوطن على ما عداه حتى لو أدى ذلك أن نصافح من تلطخت أياديهم بدماء شهدائنا.. ولعل البيان قد أشار إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ

(١) بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم حول المصالحة الوطنية، أغسطس ١٩٧٧م.

فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ﴾[الأنفال: ٦١] وذلك بقوله "هذا مبدأ نقرره ونلتزم به" وهذه الآية من المرتكزات الفكرية والنفسية لمقبولية المصالحة الوطنية.

أما على مستوى السياسة الداخلية لنظام مايو فقد كانت الحركة الإسلامية تعلن آراءها في الأحداث السياسية والفساد والتجاوزات السياسية عبر الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم بأدواته المختلفة من اتحاد إلى صحف إلى بيانات حزبية ونقابية.. وقد لعب اتحاد طلاب جامعة الخرطوم دوراً هاماً في هذا المضمار عبر البيانات التي أصدرها وكانت معنونة إلى رئيس الجمهورية أو إلى جماهير الشعب السوداني، وقد كانت تلك البيانات تحمل وجهة نظر الحركة الإسلامية فيما يستجد من أحداث.

والباحث هنا يستعرض الخطاب السياسي والفكري للاتجاه الإسلامي يورد طرفاً من تلك البيانات. **مثلاً**: عند انعقاد المؤتمر الخامس عشر لمنظمة الوحدة الإفريقية بالخرطوم في يوليو ١٩٧٨م أصدر الاتحاد خطاباً موجهاً للسادة رؤساء وملوك الدول الإفريقية ابتدره بالتحية والترحاب بالضيوف الذين يجتمعون بالخرطوم في وقت له طابعه الخاص عالمياً وإفريقياً، ثم تحدث قائلاً: " إن اتحاد طلاب جامعة الخرطوم وهو يضطلع بدور حيوي وهام في نطاق الحركة الطلابية والإفريقية والعربية والعالمية، ويسهم بفعالية في الحياة السودانية سياسياً وثقافياً واجتماعياً ليدرك عظم المهام التي يمكن أن يقوم بها الطلاب من خلال مؤسساتهم إذا ما أتيحت لهم فرص للتعامل والانطلاق بحرية وأمان[١].

كما تحدث البيان داعياً الرؤساء إلى إفساح المجال أمام الحركات الطلابية وأن ترفع عنها الوصاية وتزال من أمامها كل عقبة كذلك أدان كل أنواع التفرقة العنصرية ودعا لإزالة الأنظمة العنصرية، كما دعا إلى الحوار بالكلمة بدلاً عن البندقية بين أبناء البلد الواحد كما دعا إلى إلغاء كافة صور القهر والإرهاب ضد الشعوب ودعا أيضاً إلى توثيق أواصر حسن الجوار وعدم التدخل في شؤون الغير[٢].

والبيان يعتبر قمة في الوعي والنضج السياسي ويحمل مؤشرات سياسة خارجية لدولة بأكملها وكأنه صادر من وزارة الخارجية.

كذلك أصدر الاتحاد[٣] بياناً عن ما أسماه المسألة الاقتصادية الخانقة التي يصبر عليها الشعب السوداني هذه الأيام. وتساءل بيان الاتحاد:

(١) بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم ١٨ يوليو/١٩٧٨م.
(٢) انظر نص البيان كاملاً في ملحق الوثائق وثيقة رقم (٣).
(٣) بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم ٢٩/ أغسطس ١٩٧٨م

- إذا كانت الموارد قليلة فلماذا الأريحية في الصرف والجزالة في العطاء؟
- وإذا كان الخلل في السلطة التنفيذية فلماذا لا تغير؟ - وإذا كان القصور في الرقابة الشعبية فأين المنظمات الجماهيرية والأمانة الفرعية التي تحظى بإعانة الدولة ورعايتها؟
- إذا كان الخلل في ميزان المدفوعات فأين هي التدابير الراشدة التي تعيد إلى الناس الطمأنينة والثقة؟

وتحدث بيان الاتحاد قائلاً: "التقت اللجنة التنفيذية برئيس الجمهورية في ٢٨/ أغسطس باعتبار أن الطلاب هم البرلمان المفتوح الذي لا يوادد السلطة خشية ولا يعاديها تحرشاً ودام النقاش خمس ساعات تناول فيها الاتحاد قضية الساعة وشرح فيها احتجاج الطلاب واحتجاج الشعب وآرائهم جميعاً والتسيب الإداري والصرف البزخي والرقابة المفقودة والعملة المنخفضة وآثار كل ذلك على حياة المواطن الذي ظلّ يصبر ويستبشر وينتظر أمداً طويلاً، كما تعرض الاتحاد لقضية أمن الدولة ولحرية المواطن وقضية التركيز الاقتصادي[١]".

كذلك أصدر الاتحاد بياناً آخر موجهاً إلى جماهير الشعب السوداني[٢] تحدث فيه عن أزمة اقتصادية طاحنة تعيشها البلاد وعن المعاناة التي تعيشها الأمة ووصف البيان بعض المشاريع التي طرحتها الدولة لتحسين أحوال المواطنين (التقويم الوظيفي) بأنها ذات دوافع سياسية يرمي النظام من ورائها لامتصاص غضب الشعب.

كما تحدث البيان عن الفساد السياسي والاقتصادي وتحدث عن أن هناك قروضاً تستجلب لأغراض إنمائية ضخمة يتم تحويلها إلى استهلاكية ويذهب بعضها لتحقيق المطامع الشخصية من قبل السياسيين والإداريين مع غياب المحاسبة الصارمة وغياب الضمير الذي أصبح من أميز مميزات القائمين على أمر أجهزة الحكومة الاقتصادية.. كما هاجم البيان الصرف على الاحتفالات والكرنفالات والتنظيمات الوهمية[٣].

ورغم مشاركة الحركة الإسلامية في نظام النميري ضمن هذه المصالحة لكن الاتجاه الإسلامي ظلّ يميّز صفه عن صف النظام بصورة جعلته لا يصدر بياناً أو وثيقة عن الوضع السياسي السوداني إلا وتكلم فيها عن الفساد السياسي وغياب الضمير وضرورة الإصلاح وعن صبر الجماهير وما حدثت أزمة من الأزمات إلا ومثّل انحيازاً فيها لقضايا الشعب أو الفئات المظلومة. ويتضح ذلك عند إضراب القضاة الشهير في فبراير١٩٨١ والذي بموجبه قاموا

(١) انظر نص البيان كاملاً في الملحق.
(٢) بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ١١/ نوفمبر ١٩٨١م.
(٣) راجع البيان كاملاً في ملحق الوثائق وثيقة رقم: (٤).

بتقديم استقالات جماعية قام النظام بقبولها.. هنا أصدر الاتحاد بياناً انحاز فيه للقضاة ولقضيتهم التي وصفها بأنها عادلة، حيث جاء في بيان الاتحاد [١] "ظللنا نتابع باهتمام بالغ القضية المطلبية العادلة للقضاة السودانيين وتطوراتها اللاحقة التي أدت إلى استقالتهم وقبولها من مجلس القضاة العالي في اجتماعه المنعقد يوم ١٧/ ٢/ ١٩٨١م"، ويمضي المقال في فقرة أُخرى ليقول: "نعلن بكل صراحة ووضوح تأييدنا المطلق لمجمل المطالب التي تقدم بها القضاة السودانيون للسيد رئيس الجمهورية ولرئيس القضاة ونؤكد على عدالتها ونزاهتها[٢]".

وكان قبل ذلك في أغسطس ١٩٧٩م أن أصدر الاتحاد بياناً موجهاً إلى رئيس الجمهورية يتحدث حول الأزمة السياسية والاقتصادية بالبلاد نقتطف منه "... من هذا المنطلق كانت كل المذكرات التي رفعناها لكم والبيانات التي أصدرناها لجماهير شعبنا.. ونخاطبكم اليوم وقد بلغت الأوضاع السياسية في التنظيم السياسي ما وصفتم ووصلت الأحوال الاقتصادية حدّاً لا سبيل معه إلى حلّ جزئي أو معالجة موضوعية، فقد سئم الناس شعارات ترفع ولا تنفذ والمفسدون من الإداريين والسياسيين يتحولون من موقع إلى آخر ناقلين جرثومة الفساد ملونين كل مرافيء الحياة العامة.. نخاطبكم اليوم محددين رأي اتحاد طلاب جامعة الخرطوم في أوضاع البلاد دعوة لإصلاحها وتصحيحاً لمسارها والذي لا يتأتى إلا بالآتي:

أولاً: حلّ الاتحاد الاشتراكي والمسارعة بطرح صورة جديدة للوفاق الوطني.

ثانياً: التعبير الصريح والواضح عن دين هذه الأمة وقيمها.

ثالثاً: إلغاء جميع التعديلات والقوانين الاستثنائية المقيدة للحريات.

رابعاً: منح المزيد من السلطات للجهاز التنفيذي.

خامساً: إعادة النظر في وضعية مجلس الشعب وحقه في مراقبة الجهاز التنفيذي ومحاسبته.

سادساً: حلّ الجهاز التنفيذي والإداري ومحاسبة الفاسدين من الوزراء والإداريين[٣].

كذلك تحدث البيان عن ضرورة حيدة قوانين الانتخابات حتى تكفل الفرص لكل المواطنين عن التدخل القبلي والحكومي.

كذلك كانت "مجلة الجامعة" التابعة للاتحاد إحدى الأدوات التي تعبر خلالها الحركة

(١) بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ٢٤/ فبراير ١٩٨١م.
(٢) راجع نص البيان كاملاً في ملحق الوثائق (٥).
(٣) **بيان من اتحاد جامعة الخرطوم**، ١١/أغسطس ١٩٧٩ - منشورات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم.

الإسلامية عن رأيها في سياسات النظام. . فقد كتب مكي علي بلابل أحد أعضاء الاتجاه الإسلامي البارزين بمجلة الجامعة مقالاً بعنوان "أزمة نظام أم أزمة تنظيم" نقتطف منه "إن الاتحاد الاشتراكي قد عجز عن استمالة الشعب السوداني واستقطابه فكان لا بد من استعمال اغراءات أخرى مادية كانت أو غيرها، فأصبح بذلك مكاناً للنفعيين في أغلب الأحيان. ولو أن الاتحاد الاشتراكي قام على مبادىء مستمدة من عقيدة الشعب السوداني والتي بالطبع هي الإسلام لتمكن من استقطاب الشعب إلى جانبه ومن تفجير خدماته في عمل ثوري بناء. ذلك أن العمل في هذه الحالة يكون واجباً بل ومسؤولية دينية يستشعر فيه الإنسان معاني العبادة. . . وأزمة المنهج عند التنظيم السياسي قد أدت بدورها إلى أزمة الديموقراطية داخل التنظيم والديموقراطية لا تعني بالضرورة التناصر الحزبي أو الصراع الطائفي ذلك البعبع الذي يخيفنا به البعض كلما ارتفع صوت ينادي بالديموقراطية. . فالديموقراطية هي الوسيلة لتغليب إرادة الشعب على إرادة أي شخص كائناً من كان فهل هي متوفرة داخل التنظيم السياسي؟.

وأجيب على هذا السؤال وبكل بساطة بالنفي بل أن أزمة الديموقراطية قد وصلت حداً يصبح فيه إطلاق اسم التنظيم السياسي على الاتحاد الاشتراكي من باب المجاز فالتنظيم السياسي لا يكون تنظيماً إذا فقد السيادة. . والسيادة لا تعني أن يكون رئيس التنظيم على رأس الدولة ولكنها تعني نفاذ إرادة التنظيم على جميع أفراده بما في ذلك الرئيس، الأمر الذي لا وجود له داخل الاتحاد الاشتراكي فالقرار هو ما يرتضيه الرئيس. . ولو تناقض مع المواثيق. . وقاعدة التنظيم لا دور لها في الاعتراض أو المراجعة أو المحاسبة إلا بقدر ما يسمح به الرئيس وبالتالي لم يعد هنالك تنظيم يدور حوله أفراد. بل فرد يدور حوله أفراد تحت مظلة التنظيم اقتصر دورهم على التبرير والمدح بمناسبة وبغير مناسبة. . . "[١].

وعند اندلاع مظاهرات ٤ يناير/١٩٨٢م والتي تلتها مواجهة كبار الضباط بقيادة عبد الماجد حامد خليل وعدد من عمداء الجيش مما أدى إلى عزلهم. . في تلك المناسبة كتب محمد طه محمد أحمد في "مجلة الجامعة" مقالاً بعنوان "المصالحة الوطنية لمصلحة من؟" ونحن نستعرض خطاب الاتجاه الإسلامي في الفترة موضوع البحث نقتطف منه "... إن السلطة قد تأكدت عزلتها الجماهيرية وإلا فأين قوى التحالف لتقف في وجه المخربين والمشاغبين؟ أين الكتائب والطلائع واتحادات الشباب وتنظيمات النساء؟ أين الملايين التي غنى لها سيد خليفة وأين سيد خليفة نفسه. . فالثورة التي لا تحميها جماهيرها لا تستحق اسم الثورة. . ".

(١) الجامعة، الخرطوم، العدد: ٢٠، أبريل/١٩٨٢م.

ويمضي المقال "من أراد أن يحقق الخير لشعبه عليه ألا ينفرد بصنع القرار وعليه ألا يصدق أغنية عبد العزيز داؤد (نقولها نعم ليك يالقائد الملهم). فقد ولى زمان الوحي والإلهام والحياة كلها تدار بالحوار الديموقراطي وحكم المؤسسات (ويواصل المقال) وللحقيقة فإننا نعايش أغرب جمهورية رئاسية تمر على التاريخ فقد نسي الناس برنامج الولاية الثانية وأفزعهم قول أمير المؤمنين الذي صرح في لقاء المكاشفة بأن الدستور يكفل له الحق في أن ينادي أي رجل بوليس ليطلق النار على أي سوداني ومن دون محاكمة. . . فالنهج الإسلامي لماذا؟

والإجابة تأتي سريعة وقاسية " لكي يبطل النميري قرار مجلس أمدرمان بتحريم الخمور" وهذه هي القيادة الرشيدة التي تخالف دستورها الذي ينص صراحة بأن المحكمة العليا وحدها هي التي تفسر القوانين والدستور. . .

ويتحدث كذلك كاتب المقال - وهو من أبرز صحفيي الاتجاه الإسلامي في الجامعة - عن أن القوانين الإسلامية لم تجز لأن من ضمنها قانون الثراء الحرام ثم يصف النظام بأنه قد ارتمى في أحضان الامبريالية فيقول "والنظام قد ارتمى بشدة في أحضان الإمبريالية الأميركية ولم يحقق الحياد في الخارج فالنميري يسير في ركب العم ريغان، وهذا واضح في خطته وخطواته فقد بارك كامب ديفيد وحالف السادات وشيعه إلى القبر وتحرش بليبيا ووقف ضد الثورة الإسلامية في إيران بلا مبررات وصرح النميري لمجلة الحوادث قائلاً "ما يجري في إيران لا علاقة له بالإسلام" وأكثر من هذا فإن الرئيس قد قال في المؤتمر القومي للاتحاد الإشتراكي: أنه لا يسمح بخمينيات في السودان وهو بهذا يحذر الإخوان. . "[١].

والباحث يرى أن مثل هذه المقالات الساخنة والحادة في هجومها وانتقادها للنظام ولرئيس النظام بصورة لم يجرؤ عليها حتى المعارضين للنظام. . هذه المقالات كانت تقوي من مواقف الاتجاه الإسلامي السياسية وكانت تؤكد صدق شعاراته في الصدع بالحق كما كانت تشير إلى أن النظام والحركة الإسلامية ليسو على وفاق ووئام وإنما كل منهم يغتنم الفرصة لتحقيق أغراضه حتى تحين ساعة المفاصلة.

وحقيقة تلك المقالات تُدخِل قادة الحركة الإسلامية المشاركين في السلطة في حرج شديد إذ يغتنم التيار المعارض للمصالحة الوطنية داخل النظام مثل هذه المقالات ويذهب بها إلى رئيس النظام ليؤكد له نفاق الإخوان المسلمين وعدم صدقهم في مسألة المصالحة الوطنية وأنهم كالسوس ينخرون من داخل النظام.

(١) المصدر السابق.

كان قادة الحركة الإسلامية في النظام يردون بأن هؤلاء شباب وطلاب ولهم انفعالاتهم الشبابية ولهم ظروفهم المحيطة بهم وأي ضغط عليهم سوف يدفعهم لمزيد من التطرف.. كذلك نجد أن التنظيمات السياسية داخل الجامعة لم تكن تعجبها مثل تلك المقالات لأنها تأتي على خلاف ما كانت تصف به الاتجاه الإسلامي مثل "إخوان مايو" و "إخوان السلطة" و" فرع الاتحاد الاشتراكي المسمى بالاتجاه الإسلامي" . كان الجمهوريون من أكثر الساعين بالوقيعة بين النظام المايوي والحركة الإسلامية وكانوا يصدرون الكتب[١] التي تعلق على مثل هذه المقالات، وكانوا يتحدثون فيها عن أن الإخوان المسلمين يلعبون على الحبلين (حبل المشاركة وحبل المعارضة).. وكانوا يحذرون النظام من مكر وغدر الإخوان المسلمين.. وكان الرئيس نميري يستجيب لمثل تلك الانتقادات بالرد غير المباشر في خطاباته التي يتحدث فيها عن المتاجرين بالدين وإخوان الشياطين...

وعلى ذات نهج انتقاد النظام السياسي نجد أن عدداً آخر من مجلة الجامعة[٢] يحمل مقالاً للدكتور للطيب زين العابدين[٣] بعنوان "حول التنظيم السياسي" نقتطف منه: "هل أدى الاتحاد الاشتراكي السوداني الدور المناط به في النظام الأساسي؟ هل كان فعالاً في قيادة العمل الوطني وفي وضع السياسات والخطط والبرامج؟ هل تصدى للدفاع عن مصالح الجماهير وقام بدوره في الإشراف والمراقبة على أداء الجهاز التنفيذي باسم الشعب؟ الإجابة في تقديري أنه لم يؤد هذا الدور وقصر عنه قصوراً شنيعاً". ويمضي كاتب المقال في مكان آخر "إنني أشعر بحيرة حقيقية حين أسمع أن أربعة ملايين شخص ينضوون تحت عضوية الاتحاد الاشتراكي وأن آلافاً من المتفرغين السياسيين في طول السودان وعرضه يعملون لحسابه، وأن ميزانية ضخمة ترصد له ٣،٥ مليون جنيه في العام المالي ٧٩/ ٨٠ ولا أجد لكل ذلك أثراً يذكر في حياتنا السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية"[٤] .

ويرى الباحث أنه عندما يكون الكاتب هو شخص في مقام الطيب زين العابدين فإن الرأي هنا لا يكون رأي الحركة الإسلامية الطلابية، وإنما هو في غالبه الأعم رأي الحركة الإسلامية الأم. وهذا في حد ذاته يخدم خط التنظيم السياسي داخل الجامعة ويعكس أن

(١) رابطة الفكر الجمهوري، الإخوان يلعبون على الحبلين، منشورات الإخوان الجمهوريين.
(٢) الجامعة الخرطوم، العدد: ١٢/ سبتمبر/ ١٩٧٩م.
(٣) الطيب زين العابدين وردت الإشارة إليه عند الحديث عن المصالحة الوطنية وهو أستاذ جامعي من قيادة الحركة الإسلامية.
(٤) الجامعة، الخرطوم، العدد: ١٢، سبتمبر ١٩٧٩م.

عملية انتقاد النظام الحاكم ليست قاصرة على قادة الاتجاه الإسلامي من الطلاب وإنما تصدر أيضاً من قياديين أمثال كاتب المقال المشار إليه.

أيضاً من البيانات والخطابات التي تنتقد السياسة الداخلية لنظام مايو الخطاب الذي وجهه اتحاد طلاب جامعة الخرطوم إلى رئيس الجمهورية الذي تحدث فيه عن العجلة في اتخاذ القرارات والفساد السياسي المعلوم. نقتطف منه ما يلي:

"... لقد أصبحت القرارات المتعجلة والسريعة الفشل سمة ظاهرة وقانوناً ثابتاً يحكم حياتنا اليوم وليس من متضرر ولا منكوب إلا البسطاء والفقراء من أبناء هذا الشعب، بل أصبحت مشاريع الرخاء والنعيم وقوائم المنجزات الوهمية مجالاً تمرح فيه وسائل الإعلام للاستهلاك السياسي في مجتمع جائع بائس..." (ويمضي الخطاب): "إذا كانت العجلة في اتخاذ القرارات وعدم التخطيط سمة رئيسية في سياستنا فإن الفساد السياسي والإداري في هذه البلاد واضح وجلي.."[١].

الموقف من اتفاقية كامب ديفيد

كانت الحركة الإسلامية تنظر لاتفاقية كامب ديفيد بأنها "خيانة" للأمة الإسلامية والعربية وبيع للقضية الفلسطينية وتفرقة للصف العربي والإسلامي لذلك كانت تعارضها وقد تجلى ذلك عبر بيانات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم إلى الشعب السوداني وإلى طلاب الجامعة، وخطاب الاتحاد إلى رئيس الجمهورية.. ففي صبيحة يوم ٢٠/يناير ١٩٧٩م ذلك اليوم الذي وصل فيه الرئيس أنور السادات إلى الخرطوم حيث ينعقد مجلس شعب وادي النيل، في هذا اليوم أصدر اتحاد طلاب جامعة الخرطوم بياناً بعنوان: "لا مرحباً بك يا سادات"[٢] .

نقتطف منه: " يصل إلى السودان هذا اليوم السادات وينعقد ما يسمى بمجلس شعب وادي النيل تحت عمل إعلامي كثيف عن التكامل بين مصر والسودان، ونحن في اتحاد طلاب جامعة الخرطوم لنا موقف ثابت من كل هذا سبق أن بيناه ولا يزال.. إننا نرفض زيارة السادات للسودان ونقول لا مرحبا بك يا سادات فأنت دكتاتور كمم أفواه شعبه وساقه قهراً وظلماً.. ولم يسلم من كبتك حتى أعضاء مجلس الشعب فلاحقتهم فصلاً وطرداً وحرماناً... وأنت حرب على الإسلام والمسلمين تتاجر بالدين وتتظاهر به بينما تتعبد لأعداء

(١) بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم ٧ يوليو/ ١٩٧٩م.
(٢) بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ٢٠يناير/ ١٩٧٩م.

الله... وأنت مثبط لهمة أمتك وخائن إذ تسلبها قولاً وعملاً المقدرة على تقرير مصيرها عندما تعلن أن ٩٩% من حل القضية العربية بيد أميركا...

وأنت غيظ للشعوب المؤمنة المجاهدة باحتضانك وتأييدك لكل حاكم دكتاتور يرفضه شعبه ويثور عليه.. وأنت الفريد الوحيد الذي جاء بالعجب وألغى عن وجهه برقع الحياء بعيداً وراح يعانق "بيغن" و"دايان" ويتقاسم الجوائز مع اليهود، بينما شعبنا العربي المسلم كله يصرخ.. أن أفق إلى نفسك يا سادات... وتصر وتغلق أبواب مصر أمام الفلسطينيين المجاهدين لتفتحها لليهود... لهذا نرفض زيارة السادات للسودان ونرفض تكاملاً مع نظام يرى أنه يمكن أن يقوم بدور المروِّض للشعوب الثائرة، ونرفض تكاملاً يقوم على أن "النيل يربط بيننا" فهذه وثنية جاهلية.. ونرفض مجلساً للشعب يصفق ويرقص للدكتاتور ويلبي رغباته في سن القوانين المقيدة للحريات وطرد أعضائه إذا رفضوا السير في ركب النفاق والتهريج...".

وفي فبراير ١٩٨٠م أصدر الاتحاد بياناً إلى جماهير الشعب السوداني حول "تطبيع العلاقات مع إسرائيل" نقتطف منه:

"أخيراً ارتفع العلم الإسرائيلي فوق سماء القاهرة وتسرب الغزاة ومصاصو الدماء في دروب الكنانة الحزينة فما بكت المآذن وما ارتجف الأزهر وقال الشيخ الأجير: ان جنحوا للسلم فاجنح لها فصارت استراتيجية(١)... "

منه "... إن علاقات السودان ومصر مهما كانت مصيرية وأزلية فإنها تصبح أوهن من خيط العنكبوت إذا كانت ستربطنا بطريق مباشر أو غير مباشر مع إسرائيل... من هنا تجيء مطالبنا بأن تتخذ حكومة السودان من الإجراءات والخطوات ما يحفظ لها انتماءها الإسلامي العربي وأن تعلن براءتها عن كل ما يؤدي لتمزق الصف العربي وانقسامه(٢)...

كما وجه الاتحاد خطاباً لأعضاء مجلس الشعب لإدانة كامب ديفيد وإدانة مصر وتحديد موقف منها لخروجها عن الإجماع العربي.

ويرى الباحث أن مثل تلك الخطابات والبيانات والمقالات الصحفية تمثل قمة المعارضة لسياسات مايو، علاوة على النقد الذي كان يوجه للنظام في أركان النقاش وفي الليالي السياسية والندوات الفكرية... كان ذلك عاملاً مؤثراً في نمو وتمدد وتطور الاتجاه الإسلامي الإيجابي إذ أن هذا الأسلوب الساخن في مخاطبة رئيس الجمهورية هو أسلوب قيادات ما

(١) انظر النص الكامل للبيان في ملحق الوثائق وثيقة رقم: (٦).

(٢) انظر بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ٢٧/مارس/١٩٧٩م.

قبل المصالحة والتي أتت وخرجت من السجون بعد صدور قانون العفو العام، الذي أصدره الرئيس نميري. جاءت هذه القيادات - كما ذكرنا سالفاً - مشبعة بإيمانيات عالية وبغبن تاريخي على نظام نميري.

نخبة ممتازة من قياديي وصحفيي الاتجاه الإسلامي

لم تؤمن قيادات الاتجاه الإسلامي في يوم من الأيام أن ما هم فيه هو مصالحة وإنما هي مهادنة بين طرفين لم ينكسر أحدهما للآخر.. هذه القيادات بصماتها كانت ظاهرة في أسلوب التخاطب السياسي... وكان ابن عمر محمد أحمد - أحد أبرز خطباء الاتجاه الإسلامي - يوجه الحديث من أعلى منبر الاتجاه الإسلامي بالجامعة إلى قادة الاتحاد الإشتراكي الذين يهاجمون الاتجاه الإسلامي ويقول لهم: " بإمكاننا أن نرسل لكم فتية من فتيان الاتجاه الإسلامي ليؤدبونكم فرداً فرداً"... وكانت القيادات الجديدة التي دخلت الجامعة بعد فترة المصالحة الوطنية تنظر بإعجاب وبفخر لتلك القيادات وتحمد الله أنها جاءت إلى الجامعة وتلك القيادات لم تتخرج بعد وذلك حتى يتدربوا على أيديهم وينقلوا عنهم خبرات السبعينات الحية... كان من أبرز تلك القيادات التجاني عبد القادر حامد - ابن عمر محمد أحمد - المعتصم عبد الرحيم الحسن - سيد الخطيب - محمد طه محمد أحمد - محمد محيي الدين الجميعابي - أمين بناني - داؤد بولاد - سيد أحمد الحسن - محمد عبد الرحمن مختار عجول - عبد الحليم عبد الله الترابي - عبيد ختم وآخرون. وقد أدى ذلك إلى أن تتصل التجربة القيادية بين جيل ما قبل المصالحة وجيل ما بعد المصالحة في تواصل وتدريب وتأهيل ممتاز، أدى إلى حفظ الموازنة والمعادلة السياسية حتى نهاية المصالحة الوطنية. وكان من أبرز جيل ما بعد المصالحة الوطنية في قيادات الاتجاه الإسلامي بالجامعة... خالد حسن إبراهيم - ميرغني أبكر الطيب - زيدان عبده زيدان - سيف الدين عمر - عمر محمد عبد الرحمن - خالد التجاني النور - معتصم عوض محمد الأمين، هذا على مستوى العمل السياسي العلني.

وعلى المستوى الصحفي بكداش أحمد المصطفي - آدم سعد جبارة - إبراهيم محمد علي - حمد علي أحمد - الوليد محمد أحمد دقنه - ناجي شريف بابكر - العبيد أحمد مروح - نجم الدين محمد الأمين (أشتات)، كما كان من أبرز قادة العمل الداخلي في تلك الفترة محمد المجذوب محمد الأمين - سراج الدين عبد الغفار عمر - عبد الإله حسن كوكو - عبد العلي أحمد البشير - صلاح أحمد علي - أحمد مختار - أسامة عبد الله - طارق محجوب وآخرون. وهؤلاء جميعاً تفرقت بهم السبل ومنهم من قضى نحبه ومنهم من

ينتظر. . . وفي كلية التربية جامعة الخرطوم - التي كان الإسلاميون يطلقون عليها اسم "البقعة المباركة" كان هنالك جيل متفرد توارث التميز والتفاني والإخلاص جيل بعد جيل أذكر منهم صديق فضل الله منصور - هاشم بشير خالد - عبد العظيم صديق الجعلي - محمد علي الخضر - عمران التيجاني - حسن مبروك - علي محمد علي - عز الدين ميرغني عثمان - الشهيد العميد/ سليمان محمد بشارة - الناجي أحمد محمد - عثمان إبراهيم آدم - الشهيد/ موسى علي سليمان - الوليد محمد أحمد دقنة - يوسف محمد أحمد - اللازم الطيب أحمد - عبد الباقي أحمد عيساوي - عثمان الأمين وتمتد هذه السلسلة الذهبية حتى تصل إلى فتية خلص ومجاهدين أذكر منهم طيب الذكر عبد الرحمن عبد الله علي (الفارس المشهور بعبد الرحمن حُرقة) وعمار محمد عثمان أرباب - قريب الله خضر علي - حيدر عثمان أحمد - عبد القادر حسان - أحمد المصطفي ميرغني (التميراب) - بشير محمد بشير - أنور محمد عمارة - الصادق آدم (عكاز الدين) - صديق يوسف هجو (المشهور بصديق هجوم) - إدريس أزرق الشهير بالإسلامبولي - حب الدين يحيى أبكر، وغيرهم من رجال المعلومات أمثال عبد الرحمن عبد الكريم الشهير بحجر الطير - يعقوب سليمان ومحجوب سعيد - محمد أحمد حسن وآخرون يعلمهم الله.

وكان من أبرز عضوات الاتجاه الإسلامي في فترة ما بعد المصالحة، هند مأمون بحيري - زينب عثمان سعيد - إلهام يس حاكم - مروة عثمان جكنون - فتحية شبو - رقية يحيى - شريفة مختار - بدرية الباقر ميرغني - علوية محجوب النصرى وأخريات. . . كان الباحث واحداً من هذه الأسماء التي تأثرت بقيادات ما قبل المصالحة وعملت معها في معظم الأجهزة التنظيمية والنقابية. . . كما ظل الباحث متحدثاً ومشاركاً في كل ندوات الاتجاه الإسلامي السياسية وأركان نقاشه الممتدة من ٨١ - ١٩٨٥م. ويذكر الباحث أن الاتحاد عندما كان بصدد إصدار بيان إلى جماهير الشعب السوداني منتقداً فيه سياسات النظام، كان الباحث وآخرون يحملون هذه البيانات بعربة الاتحاد لتوزيعها في محطات المواصلات والأسواق والأماكن العامة على الجماهير، وكان كثير من الطلاب الذين يقومون بمثل هذه الأعمال يتعرضون لاعتقال رجال الأمن. . ولكنه اعتقال لا يتعدى اليوم أو الساعات وكان ذلك يشيع في الفرد روح المغامرة والتحدي والمواجهة التي تعتبر عوامل هامة لصنع قيادات جديدة.

الخطاب السياسي إبّان الثورة الإسلامية في إيران

الثورة الإسلامية التي تفجرت في إيران في فبراير عام ١٩٧٩م كانت تعني الكثير للحركة الإسلامية بالسودان وكانت تمثّل تجديداً لدين الله في الأرض، سيما وأن الحركة الإسلامية

ظلّت تبشّر ببرنامج التجديد، وأن هنالك من يأتي ليجدد للأمة أمر دينها ونذكر هنا ما أورده الشيخ حسن الترابي "إن الدين ينهض به جيل أو قرن من الناس هم الذين يجاهدون ويكابدون لتأسيسه ثم يأتي قوم من بعدهم يتكلون على سالفة ذلك الجهاد ويتراخون حتى يتغير أمر الدين وفكره وتتضاءل مظاهره الحية ويتجه المجتمع الديني كله للانحطاط، إلى أن يقيض الله له تجديداً وتعميراً على يد جيل جديد. . وتدور دورات التجميد والتجديد والانحطاط والانتهاض، فالعصر الذهبي للإسلام ليس هو عصر بالأمس مضى إلى غير رجعة. صحيح أن في عهد الرسول (ص) وخلفائه الراشدين وفي بعض عصور السلف الصالح صوراً مثالية نعتبر بها ونقيس عليها ولكنها ليست زهرة الدين التي تذبل من بعد إلى الأبد. ."(١).

لقد كانت ثورة الإمام الخميني في إيران من أهم عوامل الدفع والتطلع للحركة الإسلامية لقيادة الحياة السياسية في السودان. . وكانت ثورة الخميني تجري في عروق شباب وشيوخ الحركة الإسلامية في السودان. . . لذلك سبقت الحركة الإسلامية السودانية إلى تأييد الثورة الإسلامية منذ حلول آية الله الخميني في باريس حيث تتالت وفود المساندة الإسلامية السودانية في نوفل لوشاتو بقيادة أمين العلاقات الخارجية للحركة الإسلامية الدكتور تجاني أبو جديري وعثمان خالد. امتدت تلك اللقاءات من فرنسا وانتهاء بطهران ومدينة قم.

كذلك أبدت الاتحادات الطلابية التي يسيطر عليها الإسلاميون دعمها ومباركتها للثورة وسيرت المظاهرات ورفعت المذكرات واستطاعت الحركة الإسلامية السودانية أن تخلق موجة تعاطف عامة وسط الشعب السوداني للثورة الإسلامية في إيران، كما أصبح الخميني مثلاً وقدوة معاصرة للشباب السوداني المسلم. . كما أصدر اتحاد طلاب جامعة الخرطوم الخطابات والبيانات والرسائل في مؤازرة الثورة الإسلامية في إيران، وهاجم مجلس الشعب والحكومة السودانية إزاء صمتها تجاه ثورة الجماهير المسلمة في إيران مما حدا بالحكومة إلى إصدار خطابات تأييد ومؤازرة تراجع عنها النميري لاحقاً خوفاً من نقل التجربة إلى السودان، وأعلن في الصحف اليومية أنه لن يسمح بتكرار تجربة الخميني في السودان ولا يريد خمينيات في السودان.

وقد ردّ عليه خطيب الاتجاه الإسلامي وقتها ابن عمر محمد أحمد في إحدى ندوات الاتجاه الإسلامي "أن الخميني إذا جاء لا يستأذنُ أحداً".

---

(١) حسن الترابي، **تجديد الفكر الإسلامي**، الطبعة الثانية، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م، ص (٣٨).

وهنا نستعرض بعضاً من خطاب الحركة الإسلامية من خلال الاتحاد في شأن الثورة الإسلامية في إيران.. ونستعرض ما ذكرته وحدة إعلام الاتحاد عبر نشرتها: "أقام الاتحاد يوم السبت ١٠/٢/١٩٧٩م ندوة هامة تناولت الأوضاع في إيران والهزة العنيفة التي تركت آثارها على العالم أجمع.. هذا وقد أبدت بعض وكالات الأنباء والإذاعات العالمية الخارجية اهتماماً بالغاً بالندوة وتناقلت بعض مقتطفات من خطاب التجاني عبد القادر والأخ ابن عمر محمد أحمد وسيد الخطيب والأخ عثمان خالد.."(١).

وتحت عنوان الطلاب في كل مكان ذكرت النشرة: "كان يوم الأحد ١١/ ٢/ ١٩٧٩م يوماً مشهوداً من أيام جامعة الخرطوم إذ بدأ الناس يتدفقون عليها من كل حدب وصوب منذ الثامنة صباحاً، وكانت الأغلبية الساحقة من هؤلاء طلاباً وإن اختلفت أعمارهم وتباينت معاهدهم وتمايزت تخصصاتهم واتجاهاتهم الدراسية ونذكر منهم طلاب جامعة أم درمان الإسلامية، ومعهد الكليات التكنولوجية، جامعة القاهرة فرع الخرطوم والمدارس الثانوية العليا بالعاصمة المثلثة.. وماجت أرجاء الجامعة وأصبحت هناك حركة دائبة في كل أرجائها ولما ضاقت بهم ممراتها بدأوا يتجمعون في الميدان الشرقي حيث نادى فيهم ابن عمر محمد أحمد عضو المجلس الأربعيني أن سيروا إلى مقهى النشاط حيث يوجد الأخ/ المعتصم عبد الرحيم رئيس الاتحاد الذي سيلقي كلمة للمتظاهرين تتجه بعدها المسيرة إلى قلب العاصمة.

وتدافع السيل إلى النشاط بمختلف الممرات داخل الجامعة... وبعضهم سلك شارع الجامعة وتجمعوا في النشاط حيث التقى بهم الأخ المعتصم عبد الرحيم الحسن رئيس الاتحاد وتحدث حديثاً صافياً صفق له الناس تصفيقاً اهتزت له جنبات الجامعة.

ثم خرجت إلى شارع الجامعة أضخم مظاهرة في تاريخ الخرطوم وتدافعت إلى الإمام وجنبات الشارع تهتز من دوي هتافها.. وقد كانت هتافات تلك المسيرة هي:

* الله أكبر لا إله إلا الله ولا ولاء لغير الله - القرآن دستور الأمة.
* يا خميني رفعت الراية.. أنت الشعلة أنت بداية.
* إيران إيران في كل مكان.
* شعب مسلم بالسودان يهتف باسمك يا إيران.
* منحازون للإسلام.. لا حياد إزاء الثورة.
* موقف فاصل يا حكومة - موقف واضح يا حكومة.

(١) وحدة إعلام الاتحاد، نشرة كوسو، ٢٥/فبراير ١٩٧٩م.

* مصير الشاه مصير الطغاة.
* خائن خائن يا سادات.
* الإسلام يا حكام.
* عميل مأجور يا شهبور.

كما أرسل الاتحاد رسالة إلى الإمام خميني وصفت أنصار الثورة في إيران بأنهم جند الله الذين هبوا وما هانوا وما وهنوا وما استكانوا، ووصفت الشعب الإيراني بأنه تصدى لمهمة أقل ما توصف به أنها تضخ الروح في جسد العالم الإسلامي الذي تخدّر واسترخى زماناً طويلاً ثم وصفت الرسالة ثورة الإمام الخميني بأنها ثورة العصر والأصل والنصر التي جعلت بعون الله الكبار صغاراً والذين كانوا صغاراً كباراً... ثم وصفت الرسالة الثورة بأنها أعادت إلى النفوس الأمل في البعث القريب... ثم ختمت الرسالة بقولها: "الأخ الإمام نؤيد كل خطواتكم المباركة وننتظر قيام جمهوريتكم الإسلامية ونؤيد حكومتكم المؤقتة ونطالب كل حكومات العالم الإسلامي ومنظماته الوقوف معكم اتساقاً مع مواقف الجماهير المسلمة والنصر لكم وعاش الشعب الإيراني المجاهد والخزي والخسران لأعدائه أعداء الإسلام"(١).

كانت الحركة الإسلامية ترى في حركة وثورة الإمام الخميني إشعاعاً لنور الثورة الإسلامية التي يجب أن لا ينطفيء، وترى فيها بعثاً للإسلام من مقبرة التقاليد والجمود وترى فيها نهاية لروح اليأس والقنوط والاستسلام الذي أرخى سدوله في ربوع الأمة الإسلامية... لذلك خلقت من مناسبة الثورة فرصة لتعبئة الشباب المسلم تجاه الالتزام الثوري والجهادي بصورة أخافت الحركة الإسلامية نفسها مؤخراً من أن ينفلت زمام أمر الشباب الثائر والمناصر لخط الإمام الخميني من يدها... إذ أصبح الإمام الخميني هو أمل وقدوة معاصرة لشباب وأعضاء الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم... فكانت صور الإمام الخميني تملأ كل حجرات أعضاء الاتجاه الإسلامي وصور قيادات الثورة أمثال محمد علي رجائي وآية الله محمد بهشتي وآية الله حسين علي منتظري ومفكر الثورة الإيرانية الشهيد الدكتور/ علي شريعتي وكانت خطب ومقولات الإمام الخميني يحفظها الشباب ويردّدها.

كما كانت أحد حجرات شيوخ الاتجاه الإسلامي يطلق عليها اسم " قم مدينة الآيات"

(١) المصدر السابق.

وكان يسكنها الشيخ عبيد ختم بدوي، والشيخ محمد كبير عز الدين وآخرون من قيادات الاتجاه الإسلامي وحفظة قرآن. . . كما كانت السفارة الإيرانية التي تقع على شارع البلدية بالقرب من الجامعة امتداداً لمسجد الجامعة إذ يسجّل أعضاء الاتجاه الإسلامي حضوراً كبيراً هناك لتناول مطبوعات الثورة ورسائلها أمثال مجلة الشهيد والمحجبة - وصحيفة كيهان وكُتب الإمام الخميني أمثال "الحكومة الإسلامية" وغيره. .

كذلك ظهر في الجامعة وسط أعضاء الاتجاه الإسلامي ما عرف بخط الإمام وكان من قادته أمين بناني وأمين عباس وصلاح علي وإبراهيم كرتي، وكان الباحث واحداً منهم. . . وقد خشيت الحركة الإسلامية أن يتطور ذلك الخط بصورة تهدد وحدة وتجانس التنظيم خصوصاً عندما تمت الدعوة إلى بلورة خط الإمام فيما عرف "بجمعية العمل الرسالي" عندها تدخّلت قيادة التنظيم بمنع تكوين الجمعية وحاولت تخفيف هذا الولاء والحماس.

كذلك اعتبرت الحركة الإسلامية ثورة الإمام الخميني بمثابة رسالة لحكام المسلمين الذين يضطهدون الحركات الإسلامية ويشايعون حكام الغرب. . أرادت أن تذكرهم بمصير الشاه الذي لم تحمه ترسانة الأسلحة التي يمتلكها ولا أجهزة الأمن والاستخبارات التي كانت تحيط به ولا الحماية الأميركية والدعم الذي كان يوفره له الغرب. . . لذلك أرادت الحركة الإسلامية عبر الاتجاه الإسلامي أن تجعل من الثورة الإسلامية في إيران مناسبة حية فأرسلت الوفود الطلابية إلى إيران - ابن عمر محمد أحمد - محمد عبد الرحمن مختار عجول - الذين قابلوا الإمام الخميني وعادوا وهم أكثر حماسة للثورة وتأييدها. . . وهنا نورد البيان الذي أصدره الاتحاد قبل خروج مسيرة التأييد التي أخرجها الاتحاد:

"لقد ظلّ اتحادكم يتابع عن قرب وباهتمام تظاهرات الثورة الإيرانية وينتظر الفرصة التي يعبر فيها عن تضامنه المطلق مع هذه الثورة وتأييده لها ولا سيما وأن كل المنابر الرسمية وغير الرسمية في البلاد التزمت الصمت المطبق حيال الأحداث المجيدة التي يكتبها مسلمو إيران بدمائهم وكأن الأمر لا يعنيهم من قريب. . . ونحن نبدأ أولاً بإدانة هذا الصمت المريب غير المبرر فما هي مصلحة الشعب السوداني في بقاء نظام الشاه حتى يتساءل المتسائلون عن بديل له إذا ما ذهب؟

أم ترى لا بد أن يبدل النظام المصري موقفه ويؤيد مرغماً ثورة الجماهير الإيرانية لكي نلحق نحن به بعد ذلك؟

إننا نُعبّر عن دعمنا المطلق وتأييدنا الكامل للثورة الإيرانية التي يتزعمها المجاهد الخميني وندين كل المحاولات اليائسة لقطع الطريق على هذه الثورة، ونتهم كل موقف حياد

كاذب تجاه هذه الثورة، وليس هنالك من خيار أمام كل الشرفاء غير التضامن مع هذه الثورة الجبارة"[1].

ثم أرسل الاتحاد رسالة إلى الإمام الخميني جاء فيها: "حركتكم الرائدة لا تقف بنا عند حدود المشاركة العاطفية فحسب بل هي إعلان رسمي ببداية عهد الثورة الإسلامية في كل مكان. . . صوتنا الداوي بتأييدكم ومساندتكم هو الصوت الحقيقي للجماهير السودانية. . نحن واثقون أنكم بنفس الحكمة والصلابة اللتين استطعتم بهما أن تطردوا الشاه سوف تواصلون مسيرتكم حتى تقوم الجمهورية الإسلامية التي هي أمل كل المسلمين في العالم والتي تقدم إسهاماً إلى حضارة الإنسان هي أحوج ما تكون إليها. . أيدكم الله بنصر من عنده وتقبّل الشهداء منكم وثبت من ينتظر[2].

وتكتب افتتاحية مجلة الجامعة عما يجيش بدواخل أعضاء الاتجاه الإسلامي تجاه ثورة الخميني ومدى الأمل الذي بعثته فيهم. . ويبدو أسلوب سيف الدين عمر ظاهراً في المقدمة التي تقول: " ليس حدثاً عابراً هذا الذي شهدته إيران أخيراً. . . إن قيام جمهورية إسلامية ليس نكتةً يا فتى !!! بل هو أمر له ما بعده بلا ريب. . . ولكن ما زلنا مأخوذين ومبهورين ومستغربين فيما كان قبله. . فالواقع أن هذه الجمهورية لم تقم إثر مفاوضات سياسية مطولة، ولا أقيم حفل باسم صارخ رفع فيه علمها. . ولكنها كانت قد شرحت النحو الذي تكتب به لغتها وأسمعت العالم نشيدها الرسمي وارتسم علمها تلقائياً على تراب إيران. . والمذهل الجديد في كل ذلك أن الذين قاموا بكل هذه الأعمال كانوا يؤدونها ثم يموتون. . هذا الموت بعث حياة صاخبة في رقعة جغرافية مديدة اسمها الرسمي الوطن الإسلامي.

إننا مهتمون بما حدث قبل إعلان الجمهورية الإسلامية في إيران لأنه كان "ثورة". . . ثورة حقيقية هذه المرة لا تمنياً ولا تحليلاً وثورة لا يخلع عليها هذا الاسم جهاز إعلام أو وريقات دستور بل تكتب اسمها على جبينها بالدم المهراق. . ثورة شعبية لا يمارى في ذلك إلا حاكمان على بلدين إسلاميين وأراجوز رئيس على بلد مسلم إفريقي. . ثورة إسلامية أكرر والعزة تملؤني "إسلامية" لأول مرة في قرننا الذي نعيش. . وهذا هو الذي يحيي الأفئدة. . هذه أيها القراء أمجد وأنبل حقيقة في عصرنا الحديث. . عصرنا الغاضب الثائر المؤمن بالقوة لحد العمى. . اليوم حقّ لعالم إسلامي نام في عهد أتاتورك أن يصحو على دوي الحياة المؤمنة المعاصرة في إيران (وحق للمؤمنين أن يفرحوا بنصر الله) وأن يدفعهم

---

(١) بيان من اتحاد جامعة الخرطوم، ١٩٧٩م، منشورات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم.

(٢) رسالة من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ١٩٧٩م، منشورات الاتحاد.

"هذا الفرح إلى التأسي"[١] . ولما كان موقف حكومة النميري سالباً من ثورة الإمام الخميني كذلك المؤسسات الدستورية في البلاد، أرادت الحركة الإسلامية أن تستصدر بياناً مؤيداً للثورة من أجهزة الحكم، لذلك وجه الاتحاد خطاباً لرئيس وأعضاء مجلس الشعب جاء فيه: "إن كنتم تمثلون الأمة حقاً، فإن الأمة ليست بطاقات اقتراع تتذكرونها عند الاحتياج إليها.. إن للأمة طموحات وعقيدة وروابط بعالم لا يزال يعاني من تجبر العملاء وقهر الطواغيت.. وإن كنتم قد دخلتم هذا المجلس بعد اتساع الحريات وباسمها فإن الحرية الآن تجد لها طعماً ولوناً وبعداً جديداً بثورة الثورات.. ثورة الشعب الإيراني المسلم.. وبما أننا قد استمعنا إلى مواقفكم المؤازرة للكثير من حركات التحرر وقد ساءنا أن لا يكون لكم موقف منحاز لهذه الثورة التي جعلت من بين أهدافها حرية فلسطين وبما خطته من نهج ثوري جديد تسهم في تحرير الشعوب المسلمة من آخر أشكال الاستعمار.. وأنه لمن المؤسف حقاً أن تتزلزل الكيانات السياسية ويعاد رسم خرائط العالم وترتبط وجداناتها بهذه الثورة المتفردة وأنتم لا تولون لهذا الأمر اهتمام وكأن السودان جزيرة معزولة عن العالم.. قولوا كلمة الحق وعبروا عن وجدان شعبكم واحذروا غضب الله وغضب الشعب السوداني.

كما أسلف الباحث فإن الثورة الإسلامية في إيران تعني الكثير الكثير للحركة الإسلامية في السودان بل وكانت الحركات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي ترشح السودان ليكون الثاني في مجال الثورة الإسلامية التي تصل إلى سدة الحكم.. لذلك اغتنم قادة الحركة الإسلامية أجواء ثورة الإمام الخميني في تعبئة عضوية الحركة بروح الثورة والتطلع والاستعداد للقيام بذات الدور كما سعت لبث روح الثورة وإمكانية التغيير الإسلامي الثوري في السودان وكان ذلك ظاهراً في الشعارات التي كان يرددها متظاهروا الحركة الإسلامية في شوارع الخرطوم مثل:

* يا خميني رفعت الراية..
* أنت الشعلة أنت بداية.
* إيران إيران في كل مكان.
* إلى الإسلام يا حكام.
* مصير الطغاة مصير الشاه.

(١) الجامعة، الخرطوم العدد: (١٠) ١٩٧٩م.

رسائل الإسلاميين إلى رؤساء وملوك العالم

لذلك لم تكتف الحركة الإسلامية عبر اتحاد طلاب جامعة الخرطوم بالتأييد الداخلي للثورة وبدفع مؤسسات الدولة للمساندة والتأييد كما أسلفنا، ولكن خطت خطوة أبعد من ذلك عندما دبج اتحاد طلاب جامعة الخرطوم الخطابات إلى رؤساء العالم الذين ناهضوا الثورة، كما أرسلت الخطابات لملوك وحكام العالم تدعوهم فيها لمناصرة الثورة، ونستعرض هنا ما أرسل من الخطابات في هذا الشأن ونبدأ بخطاب اتحاد طلاب جامعة الخرطوم إلى الرئيس الأميركي جيمي كارتر الذي كان رئيساً لأميركا إبّان قيام الثورة والذي جاء فيه:

"لقد ظلت أميركا تبرز وجهاً لعالم حرّ لدولة كبرى تظهر حرصاً على حقوق الإنسان وفوجئنا بحكومتكم تزيل هذه المساحيق بصورة مذعورة عن وجه بشع معاد للشعوب ولمعتقداتها وثقافاتها وجذورها الحضارية، لم يعد ممكناً أن نصدّق أن لدولتكم الكبرى دوراً أخلاقياً في العالم وموقفاً ثابتاً من قضايا الحركة... كان هذا واضحاً وبجلاء في موقفكم من ثورة الشعب الإيراني المسلم وهي تبدأ عهداً جديداً في سياسات العالم وبأجمعه إن شاء الله - ونؤكد أن المارد المسلم وهو يتنفّس سيكرر معجزات إيران في كل بقعة من بقاع المسلمين وعليه فلن يكون من مصلحة أحد أن يعلن عداء لحركة البعث الإسلامي، ولا حرصاً على دمى تخون شعبها وتقهره وتكون كلاباً أمينة على مصالح الاستعمار.. ونحن على ثقة يا سيادة الرئيس من أن الشعب الأميركي لا يمكن أن ينخدع مرة أخرى فيكرر خطأ فيتنام الفادح... ولا مصلحة لكم في معاداة الشعوب ولا معتقداتها وثقافاتها وأنتم تعلنون تديناً كان سبباً في وصولكم إلى الرئاسة وترفعون رايات حقوق الإنسان". أما رسالة اتحاد طلاب جامعة الخرطوم للسيد/ شهبور بختيار الذي عينه شاه إيران خلفاً له عندما اشتدت المظاهرات في الشارع الإيراني فنقتطف منها:

"... لم يكن الإمام المجاهد آية الله الخميني وهو يقود أمة هبّت لنصرة دين الله يعتمد على الاستعمار ومخابراته ولا على أميركا وأسلحتها بل اعتمد - وهو معتمد - على الله الواحد القهار ولا يظن أحد أن الله لن يفي بوعده".

وفي خاتمة الخطاب جاء "نطالبك بالاستقالة فوراً وتسليم الحكم إلى أصحاب الشرعية التي يشهدها العالم وللمرة الأولى في هذا القرن... إنها شرعية ثورة الجماهير المتجذرة في معتقداتها... إنه أمر الله وقد قام عباده في إيران لإقامته. إنهم لمنصورون"[١] .

(١) راجع نص الرسالة كاملاً في ملحق الوثائق، وثيقة رقم: (٩).

أما الرسالة الأُخرى التي بعثها اتحاد طلاب جامعة الخرطوم فقد كانت إلى الرئيس المصري محمد أنور السادات الذي وقف ضد الثورة وقام بإيواء شاه إيران محمد رضا بهلوي في مصر مما يعتبر عداء للثورة والثوار فقد جاء فيها:

" لقد أصبحت مواقفكم من قضايا العالم الإسلامي والعربي تتوإلى باتجاه مضاد لإرادته والانحياز التام لأعداء الأمة الإسلامية.. وصار جلياً أنكم تحرصون الحرص التام كله على خدمة صديقكم كارتر والذين معه وتوادون بيغن والطغاة والأشباه ومن حاد الله ورسوله بلا تمييز ولا موارية.. وقد عجز المسلمون عجزاً تاماً عن تأويل موقفكم من ثورة إيران المسلمة تأويلاً حسناً وساءهم جميعاً أن تجير العميل الذي سقط (محمد رضا بهلوي) وأن تحذر من محاولة تكرار الظاهرة الإيرانية.

وتكرار هذه الظاهرة يا سيادة الرئيس لا يحتاج لمرسوم سلطاني ولا لقرار جمهوري تؤيده استفتاءات الأرقام الفلكية والوقوف ضد الشعوب وضد ثورات الشعوب وضد آمالها وفوق ذلك ضد حركة التاريخ وفي وجه الحق".

وقبل أن نستعرض رسالة اتحاد طلاب جامعة الخرطوم للملك الحسن ملك المغرب في ذات الخصوص، نلاحظ أن كل بيانات وخطابات الحركة الإسلامية عبر الاتحاد عن الثورة الإيرانية كلها تتحدث عن الحكام الطغاة والمتجبرين والعملاء الذين يقفون ضد إرادة وتوجه الجماهير المسلمة... ويلاحظ أن كل البيانات والخطابات تعتبر ثورة إيران ما هي إلا مقدمة لثورات قادمة بإذن الله.

أما رسالة الاتحاد للحسن ملك المغرب فقد جاء فيها:

"لا نظن أنكم لا تدركون أن ثورة الشعب الإيراني الإسلامية بقيادة آية الله الخميني هي ثورة العصر التي ستلد ثورات أُخرى ستزلزل الطغيان والطواغيت... وفي يقيننا أن عمالة الشاهنشاه الإيراني الهارب من غضبة شعبه المؤمن لا تخفي على أحد وأنه قد أصبح رمزاً لخدمة الاستعمار وقهر الشعوب ومعاداة معتقداتها، ولهذا كله فإننا نعلن لكم إدانتنا لتصرفكم غير المرضي مع الشاه والمعادي لشعب إيران المسلم ونؤكد لكم أنه لن يكون إلا نذير شؤم لكم ولسائر الملوك والمتاجرين.."

كما وجّه الاتحاد خطاباً لكافة حكام وملوك الدول الإسلامية يدفعهم لمؤازرة الثورة الإسلامية في إيران[١].

(١) راجع نص الرسالة في ملحق الوثائق، رقم: (١٠).

كذلك أصدر الاتحاد بياناً تحدث فيه هذه المرة عن شاه إيران وسياساته التي يحاول فيها بناء الإمبراطورية الفارسية، محاولاً محو الآثار الإسلامية وإلغاء التاريخ الهجري، وإصدار قانون بتحريم الزي الديني على المرأة المسلمة متبعاً بذلك سياسة كمال أتاتورك في تركيا، وأنه بإمكانه أن يجمع بين حضارة فارس الوثنية وحضارة الغرب الميكانيكية على أنقاض حضارة الإسلام التي يمثلها "دراويش الشيعة" كما تدعوهم وكالات الأنباء العربية[١].

وعلى ذات المنوال أصدر الاتحاد بياناً آخر عن الثورة الإيرانية يصف فيها الشعب الإيراني بأنه شعب جسور يجدد النذارة والبشارة جهاداً واستشهاداً... أمطره رصاص الطواغيت والعملاء فأنبت فرسان النهار والليل ورهبان القتال والاستبسال...ويصف البيان الشعب الإيراني قائلاً: "هو شعب منا ونحن منه" ثم يواصل حديثه عن الشعب الإيراني "ها هو الشعب الإيراني يبدأ محو السلطان الثقافي والاستعلاء ليعيد الاستعلاء لأهله... وها هو شعب إيران يتحكّم في دم الاستعمار من جديد بترولياً ويفقده خط أمان متقدم عسكرياً ويثبت له عجز مؤسساته وتفوّق إنساننا الذي يحقق استخلاف الله له ويملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً.

الفتور تجاه الثورة الإيرانية

ما تقدم ذكره من مواقف إيجابية للحركة الإسلامية تجاه الثورة الإسلامية في إيران ينطلق من ثلاثة محاور هي:

١ - أن الثورة الإسلامية التي انتصرت في فبراير ١٩٧٩م قد أخرجت الإسلام والإسلاميين من دائرة الاستضعاف والاضطهاد إلى دائرة الحكم في واحدة من أغنى بلاد العالم من حيث صادرات وعائدات البترودولار ذات الأرقام الكبيرة، والتي ستساعد في تثبيت أركان الدولة الوليدة. هذا بدوره يؤكد أن تجربة الثورة الإسلامية قد قامت على أرضية اقتصادية ودينية صلبة تمكّنها من تقديم أنموذج إسلامي لا يتأثر بالضغوط الاقتصادية للاستكبار العالمي ويؤهلها أيضاً لرعاية ودعم الحركات الإسلامية المستضعفة في العالم!!.

٢ - أن الثورة الإسلامية في إيران قد أجابت وبصورة قاطعة على السؤال الذي كان يطرح نفسه دائماً في أوساط المجتمع المسلم التقليدي الذي طال العهد بينه وبين الحكومة الإسلامية والسؤال هو (ما علاقة الإسلام بالسياسة؟) أو هل الإسلام دين ودولة ؟! فأجابت

(١) راجع نص البيان كاملاً في ملحق الوثائق، رقم: (١١).

الثورة الإسلامية على هذا السؤال بالإيجاب وكادت أن تقدم أُنموذجاً طيباً في هذا المنحى خاصة في أيامها الأولى . . فبعد أن كان الوضع في الماضي هو: (ما لله . . لله . . وما لقيصر لقيصر) . . أصبح الأمر كله لله . . وهذا الوضع قد شكل أرضية صالحة للعمل بالنسبة للحركة الإسلامية السودانية، سيما وأن الثورة الإسلامية في إيران قد انتصرت في وقت شهد فيه العالم الإسلامي صحوة إسلامية شدت الجماهير المسلمة للالتفاف حول شعارات الإسلام واقنعت الكثيرين بأن الحل الإسلامي قد أصبح ضرورة وفريضة وأن لا بديل للأمة الإسلامية لكي تخرج من غفوتها غير الرجوع إلى الإسلام.

٣ - عند قيام ثورة الإسلام في إيران كانت الحركة الإسلامية في السودان لم يمض على خروج قيادتها وأعضائها من السجون المايوية أكثر من عامين . . تلك السجون التي قضى فيها شيخ الحركة الدكتور الترابي قرابة الثمانية أعوام . . وعانى بعض أعضائها خلال تلك الفترة كل أنواع الإضطهاد والتشريد والتقتيل، لذلك كانت ثورة إيران بالنسبة لهم بارقة أمل ظلوا ينتظرونها منذ أمدٍ بعيد حتى تتصل مسيرة الانطلاقة الكبرى وحتى تختفي دائرة الشك حول قيام الحكومة الإسلامية وسط ركام جاهلية القرن العشرين. لذلك كان التأييد تأييداً قوياً من غير تحفظ . . وقد استمر ذلك التأييد طيلة فترة النظام المايوي.

ثم بدأ يفتر ذلك التأييد تدريجياً إبّان الفترة الديموقراطية ١٩٨٥ - ١٩٨٩!! ولعل الموازنات السياسية والنظرة المستقبلية قد تدخلت بصورة مباشرة في التأثير على سير الأحداث وعلى علاقة الحركة الإسلامية السودانية بالثورة الإيرانية.

وإذا كانت للحركة الإسلامية السودانية موازناتها وحساباتها الخاصة الداخلية والخارجية والتي جعلتها تعيد حساباتها في علاقتها مع إيران أو على الأقل أن تقلل من الحماس المطلق لصالح الثورة الإيرانية . . فإن للجانب الآخر في الثورة الإيرانية دور كبير في تقليل ذلك الحماس. فالثورة الإسلامية في باكورة أيامها شهدت استشهاد معظم قادتها الذين يرجع لهم فضل قيام وانتصار الثورة الإيرانية والذين يؤمنون بأمميه الثورة الإسلامية ووحدة الهدف والمصير بالنسبة للإسلاميين في كل العالم، وكان أبرز تلك القيادات التي استشهدت في حادثة تفجير مبنى مقر رئاسة الحزب الجمهوري الإسلامي بطهران الشهيد آية الله محمد بهشتي والذي يعتبر فيلسوف الثورة ورجلها القوي بعد الإمام الخميني، وكذلك الشهيد محمد جواد باهونار، والشهيد محمد علي رجائي، الشهيد محمد المنتظري ابن آية الله الحسين علي منتظري وغيرهم كثير والذين يزيدون عن الخمسين شهيداً مما أفقد الثورة رجال صفها الأول أو معظمهم مما جعل خلفاءهم يقلون عنهم كثيراً في الفهم والممارسة بل كانوا

(برجماتيين) في تعاملهم مع الأحداث وتنقصهم الخبرة. علاوة على ذلك فقد سيطرت على عقولهم (عقدة أمريكا)!! فأصبحت الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي في نظرهم أقرب إلى أمريكا!! وقادتها أقرب إلى عملاء أمريكا وحتى الحركة الإسلامية السودانية لم تسلم من مثل هذه الاتهامات الظالمة . . فالعقلية الإيرانية بعد استشهاد رجال الصف الأول في الثورة أصبحت عقلية محافظة في فهمها للسياسة إن لم تكن عقلية رجعية وواقعية تنحاز لمصلحتها أولاً ! . . ويلاحظ أن الاتهامات بالعمالة لأمريكا لم يسلم منها حتى قادة الثورة الأوائل مثل صادق قطب زادة وزير خارجية الثورة الذي أعدم بهذه التهمة ولم يسلم منها أبو الحسن بن صدر أول رئيس للجمهورية الإسلامية الذي خرج هارباً من إيران داخل ثياب نسائية - كما تقول الرواية - ولم يسلم منها مهدي بازركان رئيس الحكومة الانتقالية إبّان الثورة ولم يسلم منها وزير خارجيته إبراهيم يزدي . . كذلك سيطرت العقدة الطائفية المذهبية على نظرة القادة الإيرانيين للحركات الإسلامية السنية التي تمثل في نظرهم الإسلام الأُموي المزيف الذي لا يتفق ورؤيتهم المذهبية وحكمهم على كل الأرث السني.

وأذكر أنني زرت طهران ضمن مجموعة الوفد السوداني في فبراير ١٩٨٨م للمشاركة في أعياد الثورة وقد التقينا بكل القيادات الإيرانية. وفي لقاء لنا مع السيد هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس النواب يومئذ، إذا به يحدثنا عن المنافقين وعملاء أمريكا ويذكر حزب (نهضة آذادي) أي (نهضة الحرية) الذي يتزعمه مهدي بازركان وإبراهيم يزدى ويصفهم بالمنافقين!!! . . . في تلك اللحظات كان الرجل الثاني بعد الخميني على مستوى الآيات، هو آية الله حسين علي منتظري يقيم في مدينة " قم" وكانت المؤمرات تحاك ضده من مجموعة رفسنجاني كما علمت هناك في طهران!! وعند لقائنا به شعرت بعدم الرضا في حديثه عما يدور اليوم في إيران وكان ذلك في آخر أيام الخميني. وأذكر جيداً وأنا وقتها كنت صحفياً ورئيساً لتحرير مجلة (الكلمة) التي كانت تناصر الثورة الإسلامية في إيران بصورة قوية . كما أذكر أيضاً أنني عندما كنت في طهران أن طلبتُ من مرافقي السيد إبراهيم الحسيني والذي كان طالباً بالجامعة أن يهيىء لي لقاء مع حجة الإسلام محمد تقي الدين المدرسي . . هنا تجدر الإشارة إلى أن مجموعة المدرسي هذه قد تعرّف السودانيون على الثورة الإيرانية من خلال منشوراتهم وكتاباتهم عن الثورة . . مثل مجلة الشهيد وكتب ومحاضرات المدرسي الكثيرة . . رأيت أن مرافقي قد امتعض من هذا الطلب، فقلت له: يا إبراهيم إنني رجل صحفي أبحث عن الحقيقة وإننا نناصر الثورة الإسلامية في إيران في كلياتها وخطوطها العريضة وقد نختلف معها في الكثير من التفاصيل وهذه فرصة لنلتقي بقيادات هذه الثورة ونسمع منهم ولكنه لم يقتنع بحديثي!! عندها تعرفت على أحد الشباب

ويبدو أنه من مجموعة المدرسي وطلبت منه أن يحدد لي لقاءً مع السيد المدرسي.. وبالفعل قد قام هذا الشاب بترتيب هذا اللقاء، وأنا بدوري قد أخبرت مرافقي بأنني سألتقي اليوم بالسيد محمد تقي المدرسي وسأجري معه لقاءً صحفياً. وبالفعل ذهبت إلى الحسينية التي يقدم فيها المدرسي محاضرة أسبوعية وبعد انتهاء المحاضرة أُخبرت بأن السيد المدرسي في إنتظاري.. حاول مرافقي إبراهيم الحسيني بإصرار أن يحضر هذا اللقاء ولكن مجموعة (المدرسي) قد حالت بينه وبين ذلك .

قابلت ذلك الرجل.. كان رجلاً متواضعاً .. كان الوقت وقت عَشاء ولم يتجاوز عشاؤه صحناً واحداً به قطعة من (فطير قراصة) ومعه قليل من الخضرة (الجرجير).. فقلت في نفسي: لو كان هذا العشاء في السودان لأحضرت له المأكولات من أرقى الفنادق ولوصلت فاتورته الحد الخرافي.

المهم جلست لأحاور ذلك الرجل وقد وجدته يعلم عن السودان ما يجهله الكثيرون من أبنائه.. حدثني عن مشكلة الجنوب وغيرها.. وعندما سألته عن الثورة الإيرانية حدثني بألم وحسرة وحدثني بأنها تتعرض (للتدجين) أو الترويض وتسير سيراً حثيثاً للتخلص عن شعاراتها التي تدعو لمناصرة المستضعفين في الأرض وأنها في سبيل إعادة علاقاتها مع حكومات الخليج سوف تتخلى عن كل الحركات الثورية العربية التي لجأت إلى إيران وربما تطردهم أو تسلمهم إلى حكوماتهم !!

وبعد نهاية اللقاء ودعته والألم يعتصرني. بعدها علمت من تلاميذه أن السيد المدرسي ضد ما يعرف في الفقه الشيعي (بولاية الفقيه) ويعتبرها لا تتماشى مع روح الإسلام في مفهوم الشورى الواسعة المؤسسية ويطرح بديلاً عنها (شورى المراجع) .. ولعمري هي أقرب إلى روح الإسلام من "ولاية الفقيه" لأنها تمثل شورى أهل الحل والعقد من أهل التخصصات المختلفة.

وأذكر أنني في اليوم الذي تحدد لي فيه مقابلة المدرسي جاءني مرافقي ليخبرني بأن الوفد السوداني اليوم سيتناول وجبة العشاء مع السيد رئيس الجمهورية حجة الإسلام علي خامنئي وقد اعتذرت له عن ذلك.. عندما سألني في اليوم التالي قائلاً: " يا أخ عبد الرحيم لماذا فضلت لقاء المدرسي على لقاء رئيس الجمهورية؟"، قلت له: " إنني لم أفضل المدرسي على رئيس الجمهورية لكنني فضلت اللقاء الفكري مع المدرسي على مأدبة عشاء مع رئيس الجمهورية، وقد سبق لي أن التقيت رئيس الجمهورية وهو يجد عندي كل إحترام وتقدير" . وأذكر أنني بعد ذلك قابلت في الفندق الذي نقيم فيه الأخ عبد الأمير الموسوي

الملحق الثقافي الإيراني وكان وقتها لم يعمل بعد بالسودان ويبدو أنه كان مسؤولاً عن منطقة إفريقيا وقد سألني عن مآخذي على الثورة الإيرانية فقلت له: يجب أن تتحرروا من عقدة أمريكا.. العقدة التي بسببها دمرتم معظم الخدمة المدنية وكل الإرث الدبلوماسي وكل الكوادر الدبلوماسية، وقلت له: أن سفاراتكم اليوم في العالم وفي السودان على وجه الخصوص تفتقد للدبلوماسيين المقتدرين ومعظم الذين هم بها شباب في العشرينات لم يكملوا تعليمهم الجامعي بعد.. بعدها علمت أن الأخ الموسوي مسؤول إفريقيا لم يكمل تعليمه الجامعي هو أيضاً.. بهذه الصورة ورغم إخلاصهم وثوريتهم تنقصهم أُمور كثيرة وضرورية تقتضيها أُصول وأعراف العمل الدبلوماسي.. فضحك الموسوي بصوت عالٍ وقال لي: لقد صدقت وضرب مثالاً قال فيه: "إن الجالية الإيرانية في فرنسا عندما أخرجت بعض المسيرات احتجاجاً على بعض المواقف المعادية للثورة ، كان الذي يقود المظاهرات هو السفير الإيراني نفسه وقد عرضت صورته في التلفزيون الفرنسي، وكان المعلق السياسي بالتلفزيون يعلق عليه متعجباً قائلاً:"انظروا هذا هو السفير الإيراني يقود المظاهرات في فرنسا...؟ ".

هذا فيما يتعلق بالجانب الإيراني أما فيما يتعلق بالحركة الإسلامية السودانية فإنها قد فقدت الأمل في أن تجد أرضية مشتركة تمثل دعماً مقدراً وتنسيقاً استراتيجياً مضمون المستقبل مع إيران حتى تواصل موالاتها لإيران وحتى تنشط فاتر العلاقات معها، بل إن إيران قد فُهم عنها تعصبها المذهبي وأنها لا تتعامل إلا مع الشيعة وأنها لا تثق إلا فيمن كان شيعياً.

كذلك كان للحركة الإسلامية علاقاتها المتطورة والإيجابية مع الإسلاميين وكثير من الرسميين في الخليج والذين يعتبرون في نظر قادة وإعلام الثورة الإيرانية أنهم عملاء للغرب وللإمبريالية.. لذلك ما كان للحركة الإسلامية في السودان أن تخسر هؤلاء الخليجيين الذين يمثلون لها دعماً اقتصادياً مقدراً ومفهوماً إسلامياً واستراتيجياً مشتركاً وتقارباً في الرؤى والأفكار يصعب توافره عند السادة الشيعة في إيران. فهؤلاء الإسلاميون من العرب قد أسهموا في أسلمة الحياة الاقتصادية في السودان ولهم علاقات وطيدة وتاريخية مع الحركة الإسلامية في السودان.. ما كان للحركة الإسلامية أن تضحي بهؤلاء من أجل مستقبل مجهول مع ثورة لا تستقر على رأي وتعمل بعقلية البازار ولا تدعم إلا بمقابل. وقد استمر هذا الحال طيلة الفترة الانتقالية التي امتدت من عام ١٩٨٦م لغاية عام ١٩٨٩م وبالطبع قد تحركت العلاقات مع ثورة إيران نحو الإيجاب واتصلت الجسور ونشطت العلاقات في الفترة التي تلت عام ١٩٨٩م سيما بعد سقوط دولة جمهوريات الاتحاد السوفيتي القوية وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم تسندها بعض توابعها من دول أوروبا الغربية.

المساجد الرسالية داخل الجامعة

كانت الحركة الإسلامية تستغل كل المنابر السياسية والفكرية المقامة في الجامعة لتنشر برنامجها الفكري وخطها السياسي، وأحياناً تقوم بخلق منابر وجمعيات جديدة لذات الغرض. فمنابر الاتحاد وحدها لم تكن تكفي ومنابر التنظيم كذلك لم تستوعب تدفق النشاط الثقافي والفكري الذي أسهمت فيه هدنة المصالحة الوطنية وحفزته انتصارات الثورة الإيرانية على أكبر الحكام الموالين لأميركا في العالم الإسلامي... فقد كانت هنالك منابر المساجد والتي تبدأ بمسجد "البركس" أولاً ثم مسجد جامعة الخرطوم أخيراً.. فقد كان مسجد البركس الذي يتوسط مجمع الداخليات بمثابة مرحلة الأساس التي يلتقي فيها شيوخ الاتجاه الإسلامي وتلامذته الجدد حيث يتم التعارف بين القدامى والجدد وبين الجدد وبين الشيوخ والأشبال، وهنا يتم التأثر المباشر ويتم توزيع الأعضاء الجدد على الإخوان القدامى ويكون مسجد البركس هو المحطة التي يلتقي عندها الجميع حيث يتم التعارف... الصلاة الجماعية.. ورد التلاوة اليومي، وهو جزء من القرآن، حلقات التجويد والفقه والمدارسة الفكرية، الصيام الجماعي... التهجد وقيام الليل، تنظيم برنامج الزيارات لأعضاء الأسرة الواحدة[1] ... فقد كان مسجد البركس وكذلك مساجد الكليات في كل أنحاء الجامعة تحت قيادة وتوجيه أمانة الفكر والدعوة بالاتجاه الإسلامي فهم الأئمة وخطباء الجمعة وكانوا مؤهلين لذلك حيث أن عدداً كبيراً منهم من الحفظة والفقهاء أمثال الأمين عثمان علي وعبد الرحيم المهدي الجيلي وشيخ عبيد ختم ومحمد كبير عزالين.. أما مسجد جامعة الخرطوم فقد اجتهد أعضاء الاتجاه الإسلامي اجتهاداً كبيراً في تشييده وجمع التبرعات له من داخل وخارج السودان حتى تم افتتاحه في عام ١٩٨١م، وكان الطالب إدريس إبراهيم طه[2] من أبرز المهتمين بأمر إكمال هذا المسجد إذ تغيب عن الدراسة قرابة العام الدراسي الكامل ليجمع التبرعات لهذا المسجد من منطقة الخليج..

لعب مسجد الجامعة دوراً سياسياً واستراتيجياً في نشر وبث فكر الحركة الإسلامية

---

(١) كان الإخوان يقسمون بعضهم إلى مجموعات صغيرة يطلق على كل مجموعة اسم "أسرة" ويتم انتخاب أمير لكل أسرة وبعد المصالحة تغير اسم الأسرة إلى "الوحدة"، كما تغير اسم "الأمير" بصفة عامة إلى اسم "الأمين".

(٢) إدريس إبراهيم كان طالباً بكلية الاقتصاد وكان كثيراً ما يسند إليه أمر الإخوان الجدد البرالمة.

وخطها السياسي وتوجيهات القيادة بصورة غير مباشرة فهو المسجد الجامع لعضوية الحركة الإسلامية التي توجه خطابها أحياناً وبطريقة غير رسمية من خلاله كما تتم التعبئة للعضوية وإعلان المواقف من أعلى منبره، كما ظلّ المسجد يقدّم نموذجاً للخطاب السياسي الذي تشكل مفرداته مدارس إسلامية مختلفة بين الثورية والمحافظة.. فعندما ينداح الخط الثوري المتأثر بأفكار الثورة الإسلامية في إيران وأفكار قادتها أمثال الخميني وعلي شريعتي من على منبر مسجد الجامعة حيث يمثل هذا الفكر في قمته من خطباء الجمعة بالمسجد الأستاذان أمين بناني وسيد أحمد الحسن اللذان ظلا يتحدثان عن ثورة المستضعفين في وجه المستكبرين وعن القيادة القدوة التي ينبغي أن تشبه الجماهير في مأكلها ومسكنها ومركبها ويتحدثان عن أن الإمام الخميني مفجر ثورة القرن العشرين يسكن كوخاً في حي شعبي من أحياء طهران ويفترش الأرض مما جعله يتربع على قلوب الجماهير قبل أن يتربع على كرسي الحكم، ويهاجمان ظاهرة التسابق في بناء العمارات والقصور وامتلاك العربات الفارهة ويذكران الآية ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

كانت مثل تلك الخطب لا تعجب بل تزعج نفراً من قادة الحركة الإسلامية والأغنياء منهم على وجه الخصوص ويبدون تضجرهم هذا بصورة عجلت بإنهاء دورتي الأستاذين أمين بناني وسيد أحمد الحسن في إمامة الجمعة بمسجد الجامعة رغم الشعبية الكبيرة التي كانا يتمتعان بها ورغم إيمان الكثرة الغالبة من عضوية الحركة الإسلامية بمثل هذا الطرح... لكن للحركة الإسلامية موازناتها ومعادلاتها التي تسعى بها للابتعاد عن أدب الخلاف وأدب المواجهة بين أعضاء الجسم الواحد...

كما أن الحركة الإسلامية في قياداتها العليا ظلت تتمتع بحساسية كبيرة ضد شعارات "مترفين.. ومستضعفين.. ومستكبرين" وخشيت أن يتم تصنيف الأثرياء من الإخوان في كفة المترفين والعكس.. لذلك كان سريعاً ما يخلف أولئك القادة الذين يمثلون الخط الثوري في إمامة مسجد الجامعة شيوخ محافظون يحفظون المعادلة سريعاً بحديث في الأصول والسيرة والتفسير وكان من أمثال أولئك الشيخ أحمد محجوب حاج نور - الدكتور حسين أيوب - الدكتور عبد الرحيم علي، وكانوا شخصيات ذات احترام وتقدير وسط الإخوان.. كذلك كان هنالك تيار سياسي فكري تعاقب على الخطاب على منبر مسجد الجامعة وكان يميل إلى الثورية المربوطة بالتأصيل ومن أبرز هؤلاء التجاني عبد القادر حامد، أمين حسن عمر، محمد عثمان محجوب.. وكان ثلاثتهم يتمتعون بحب وتقدير من قاعدة الحركة الإسلامية الطلابية في فترتي ما قبل المصالحة الوطنية وما بعدها.. وهنا نقتطف جزء من خطبة التجاني عبد القادر بمسجد الجامعة إبّان الاستفتاء

الثالث على رئاسة الجمهورية في عهد الرئيس نميري حيث هاجم إعلام مايو الذي يسعى لتألية الفرد، وحذر التجاني الشعب من أن يستعبده الإعلام كما استعبد السامري بني إسرائيل بعجله الذي اصطنعه لهم من حلى الذهب وذلك بعد أن أفسد الطغيان السياسي الفرعوني الطويل طبيعة بني إسرائيل وجعلهم قابلين للاستعمار والاستعباد.. كما ذكر أن عجل السامري الذي عبده القوم هو أشبه شيء بأجهزة الإعلام.. فقد كان العجل ذا منافذ تخرج اصواتاً وصفيراً كلما مر عليها الهواء.. وذلك من غير أن تكون للعجل حياة ولا روح ولكنه مع قيمته التافهة هذه أذهل بني إسرائيل ببريقه وصوته.. فما أحرانا ان لا ننساق بضجيج الإعلام الذي يدعونا في هذه الأيام لنؤله الحكام ولنتعبد لهم ولنظامهم السياسي(١).

الترابي يسجل حضوراً متواصلاً مع أنصاره

وعلى ذات الخطاب السياسي السافر تحدث الشيخ حسن الترابي بكلية الطب عن ظاهرة الاستفتاءات في العالم الثالث وهي ما عرفت "بندوة كلية الطب" التي خلقت أزمة بين النظام والتنظيم وجعلت النميري يوعز لأعوانه بإسقاط الترابي في انتخابات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي مما يعتبر رداً لما ذكره الترابي في ندوة أعوانه بكلية الطب.. في تلك الندوة ذكر الترابي(٢): "الاستفتاءات التي تجربونها الآن هي استفتاءات غالباً ما تكون على رئاسة الجمهورية وهي استفتاءات لا يتاح لكم إلا خيار واحد.. والناس بطبعهم حتى لو أتيحت لهم حرية كاملة وإذا لم يتعين لهم طريق واحد يفضلون الجن الذي يعرفونه على الذي لا يعرفونه.. ولذلك ما قام استفتاء على زعامة ألمانيا هتلر ولا في إيران مصدق وقبله الشاه ولا في السودان إلا كانت النتيجة ٩٩% وتسعة من الواحد الباقي!! ويا ليتهم يجاملوننا شيئاً ما ويتيحون لكل المعارضين والمتحفظين مثلاً ٥% ولكن يقع النزاع في الـ ١% وأما الـ ٩٩% فهي مسلمة لهم ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ [النجم: ٢٢]، ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] الآية... ولذلك فأنا لا أعتبر هذه الاستفتاءات إلا لتقرير ما هو مقرر من أمر بدهي وتقرير لما هو مقر وتعبئة للناس فيما يعلمون سلفاً"..

كذلك أشار الشيخ الترابي إلى أن فشل الأحزاب هو سبب مجيء العسكر للحكم فقال:

(١) محمد وقيع الله، مصدر سابق ص: (٥١).

(٢) محمد وقيع الله، مصدر سابق ص: (٥٣).

"...إن هذه الأحزاب قامت على التاريخ وعلى العصبية وعلى الزعامة وأنها تتصارع من أجل السلطة فقط وأنها عندما يشتد الصراع تتساقط.. ولما تقع في الأرض يأتي الجيش مرة ثانية ويبتدىء من الأول وحايجي رئيس يتعلم فيكم النحو تاني من الأول ويتعلم فيكم الاقتصاد ويتعلم فيكم الحكم من الأول"(١).

هذه العبارات التهكمية الساخرة كانت تطعن بوضوح في شخص الرئيس جعفر نميري ومؤسسته العسكرية.. وقد كانت كلمات الترابي وقتئذ تقاطع بالتصفيق والضحك على الحكم المايوي.. هذا بالطبع يؤكد أمرين:

الأول: هو عدم قناعة الحركة الإسلامية بالنظام القائم وإنما تتعامل معه بصورة تكتيكية تعلمها الحركة ويعلمها النظام نفسه. فكل منهم محتاج لمهادنة الآخر ولو إلى حين..

والأمر الثاني: هو طبيعة الشيخ الترابي التي من صفاتها الجرأة والميل للتحدي وإبداء عدم الاستسلام هذه الطبيعة لازمت الشيخ الترابي في كل حركته السياسية ولم تكن ناتجة لمؤثرات جانبية ، فهو رجل متوكل لدرجة المخاطرة وشجاع لدرجة الجسارة والمخاطرة أيضاً وعنيد لدرجة بعيدة يدفعه في ذلك علم زاخر وتاريخ جهادي وافر يعرفه كل منصف أمين مع نفسه.

بين منتدى الأصدقاء والموسم الثقافي

ذكر الباحث في موضع سابق أن نظرة الاتجاه الإسلامي للإسلام هي أن يؤخذ بكلياته.. وأن يخضع المسلم كل حركاته وسكناته وجوارحه لله تعالى (كل شيء لله) وذلك استجابة للآية ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].. ولذلك لم يجد الاتجاه الإسلامي فرصة لنشر الفكر الإسلامي إلا واغتنمها.. كما ذكرنا أن الاتحاد ما هو إلا قناة من هذه القنوات التي يبث الاتجاه الإسلامي من خلالها أفكاره وإن كان الاتحاد يأخذ الطابع القومي الذي يمثل كل الطلاب لكن أحياناً نكاد نجد تشابه كبير بين ما يبثه الاتحاد والاتجاه الإسلامي على مستوى الفكر السياسي والإسلامي – بالطبع الاتحاد لا يدخل في صراع مع التنظيمات ولا يعترف بها، وأما الحديث عن التنظيمات هو من شأن الاتجاه الإسلامي كتنظيم – والباحث يواصل الحديث عن الخطاب السياسي والفكري للاتجاه الإسلامي وأدواته، يستعرض نموذجين:

(١) محمد وقيع الله، المصدر السابق، ص: (٥٤).

أحدهما للاتجاه الإسلامي وهو ما عرف بـ "منتدى الأصدقاء الفكري"، والآخر من أنشطة الاتحاد وهو ما عرف بـ "الموسم الثقافي للاتحاد"[1].

منتدى الأصدقاء:

وصفت الورقة التعريفية للمنتدى فكرة المنتدى بأنها نشأت استشعاراً لضرورة الحوار بحسبانه أحد أهم الفعاليات لتطوير الفكر الإسلامي وتجديده وأهم الروابط والمعبر بين الأجيال والاتجاهات المتعددة وبحسبانه أيضاً وسيلة لدعم شخصية المحاور والنهوض بها عبر التعليم والتأمل الذين تتيحهما فرصة عرض القضايا وتبادل الأفكار والآراء. كما أريد للمنتدى دون ذلك أن يلعب دوراً اجتماعياً بالتقريب بين الطلائع المثقفة وتحقيق التعارف فيما بينها كما أريد له أن يكسر حاجز الجفوة والارتياب بين الإسلاميين وعامة المثقفين وأهل الفكر والرأي من التوجهات المختلفة.. كما أريد للمنتدى أن تتأكد فيه النقاط التالية[2]:

١ - أن تتأكد فيه حرية الرأي فلا قداسة للأشخاص ولا للآراء السائدة والمسبقة ولذلك كان من دأب أعضاء المنتدى تقبّل الفكرة الجديدة بل الفكرة الغريبة بحسن الظن في منطلق شتى المحاورين وبالود والدماثة في الأخذ والرد والاتفاق والاختلاف.

٢ - أن يقاس نجاح وإخفاق جلسات المنتدى إلى ثراء العرض وتعدد الآراء واتساع المشاركة فالمنتدى ظلّ تنظيماً لهواة الحوار لا هواة الاستماع.

٣ - لم يرد للمنتدى أن يتحول منتدى للفلاسفة والمنظرين بل جلسات للمدارسة والبحث حول القضايا الواقعية والمشكلات الراهنة للمجتمعات الإسلامية والمجتمع السوداني خاصة لا يمنعها ذلك من التطرق للقضايا النظرية والفلسفية التي تمثل مشكلات حقيقية للعقلية المسلمة المعاصرة.. وقد عقد المنتدى ثمان وأربعين جلسة في العام وناقش العديد من القضايا المتنوعة واستمع إلى وجهات نظر متباينة..

والباحث هنا سيستعرض ما قدم من أوراق في عام ١٩٨١م ضمن جلسات هذا المنتدى ويذكر أسماء من قدموه ثم يبدي بعد ذلك عدداً من الملاحظات..

---

(١) انظر الباب الثالث، البرنامج الثقافي للاتحاد حيث يوجد وجه الشبه الكبير بين منتدى الأصدقاء والموسم الثقافي.

(٢) منتدى الأصدقاء الفكري، كلية الطب، ورقة تعريفية ٥/نوفمبر/١٩٨١م.

الجدول رقم: (١) يوضح الأوراق التي قدمت ضمن منتدى الأصدقاء عام ١٩٨١م وأسماء مقدمي الأوراق واتجاههم السياسي(*).

الاتجاه السياسي	اسم مقدمها	اسم الورقة
اتجاه إسلامي	الأستاذة/ زينب عثمان سعيد	١ - مدارسة حول قضايا المرأة السودانية
اتجاه إسلامي	الأستاذة/ هند مأمون بحيري	٢ - النهج السلوكي لدى الإمام الغزالي في كتاب منهاج العابدين
اتجاه إسلامي	الأستاذ/ أمين حسن عمر	٣ - كيفية التعامل مع النص
اتجاه إسلامي	الأستاذ/ أبو بكر الشنقيطي	٤ - نحو معالجة أصولية للمشكل الثقافي
اتجاه إسلامي	الأستاذ/ عصام عبد العزيز	٥ - المشكل الفلسطيني - منظور إسلامي
اتجاه إسلامي	الأستاذ/ سيد خطيب	٦ - ثلاث مؤثرات في توجيهات المجتمع السوداني
مستقل	السيد/ مأمون بحيري	٧ - ملاحظات حول الاقتصاد السوداني
إسلامي	د. جعفر ميرغني	٨ - تطوير اللغة العربية إشارة لصلتها بالقرآن إسلامي
اتجاه إسلامي	د. إبراهيم عبيد الله	٩ - مدارسة حول الاقتصاد الإسلامي
مستقل	الأستاذ/ أحمد محمد بدوي	١٠ - الحب في حضارة المسلمين
مستقل	بروفسور مدثر عبد الرحيم	١١ - تطور ممارسة الشورى عبر التاريخ الإسلامي

١٢ - ظاهر الإعلام الغربي واتساق التغير في المجتمع	د. الطيب حاج عطية	مستقل
١٣ - مفهوم الشيطان وأثره	الأستاذ/ عبد المحمود نور الدائم	اتجاه إسلامي
١٤ - النظرية النسبية وتأثيرها على الفكر الإنساني المعاصر	الأستاذ/ أمين حسن عمر	اتجاه إسلامي
١٥ - المصالحة الوطنية، التاريخ والموقف الراهن	السيد/ الصادق المهدي	زعيم حزب الأمة
١٦ - مدارسة حول فكر دكتور علي شريعتي	الأستاذ/ محمد عثمان السيد	اتجاه إسلامي
١٧ - مدارسة حول فكر مالك ابن نبي	الأستاذ/ مهدي إسحاق	مستقل
١٨ - نظرية جديدة حول ظاهرة النبوة	الأستاذ/ عبد المحمود نور الدائم	اتجاه إسلامي
١٩ - اتحاد نساء السودان	الأستاذة نفيسة أحمد الأمين	اتحاد إشتراكي
٢٠ - الدين والبروليتاريا	د. الطيب زين العابدين	اتجاه إسلامي
٢١ - الإسلام والدولة الحديثة	الأستاذ/ ربيع حسن أحمد	اتجاه إسلامي
٢٢ - صراع المحاور في إيران	الأستاذ/ حسن مكي	اتجاه إسلامي
٢٣ - الحركة الإسلامية في شمال إفريقيا	الأستاذ/ إمين بناني	اتجاه إسلامي
٢٤ - كيف يفكر الإخوان المسلمون	الأستاذ أحمد محمد شاموق	اتجاه إسلامي
٢٥ - الحكومة الإسلامية	د. حسن ترابي	اتجاه إسلامي

٢٦ - فلسفة التاريخ عند ابن خلدون	الأستاذ/ التجاني عبد القادر	اتجاه إسلامي
٢٧ - نظرية المعرفة عند المسلمين	د. إبراهيم أحمد عمر	اتجاه إسلامي
٢٨ - حول بناء الذات الثورية - ملاحظات حول كتاب علي شريعتي	الأستاذ/ سليمان صديق	اتجاه إسلامي
٢٩ - نحو ميثاق ثقافي للحركة الإسلامية	الأستاذ/ المحبوب عبد السلام	اتجاه إسلامي
٣٠ - مدارسة في فكر أبي الأعلى المودودي	الأستاذ/ فتح الرحمن عبد الله	اتجاه إسلامي
٣١ - التطور الفكري والسياسي للحركة الإسلامية بالسودان	السيد/ أحمد عبد الرحمن محمد	اتجاه إسلامي
٣٢ - إمكانية التعايش بين الماركسية والإسلام	الأستاذ/ محمد يوسف محمد	اتجاه إسلامي
٣٣ - نظرية التطور عند دارون وأثرها على الفكر الإنساني المعاصر	د. ذكريا بشير	اتجاه إسلامي
٣٤ - الحوار بين الإنسان والحيوان	الأستاذ/ عبد المحمود الكرنكي	اتجاه إسلامي
٣٥ - فلسفة الخلاف وأدبه عند الإسلاميين	الأستاذ/ محمد عثمان السيد	اتجاه إسلامي
٣٦ - نحو نظرية إسلامية للأدب	الأستاذ/أبو بكر الشنقيطي	اتجاه إسلامي
٣٧ - الحركات الإسلامية ونظرية التغيير الاجتماعي	الأستاذ/ التجاني عبد القادر	اتجاه إسلامي

جدول: (٢) يوضح الأوراق المقترحة ضمن منتدى الأصدقاء وأسماء المشاركين*

اسم مقدمها	الأوراق المقترحة
السيد عبد الله بدري	١ - حول تجربة المصرف الإسلامي
د. الطاهر حسين	٢ - أفكار حول المسرح والسياسة
د. ناصر السيد	٣ - حول الاشتراكية الإسلامية
الأستاذ/ محمد محجوب هارون	٤ - الحركة الإسلامية والقوى الكبرى
بروفسور عمر بليل	٥ - نحو صياغة جديدة للطالب الجامعي
الأستاذ/ صديق أزرق	٦ - الثورة كوسيلة للتغيير الاجتماعي (الإيجابيات والمحاذير)
الأستاذ/ محمد خوجلي صالحين	٧ - الإعلام - اتجاهات نحو أسلمته وتطويره
د. أبو ساق	٨ - الدور السوداني في الثقافة الإفريقية
الأستاذ/ أمين عباس	٩ - نحو تجديد صورة الرسول (ص) في الوجدان المسلم
الأستاذ/ حاج نور.	١٠ - نظرات حول مناهج تفسير القرآن

والباحث يلاحظ الملاحظات التالية:

١ - هذا الزخم الفكري المتنوع والمتعدد يتم عبر أداة واحدة من أدوات التنظيم وهي "المنتدى"، وهناك العديد من الأدوات الأخرى التي يتم خلالها مثل هذا العمل في مختلف الكليات.

٢ - مثل هذا النشاط الثر والمكثف ما كان يحدث في فترة ما قبل المصالحة الوطنية نسبة للتضييق الأمني وغياب الكوادر الأخوانية.

٣ - محاصرة الطالب الجامعي بمثل هذا العمل المكثف والمتنوع والمشوق أحياناً يكون له مردوده الإيجابي في خلق أرضية ثقافية للحوار الإسلامي تمثّل هذه الأرضية قنطرة يعبر منها الطلاب للالتزام التنظيمي.

٤ - معظم متحدثي المنتدى من قيادات الاتجاه الإسلامي الطلابية التي صقلتها السجون

ونوعت عطاءها الثقافي واهتماماتها الفكرية والسياسية مما يؤكد ما ذهب إليه الباحث أن فترة السجون والمعارضة استفاد منها الاتجاه الإسلامي في إعداد كادره القيادي بصورة واضحة وجلية.

٥ - استطاع الاتجاه الإسلامي أن يجتذب بعض الكوادر المستقلة وبعض القيادات الحزبية الأخرى للمنتدى مثل: الصادق المهدي - سعاد إبراهيم عيسى - ونفيسة أحمد الأمين مما يعتبر مؤشراً للمرونة وتقبّل الرأي المخالف.. ومما يعتبر تكتيك لجذب الرأي الآخر من الطلاب لجلسات المنتدى[1].

نموذج من الخطاب السياسي قبل عام ١٩٧٧م

لقد تعرض الباحث بشيء من الإبانة والتفصيل لوضع الجامعة قبل عام ١٩٧٧م وعن وضع الاتحاد والاتجاه الإسلامي فيها.. ولكن يرى الباحث أن يورد هنا مقتطفات من خطاب الطالب داؤد يحيى بولاد[2] رئيس اتحاد طلاب جامعة الخرطوم في الفترة الممتدة من ٧٤ - ١٩٧٧م.. ذلك الخطاب الذي أصدره في نهاية دورته والتي امتدت حتى مجيء المصالحة الوطنية... والذي يبين جزء مما كان عليه الاتحاد في الفترة التي سبقت المصالحة الوطنية، يقول بولاد: "الإخوان والأخوات.. بعد مضي ثلاث سنوات على انتخابات ممثلين لكم اسمحوا لي اليوم أن أخاطبكم شارحاً لكم نجاح لجنتي وموضحاً مواقفها مع تحديد العقبات التي واجهتها.. لقد سارت هذه الدورة بانتظام شديد تؤدي الإشراف على خدمات الطلاب وتضع البرامج المستقبلية سواء كان ذلك في السكن، أم الدراسة، أم الطعام إلى غير ذلك.. ولقد كانت تضطلع الإدارة بالعديد من المشروعات البناءة والهادفة كمشروع إنارة الميدان الشرقي ومشروع تأسيس المخبز الآلي ومشروع مؤتمر القضايا الأكاديمية، وكذا مشروع اشراك الاتحاد في لجان البعثات الأكاديمية الخارجية... ولقد كانت لجنتي هذه

---

(١) المصدر، الورقة التعريفية لمنتدى الاصدقاء الفكري.

(٢) داؤد يحيى بولاد من أبرز قيادات الاتجاه الإسلامي في الفترة موضوع الدراسة. كان طالباً بكلية الهندسة ترأس اتحاد طلاب جامعة الخرطوم في الفترة من ٧٤ - ١٩٧٧م.. اعتقل وطورد من قبل أمن النميري عدة مرات وفي فترة ما قبل المصالحة تم تهريبه هو والتجاني عبد القادر من سجن دبك ليقودا العمل بالجامعة. اختلف مع الحركة الإسلامية في آخر عهد النميري وبعد الصراع القبلي المسلح في دارفور في فترة حكم الأحزاب ٨٦ - ١٩٨٩م ذلك الصراع الذي أخذ الطابع القبلي بين العرب والزرقة في دارفور انحاز بولاد إلى أهله وحمل السلاح. أخيراً انضم إلى حركة التمرد وقاد عملاً عسكرياً في دارفور ليتم إعدامه بواسطة ثورة الإنقاذ عام ١٩٩٢م.

موفقة - والحمد لله وحده - في إنجاز بعض مشروعاتها برغم العديد من العراقيل التي تعرفونها.

أما على الصعيد القومي فإن هذه الدورة شهدت الكثير من الأمور الكبيرة في البلاد وصارعت في وجه محاولات متنوعة ترمي إلى شلّ حركة الطلاب في الجامعة وضرب اتحادهم"[(١)].

ويمضي داؤد بولاد في خطابه متحدثاً عما أسماه تفتيش الجامعة، ٧ سبتمبر/ ١٩٧٥م فيقول: "في صباح الأحد ٧ سبتمبر/ ١٩٧٥م بعد الحركة الانقلابية بيومين فوجئت البلاد كلها عموماً وطلاب الجامعة على وجه الخصوص بآلاف الجنود وهم يحاصرون داخليات الجامعة كلها.. شاهرين أسلحتهم في وجه الطلاب.. والآلاف من موظفي الأمن العام يقلبون الجامعة رأساً على عقب ويختطفون الطلاب من حجراتهم بدون أدنى مبررات... ويتصيدون أعضاء الاتحاد بغية اعتقالهم... وكانت تلك العملية المهووسة واحدة من المحاولات الرامية إلى إسكات صوت الطلاب إلى الأبد فاعتقل في ذلك الصباح ٢٨ من مختلف داخليات الجامعة وكان من بينهم:

١ - داؤد يحيى بولاد	هندسة	رئيس الاتحاد
٢ - فاروق أحمد آدم	البيطرة	عضو اللجنة التنفيذية
٣ - العبيد فضل المولى	التربية	عضو اللجنة التنفيذية
٤ - بكري عثمان سعيد	الطب	عضو المجلس الأربعيني
٥ - حسن مكي	آداب	عضو المجلس الأربعيني
٦ - يحيى حسين بابكر	اقتصاد	عضو المجلس الأربعيني

قضوا جميعاً عدا رئيس الاتحاد فترة تقارب العامين في السجون.

ثم تحدث بولاد عن فرية السلاح قائلاً: "ومن الأسباب التي ذكرتها أجهزة الأمن العام لتبرير حصار الجامعة وتفتيشها وجود الأسلحة والعملة الصعبة والعملة السودانية داخل حجرات الطلاب.. وأحب هنا أن أؤكد أن هذه الأكذوبة على الرغم من مستوى انحدار

(١) داؤد يحيى بولاد، خطاب الدورة لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم دورة ٧٤ - ١٩٧٧م.

صانعيها إلا أنها مع ذلك لم تنطل على الشعب السوداني وبقيت غصة تقض وتقلق خواطر مخترعيها... ولم توجه أجهزة الأمن سؤالاً واحداً لأي من الطلاب حول الأسلحة والأموال.. فلقد كان افتراء رخيصاً، ولم يحقق مع ذلك شيئاً يعود على الأمة بالتزكية.."المرجع[(١)]:

ويتحدث بولاد عن حلّ الاتحاد قائلاً: "ثم بعد ذلك توالت الأحداث فأصدر أمر جمهوري حلّ به الاتحاد وصودرت ممتلكاته التي هي ممتلكات الطلاب وجمدت أمواله، واعتبر أعضاؤه الباقون خارج السجن مجرمين مطلوب القبض عليهم ورصدت لذلك الأموال.."[(٢)]. بل إن الأمن العام استباح بعد ذلك مكاتب الاتحاد في الدار وفي قسم شؤون الطلاب فاستولى على كل ما أراد الاستيلاء عليه وأضاع للطلاب ثروة ضخمة من التجربة النقابية المسجلة والمكتوبة.. كما تمّ فصل أعضاء الاتحاد من الجامعة لمدة سنة لعضو المجلس الأربعيني وسنتين لعضو اللجنة التنفيذية.. كل ذلك واتحاد طلاب جامعة الخرطوم الشامخ أبداً يزداد أعضاؤه تماسكاً وإصراراً... وواصلوا أعمالهم المكثفة وأصدروا العديد من المنشورات والكتيبات.. "

ويواصل بولاد الحديث عن مدير الجامعة المعيّن من قبل السلطة الحاكمة ووصفه بأنه عدو الطلاب الذي خان أمانة العلم وجيء به صنيعة لجهاز الأمن حيث يقول بولاد: "وفي هذا المجال أود أن أعرّج قليلاً على حقيقة هامة وهي أن الرجل الذي يدعى عبد الله أحمد

(١) خطاب الأخ بولاد مليء بالعبر والعظات لأجهزة الأمن في حكومة الإنقاذ الشيء الذي مارسته الأجهزة الأمنية المايوية ضد الإسلاميين في جامعة الخرطوم من تلفيق وتزوير للحقائق وإدعاء وجود السلاح كما جاء أعلاه هل هو ما مارسته الأجهزة الأمنية للإنقاذ ضد حزب المؤتمر الشعبي عندما داهموه في إحدى اجتماعاته في منزل الأخ حسن ساتي وزعموا أنهم قد ضبطوا قوائم اغتيالات وأسماء وكيف أن الاغتيال سيتم عبر سموم متنوعة منها ما يقتل في الحال ومنها ما يقتل بعد أسبوعين ومنها ما يقتل بعد ثلاثة أسابيع ...الخ من الادعاءات التي تشبه ما ذكره بولاد آنفاً .. صحيح أن المؤتمر الشعبي يسعى لإسقاط الحكومة ومن حق الحكومة أن تضع كافة التحوطات حتى لا تؤخذ على حين غرة لكن الصحيح أيضاً أن تتحرى الوسائل الصحيحة في تلقي المعلومات خصوصاً أن أجهزتنا الأمنية شهدت اختراقات كثيرة مما يدفع البعض بهدف الوقيعة لتلفيق بعض التقارير من باب (واسغل أعدائي بأنفسهم وعجل بإسقاط الإنقاذ). فنحن كأنصار ومؤيدين لهذه الثورة يهمنا أن تبقى وتستمر وأن تحبط كيد أعدائها لكن يهمنا أيضاً أن لا يجرمننا شنآن قوم على أن لا نعدل، لأنّ العدل هو طريقنا إلى الجنة.

(٢) كان الطالب ابن عمر محمد أحمد أبرز خطباء الاتجاه الإسلامي في تلك الفترة، كان يمثل قلقاً للأمن وقد رصدت أجهزة الأمن مبلغاً من المال لمن يقبض عليه وكانت تحذر أفراد الأمن منه بقولها: "لا يبالي من ضرب السلاح".

عبد الله، المدير السابق للجامعة والذي يحمل في طيات قلبه للحركة الطلابية عداء مستحكماً قد وجد فرصته الذهبية آنذاك، فجيء به صنيعة لجهاز الأمن العام لينكل بالطلاب ويهزأ بهم ويسقط اتحادهم من حساب التاريخ. ولقد فشل المدعو عبد الله أحمد عبد الله أيما فشل في مهمته كما هو شأنه دائماً الفشل ولا يزال وله مع الطلاب محاولات سابقة كان مصيرها الخسران.. ونحب أن نشير إلى أن هؤلاء الناس لا يصمدون أبداً أمام متقلبات الحياة وأنهم يصارعون ضد التيار.. هذه حقيقة نسجلها للتاريخ عن هذا الرجل ليعرفها الطلاب جيلاً بعد جيل.. فلقد خان أمانة العلم." ثم يتحدث بولاد عن أحداث الملاحق قائلاً: "الإخوة والأخوات.. مرّت الجامعة بعد ذلك بعدة أحداث جسام نذكرها هنا.. منها محاولات مقاطعة امتحانات الملاحق وتوجيه الاتحاد للطلاب بمقاطعتها.. والأساليب الرخيصة الإرهابية التي اتخذت ضدهم.. ومع ذلك فإن الاتحاد يفخر بعدد من الطلاب واجهوا ذلك الإرهاب وسخروا منه ودخلوا السجن مرفوعي الرأس... ومرّت الجامعة كذلك بمحاولات تشتيت الطلاب وتمزيق صفهم فاتجهت إدارة الجامعة إلى خلق كيانات متعددة داخل الجامعة، وإلى صنع أجهزة طلابية ضعيفة ومهزوزة وذات وظائف لا تتعدى الحفلات الغنائية والرحلات.. تطبيقاً للتجربة المصرية.. ومارست عليهم أساليب عديدة لإذلال الطالب، منها في الخدمات وفي الحياة الأكاديمية وغيرها.. ليفقد الطلاب الثقة في أنفسهم وحتى تنحدر اهتماماتهم إلى مستوى طلاب الثانويات العامة.. كل هذا والأمن العام في أروقة الجامعة وفي أبوابها يتبختر وبعض الناس الذين جمع بينهم الخيال وصور لهم أنهم أهل ليكونوا بدلاً عن الاتحاد، فاشتطوا أيما شطط.. ثم لما لم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى جدار صف الطلاب المتراص – لجأوا للإغراء بالجاه والمال والرحلات وغيرها.. واستمالوا الطلاب بوسائل عديدة لا نحب الإشارة إليها، غير أنها جميعاً لم تفلح، ذلك لأنه لا يمكن لأي جهة كانت أن تحلّ بسهولة محلّ اتحاد الطلاب الدستوري ولا يمكن لأي جهة مهما بلغت من العتو أن تمحو عن وجدان طلاب الجامعة اسم اتحادهم وتاريخهم البطولي ووقفاته.. ولا يمكن أبداً حتى لإدارة الجامعة أن تقدم لطلاب الجامعة نوع الخدمات التي يمتاز الاتحاد بها.. وسقطت كل المحاولات الفاشلة[1].." ويواصل بولاد عن هجرة أعضاء الاتحاد للخارج فيقول: "ونسبة لضرورة مواصلة الكفاح وأهمية الاتصال بالأصدقاء في الخارج والمؤسسات المماثلة فلقد أوفد الاتحاد أعضاءه للخارج في شكل ثلاث وفود متتالية:

(١) المصدر السابق.

الوفد الأول بقيادة:

١ - سيد عمر كمبال — السكرتير العام

٢ - سراج الدين حامد — عضو اللجنة

٣ - علي أحمد كرتي — عضو اللجنة.

وأربعة من أعضاء المجلس الأربعيني.. وبعد انقضاء مدة على سفرهم بعث الاتحاد وفداً آخر بقيادة: الأخ/ المعتصم عبد الرحيم الحسن السكرتير الأكاديمي وعضوية:

١ - فضل السيد أبو قصيصه — عضو المجلس.

٢ - عبد الحميد عبد الباقي سراج — عضو المجلس.

وواصل الأعضاء الباقون عملهم من الداخل فأصدروا كتيباً عن تاريخ الاتحاد ومستقبل العمل الطلابي، ومؤشرات السياسة السودانية الجديدة..

وتمّ تكوين لجنة ظلّ سرية وإعدادها لتسيير أعمال الاتحاد الخاصة ولجمع المعلومات وتجمع الطلاب، ثم سافر رئيس الاتحاد على رأس وفد آخر في عضويته.

١ - ابن عمر محمد أحمد — مدير المجلس الأربعيني

٢ - سيد الخطيب — السكرتير الثقافي

اتجهت كل هذه الوفود إلى الاتصال بالجهات الخارجية الطلابية ووسعت دائرة علاقات الاتحاد بالاتحادات الطلابية وشملت زياراتهم أوروبا، وأفريقيا وآسيا. وإنا لنأمل أن نرى ثمرات هذه الاتصالات في المستقبل القريب إن شاء الله..

ثم يتحدث بولاد عن الجامعة في فترة المعارضة قبل ١٩٧٧م قائلاً: "عاشت جامعة الخرطوم سنوات سوداء كالحة، مات النشاط الطلابي الهادف وهدمت مناشط الحياة الطلابية.. وشهدت الحياة الثقافية في الجامعة ركوداً رهيباً.. وضاعت مواهب الطلاب الفكرية المبدعة، وهبطت مستويات العمل النقابي وقلّت التجربة.. وفي الجانب الآخر فلقد انحدرت الخدمات وساءت... وكانت الدراسة مع الحراسة.. وكان البوليس والتفتيش.. وكان الميدان الشرقي معسكراً لقوات البوليس.. كانت الجامعة أسوأ ما يمكن أن تكون كمؤسسة.. وكان النشاط الطلابي تحت الصفر..

ولقد ثبتت حقيقة لكل الناس أن جامعة الخرطوم لا يمكن أن تكون مؤسسة جامعية سوية بدون هذا الاتحاد.. وأن جميع محاولات حلّ هذا الاتحاد أو تعطيله مع أنها دائماً تبوء بالفشل، إلا أنها كل يوم تفتح لطلاب الجامعة ومؤسساتهم الدستورية آفاقاً جديدة من

التجربة الناضجة والتمرّس المقتدر على مواجهة الصعاب فيخرجون منها وهم أكثر مضاء وأصلب عوداً. ثم ختم بولاد خطابه قائلاً: " وفي ختام هذا الخطاب.. وفي ختام دورتي هذه، يطيب لي أن أشكر أخوتي طلاب وطالبات جامعة الخرطوم الذين أولونا ثقتهم وشدوا على أيادينا وصمدوا صفاً واحداً خلف اتحادهم في أحلك الظروف حتى اجتاز الطلاب أكبر العقبات واستمر اتحادهم عملاقاً.. وإني لأسأل الله أن أكون وأخوتي أعضاء المجلس الأربعيني واللجنة التنفيذية قد أدّينا واجبنا، وقمنا بحقوق الطلاب على وجه نرضي به الله أولاً...

وعاش اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

داؤد يحيى بولاد[1]

رئيس الاتحاد دورة ٧٤/ ٧٥/ ١٩٧٧م.

رغم أن الباحث قد تحدث عن جامعة الخرطوم قبل المصالحة الوطنية ودورها في المعارضة لكنه أراد بإيراده لخطاب داؤد بولاد - رئيس الاتحاد - أن يجمل ملخصاً للأوضاع في الجامعة بقلم أحد صناع الأحداث وأحد أبرز قيادات الاتجاه الإسلامي في الجامعة... الذين تأثروا بالأحداث وأثروا فيها.. كما أراد الباحث بإيراده لخطاب بولاد أن يكون خاتمة حية للحديث عن الفترة التي سبقت المصالحة الوطنية ليدخل بعدها الباحث في فترة ما بعد المصالحة الوطنية... كذلك من دواعي التركيز على هذه النقاط التي وردت في خطاب بولاد هو مقارنة أقوال وأفعال الاتجاه الإسلامي عندما كان معارضاً وعندما آلت إليه مقاليد السلطة في السودان بعد ثورة الإنقاذ الوطني في ٣٠/يونيو ١٩٨٩، ولماذا تغيرت المواقف وتبدلت الشعارات وجنح طلاب الاتجاه الإسلامي ليمثلوا دور وكيل السلطة وأجهزتها في الجامعات؟؟؟ أما كان من الأحرى أن يحفظ طلاب الاتجاه الإسلامي ذات المواقف المتميزة التي تجعل منهم صمام أمان، يحفظ الإنقاذ وأجهزتها الأمنية من أي انحراف أو تجاوز؟ ألم يكن من الحكمة أن تتذكر قيادات الطلاب أن الحركة الطالبية تقاد بالمواقف الساسية الحكيمة البعيدة عن الاستفزاز والقهر وإبداء العضلات والتخويف؟ لماذا فات على قيادات الطلاب أن مواقفهم الباسلة ومجاهداتهم في مناطق العمليات والشهداء الذين قدموهم حتى أصبحوا قدوة للطلاب.. لماذا فات عليهم أن هذا البنيان الشامخ يمكن أن يهدمه أي تجاوز أمني داخل الجامعة. لقد قدنا نحن جامعة الخرطوم بعد المصالحة الوطنية وكانت الحركة الأم شريكة في

(١) المصدر السابق.

نظام نميري لكننا استطعنا أن نميّز صفنا عن صف السلطة وأن نقنع الطلاب بأنه لا بديل للاتجاه الإسلامي. بل كنا نسعى لإطلاق سراح الطلاب الشيوعيين الذين كانت تعتقلهم أجهزة الأمن.. ورحم الله قيادات تلك الفترة أمثال محمد محيي الدين الجميعابي والشهيد محمد عبد الرحمن مختار عجول وأمين بناني وخلافهم.

ولكن طلاب الاتجاه الإسلامي اليوم أصبحوا في نظر الكثيرين من الطلاب هم امتداد لأجهزة الأمن وعينها داخل الجامعة. وقد فات عليهم أنه من المفيد جداً أن نخسر الانتخابات دورة أو دورتين ونقود معارضة فعالة لمن يقود الاتحاد من تنظيمات المعارضة وفي هذه الفترة نستطيع أن نربي قياداتنا الطلابية ونعدهم لدورات قادمة. ذلك أفيد من السعي لتأجيل الانتخابات بحجج واهية "

أما أن نقود الاتحاد أو نحله أو نجمده"!! الخاسر الأول من غياب الحكمة والوعي السياسي وقراءة المستقبل السياسي الطلابي بصورة صحيحة الخاسر هو الاتجاه الإسلامي في عضويته الملتزمة وفي مناصريه وفي برنامجه الدعوى وفي شعاراته ومبادئه التي تدعو للحرية (الحرية لنا ولسوانا).

نعود بعد هذا الاستطراد إلى اتحاد بولاد وهنا سيذكر الباحث قائمة أعضاء الاتجاه الإسلامي الذين كانوا أعضاء بالاتحاد في تلك الدورة الطويلة من ٧٤ - ١٩٧٧م وعدد كبير منهم يمثل مواقع هامة في دولاب حكم الإنقاذ.

كما يذكر الباحث قائمة بالاتحادات التي سيطر عليها الاتجاه الإسلامي من عام ١٩٦٩م إلى عام ١٩٧٧م.

انتخابات الاتحاد دورة ١٩٧٤م

في الأسبوع الأول من ديسمبر ١٩٧٤م أجريت انتخابات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم في جو ديموقراطي حرّ وفقاً لدستور الانتخاب الحرّ المباشر وكانت النتيجة كالآتي:

أولاً - عدد طلاب جامعة الخرطوم	٧٢١٧ طالباً
ثانياً - عدد الذين أدلوا بأصواتهم	٤٠٦٣ طالباً
ثالثاً - النسبة المئوية للتصويت	٥٦,٣ %

وكانت النتيجة كالآتي:

الجدول رقم: (٢) يوضح نتيجة الانتخابات لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم دورة ١٩٧٤م:

الاسم	الأصوات التي نالها
١/ بشير آدم رحمة	٣٧٩٦
٢/ داؤد يحيى بولاد	٣٤٢٦
٣/ غازي صلاح الدين	٣٤١٧
٤/ سيد الخطيب	٣٣١٧
٥/ الحافظ جمعة سهل	٣٢٥٨
٦/ ابن عمر محمد أحمد	٣٢٣٥
٧/ بكري عثمان سعيد	٣٢٣٤
٨/ آمنة محمد بدري	٣٢١٤
٩/ حسن مكي محمد أحمد	٣٢١٢
١٠/ الأمين الزين صغيرون	٣٢٠٢
١١/ سيد عمر كمبال	٣١٩٦
١٢/ فاروق أحمد آدم	٣١٩٢
١٣/ سمية محمد أحمد أبو كشوه	٣١٥٥
١٤/ فتحية حمزة الخليفة	٣١٣٩
١٥/ المعتصم عبد الرحيم الحسن	٣١٠٢
١٦/ علي أحمد كرتي	٣٠٥٦
١٧/ سراج الدين حامد	٣٠٥٣
١٨/ الطيب إبراهيم محمد خير	٣٠٥٣
١٩/ العبيد فضل المولى	٣٠٤٩
٢٠/ محمد البشير محمد	٣٠٤٢
٢١/ عثمان عبد الله نصر	٣٠٣٠

الاسم	الأصوات التي نالها
٢٢/ التجاني عبد القادر حامد	٣٠٢٢
٢٣/ إحسان حمزة عباس	٣٠١٨
٢٤/ عبد الإله أحمد عبد الله	٣٠١٤
٢٥/ فضل السيد عبد القادر أبو قصيصه	٣٠١٣
٢٦/ محمد محيي الدين الجمعابي	٢٩٩٦
٢٧/ الطاهر علي الطاهر	٢٩٩٤
٢٨/ عبد الحميد عبد الباقي	٢٩٨٨
٢٩/ عبد المحمود نور الدائم الكرنكي	٢٩٨٨
٣٠/ إسماعيل الأمين صبير	٢٩٦٠
٣١/ محمد الكفيل زكريا	٢٩٦٠
٣٢/ عثمان سليمان بشير	٢٩٤٤
٣٣/ مطرف صديق علي	٢٩٤٢
٣٤/ عبد الرحمن عمر الحسن	٢٩٣٠
٣٥/ محمد يوسف علي يوسف	٢٩١٧
٣٦/ بدر الدين أحمد الجعلي	٢٩٠٢
٣٨/ يحيى حسين بابكر	٢٨٩٨
٣٩/ عبد الله محمد آدم	٢٨٨٨
٤٠/ أحمد عباس محمد	٢٨٨٢
٤١/ إبراهيم عبد الرحمن	٠٣٢٦
٤٢/ حامد عثمان حمد	٠٣١٤

● ويشكل الأربعون الأوائل مجلس الاتحاد.. ● يمكن ملاحظة أصوات الطلاب رقم: (٤١) و(٤٢) وهي الأصوات التي تلي قائمة الاتجاه الإسلامي مباشرة لتتم ملاحظة الفرق في الأصوات[١]..

(١) انظر خطاب الدورة عام ١٩٧٧م.

رصد وتحليل نتائج الانتخابات للاتحاد٧٧ – ١٩٨٥م

في هذه الفترة بدأ التمدد الحقيقي أفقياً ورأسياً للاتجاه الإسلامي وكان لهذا التمدد مسبباته المنطقية.. ويذكر الباحث هنا ما أورده محمد محيي الدين الجميعابي[1] عن هذه الفترة فقال: "عندما جاءت المصالحة الوطنية، كانت كل القيادات التاريخية المعتقة.. جئنا وقذفنا بها داخل الجامعة.. وقد أعطانا ذلك فرصة للانتشار الشديد والسريع.. نحن جئنا وعندنا أكثر من ٢٥٠ قيادياً من خريجي السجون والقادمين من الخارج وكلهم كانوا قمم في تجربتهم وفي سنهم وتاريخهم النضالي..

في أكتوبر / ١٩٧٧م نزل الاتجاه الإسلامي بعدة وعتاد لم تكن متوفرة للتنظيمات الأخرى.. قيادات تاريخية كانت بمستوى عال من الكفاءة والدراية"... كانت سنوات ٧٧ – ٧٨ – ١٩٧٩ تمثل مرحلة انتشار تنظيمي معروف إذ نفذت الحركة الإسلامية من داخل جامعة الخرطوم حوالي ٥٦ معسكراً في أنحاء السودان – الحصاحيصا – أربجي – ألتي... طلبة – طالبات.. قيادات.. فقد كانت الحركة الإسلامية تريد أن تسبق الأحزاب الأخرى... المعسكر تتراوح عضويته ما بين ١٠٠ – ٢٥٠ عضواً... من طلاب الثانويات.. بعد ذلك جاءت هذه الأعداد أو معظمها إلى الجامعة طلاباً مما شكّل قوة دفع لمسيرة الاتجاه الإسلامي السياسية والفكرية.

وعن أهمية الاتحاد للإتجاه الإسلامي يقول الجميعابي: "كان الاتحاد هو المنبر الذي تبرز من خلاله قيادات الاتجاه الإسلامي التاريخية والسياسية، فهو منبر للتدريب والتأهيل ومختبر تعليم مستمر.. وهو الوسيلة التي من خلالها يؤثر على الناس وهو النافذة التي عبرت بها القيادات التاريخية من الجامعة إلى المجتمع السوداني العريض.."(٢).

على ضوء ما تقدم يستعرض الباحث نتيجة انتخابات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم في الفترة موضوع الدراسة ٧٧ – ١٩٨٥م ثم يتم التعليق والتحليل لها بعد ذلك:

١ – انتخابات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم دورة ٧٧ – ١٩٧٨م

(أ) عدد طلاب جامعة الخرطوم	٧٧٨٦ طالباً
(ب) عدد الذين أدلوا بأصواتهم	٦٥٧٢ طالباً
(ج) النسبة المئوية للاقتراع	٨٣,١ %

(١) محمد محيي الدين الجميعابي. مقابلة سابقة.

هذه الانتخابات اكتسحها الاتجاه الإسلامي اكتساحاً كبيراً وبفرق كبير في الأصوات ونال جميع مقاعد الاتحاد الأربعين حيث أصبح الطالب التجاني عبد القادر حامد رئيساً للاتحاد.. وقد كان على رأس قائمة الاتجاه الإسلامي من حيث عدد الأصوات الطالب داؤد يحيى بولاد – رئيس اتحاد ما قبل المصالحة – والذي نال ٤٧١٢ صوتاً أي بنسبة ٥٢،٢ % من أصوات الطلاب.. بينما نال أعلى قائمة الجبهة الديموقراطية – الشيوعيين – وهو الطالب البدوي منقاش ١٧٩٧ صوتاً بنسبة ٣، ٢٧ % أما أدناهم فقد كان الطالب المهدي عمر الدود الذي نال ١١٤٣ صوتاً بنسبة ٣٩، ١٧ % علماً بأن قائمة الجبهة الديموقراطية هي القائمة الثانية من حيث قوة المنافسة الانتخابية.

٢ – انتخابات الاتحاد دورة ٧٨ – ١٩٧٩م

في هذه الدورة فاز الاتجاه الإسلامي أيضاً بجميع مقاعد الاتحاد الأربعين وأصبح الطالب المعتصم عبد الرحيم الحسن رئيساً للاتحاد وكانت نتيجتها كالآتي:

(أ) عدد طلاب الجامعة	٧٨٦٤ طالباً
(ب) عدد الذين اشتركوا في التصويت	٥٥٢٥ طالباً
(ج) نسبة التصويت	٢٦، ٧٠%

في هذه الدورة كان أعلى قائمة الاتجاه الإسلامي هو الطالب التجاني عبد القادر حامد الذي نال ٣٦٠٩ صوتاً بنسبة ٢٦، ٦٥% من أصوات الطلاب، أما آخر قائمة الاتجاه الإسلامي فقد كان الطالب إبراهيم بابكر محمد الذي نال ٣٠٢٦ صوتاً بنسبة ٧، ٥٤ % أما بقية الأصوات فقد توزعت على بقية التنظيمات.

٣ – دورة ٧٩ – ١٩٨٠م

وهي ما عرفت بدورة التحالف والتي فقد فيها الاتجاه الإسلامي قيادة الاتحاد عندما تحالفت ضده تسعة تنظيمات في قائمة واحدة هي قائمة التحالف التي ضمت:

١ – الجبهة الديموقراطية.

٢ – مؤتمر الطلاب المستغلين.

٣ – رابطة الفكر الجمهوري.

٤ – حزب الأمة.

٥ – الحزب الاتحادي الديموقراطي.

٦ - الحزب الناصري.

٧ - الجبهة الوطنية الأفريقية ANF.

٨ - حزب البعث.

٩ - جبهة كفاح الطلبة. ورغم أن الاتجاه الإسلامي في تلك الدورة قد فقد قيادة الاتحاد إلا أنه استطاع اختراق قائمة التحالف وإدخال ثلاثة عشر عضواً من قائمته إلى عضوية المجلس الأربعيني للاتحاد بل أن مرشحيه قد تصدروا قائمة الفائزين حيث جاء المعتصم عبد الرحيم الحسن على رأس قائمة الفائزين وكانت الانتخابات كالآتي:

(أ) عدد طلاب الجامعة	٧٩٩٧ طالباً
(ب) عدد الذين اشتركوا في التصويت	٧٠٨٦ طالباً
(ج) نسبة التصويت	٨٨،٦٪

حيث نال.

(أ) المعتصم عبد الرحيم الحسن	٣٧٥٦ صوتاً بنسبة ٥٣ %
(ب) محمد محيي الدين الجميعابي	٣٦٢٤ صوتاً بنسبة ٥١، ١ %
(ج) أمين بناني نيو	٣٣٥٢ صوتاً بنسبة ٤٧، ٤ %

وهؤلاء من جملة الثلاثة عشر الذين اخترقوا قائمة التحالف وقد ترأس تلك الدورة الطالب سليمان الأمين عباس من مؤتمر الطلاب المستقلين ولم تكمل تلك الدورة فترتها كما حدثت في عهدها اضطرابات طلابية أدت إلى مقتل طالب كلية الزراعة الشهيد (الغالي عبد الحكم حاج المكي) ونسف الإستقرار في الجامعة.. كما انسحب الطلاب الجمهوريون من عضوية مجلس الاتحاد لأسباب سياسية.

٤ - دورة ٨٠ - ١٩٨١م

في هذه الدورة أحرز الاتجاه الإسلامي مقاعد الاتحاد الأربعين حيث أصبح الطالب أمين بناني نيو رئيساً للاتحاد وكانت كالآتي:

١ - عدد المسجلين للجامعة	٨٠٣٤ طالباً
٢ - عدد الطلاب الذين أدلوا بأصواتهم	٦٠١٨ طالباً
٣ - نسبة التصويت	٧٤،٨٨ %

في تلك الدورة نال أعلى أصوات الاتجاه الإسلامي الطالب أمين بناني نيو محرزاً ٣٦٣٣ صوتاً بنسبة ٦٠، ٣ %.

كما نال أدنى أصوات الاتجاه الإسلامي الطالب الدرديري محمد أحمد الذي نال ٣٢٩٠ صوتاً بنسبة ٥٤، ٦٦ %.

أما أعلى أصوات القائمة الثانية وهي قائمة مؤتمر الطلاب المستقلين فقد أحرزها الطالب سليمان الأمين الذي نال ١٨٣٩ صوتاً بنسبة ٣٠، ٥ %.

أما أعلى قائمة الجبهة الديموقراطية فقد كانت الطالبة آمال جبرالله سيد أحمد والتي أحرزت ٥٦٨ صوتاً بنسبة ٩، ٤ %.

أما أدنى قائمة الجبهة الديموقراطية فقد كان الطالب بابكر محمد أحمد الذي نال ٣٧٠ صوتاً بنسبة ٦،٣ %، ويلاحظ هنا أن سليمان الأمين وهو رئيس اتحاد الطلاب في فترة التحالف السابقة لهذه الدورة لم يستطع الفوز واختراق قائمة الاتجاه الإسلامي لهذه الدورة ليصبح عضواً بالاتحاد كعادة رؤساء الاتحادات إذ أن الاتجاه الإسلامي عندما فقد قيادة الاتحاد دورة ٧٩ - ١٩٨٠م استطاع أن يدخل ثلاثة عشر عضواً لمجلس الاتحاد من بينهم رئيس الاتحاد السابق المعتصم عبد الرحيم الحسن.. مما جعل الاتجاه الإسلامي يصف فوز التحالف في انتخابات ٧٩ - ١٩٨٠م بأنه قد كان فوزاً عشوائياً حدث محض صدفة.

٥ - دورة ٨١ - ١٩٨٢م

هذه الدورة فاز فيها الاتجاه الإسلامي بمقاعد الاتحاد الأربعيني حيث أصبح الطالب محمد عبد الرحمن مختار عجول رئيساً للاتحاد وقد كان مؤلف هذا الكتاب عضواً بالمجلس الأربعيني للاتحاد في هذه الدورة وكانت كالآتي:

١ - عدد المسجلين بالجامعة	٨٠٤٩ طالباً
٢ - عدد الطلاب الذين أدلوا بأصواتهم	٥٥٩٨ طالباً
٣ - نسبة التصويت	٦٩,٥٤ %

حيث نال أعلى قائمة الاتجاه الإسلامي وهو الطالب أمين بناني نيو ٣٠٦٨ صوتاً بنسبة ٨، ٥٤ %، أما أدنى قائمة الاتجاه الإسلامي فقد كان الطالب سراج الدين عبد الغفار عمر الذي أحرز ٢٧٤٨ صوتاً بنسبة ٤٩%. أما أول قائمة الطلاب المستقلين فقد كان الطالب سليمان الأمين الذي أحرز ٢٢٢٣ صوتاً بنسبة ٧، ٣٩ % وآخر قائمة المؤتمر هو الطالب برهان أحمد الصافي الذي أحرز ١٨٣٣ صوتاً بنسبة ٧، ٣٢ %. أما أول قائمة الجبهة الديموقراطية فقد كان الطالب أبو بكر الصديق الزيلعي الذي أحرز ٦٠٣ صوتاً بنسبة ١٠، ٧ %. أما آخر قائمة الجبهة الديموقراطية فقد كان الطالب شكرالله أحمد علي الذي أحرز ٤٧٨ صوتاً بنسبة ٨،٥ %.

٦ - دورة ٨٢ - ١٩٨٣م

في هذه الدورة أحرز الاتجاه الإسلامي جميع مقاعد الاتحاد الأربعين وأصبح الطالب خالد حسن إبراهيم رئيساً للاتحاد وكانت كالآتي:

١ - عدد الطلاب المسجلين	٨٠٥٦ طالباً
٢ - عدد الذين أدلوا بأصواتهم	٥٣٤٤ طالباً
٣ - النسبة المئوية	٦٦,٣٤ %

حيث نال أعلى قائمة الاتجاه الإسلامي وهو الطالب محمد عبد الرحمن مختار عجول ٢٧٠٢ صوتاً بنسبة ٥٦، ٥٠ %. أما آخر قائمة الاتجاه الإسلامي فقد كان هو الطالب/ يوسف محمد صالح لبس الذي أحرز ٢٥٠١ صوتاً بنسبة ٨، ٤٦ %. أما أول قائمة مؤتمر الطلاب المستقلين فقد كان الطالب/ فيصل جلال عبد العزيز الذي نال ٢٠٢٨ صوتاً بنسبة ٩، ٣٧ %. أما أول قائمة الجبهة الديموقراطية فقد كانت الطالبة/ هالة بابكر النور التي أحرزت ٤١٧ صوتاً بنسبة ٨، ٧ %. وآخر قائمة الجبهة الديموقراطية قد كان الطالب/ محمد حسن العجيلي الذي أحرز ٣٦٣ صوتاً بنسبة ٧٩، ٦ %. أما أول قائمة حزب الأمة فقد كان الطالب/ صديق موسى الشيخ بولاد الذي أحرز ١٥٢ صوتاً بنسبة ٨، ٢ %. أما آخر قائمة حزب الأمة فقد كان الطالب/ حامد عبد الكريم محمد الذي أحرز ١٠٠ صوتاً بنسبة ٨، ١ %.

٧ - دورة ٨٣ - ١٩٨٤م

في هذه الدورة أحرز الاتجاه الإسلامي مقاعد الاتحاد الأربعين وأصبح الطالب/ ميرغني أبكر الطيب رئيساً للاتحاد وكانت كالآتي:

١ - عدد الطلاب المسجلين	٨٤٠٧ طالباً
٢ - عدد الذين أدلوا بأصواتهم	٥٧٦٦ طالباً
٣ - البطاقات التالفة	١٥٤ بطاقة
٤ - النسبة المئوية	٦٨,٥٩ %

حيث نال أعلى قائمة الاتجاه الإسلامي الطالب خالد حسن إبراهيم الذي نال ٢٨٩٧ صوتاً بنسبة ٥١,٦ %.

وكان آخر قائمة الاتجاه الإسلامي الطالب عز الدين حسن عبد القادر الذي أحرز ٢٧١٦ صوتاً بنسبة ٤٨,٣٩ %.

أما أول قائمة مؤتمر الطلاب المستقلين قد كان الطالب عمر يوسف الدقير الذي أحرز ١٧٤٢ صوتاً بنسبة ٣١,٠٤ %.

أما آخر قائمة المؤتمر قد كان الطالب عاطف حسن أحمد الذي نال ١٥٤٠ صوتاً بنسبة ٢٧,٤٤ %.

أما أول قائمة الجبهة الديموقراطية فقد كان الطالب مأمون سيد أحمد الذي نال ٧٢٣ صوتاً بنسبة ١٢,٨ %.

٨ - دورة ٨٤ - ١٩٨٥م

في هذه الدورة شهدت الجامعة تحالفاً للتنظيمات السياسية كسابقه الذي حدث في دورة ٧٩ - ١٩٨٠م (عدا حزب الأمة) وقد استطاع تجمع التنظيمات من نيل جميع مقاعد الاتحاد عدا مقعداً واحداً للاتجاه الإسلامي الذي اخترق قائمة التنظيمات ليدخل عضوه الطالب ميرغني أبكر الطيب (رئيس الاتحاد السابق) إلى عضوية المجلس الأربعيني وقد أصبح الطالب/ عمر يوسف الدقير رئيساً للاتحاد. . وكانت تلك الدورة كالآتي:

١ - عدد المسجلين بالجامعة	٦٨٩٨ طالباً
٢ - عدد الطلاب الذين أدلوا بأصواتهم	٤٩٣٧ طالباً
٣ - نسبة التصويت	٧١,٥٧ %

كان أعلى مرشحي التحالف هو الطالب عمر يوسف الدقير الذي أحرز ٢٣٤٣ صوتاً بنسبة ٤٥، ٤٧ %. بينما نال آخر القائمة نمره (٤٠) وهو مرشح الاتجاه الإسلامي ميرغني أبكر الطيب ٢١٠٦ صوتاً بنسبة ٦٥، ٤٢ %. كما نال آخر قائمة الاتجاه الإسلامي العضو رقم (٧٩)، وقد كان الطالب حامد بكر حنون ١٩٦٩ صوتاً بنسبة ٨٨، ٣٩%. أما أول قائمة حزب الأمة فقد كان الطالب الفاضل آدم إسماعيل الذي أحرز ٤٧٦ صوتاً بنسبة ٩،٦٤ %. وآخر مرشح الأمة فقد كانت الطالبة نفيسة عثمان والتي أحرزت ٣٤٥ صوتاً بنسبة ٩٨،٦%.

ويلاحظ في هذه الدورة أن الاتجاه الإسلامي كان يحتاج إلى ٨ % من أصوات الطلاب لينال جميع مقاعد الاتحاد الأربعين.

دورات الاتحاد من ٧٧ - ١٩٨٥م:

(*) الجدول (٣) يوضح دورات الاتحاد من ٧٧ - ١٩٨٥م والتنظيمات التي فازت بها مع ذكر اسم رئيس الاتحاد لكل دورة.

اسم رئيس الاتحاد	اللون السياسي الفائز	تاريخ الدورة
التجاني عبد القادر حامد	الاتجاه الإسلامي	١/ ٧٧ - ١٩٧٨م
المعتصم عبد الرحيم حسين	الاتجاه الإسلامي	٢/ ٧٨ - ١٩٧٩م
سليمان الأمين	تحالف التنظيمات	٣/ ٧٩ - ١٩٨٠م
أمين بناني نيو	الاتجاه الإسلامي	٤/ ٨٠ - ١٩٨١م
محمد عبد الرحمن مختار عجول	الاتجاه الإسلامي	٥/ ٨١ - ١٩٨٢م
خالد حسن إبراهيم	الاتجاه الإسلامي	٦/ ٨٢ - ١٩٨٣م
ميرغني أبكر الطيب	الاتجاه الإسلامي	٧/ ٨٣ - ١٩٨٤م
عمر يوسف الدقير	تحالف التنظيمات	٨/ ٨٤ - ١٩٨٥م
زيدان عبده زيدان	الاتجاه الإسلامي	٩/ ٨٥ - ١٩٨٦م

(*) الجدول أدناه (٢) يوضح الأصوات والنسب المئوية التي حاز عليها الاتجاه الإسلامي في الدورات التي سيطر فيها على قيادة الاتحاد من أصوات طلاب الجامعة قاطبة.

أدنى أصوات الاتجاه الإسلامي ونسبتها المئوية	أعلى أصوات الاتجاه الإسلامي ونسبتها المئوية	الدورة
٣٤٣٢ - ٢، ٥٢ %	٤٧١٢ - ٦، ٧١ %	٧٧ - ١٩٧٨م
٣٠٢٦ - ٧، ٥٤ %	٣٩٠٦ - ٣٢، ٦٥	٧٨ - ١٩٧٩م
٣٢٩٠ - ٦٦، ٥٤ %	٣٦٣٣ - ٣، ٦٠ %	٨٠ - ١٩٨١م
٢٧٤٨ - ٤٩ %	٣٠٦٨ - ٨، ٥٤%	٨١ - ١٩٨٢م
٢٥٠١ - ٨، ٤٦ %	٢٧٠٢ - ٥٦، ٥٠ %	٨٢ - ١٩٨٣م
٢٧١٦ - ٣٩، ٤٨ %	٢٨٩٧ - ٦، ٥١ %	٨٣ - ١٩٨٤م

(١) المصدر، مطبوعات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، مكاتب الاتحاد الخرطوم.

تحليل نتيجة الانتخابات

من إيراد الأرقام والنسب التي برزت من نتائج الانتخابات التي شهدتها جامعة الخرطوم في الفترة موضوع الدراسة يستطيع الباحث أن يلمح الملاحظات التالية:

١ - استطاع الاتجاه الإسلامي أن يكسب جميع الانتخابات التي جرت حول مقاعد الاتحاد منذ المصالحة الوطنية عام ١٩٧٧م وحتى عام ١٩٨٥م عدا دورتين هما دورتي التحالف لعامي ٧٩ - ١٩٨٠م وعام ٨٤ - ١٩٨٥م.

٢ - لم يستطع تنظيم واحد أو تنظيمان في حالة التحالف من إسقاط الاتجاه الإسلامي في الانتخابات مما جعل التنظيمات تتحالف جميعها (تسعة تنظيمات) في دورة ٧٩ - ١٩٨٠م لإسقاط الاتجاه الإسلامي.. ورغم ذلك استطاع الاتجاه الإسلامي اختراق قائمة التحالف وإدخال ثلاثة عشر عضواً من قائمته لمقاعد الاتحاد.. بل إن مرشحي الاتجاه الإسلامي تصدروا قائمة الفائزين محرزين أعلى الأصوات مما يعتبر مؤشراً إيجابياً للاتجاه الإسلامي.

٣ - انخفض مؤيدو الجبهة الديموقراطية حيث كانت هي المنافس الوحيد للاتجاه الإسلامي في انتخابات ٧٨ - ١٩٧٩م، حيث أحرزت قائمة الجبهة الديموقراطية في تلك الانتخابات ١٧٩٧ صوتاً كأعلى الأصوات التي نالها أحد مرشحيها بنسبة ٢٣،٣ % من أصوات الناخبين. بعد ذلك تدنت أصواتها لتصل إلى ٥٦٨ صوتاً في انتخابات ٨٠ - ١٩٨١م بنسبة ٤، ٩ % وأدناها ٣٨٠ صوتاً في ذات الانتخابات بنسبة ٦،٣ %. كما يمكن ملاحظة التدني في أصوات الجبهة الديموقراطية في قمة معارضتها للنظام المايوي وفي قمة معارضة الطلاب للنظام المايوي أن تنال ٧٥٠ صوتاً في الانتفاضة حيث كانت أصواتها تتراوح بين ٣٨٠ - ٤٧٨ - ٣٦٣ - ٧٢٣ صوتاً...

٤ - يعتبر التدني في شعبية مؤيدي الجبهة الديموقراطية مؤشراً إيجابياً لصالح الاتجاه الإسلامي الذي استطاع أن يدير إعلاماً قوياً ضد الفكر الشيوعي والممارسة الشيوعية مما حيد الكثيرين من الطلاب... وهذا يندرج تحت دائرة الأسلمة والصحوة الإسلامية التي شهدتها الجامعة بعد المصالحة الوطنية.

٥ - احتفظ الاتجاه الإسلامي بنسبة ثابتة من طلاب الجامعة في كل الانتخابات تراوحت بين ٦٥ % إلى ٤٦ % من طلاب الجامعة المشتركين في العملية الانتخابية.. وحتى عندما تحالفت عليه التنظيمات السياسية عام ٧٩/ ٨٠ كانت أصوات أعضائه الفائزين تتراوح بين ٥٣ % بالنسبة للمعتصم عبد الرحيم - ١ ،٥١ % بالنسبة لمحمد محيي الدين الجميعابي - ٤ ،٤٧ % لأمين بناني... هذه النسبة الثابتة حتى الانتفاضة ظلت تؤهله

للفوز في أي انتخابات تخوضها التنظيمات غير متحالفة إذا لم يحدث تحالف كامل... وفي حالة التحالف الكامل استطاع أن يخترق قائمة التحالف.

٦ - أثبتت الاتصالات والإحصاءات والتصنيفات التي تديرها غرفة عمليات الاتجاه الإسلامي ارتفاعاً كبيراً في نسبة الطالبات اللاتي يؤيدن الاتجاه الإسلامي وهذا لم يكن موجوداً قبل ١٩٧٧م.

٦ - يعزي الباحث الهبوط وسط التيار المناصر للجبهة الديموقراطية لعدة عوامل منها:

١ - الصحوة الإسلامية التي انتظمت العالم الإسلامي والسودان جزء منه حيث أصبحت النظرية الشيوعية لا تجد حماساً ولا أنصاراً وسط المثقفين السودانيين والجبهة الديموقراطية ظلت تقدم نفسها كحزب سياسي أكثر منه إيديولوجي.

٢ - الاتجاه الإسلامي يشن حملة ضد الجبهة الديموقراطية ويركز على مقولات قادة الشيوعية العالمية التي تصف الدين بأنه أفيوناً للشعوب.. وتركز على النظرة المادية الشيوعية للأشياء مما يخلق عازلاً بينها وبين الطلاب.

٣ - ارتبط اسم الحزب الشيوعي والجبهة الديموقراطية بمجيء نظام مايو وفصل أساتذة الجامعة وضرب المسلمين في الجزيرة أبا وودنوباوي وقتل الضباط فيما عرف بمجزرة قصر الضيافة.. كل تلك العوامل كانت تضعف من أنصار الجبهة الديموقراطية.

البرنامج الثقافي للاتحاد

شملت اللجنة التنفيذية للاتحاد سكرتارية تهتم بالعمل الثقافي وهي سكرتارية الشؤون الثقافية والتي تنضوي تحتها مجلة الجامعة وكل الأنشطة الثقافية بالجامعة.. وكانت خطة الاتجاه الإسلامي هي تسخير كل المتاح من وسائل وأدوات الاتحاد لبرنامج التغيير الإسلامي الذي تطرحه الحركة الإسلامية.. فكانت مجلة الجامعة واحدة من هذه الأدوات الهامة.. إذ إن لها قراء ومعجبون... فعبرها يتم الحديث عن قضايا التأصيل الثقافي والفكري وتتم الدعوة للالتزام الإسلامي وعبرها تعلن الحركة الإسلامية خطها السياسي وآراءها السياسية.. حيث شهدت مجلة الجامعة في إطار الثقافة السياسية مقالات التجاني عبد القادر عن "الأسئلة الصعبة في السياسة السودانية" ومقالات سيد خطيب " من المقاعد الخلفية" ومقالات محمد طه محمد أحمد وحسن مكي... وخلافه.. كما أصدرت السكرتارية الثقافية جريدة "الرأي" الأسبوعية السياسية والفكرية لذات الغرض... كذلك قام الاتحاد بطبع وترجمة عدداً من الكتيبات التي يرى فيها خدمة لخطه الفكري مثل كتب المفكر الإيراني علي

شريعتي[1] وكذلك كتاب أحمد محمد شاموق عن ثورة أكتوبر[2] وكتيب "كوسو بين الماضي والحاضر" وكتيب أمين حسن عمر[3] كذلك طرح الاتحاد برنامجاً ثقافياً على مستوى المجتمع السوداني وذلك عبر برنامج العمل الصيفي والذي كان يقوم تحت شعارات كبيرة مثل:

"محو الأمية أبجدياً وحضارياً" حيث كانت قوافل العمل الصيفي التابعة للاتحاد تجوب أرياف المجتمع السوداني تقدم التوعية وتشيد المدارس وتقدم الندوات والدروس والمحاضرات كما درج الاتحاد داخل الجامعة أثناء العطلات على قيام الكورسات الأكاديمية لطلاب الثانويات والتي يتم خلالها عمل دعوي منظم.

لكن العمل الدعوي الكبير يتجلى فيما عرف في تاريخ الاتحاد بـ "الموسم الثقافي للاتحاد" وهو موسم يتم سنوياً ويتم الإعداد له على مستوى كبير وتتم الاتصالات الداخلية والخارجية بالمدعوين والمفكرين من أنحاء العالم ويتم الإعداد المكتمل لذلك. والموسم الثقافي للاتحاد يمثل فرصة لالتقاء الحركات الإسلامية والمفكرين الإسلاميين حيث يتم طرح الأفكار وتبادل الآراء بين قيادات العمل الإسلامي فهو صورة مصغرة لما عرف مؤخراً بالمؤتمر الشعبي العربي والإسلامي الذي ترأسه الشيخ الدكتور حسن الترابي والذي تمّ حله عند أزمة انشقاق الحركة الإسلامية وجمّد نشاطه.

في تلك المواسم تطرح الحركة الإسلامية العالمية رأيها في كثير من قضايا الاجتماع والاقتصاد والسياسة بصورة تمثل تعبئة لعضوية الاتجاه الإسلامي ودعوة لبقية الطلاب للالتفاف حول برنامج التغيير الاجتماعي الذي تطرحه الحركة الإسلامية عبر الاتجاه الإسلامي.. وإذا كان الباحث في ثنايا حديثه عن الخطاب السياسي والفكري للاتجاه الإسلامي قد أفرد حديثاً إضافياً عن دور الاتحاد في ذلك مما يعتبر رافداً لهذا الفصل في الحديث عن الطرح الثقافي للاتحاد، لكن في هذا الفصل يستعرض الباحث ما قدم من أوراق في أحد المواسم الثقافية لتتم المقارنة التي أشار إليها الباحث في موضع متقدم من هذا البحث بين ما طرحه "منتدى الأصدقاء الفكري" التابع للاتجاه الإسلامي كتنظيم، وبين ما يقدمه "الموسم الثقافي" التابع للاتحاد كجهاز نقابي قومي.. حيث يتضح وجه الشبه بين الأمرين بصورة تدعو للتطابق.

(١) علي شريعتي، بناء الذات الثورية ومنهج التعرف على الإسلام.

(٢) محمد أحمد شاموق، أكتوبر ثورة الطلاب.

(٣) أمين حسن عمر، مكونات الثقافة السودانية.

قضايا التحول الإسلامي المعاصر داخل الموسم الثقافي

والباحث هنا يستعرض ما طرح في "الموسم الثقافي الثالث" الذي عقد في ٢٣/ سبتمبر/ ١٩٨١م تحت شعار "قضايا التحول الإسلامي المعاصر" وهنا نستعرض أسماء المحاضرات والمحاضرين والمناقشين والمقدمين واتجاهاتهم السياسية.. كما يذكر أن هذه المواسم كانت تتم بالقاعة الكبرى المعروفة بقاعة الامتحانات بالجامعة..

جدول رقم: (٤) يوضح الموسم الثقافي الثالث لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم المنعقد في ٢٣/ سبتمبر/ ١٩٨١م.

اللون السياسي	المتحدث	الموضوع
اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي	د. إبراهيم أحمد عمر مناقش: المحبوب عبد السلام تقديم: سيد أحمد الحسن	١/ تجديد الفكر السياسي
اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي	د. حسن الترابي تقديم: سيد أحمد الحسن	٢/ قضايا الحرية والوحدة في النظام السياسي الإسلامي
اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي	د. زكريا بشير إمام د. بلقيس بدري تقديم: عمر الأمين الحسن	٣/ قضايا التغيير الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية
اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي	د. محمد الواثق د. جعفر ميرغني مناقش: أبو بكر الشنقيطي تقديم: عمر محمد عبد الرحمن	٤/ الأدب واللغة ودورهما في التحول الحضاري
اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي	الأستاذ عبد الرحيم حمدي د. إبراهيم عبيد الله تقديم: ميرغني أبكر مناقش: محمد منصور	٥/ الاقتصاد الإسلامي والمؤسسات الجديدة

اتجاه إشتراكي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي	الأستاذة: نفيسة أحمد الأمين الأستاذ: أحمد محمد شاموق مناقشة: لبابة الفضل	٦/ المرأة ودورها في التحول الاجتماعي
اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي	هند مأمون بحيري. د. عبد الرحيم علي مناقش: حسن مكي محمد أحمد تقديم: خالد حسن إبراهيم	٧/ مشكلات الثورة الإسلامية العاصرة
اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي	د. الطيب زين العابدين الأستاذ: علي عثمان محمد طه د. عبد الحميد أبو سليمان مناقش: تجاني عبد القادر تقديم: محمد محجوب هارون	٨/ الشورى والمؤسسات السياسية المعاصرة
اتجاه إشتراكي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي	د. إسماعيل الحاج الموسى د. الطاهر الحسين مناقش: عبد المحمود نور الدائم تقديم: محمد محجوب هارون	٩/ التعايش الثقافي في عصر الثورة الإسلامية
اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي اتجاه إسلامي	د. تجاني أبو جديري الأستاذ: إسماعيل راجي الفاروقي (قادم من أميركا) تقديم: عمر الأمين الحسين	١٠/ القوى العظمى وموقفها من التحول الإسلامي
مستقل إتجاه إسلامي من لبنان اتجاه إسلامي	بروفسور مدثر عبد الرحيم الأستاذ إبراهيم المصري تقديم: عمر محمد عبد الرحمن	١١/ ظاهرة الإقليمية والقومية والتحول الإسلامي المعاصر

المصدر: مطبوعات اتحاد جامعة الخرطوم، مكاتب الاتحاد، الخرطوم.

مما تقدم يلاحظ الباحث الآتي:

١ - وجه الشبه الكبير بين ما طرحه الاتجاه الإسلامي عبر "المنتدى" وبين ما طرح عبر الموسم الثقافي للاتحاد من طرح فكري.

٢ - تبدو هنا أهمية الاتحاد بالنسبة للاتجاه الإسلامي واضحة إذ إنه يمثل لافتة قومية لا يتحرج المفكرون الأجانب من تلبية دعوتها والحضور لمناشطها على العكس من واجة الاتجاه الإسلامي التي لا تتجاوز محيط الجامعة.

٣ - مثّل الموسم الثقافي ملتقى للمفكرين والأدباء الإسلاميين كما مثّل فرصة للتعارف بين الحركات الإسلامية على مستوى العالم والاطلاع على تجارب بعضها البعض والاستفادة من تجارب المفكرين الإسلاميين غير المنتمين.. حيث حضر مواسم الاتحاد الشيخ راشد الغنوشي زعيم حزب النهضة التونسي - والمفكر الإسلامي عمار الطالبي - وعماد الدين خليل - ومحمد فتحي عثمان - والمفكر المصري محمد خفاجة ومن أميركا جاء الفاروقي.. وممثلين للحركة الإسلامية اليمنية وكثير من حركات التحرر العالمية.

٤ - كان الموسم فرصة لتدريب وصقل أعضاء الاتجاه الإسلامي الذين يقومون بمرافقة المفكرين الأجانب.. وتقديم المتحدثين في الندوات وحضور لقاءاتهم مع القيادات الأخرى مما يحفز فيهم روح الثورة والتطلع نحو العلى ونحو قيادة المجتمع بالفكر والثورة معاً.

الثقافة التعبوية.. الإسلامبولي

نختم هذا الفصل باستعراض جزء من البث الثقافي الثوري التعبوي للاتحاد.. وإذا كنا قد تعرضنا لجزء كبير منه في الحديث عن الخطاب السياسي والفكري للاتجاه الإسلامي في موضع متقدم من هذا البحث مثل الحديث عن ثورة الإمام الخميني في إيران وبيانات التأييد والإعجاب وكذلك بيان الإدانة للغزو الروسي لأفغانستان وخلافه.. فشأن الباحث أن يستعرض هنا الثقافة التعبوية الثورية التي اتبعها الاتحاد أبان إقدام الملازم خالد الإسلامبولي على إعدام السادات... ورأي الاتحاد معروف سلفاً في الرئيس السادات وقد تمت الإشارة إليه عند عرض بيان الاتحاد "لا مرحبا بك يا سادات". ففي نشرة الاتحاد التي كانت تعرف بنشرة كوسو وتحت اسم "أحداث دولية" كتبت النشرة "لن نتحدث اليوم عن خالد الإسلامبولي فإن ما فعله خالد يستوجب وساماً من أعلى الطبقات.. ولن نبكي على خالد فإن روح خالد أسمى من أن تزرف عليها الدموع... إن والدة خالد لم تقف منتحبة باكية عندما سمعت الحكم على ابنها بالإعدام، بل وجهت إلى العالم الإسلامي رسالة قالت فيها: إن خالد ورفاقه لم يقدموا على ما أقدموا عليه إلا بعد أن أعلن السادات في خطبه وقال:

"أنا لن أرحمهم أبداً" وأنه قال "لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة"، ثم قالت: إن القانون الذي يحاكم ولدها قانون باطل ومخالف للشريعة الإسلامية وأن ابنها ورفاقه قتلوا الطاغي الباغي" فامتد إعجاب الناس إلى الأم التي ربت والحضن الذي رعى والثدي الذي أرضع... وقد علمته كلمة الحق ووقفة الحق ويفخر هذا الشعب بأنه أنجب مثل هذه الأم التي أنجبت مثل هذا البطل... إن الناس جميعاً يموتون وتختلف الأسباب ولكن الناس جميعاً لا ينتصرون مثل هذا الانتصار إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده لتشارك الناس في الموت وتنفرد دون الناس بالمجد"[١].

وبعد أن أصدرت المحكمة حكم الإعدام في حق خالد الإسلامبولي وأربعة من رفاقه والسجن المؤبد لخمسة آخرين والسجن مع الأشغال الشاقة لعدد يتراوح بين خمسة سنوات وخمسة عشرة سنة لاثني عشر شخصاً... هنا كتبت نشرة كوسو تتحدث عن الإسلامبولي تحت عنوان: "الإسلامبولي ورفاقه في سجل الخالدين": "لقد أثارت هذه القضية في جميع مراحلها ردود فعل شديدة على كافة المستويات فبإقدام خالد الإسلامبولي ورفاقه على قتل السادات أثناء العرض العسكري أثار مشاعر الإعجاب بشجاعة هؤلاء الشبان الذين تقدموا بمنتهى القوة والحزم والعزم باسم ملايين المسلمين.. قتلوا الرجل الذي أهان الإسلام والمسلمين بالتهجم عليهم وعلى زعامتهم ورموزهم السياسية... الرجل الذي تحالف مع أعداء الله واستسلم إليهم بدلاً من أن يقاتلهم.. ووقفة خالد الإسلامبولي ورفاقه في المحكمة وهو في منتهى الإباء والاستعلاء يردد:

في سبيل الله قمنا   نبتغي رفع اللواء
فليعد للدين مجده   أو ترق منا الدماء
خيبر خيبر يا يهود   بيت المقدس سوف يعود.

أثارت في جميع الناس بلا استثناء مشاعر الحب والإعجاب والتقدير لهذه الفئة التي رفعت رؤوس المصريين والمسلمين أجمعين عالية مزهوة دون أن تستعطف الباطل بل تتحداه حتى أن القوة السياسية المختلفة في العالم العربي وبعضها من غير المسلمين اعتبر خالد الإسلامبولي أنشودة لغد مؤزر.. وتواصل النشرة... وعندما نطقت المحكمة بالحكم وكان معروفاً سلفاً على الإسلامبولي قال: "كل ما حدث كان متوقعاً بل إننا تعجبنا أن تستمر هذه المسرحية كل هذا الوقت"، وأثارت هذه الوقفة الشجاعة المؤمنة إعجاب الناس ابتداءً من المحامين وانتهاء بعامة الناس الذين طالبوا بأن يطلق سراح البطل ويقدم أولادهم بدلاً منه ثم

(١) الاتحاد، نشرة كوسو: ١٩٨١م.

وجهت النشرة مضمون هدفها مما تقدم قائلة: "بعد أن تم إعدام الشهيد خالد الإسلامبولي ورفاقه الأربعة هل يتعظ خلفاء السادات في كل العالم الإسلامي ويعلموا أن كل مسلم أصبح خالد آخر.. لقد أصبح خالد رمزاً حياً في قلب كل إنسان حر يعشق الحرية ويؤمن بها وأصبح أنشودة يتغنى بها كل من يرفض الاستعمار والإذلال"[١].

والباحث يلاحظ أن هذا المقال يخدم غرضين هامين للحركة الإسلامية هما:

١ - تعبئة قواعد الحركة الإسلامية تعبئة جهادية فدائية وجعلها تستعد لمثل هذه المواقف إن دعي الأمر.

٢ - رسالة إلى الوضع الحاكم بأن التضييق على الإسلاميين يمكن أن يؤدي إلى ما أدى إليه في مصر على يد الإسلامبولي ورفاقه. كذلك يذكر الباحث هنا جزء في هذا الشأن من البرنامج الانتخابي لقوة التمثيل النسبي لدورة ١٩٧٩م حيث تحدث البرنامج عن احتكار الاتجاه الإسلامي للاتحاد لتنفيذ مخططاته الحزبية فقال: "لقد ظل اتحاد طلاب جامعة الخرطوم منذ قيام دستور الحر المباشر حكراً لتنظيم الإخوان المسلمين حوله إلى أداة لتنفيذ مخططاته وأغراضه الحزبية" ثم يتحدث البرنامج عن الموسم الثقافي فقال: "وعندما حاول الإخوان تقديم برنامج ثقافي جاء معزولاً عن الطلاب ومعبراً عن فكر الإخوان داخل وخارج السودان، أما مجلة الجامعة فلم تكن أوفر حظاً"[٢].

السياسة الخارجية للاتحاد

توجد باللجنة التنفيذية للاتحاد سكرتارية تختص بالشؤون الخارجية مثل خلق علاقات طيبة للاتحاد بالاتحادات المماثلة خارج السودان وكذلك بحركات التحرر العالمية وكذلك بالمؤسسات القومية والأكاديمية... فعبر هذه السكرتارية نفذت المواسم الثقافية وتمّ الاتصال بالمفكرين الأجانب وغيرهم... وعبر هذه السكرتارية كانت العلاقات الوثيقة بحركات التحرير الأريترية حيث استشهد رئيس الاتحاد[٣] دورة ٨١ - ١٩٨٢م على الطريق الأريتري حيث كان ذاهباً لحضور مؤتمر أحد الفصائل الأريترية المقاتلة... ومعه رئيس رابطة كلية الاقتصاد وعضو الاتجاه الإسلامي الطالب سالم عبد الفتاح.

وكذلك حركة التحرير الفلسطينية وحركات تحرير الأرومو وحركة المقاومة الإسلامية في

(١) المصدر السابق.
(٢) انظر: البرنامج الانتخابي لقوى التمثيل النسبي، أكتوبر ١٩٧٩م.
(٣) هو محمد عبد الرحمن عجول.

سوريا، وحزب النهضة الإسلامي في تونس وخلافه من العلاقات الخارجية التي تمت عبر الاتحاد... ويؤكد أهمية اتصال الاتحاد بالخارج ما ذكره داؤد بولاد في خطابه الذي أشرنا إليه في موضع متقدم من هذا البحث حيث ذكر "ونسبة لضرورة الكفاح وأهمية الاتصال بالأصدقاء في الخارج والمؤسسات المماثلة فلقد أوفد الاتحاد أعضاءه للخارج في شكل ثلاثة وفود"، ويمضي قائلاً: "اتجهت كل هذه الوفود إلى الاتصال بالجهات الخارجية الطلابية ووسعت دائرة علاقات الاتحاد بالاتحادات الطلابية وشملت زياراتهم أوروبا، إفريقيا وآسيا وإنا لنأمل أن نرى ثمرات هذه الاتصالات في المستقبل القريب إن شاء الله "(١).

كما أقام الاتحاد علاقات طيبة مع الاتحاد العام للطلاب المسلمين بالولايات المتحدة الأميركية والذي كان يترأسه أحد رؤساء اتحاد طلاب جامعة الخرطوم دورة ٧٢ - ١٩٧٣م...

كما وطد الاتحاد علاقاته باتحاد الطلبة المسلمين بالمملكة المتحدة وأيضاً كان به عدد من قيادات الاتجاه الإسلامي الذين كانوا طلاباً بالجامعة... كما كان الاتحاد حريصاً على حضور كل المؤتمرات الطلابية العالمية وأن يطرح رأي الطلاب السودانيين فيها وأن ينقل تجربة الحركة الطلابية السودانية للخارج..

ويذكر أن الاتحاد قد أوفد مؤلف هذا الكتاب ليمثل اتحاد طلاب جامعة الخرطوم في مؤتمر طلاب جامعة صنعاء المنعقد في صنعاء في أغسطس ١٩٨٢م... ومن المشاركات الخارجية التي أحدثت جدلاً كبيراً هي مشاركة الاتحاد في مؤتمر طلاب دول عدم الانحياز المنعقد في مالطا والذي تموله ليبيا والعراق.. في ذلك المؤتمر مثل اتحاد طلاب جامعة الخرطوم الطالب أمين بناني سكرتير الشؤون الخارجية للاتحاد دورة ٧٨ - ١٩٧٩م... وقد كانت المفاجأة عندما وجد بناني شخصاً آخر من الشيوعيين السودانيين يزيد عمره عن الأربعين وليست له علاقة بجامعة الخرطوم ولا بأي جامعة سودانية... جاء ليمثل طلاب جامعة الخرطوم ونترك أمين بناني ليروي ما يتعلق بهذا الأمر... "كانت مسألة التمثيل مشكلة أساسية حالت دون انعقاد المؤتمر، وذلك لأن معظم المنظمات التي حضرت إلى المؤتمر، وبعضها بدون دعوة كانت منظمات غير شرعية ووهمية لم تستطع أن تحدد اللجنة التحضيرية هويتها ولم تستطع هي أن تتحدث عن شرعيتها، وذلك كما حدث لمحاولة سرقة حركة الطلاب السودانيين بحضور "شيخين" "اشتراكيين" و"تقدميين" جبهويين ليؤذنا في مالطا وقد نسيا صيغة الآذان حتى على طريقة سودانية. هنا لا بد أن أقف قليلاً لأؤكد للإخوة الطلاب أن أحداً يدعى فتحي فضل لا يقل عمره عن ٤٥ عاماً جاء من "براغ" بدعوة أنه

(١) داؤد بولاد: خطاب الدورة ٧٤ - ١٩٧٧م.

ممثل للطلاب السودانيين ولكنه جاء شيئاً فرياً حين ادعى أن الطلاب في السودان جبهة سماها هو ولا نريد أن نذكر لها اسماً في هذه النشرة البيضاء!! والذي أعلمه وأكدته للجميع في مالطا هو أن اتحاد طلاب جامعة الخرطوم هو الممثل الشرعي وهو أكبر من أي تنظيم سياسي أو جبهة وهمية(١).

ما ذكر يؤكد حرص الاتحاد على الحضور وتمثيل طلاب السودان في المؤتمرات الدولية التي تكسب أعضاء الاتحاد خبرات نقابية وعلاقات دولية تؤهلهم ليلعبوا دوراً قيادياً وريادياً في المستقبل.. ولكن تتجلى سياسة الاتحاد الخارجية في المواقف الصارمة من الأحداث الآتية:

١ - ثورة الإمام الخميني في إيران ١٩٧١م.

٢ - الغزو الروسي لأفغانستان.

٣ - الموقف من كامب ديفيد.

٤ - القضية الفلسطينية.

- غزو إسرائيل إلى جنوب لبنان.

وقد تجلى ذلك في البيانات والخطابات التي أصدرها الاتحاد وأرسلها للرؤساء والملوك وأهمها التي أرسلها الاتحاد للرئيس كارتر وشهبور بختيار والحسن ملك المغرب، والرئيس السادات أبان أحداث الثورة الإيرانية والرسالة التي أرسلها إلى الرئيس السوفييتي ليونيد برجنيف.. وقد ورد ذكر ذلك مفصلاً في فقرة الحديث عن الخطاب السياسي والفكري للاتجاه الإسلامي في فصل متقدم من هذا البحث.

الاتجاهات السياسية بالجامعة

تضم جامعة الخرطوم عدداً من التنظيمات السياسية المختلفة، وهي:

١ - الاتجاه الإسلامي، وقد سبق الحديث عنه.

٢ - الجبهة الديموقراطية.

٣ - مؤتمر الطلاب المستقلين.

٤ - الجبهة الوطنية الإفريقية (ANF) African National Front

٥ - الجمهوريين.

٦ - جبهة كفاح الطلبة (البعث).

(١) انظر، نشرة كوسو.

٧ - الحزب الناصري.

٨ - حزب الأمة.

٩ - الحزب الاتحادي.

١٠ - الاتحاد الاشتراكي. ونتناول هذه التنظيمات واحدة تلو الأخرى.

الجبهة الديموقراطية

أول خلية للحزب الشيوعي في الجامعة كانت عام ١٩٤٦م، وفي ١٩٤٩م كوّن الشيوعيون مؤتمر الطلبة والذي أقاموا بديلاً عنه الجبهة الديموقراطية والتي تتكون من عنصرين:

أ - الطلبة الشيوعيون، وهم أساس الجبهة.

ب - الطلاب الديموقراطيون، ومنهم يتم انتقاء الأعضاء الجدد للحزب الشيوعي.

حتى النصف الأول من الخمسينيات كان للفكر الشيوعي وجود شعبي وسط الطلاب وعدد كبير منهم قد تأثر به[1] ... الآن الماركسية ليس لها جاذبية وسط الطلاب.

وفي الفترة من ٦٩ - ١٩٧١م ساندت الجبهة الديموقراطية نظام نميري إذ أعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني تأييدها لنظام نميري في ٢٥ مايو ١٩٦٩م وذكرت "أن الشيوعيين السودانيين يشعرون بالمسؤولية العظمى التي تقع على عواتقهم لحماية ودعم هذا النظام لأنهم يعتبرونه نتيجة لنضال القوى الثورية السودانية".

ولقد سبق الحديث عن مواقف الجبهة الديموقراطية من الاتحاد وإعلانها سكرتارية الجبهات التقدمية وموقفها من فصل الأساتذة، ومن احتلال الجامعة... وبعد محاولة انقلاب يوليو ١٩٧١م بدأت الجبهة الديموقراطية عداواتها الكاملة للنظام.. وفي الجامعة سعت الجبهة الديموقراطية لكسب قيادة الطلاب... كما حاولت توحيد الطلاب في جبهة واحدة ويذكر أن الجبهة الديموقراطية فقدت كل الاتحادات من نهاية عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٨٥م عدا دورتي التحالف المذكورتين في مكان متقدم من هذا البحث.. كما ظلت الجبهة الديموقراطية تقود إعلاماً معادياً للاتجاه الإسلامي الذي يمثل العدو التقليدي للجبهة الديموقراطية... فلا تكاد تخلو صحيفة الجبهة الرئيسية "مساء الخير" من هجموم على الاتجاه الإسلامي وكانت تطلق عليه "فرع الاتحاد الاشتراكي المسمى بالاتجاه الإسلامي"..

(١) انظر حسن مكي، الحركة الطلابية السودانية بين الأمس واليوم، مصدر سابق، ص: (١٨).

والباحث يستعرض هنا جزء من بيان للجبهة الديموقراطية تحدثت فيه عما أسمته بالانحطاط الخلقي للاتجاه الإسلامي والتدني بالممارسة السياسية حيث ذكرت " في مظاهرة تأييد الثورة الإيرانية في فبراير الماضي حيث هتف الطلاب بقيادة الجبهة الديموقراطية وتجاوب معهم الشارع السوداني - مصير نميري مصير الشاه - هنا هتف عملاء الأمن الجدد - لا شيوعية ولا إلحاد - وأثبتت أحداث العنف التي نظمها وشارك فيها الاتحاد في تلك المظاهرة عن مدى الانحطاط الخلقي والتدني بالممارسة السياسية والعمالة لجهاز الأمن الذي يمثله الإخوان واتحاد الحر المباشر ومثال آخر يكشف ضعف القيادة بعد أحداث ٢/ يوليو/١٩٧٦م انتظم الإخوان في هجرة جماعية إلى أوروبا وغير أوروبا رغم "صلابة عناصرهم" و"خبرتهم في العمل النقابي" وعادوا ليدخلوا الاتحاد الاشتراكي وليجروا معهم الاتحاد في انحرافاتهم كأداة للمساومة والضغط على الحكومة لتعين أميرهم نائباً عاماً أو لترفع راية الشريعة كطلاء جديد لتجميل وجه الدكتاتورية القبيح[1].. ".

على هذا المنوال العدائي للاتجاه الإسلامي سارت الجبهة الديموقراطية في كل خطابها السياسي.. لكن ذلك لم يؤثر على نمو وتمدد الاتجاه الإسلامي الذي شهد صحوة إسلامية انتظمت العالم الإسلامي..

مما يذكر أن الجبهة الديموقراطية قد تأثرت بالإنشقاق في الحزب الشيوعي بعد ١٩٧٠م، كما تأثرت بضربة الحزب الشيوعي بعد محاولة هاشم العطا الانقلابية[2] .

مؤتمر الطلاب المستقلين

الطلاب المستقلون قطاع كبير جداً في الجامعة.. وأول محاولة بدأت لتوحيد وتجميع الطلاب المستقلين في تنظيم واحد كانت ١٩٥٠م فيما عرف بالديموقراطيين الاشتراكيين لكنها لم تستمر... وفي عام ١٩٧٩م وقبل انتخابات الاتحاد في أكتوبر، طرح بعض الطلاب فكرة قيام تنظيم مستقل لقيادة النشاط الطلابي السياسي وتأكيد دور الوسط كقوة[3] سياسية.. وقد أعلنوا أنهم ضد اليمين المتزمت واليسار المتطرف وأنهم امتداد لفكر المواطن السوداني... ويتحدث تنظيم المؤتمر عن نفسه قائلاً: "خير الأمور أوسطها... فالطلاب الوسط هم أولاد

(١) بيان من الجبهة الديموقراطية، يناير ١٩٨٠م.

(٢) YAHIA HUSSIN BABIKER, OP, CIT, P (15).

(٣) IBID, P (19).

البلد... وصدر أصالتهم الالتزام بالتراث والتراب. تراثنا مبادىء راسخة وفكر متكامل..". ثم تحدث عن التراث قائلاً "التسامح... والتسامح بحق هو دستورنا وأساس ترابطنا رغم اختلافنا شعوباً وقبائل... وهو الوعاء الفكري للقومية السودانية... هو الضمان الوحيد لتطور الأمة السودانية"(١). دخل المؤتمر التحالف ونادى بالتمثيل النسبي في عام ١٩٧٩م، ونال (١١) مقعداً في تلك الانتخابات وأصبح رئيس الاتحاد في تلك الدورة واحداً من أعضائه.. وجد المؤتمر عند بداية منشأه بريقاً وجاذبية لدى الطلاب ساعدت في ذلك تراكم أخطاء الاتجاه الإسلامي الذي ظل متربعاً على قيادة الاتحاد لفترة طويلة.. كما ساعدت حب الطلبة للتغيير في قيادة الاتحاد.

واجه المؤتمر حملة إعلامية قوية معادية من الاتجاه الإسلامي ورد ذكر جزء منها في الحديث عن الخطاب الفكري والسياسي للاتجاه الإسلامي... وما يذكر أن المبادىء التي طرحها المؤتمر في برنامجه كانت مجالاً للتندر والسخرية من إعلام وصحافة الاتجاه الإسلامي.. التي تحدثت عن أهم ركيزتين للمؤتمر هما إنهم "أولاد بلد"، وهنا رد عليهم سيف الدين عمر في إحدى ندوات الاتجاه الإسلامي ساخراً: "طيب نحن جايين من زحل؟!".. لذلك وصفه الاتجاه الإسلامي بالطفولة السياسية... وأنه برلمان للتنظيمات...

جاء المؤتمر إضافة جديدة للجبهة المعادية للاتجاه الإسلامي بل ظل صاحب أكبر عضوية في تحالف التنظيمات وصار خطابه شيمته العداء السافر للاتجاه الإسلامي... نلحظ ذلك في برنامج التحالف حيث جاء فيه "لقد ظل اتحاد طلاب جامعة الخرطوم منذ قيام دستور الحر المباشر حكراً لتنظيم الإخوان المسلمين فأحاله لأداة لتنفيذ مخططاته وأغراضه الحزبية فسلب بذلك الحقوق الدستورية للجمعية العمومية وصار يتعامل معها بالقرارات الفوقية والأوامر الغير قابلة للنقاش..

لكن المؤتمر لم تكن به كوادر الاتجاه الإسلامي ولا الجبهة الديموقراطية في مستوى القيادات والخطاب السياسي... لذلك فإن إعلامه كان يميل للإسفاف وعدم الموضوعية... ويرى الجميعابي أن: "الوحيدين الذين انحطوا بالممارسة السياسية هم تنظيم المؤتمر"(٢).

(١) بيان من مؤتمر الطلاب المستقلين عن المبادىء الأساسية والبرنامج الانتخابي، ١٩٧٩م.

(٢) محمد محيي الدين الجميعابي، مقابلة سابقة.

الجبهة الوطنية الإفريقية ANF

منذ عام ١٩٥٨ شعر الطلاب الجنوبيون بالجامعة بالحاجة إلى تنظيم أنفسهم لذلك قرروا تكوين.(١).

WELFARE FRONT STUDENT S W F من أجل تحسين أوضاعهم، ولكن في أول سبتمبر ١٩٧٠م تغير الاسم إلى:

AFRICAN NATIONAL FRONT (ANF) أي: تحولت من جبهة تسعى لتحسين أوضاع عضويتها ورفاهيتهم إلى جبهة سياسية تتناول قضايا قومية وتعلق على مجريات الأحداث السياسية السودانية لكن الـ ANF فشلت في إبراز إطار أيديولوجي تعلن من خلاله برنامجها للجنوب لذلك أصبحت رهينة لعضويتها القليلة المحصورة في الجنوبيين والتي بدأت تقل عند افتتاح جامعة جوبا.

في عام ١٩٧٢م دخلت الـ ANF في تحالف مع الاتجاه الإسلامي والجبهة الوطنية في الانتخابات تحت دستور الحر المباشر ونال التحالف جميع مقاعد الاتحاد.

منذ توقيع اتفاقية أديس أبابا في مارس ١٩٧٢م ظلت الـ ANF تساند نظام نميري.. وفي عام ١٩٧٩م دخلت الـ ANF في تحالف التنظيمات السياسية ضد الاتجاه الإسلامي لكن لم يفز أي من مرشحيها.

جبهة كفاح الطلبة: THE STUDENT STRUGGLE FRONT

عرفت في جامعة الخرطوم منذ مارس ١٩٧٥م عندما قامت بتجميع عدد كبير من إمضاءات الطلاب الذين يرغبون في تمديد السنة الدراسية وتأخير الامتحانات عن التاريخ المعلن.. وقد استطاعت أن تجعل الاتحاد يقدم توصية للجمعية العمومية بذلك.. وقد فازت توصية تأخير الامتحانات... وتتكون "كفاح" من الطلبة البعثيين الموالين للعراق لذلك كانت ضد نظام نميري منذ يونيو/ 1971م، كما أنها ظلت تعارض الاتحاد وسياسته لسيطرة الاتجاه الإسلامي عليه. عضويتها قليلة جداً(٢) لذلك ظلت تقاطع كل الانتخابات عدا انتخابات ١٩٧٩م التي تمت في إطار التحالف حيث نالت ثلاثة مقاعد في مجلس الاتحاد.

(١) YAHIA HASSIN, OP, CIT, P (16).

(٢) كان داؤد بولاد في حملة الاتجاه الإسلامي الانتخابية وأثناء حديثه في الندوات عن التنظيمات السياسية يسخر من جبهة كفاح الطلبة ويقول إنها ليست لها عضوية وكل أعضائها لا يملأون حافلة أو برنسة (بوكس) ومع ذلك تتجاسر على تنظيم الاتجاه الإسلامي الكبير...

الأمة والإتحادي

كلاهما بدأ في جامعة الخرطوم في عام ١٩٦٦م ولم ينجحوا في تعبئة الطلاب وجذبهم إليهم وذلك لتركيبة أحزابهم الطائفية والأسرية وغياب الطرح الفكري.. أنصارهم قليلون جداً مما جعلهم تنظيمات موسمية تظهر في فترة الانتخابات وتختفي بعد ذلك لتعود في العام المقبل...

منذ انتخابات ٧٢ - ١٩٧٣م حيث شارك حزب الأمة بـ ٨ مقاعد في مجلس الاتحاد لم يدخلوا أي اتحاد بعدها حتى عام ١٩٧٩م حيث دخلوا ضمن قائمة التحالف الى مجلس الاتحاد.. ظلّ إعلامهم بعد المصالحة الوطنية وعند إعلان الرئيس نميري للتشريعات الإسلامية ١٩٨٣م يشن هجوماً عنيفاً على الاتجاه الإسلامي ويطلق عليهم "سدنة مايو"، "الاتجاهيين" وخلافه.

فرع الاتحاد الاشتراكي بالجامعة

عرف فرع الاتحاد الاشتراكي بجامعة الخرطوم بعد أحداث شعبان سبتمبر ١٩٧٣م بهدف استيعاب الطلاب بالجامعة في التنظيم الواحد في السودان لكنه وجد مقاومة[١] من الطلاب واعتبر الانتماء إليه عمالة وخيانة وعمل أمني وارتزاق.. كما اتهمه الطلاب بالتجسس لصالح السلطة.. والطلاب الذين انتموا إليه ظلوا معزولين عن النشاط السياسي للطلاب.. وصحيفته الحائطية هي الوحيدة بين الصحف التي تتعرض للاعتداء عليها من الطلاب المعادين.. لم يشترك قط في انتخابات الاتحاد.. لا متحالفاً ولا منفرداً وحتى بعد المصالحة الوطنية ظل معزولاً من قبل الطلاب..

الناصريون

هم مجموعة قليلة وغير نشطة في الجامعة ومواقفهم تتسم بالعدائية للنظام منذ عام ١٩٧١م عندما تحول النظام إلى اليمين كما أنهم ضد الاتحاد الذي ظل يسيطر عليه الاتجاه الإسلامي بصفة مستمرة منذ عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٨٥م عدا دورتين. في عام ١٩٧٩م دخلوا في تحالف التنظيمات المطالبة بالتمثيل النسبي ونالوا مقعدين في مجلس الاتحاد... كما دخلوا الاتحاد أيضاً في التحالف الثاني دورة ٨٤ - ١٩٨٥م ضمن قائمة التحالف.

---

(١) انظر داؤد بولاد عن دورة ٧٤ - ١٩٧٧م.

وربما جاء ضعفهم نتيجة لموت عبد الناصر في مطلع السبعينيات وظهور السادات الذي بدأ شهرته على حساب عبد الناصر والناصرية... كما أنهم ليس لهم فكر مطروح في الساحة ولا يظهرون إلا في مواسم الانتخابات ثم يختفون بعد ظهور النتيجة.

الجمهوريون

الحزب الجمهوري الإشتراكي حزب علماني يقدم أفكاره في سياق ديني وينادي برسالة ثانية لأن رسالة القرن السابع لا تصلح لإنسان القرن العشرين[١].. أعداده قليلة في الجامعة ونشاطه يقوم به خريجون من خارج الجامعة أمثال - دالي - متوكل - أسماء محمود محمد طه وآخرون.. له صحيفة تكتب خارج الجامعة... لكنه كان حزب نشط له أركان للنقاش في الجامعة وهم رواد النقاش الهادىء والساخر في نفس الوقت...

لعب الجمهوريون أهم الأدوار في تجميع كل الجبهات في تحالف عام ١٩٧٩م ضد الاتجاه الإسلامي ودخلوا الانتخابات ونالوا مقعدين في مجلس الاتحاد ولم يكملوا الدورة وقدموا استقالاتهم لأن الاتحاد اتخذ موقفاً ضد نظام النميري، إذ كانوا مدافعين بشدة عن نظام النميري ويعتبرونه النظام الأمثل كما كان النظام يعتبرهم جرعة مضادة للإخوان والشيوعيين. وحول موقف التنظيمات السياسية ضد نظام مايو الذي بسببه قدم أعضاء الاتحاد الجمهوريون استقالاتهم من الاتحاد ذكرت صحيفة "الفكر": "أخرج علينا تجمع التنظيمات المختلفة في الجامعة بيانات تهاجم نظام مايو وتتحدث عن جبهة تجمعت من هذه التنظيمات المختلفة الأهواء، المتباينة الآراء وهي تطرح عدة مطالب تهدف في النهاية لإسقاط النظام... ولم يتبرع أحد أفراد هذا التجمع بطرح السؤال التالي على بقية اللجنة.. إذا تم إسقاط نظام مايو فمن الذي سيحكم البلاد؟ فإن اقترحوا تنظيماً واحداً فإنما هو الصراع الدموي الذي يهدد وحدة الشعب وأمن الشعب... زيادة على أن أي تنظيم من هذه التنظيمات لا يزيد كفاءة عن نظام مايو وإن قالوا إن الهيئات والتي لم تسفر إلا عن السيطرة البشعة للطائفية للحد الذي جعلها تحلّ الأحزاب وتطرد النواب من البرلمان ثم تسعى لتحكيم ما تسميه بالدستور الإسلامي..."[٢].

كان الجمهوريون ضد فكرة القوانين الإسلامية وظلوا يحرضون النظام ضد الإخوان المسلمين ويصفونهم بأنهم منافقون يلعبون على "الحبلين" ويمسكون العصا من "النص" وقد أصدروا كتيبات في هذا الشأن كما ركزوا همهم على أمرين هما:

---

(١) انظر محمود محمد طه، الرسالة الثانية، ص: (٥ - ٣٠).

(٢) الفكر، صحيفة تصدرها رابطة الفكر الجمهوري وهي الصحيفة الرئيسية للحزب.

أ - الدعوة إلى الرسالة الثانية. ب - مهاجمة الإخوان المسلمين بحسبانهم خطراً يتهدد الرسالة الثانية.

وفي الجامعة كان ركنهم اليومي في معظمه انتقاداً للاتجاه الإسلامي فكراً وممارسة وكانوا يركزون على أخطاء الاتجاه الإسلامي ويسلطون عليها الأضواء، ولأن أعضاء الاتجاه الإسلامي كانوا يعملون بنشاط وهمة وهم على قيادة الاتحاد... والذي يعمل معرض للخطأ... والجمهوريون يرصدون فقط تحركات الاتجاه الإسلامي وينتقدون مواقفه ويركزون على أخطائه بصورة جعلتهم العامل المهم في تجميع التنظيمات السياسية عام ١٩٧٩م وفقدان الاتجاه الإسلامي - للاتحاد لكنهم كما سبق قدموا استقالاتهم قبل نهاية الدورة وقد أصدروا كتيباً أسموه "سقوط الإخوان في الجامعة" وآخر أسموه "بداية نهاية الإخوان المسلمين" والكتابان جزء من أربعة كتب أصدرتها رابطة الفكر الجمهوري بعنوان "لكي يعرف الشعب السوداني ما يجري بجامعته".

والباحث هنا يستعرض جزء من هذه السلسلة لتبيان نوعية الخطاب الجمهوري المعادي للاتجاه الإسلامي... فعند فوز قوى تحالف التنظيمات السياسية في عام ١٩٧٩م أصدر الجمهوريون سلسلتهم تلك نقتطف منها: "لقد تربع الإخوان المسلمون على قيادة اتحاد طلاب جامعة الخرطوم طيلة الست سنوات الماضية فكانوا كابوساً أسوداً جثم على صدر الطلاب تحت شعارات التهريج والتضليل والبطولات الزائفة واستغلالهم السيء للدين أوقدوا نار الحرب في فتنة شعبان[١]، بكل ما تحمله البلاد فيها من خسائر مادية ومعنوية، وواصلوا أعمال شغبهم وتهريجهم في أحداث كلية الطب وأحداث الملاحق الشيء الذي مرغ سمعة الجامعة في الوحل وحط من هيبتها ومكانتها في نفوس الشعب السوداني، فانحرفت الجامعة تحت قيادتهم عن مسارها كمنارة للعلم والفكر الحر لتعدو موطناً للشغب والفوضى ومسرحاً لأعمال العنف التي تمارس زوراً وبهتاناً باسم الله العظيم !!

وعلى صعيد الجامعة الداخلي حاول الإخوان المسلمون تكميم أفواه خصومهم السياسيين وفرض أنفسهم كأوصياء على هوية الطلاب الدينية والفكرية... فقد اعتدوا على ندوة للجمهوريين بالسيخ والعصى كما تكرر اعتداؤهم على منبر الجمهوريين اليومي بالنشاط، واعتدوا بالضرب على الطلاب وعضوية الجبهة الديموقراطية أكثر من مرة"...

ويمضي الجمهوريون في كتابهم "... أطلقوا يدهم في إمكانيات الاتحاد استغلالاً لها لنشر فكرهم والهجوم على خصومهم دون أن يعطوا خصومهم أدنى فرصة للتعبير عن وجهة

(١) الجمهوريون يعتبرون كل عمل عدائي لنظام مايو هو فتنة يجب إخمادها..

نظرهم.."، ثم تحدث الكتاب عن أن الإخوان المسلمين تربعوا على قيادة الاتحاد وهم لا يملكون أغلبية في الجامعة فذكروا "...فقد تربع الإخوان المسلمون على الاتحاد وهم لا يملكون أكثر من ٤٣٪ من أصوات الطلاب..."[١] وحول إعلام الاتجاه الإسلامي ضد التنظيمات وتحالفها ذكر الكتاب: "ومنذ البداية واجه الإخوان المسلمون حركة قوى التمثيل النسبي بحملات التشكيك المحمومة والمزعورة، محاولة منهم لتفكيك وحدة قوى التمثيل النسبي، فأغرقوا الجامعة بالشعارات الورقية المطبوعة في المطابع الفاخرة والتي كلفت الكثير من الأموال، كما وزعوا بالمجان الكثير من البيانات والكتيبات الصغيرة التي توجهت بالسباب غير الموضوعي لقوى التمثيل النسبي... وجاء من ضمن حملاتهم التشكيكية تساؤلهم عن الأسباب التي جمعت بين هذه التنظيمات وهي مختلفة فكرياً!!" وتحت عنوان الإخوان يستحقون الهزيمة ذكر الكتاب الآتي: "لم يترك الإخوان لأنفسهم فضيلة يفوزون بها، فقد أعماهم تشبثهم بالكراسي وخوفهم من فقدانها عن كل عرف وكل دين، فتورطوا في الكذب الرخيص والكيد الأعمى وساقط القول فانهزموا في نفوس الطلاب وأعينهم قبل أن ينهزموا في الانتخابات.. وجاءت هزيمتهم النكراء في الانتخابات جزاءً وفاقاً لدكتاتوريتهم وسوء ممارستهم وقد انتظمت الجامعة موجة طاغية من الفرح بزوال كابوس الجهل والظلام الذي أشاعه الإخوان بالجامعة وسارت مظاهرات الطلاب والطالبات وهي تعبر عن هذا الفرح.. وكانت هزيمة الإخوان وعودة الديموقراطية إلى الجامعة هي بمثابه هدية طلاب وطالبات الجامعة إلى الشعب السوداني باحتفاله بالذكرى الخامسة عشر لثورة أكتوبر المجيدة.. "

وتحت عنوان "الإخوان المسلمين يشهرون سيف الإرهاب الديني" ذكر الكتاب الآتي: "ورغماً عن الهدوء الظاهري الذي يحاول الإخوان التظاهر به إزاء نتيجة الانتخابات إلا أن ردة فعلهم كانت عنيفة فقد حاولوا مرة أخرى رفع سيف الإرهاب الديني.. هذا الاتجاه الذي بدأوه منذ أن حاولوا تصوير المعركة الإرهابية كمعركة بين الكفر والإسلام ونحب هنا أن نؤكد أن الدكتاتورية كما مارسها الإخوان المسلمون وبين الديموقراطية كما تعبر عنها قوى التمثيل النسبي ولا يخدعن أحد محاولة الإخوان المسلمين تزيف هذه الحقيقة!! ونحن نؤكد فوق ذلك كله أن الإسلام بريءٌ تماماً مما يفعل الإخوان المسلمون". ويلاحظ في هذا الكتاب مدى الفرح والغبطة التي سادت الجمهوريين عند سقوط الإخوان المسلمين في هذه الانتخابات بصورة دفعتهم إلى إصدار أربعة كتيبات في هذا الشأن..

(١) رابطة الفكر الجمهوري بجامعة الخرطوم، سقوط الإخوان المسلمين بجامعة الخرطوم، منشورات الإخوان الجمهوريين، نوفمبر ١٩٧٩م، ص: (٣)

كما يلاحظ أيضاً أن الجمهوريين من حيث لا يريدون أثبتوا أن الاتجاه الإسلامي لوحده يمتلك ٤٣ % من أصوات طلاب الجامعة، مما يعني أن بقية التسعة تنظيمات لا تملك هذه النسبة إذ قدرنا أن ١٥ % من طلاب الجامعة لا ينتمون إلى أي تنظيم..

يلاحظ أيضاً أن فرحة الجمهوريين لم تدم طويلاً إذ لم يكمل اتحاد التحالف دورته لمدة عام.. وكانت تلك الفترة للاتجاه الإسلامي بمثابة هدنة جاء من بعدها ليسيطر على كل مقاعد الاتحاد من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٤م.. ومما يؤكد أن الاتجاه الإسلامي لم ينهزم في نفوس الطلاب.. بل عندما تردت الخدمات أبان اتحاد النسبيين والتحالف. كان الطلاب يهتفون وهم في صفوف سفرة الطعام "عائد.. عائد يا بناني "[1] كما أصدر الجمهوريون كتاباً آخر لهذا الشأن جاء فيه ".. وبدلاً من أن يعكف الإخوان المسلمون على أنفسهم ليتدارسوا أسباب الهزيمة التي لحقت بهم، رغم كل ذلك ومن أجل الانتخابات اتجهوا إلى محاولة تبرر الشغب الذي سوف يثيرونه في الجامعة، فحشدوا الحشود من خارج العاصمة في مساء الثلاثاء ٢٣/ أكتوبر ١٩٧٩م وارتفعت أصواتهم بالهتاف مثل: "إن للإسلام قوة وشباب وفتوة" أو " فليعد للدين مجده أو ترق فيه الدماء!!" أو "إيران إيران في كل مكان" ولم يرتفع متحدثوهم عن مستوى هذا التهريج الفارغ حتى أن ابن عمر محمد أحمد صاحب الأقوال المعروفة التي تعاقبتها الصحف في حينها فقد قال: "إن رؤساً كثيرة ستتطاير في هذه الجامعة"!! وقال "إننا سوف نعريهم وبعد التعرية الجلد والضرب والقتل"!! وفي نفس هذا الاتجاه للخطاب الأجوف قال داؤد يحيى بولاد: "إننا في الاتجاه الإسلامي باقون في الميدان، صامدون في الميدان، قائمون في الميدان.. أقوياء في الميدان" ولما شعر أن حديثه بلا محتوى أردف قائلاً: "لا أقول هذا لأبعث الحماس فيكم". مثل هذا العبث يحاول الإخوان أن يلبسوه ثوب الدين وقدسيته، ليخلقوا مبرراً للعنف بخصومهم الذين أنزلوا بهم الهزيمة في الميدان الديموقراطي وفي هذا الاتجاه قال المعتصم في تلك الندوة العجيبة: "أن الشيوعيات الصفيقات هتفن لا إسلام بعد اليوم" ولقد جاء في منشور الاتجاه الإسلامي.. ومما جاء في مظاهرة الشيوعيين الصغيرة "الجامعة تدين رجال الدين" والحقيقة أن المظاهرة المعنية كانت تردد: "الجامعة تدين تجار الدين"... فإذا كذب الاتجاه الإسلامي على مظاهرة كاملة فلا أحد أن يستبعد أن يكذب المعتصم على طالبة شيوعية!!!

ومهما يكن من أمر فإن الإخوان يخفون أغراضهم السياسية خلف شعارات الإسلام حتى

(١) أمين بناني أحد أعضاء الاتجاه الإسلامي الذين اخترقوا قائمة التحالف كان من المفترض أن يكون رئيساً للاتحاد عام ١٩٧٩م إذا فازت قائمة الاتجاه الإسلامي.. وقد ترأس الاتحاد الذي تلي ذلك..

يبرروا ما ينوون إشاعته من إثارة وشغب.. ولقد قال بولاد في تلك الندوة: "إنني أحذر الشيوعيين والمحموديين بالذات فإننا قد أطلقنا سراح أخوتنا"... وقال ابن عمر محمد أحمد: "لقد كانت الدبلوماسية تقيدنا زمناً طويلاً أما الآن فقد أطلق سراحنا" .. ولما كانت الدبلوماسية في الحفاظ على الكراسي هي التي تقيد الإخوان المسلمين وليس تربيتهم الدينية فإنهم على حد قولهم سيلجأون إلى العنف والفوضى لأنهم قد فقدوا الكراسي فلم يصبح هناك أي وازع يعظهم اللهم إلا إذا كانوا من الذكاء بحيث يدركون أن أي شغب يحدثونه سيفقدهم هذه الكراسي التي هم عليها حريصون". في الخاتمة ذكر الكتاب: "إن سقوط الإخوان المسلمين في انتخابات جامعة الخرطوم، هي ثمرة ونتيجة طبيعية لعمل طويل في سبيل التوعية وفي سبيل كشف المزيفين لإرادة الطلاب والمضللين لهم باسم الدين... إن هذه النتيجة أصدق دليل على الوعي الكبير الذي انتظم جموع الطلاب بالجامعة وجعلهم ينتبهون ويرفضون السيطرة التقليدية التي ظل يفرضها عليهم تنظيم الإخوان المسلمين بشتى أساليب العنف والخداع والتحريف "[1].

ويُلاحظ كما أسلفت أن فرحة الجمهوريين التي جعلتهم يطبعون أربعة كتب عن سقوط الإخوان بجامعة الخرطوم هذه الفرحة لم تدم إذ جاء الاتجاه الإسلامي في السنة التالية مباشرة لينال جميع مقاعد الاتحاد ويستمر في ذلك لسنتين متواليتين.

كذلك حاول الجمهوريون إقناع الطلاب بأن الاتجاه الإسلامي قد انتهى وإلى الأبد وذلك للوعي الكبير الذي انتظم الجامعة... والجمهوريون يعلمون غير ذلك بدليل الزخم الإعلامي الذي قاموا به وطباعة الكتيبات عن انتخابات عادية للاتحاد... أرادوا أن يبثوا هذه النفسية وسط الطلاب وإقناعهم بأن الاتجاه الإسلامي قد ولى وإلى غير رجعة .. ولكن هيهات .. هيهات.. فلم يمض أقل من عام حتى حقق الاتجاه الإسلامي نصراً كاسحاً وأحرز جميع مقاعد اتحاد طلاب جامعة الخرطوم لتأتي دورة جديدة يقودها فتى الاتجاه الإسلامي الأخ أمين بناني. كذلك لم يكن الجمهوريون صادقين في حديثهم عن قوى التمثيل النسبي (التحالف) بأنها تسعى لخلق جو ديموقراطي وأنها البديل الحضاري وأنها هدية الجامعة للسلطة بديل ما ذكرته صحيفة الفكر الجمهوري عن هذه التنظيمات عندما أرادت أن تتخذ موقفاً ضد سلطة نميري مما حدى بالجمهوريين إلى تقديم استقالاتهم من الاتحاد وذكرت صحيفتهم عن التحالف: "خرج علينا تجمع التنظيمات المختلفة في الجامعة ببيانات

(١) رابطة الفكر الجمهوري بجامعة، بداية نهاية الاخوان المسلمين، منشورات الإخوان الجمهوريين، نوفمبر ١٩٧٩م، الطبعة الثانية ص: (٦).

تهاجم نظام مايو وتتحدث عن جبهة تجمعت من هذه التنظيمات المختلفة الأهواء المتباينة الآراء..." وتضيف صحيفة "الفكر": "وفكرة هذه التجمع (التحالف) شيوعية طرحها الحزب الشيوعي عام ١٩٧٧م عندما دعى لجمعية ديموقراطية لإنقاذ الوطن وحتى لا تشعر التنظيمات بأنها مستقلة من الشيوعيين كما هو واقع الأمر أخذت تضلل نفسها بأن هذا التجمع رغم اختلافه إنما غرضه هو السودان...".

رغم أن الفكر الجمهوري قد انتهى كنشاط منظم ومتحرك وفاعل بإعدام زعيم الحزب محمود محمد طه في صبيحة الجمعة ١٨/يناير/ ١٩٨٥م... حيث أن الفكرة كانت ترتبط بشخص محمود ولما مات محمود مات النشاط وخمدت الفكرة وأصبحت مجرد ذكريات في نفوس أنصارها السابقين... لكن الباحث يثبت الملاحظات التالية:

١ - كان الجمهوريون أكثر الناس جرأة على نقد الاتجاه الإسلامي وهو نقد أقرب إلى الموضوعية وبعيداً عن الإسفاف... فمثلاً: كان الاتجاه الإسلامي عند إعلانه صور مرشحيه للانتخابات لا ينشر صور المرشحات من طالبات الاتجاه الإسلامي وذلك لموقف نفسي تراثي - لا علاقة له بفقه أو دين، فكان الجمهوريون يستغلون هذه النقطة في الحديث عن اضطهاد الإخوان للمرأة بصورة أجبرت أعضاء الاتجاه الإسلامي في الدورات اللاحقة لنشر صور المرشحات في كتيبات البرنامج الانتخابي مع زملائهن الطلاب.

٢ - يرجع لهم الفضل في تأسيس أركان النقاش في الجامعة فهم الذين أسسوا للحوار السياسي والفكري الهادىء بدلاً عن الندوات السياسية الصاخبة التي كانت شأن التنظيمات السياسية سابقاً.

٣ - أجبروا الإسلاميين على الحوار الهادىء وقللوا الحدة التي كانت سائدة وسطهم وجعلتهم يقبلون سماع الرأي الآخر مهما كان مخالفاً لرأيهم في هدوء تام من غير انفعال.

٤ - كانوا يتابعون أخطاء الاتجاه الإسلامي ويجعلون منها مادة لأركانهم مما جعل الاتجاه الإسلامي يلتفت لهذه الأخطاء ويحاول إصلاحها.

٥ - أدى نشاطهم السافر ضد الاتجاه الإسلامي إلى أن يلتفت لهم الاتجاه الإسلامي بطريقة حكيمة أدت إلى نهايتهم من السودان.. انضوت على قاعدة أن الناس لم يناقشوا الجمهوريين في مسائل أصولية وجوهرية وكان جل نقاشهم حول مسائل هامشية وفرعية مثل مسألة الأضاحي والتراويح.. إلخ، ورأت الخطة بأن يكون النقاش في لب الفكرة الجمهورية وأن تكون الأسئلة حول مسائل جوهرية.. مثل: **من هو الله في الفكر الجمهوري، ومن هو الإنسان الكامل؟** وعن الإباحية في الفكر الجمهوري... وتم جمع أمهات الكتب الجمهورية في هذا المجال مثل: الرسالة الثانية - رسائل ومقالات - حول فهم عصري للقرآن الكريم -

تطوير شريعة الأحوال الشخصية، الإسلام والفنون وغيرها من الكتب التي اتضحت فيها بجلاء إباحية الفكر الجمهوري[1] وأن الإنسان الكامل هو الله... وأن محمود محمد طه هو الإنسان الكامل... وبدأ النقاش في هذه المسائل الجوهرية التي سلطت الأضواء على فساد العقيدة عند الجمهوريين... وكان من الطلاب الذين نظموا تلك الدورة التدريبية عن الفكر الجمهوري هو طالب الهندسة/ محمد المجذوب محمد الأمين، كما شارك مؤلف هذا الكتاب في تلك الدورة وكان يقوم بتقديم أركان نقاش مستمرة عن خطورة الفكر الجمهوري بل وذهب الباحث إلى محمود محمد طه في بيته بالثورة الحارة الأولى وحاوره حوار قوى نشرته صحيفة الصباح الجديد بالجمعة تحت عنوان: الأُستاذ عبد الرحيم عمر محيي الدين يحاور زعيم الحزب الجمهوري في عقر داره).. لكن أميز الذين تخرجوا في تلك الفترة وأصبح يناظر الجمهوريين ويهزمهم هو الطالب/ عبد السميع حيدر الذي كان يدرس بكلية طب الأسنان.

عوامل التقدم الإيجابي للاتجاه الإسلامي

خصوم الاتجاه الإسلامي يشهدون له:

كانت الحركة الإسلامية شريكاً في سلطة مايو بعد المصالحة الوطنية وحتى الانتفاضة في ٦/أبريل/ ١٩٨٥م.. ورغم المعارضة الشعبية الواسعة التي كان يواجهها نظام مايو لكن الحركة الإسلامية ظلت شريكاً في السلطة تنفيذاً لاستراتيجيتها التنظيمية التي رسمتها لفترة المصالحة الوطنية.. ورغم هذا الوضع الضبابي لكن الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم استطاع أن يواصل انتصاراته السياسية والنقابية وأن يتمدد أفقياً ويتنامى راسياً وسط القاعدة الطلابية.

ويرجع محمد جلال أحمد هاشم (أحد أبرز قيادات مؤتمر الطلاب المستقلين)[2] انتصارات الاتجاه الإسلامي في جامعة الخرطوم بعد المصالحة الوطنية للأسباب الآتية:

(١) انظر محمود محمد طه، تطوير شريعة الأحوال الشخصية، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م، ص: (١٥) (٢٥).

(٢) محمد جلال هو المتحدث الرسمي في كل ندوات مؤتمر الطلاب المستقلين وأهم الكوادر السياسية فيه حيث كان أعضاء الاتجاه الإسلامي يعتبرونه أحد كوادر الجبهة الديموقراطية المزروعين في المؤتمر والأستاذ محمد جلال عرف بعدائه السافر للاتجاه الإسلامي وهو شاهد على الأحداث ومشارك فيها منذ عام ١٩٨٠م، وظلّ فاعلاً في المسرح الجامعي حتى بعد تخرجه في كلية التربية عام ١٩٨٤م. التقاه الباحث في لقاء مسجل بمباني معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بتاريخ ٢٤/أبريل/ ١٩٩١م.

١ – يعود السبب الأول لنوع القابلية الثقافية داخل المجتمعات المسلمة في هذا القرن وفي النصف الثاني منه حيث يوجد انبعاث إسلامي وصحوة إسلامية وهذا هو المنبع الذي تستقى منه الحركات الدينية قوة الدفع المعنوي حيث ظلّ الضخ الجماهيري متواصلاً إليها منذ السبعينيات إذ تأتيها الخامات المتصلة بالإسلام.

٢ – الطبيعة التنظيمية للاتجاه الإسلامي تتكثف فيها ممارسة التنظيم في إطار ضيق مما يحول التنظيم إلى قوة استقطابية، ومن الصعب لهذه التنظيمات أن تكون طاردة لعضويتها بل هي جاذبة لعضويتها حيث يتولد لدى الأعضاء إحساس قوي بالانتماء مرده علاوة على المقومات الفكرية هو طبيعة ممارسة السلطة داخل التنظيم.

٣ – عندما جاءت المصالحة الوطنية وبعد أن كان الاتجاه الإسلامي عبارة عن مجموعة مضطهدة تستقطب الناس لمعاداة النظام قامت بتحويل الناس لصالح شعارات الأسلمة التي ظهرت في تلك الفترة وتبناها النظام نفسه.

٤ – عندما جاءت المصالحة الوطنية كانت البنية السياسية في الجامعة تتكون من الجبهة الديموقراطية والاتجاه الإسلامي وقليل من البعثيين والناصريين وحزب الأمة والاتحاديين والجسم الوحيد الذي يمكن أن ينظر إليه بعين الاعتبار هو الجبهة الديموقراطية وهي نفسها كانت قد تلقت ضربة قاصمة من قبل نظام نميري بعد حركة هاشم العطا مما أتاح المجال لحركة الاتجاه الإسلامي أن تلعب في الساحة وحدها علماً بأنها في فترة مايو لم تتلق ضربة الحزب الشيوعي.

وحول هذه النقطة يذكر محمد طه محمد أحمد[1]:

"إن الاتجاه الإسلامي لم يأت المصالحة مع مايو من بوابة المودة والسلام وإنما جاءها من بوابة الدم حيث قدم الاتجاه الإسلامي خيرة أبنائه طلاب جامعة الخرطوم شهداء في حركة ٢/يوليو/١٩٧٦م المسلحة.

وظلت سجون مايو مليئة بقيادات الإخوان الطلاب منذ أن جاءت مايو محمولة على أعناق الشيوعيين عام ١٩٦٩م، وحتى المصالحة الوطنية في ٧/ يوليو/ ١٩٧٧م، وفي تلك الفترة كان أعضاء الاتجاه الإسلامي بين سجين وشريد ومفصول من الجامعة كما أن الحزب الشيوعي لو لم يتلقَّ أي ضربة لما استطاع أن يقود الطلاب في فترة يشهد فيها العالم الإسلامي صحوة إسلامية والدليل على ذلك موقف طلاب جامعة الخرطوم أبان احتلال

(١) محمد طه محمد أحمد هو الصحفي المعروف وأحد كوادر الاتجاه الإسلامي الصحفية والسياسية في الجامعة طوال الفترة موضوع الدراسة، التقاه الباحث بمباني صحيفة الإنقاذ الوطني ببحري يوم ٢٢/ ابريل ١٩٩١م.

الجامعة الشهير في ١١ مارس ١٩٧١م، وفي تلك الفترة لم يتلق الحزب الشيوعي أي ضربة من النظام".

والباحث يرى أن ما ورد في كلام محمد طه محمد أحمد فيه كثير من الحقيقة وهو الأقرب إلى الصواب لأن الشيوعية قد فقدت رواجها ومقدرتها على قيادة الوسط الطلابي الذي يشهد صحوة إسلامية. ويواصل محمد جلال حديثه ذاكراً أنه في الثمانينيات ظهرت المؤسسات الإسلامية بإمكاناتها المادية الضخمة والتي كانت تدعم الاتجاه الإسلامي لأنه يدافع عنها وعن ممارساتها، كما أن الاتجاه الإسلامي كان يمارس نشاطه السياسي بإمكانيات لم تكن متوفرة لأي تنظيم. ويرى أيضاً أن الطبيعة البرجماتية Pragmatic بالاتجاه الإسلامي في ممارسته للسياسة أعطته حنكة سياسية كبيرة مدعومة بمنهج برجماتي لاستغلال الظروف "من حيث المقدرة السياسية والتكتيكية، أضف إلى ذلك خبرة كبيرة في العمل النقابي والسياسي علاوة على ذلك التنظيم الكبير بالخارج والذي كان يعول تعويلاً كبيراً على الطلاب، لذلك جاء اهتمامه بهم وإعدادهم ليكونوا زخراً له.

ويعزي محمد جلال انتصارات الاتجاه الإسلامي المتكررة للآتي:

أولاً: ضعف أداء التنظيمات السياسية التي لم تمارس ممارسة سياسية تخلق لها كادراً موالياً يمكن تسخيره ضد الاتجاه الإسلامي، حيث كانت هنالك تنظيمات يطلق عليها الاتجاه الإسلامي عن حق اسم "التنظيمات الورقية" إذ ليس لها عضوية متميزة غير المؤتمر والشيوعيين، وكان التحالف يضم هذه التنظيمات لمجرد الظهور بالحجم الكبير فقط، وهي لم تمارس ممارسة سياسية تستطيع أن تجني ثمارها ضد الإخوان في فترات المعارضة من حيث التمدد الأفقي وسط الطلاب.

ثانياً: الاتجاه الإسلامي نتيجة للتناقضات والمفارقات والأخطاء التي تتراكم ضده عبر السنين حيث تقوم التنظيمات المعارضة باستثمار هذه الأخطاء في الانتخابات فتفوز بمقاعد الاتحاد ولكن ما إن تفوز حتى تأتي التناقضات داخل جسم التحالف حيث لا يوجد انسجام بين التنظيمات في الاتحاد كما هو موجود في عضوية الاتجاه الإسلامي في الاتحاد.

وهناك من تنظيمات التحالف من يسعى لاستثمار موقفه في الاتحاد للتمدد الجماهيري وهكذا تحدث بعض التناقضات والتحاربات بين التنظيمات التي تقعد بالأداء النقابي والسياسي والخدمي للاتحاد، علاوة على كل ذلك أن التنظيمات تقوم بنقض بعضها البعض وأذكر أنه في اتحاد عمر الدقير دورة ٨٤ – ١٩٨٥م، والجبهة الديموقراطية عضو في الاتحاد، قد قادت مظاهرة ضد الاتحاد. إذ إن التنظيمات السياسية قد فقدت الانسجام في الاتحاد أما في الاتجاه الإسلامي فقد كان الانسجام متوفراً فلم يسمع أن أعضاء الاتجاه الإسلامي في الاتحاد قد اختلفوا وتبادلوا الاتهامات ضد بعضهم البعض.

ثالثاً: الاتجاه الإسلامي لم يسجل غياباً عن الساحة السياسية ولم يكن يبيت بياتاً شتوياً في فترة المعارضة عندما يفقد الاتحاد.. بل في المقابل كان يتفنن في المعارضة تفنناً جعل سليمان الأمين - رئيس اتحاد التحالف - يقول عنه: "هذه فئة تفوق سوء الظن"، إذ إنك عندما ترتكب خطأ وتخشى استغلال هؤلاء الجماعة لهذا الخطأ فكيفما أسأت بهم الظن يأتي فعلهم ويفوق سوء ظنك بهم، وإن كان سليمان قد وضعها بسخرية لكنها تأتي بالإيجاب بالنسبة لهم، فهم أكثر حزقاً لكيفية الممارسة السياسية وهذا ما أشرت إليه بالبرجماتية...

رابعاً: هناك تواصل ما بين قيادة الحركة الإسلامية بالخارج والجامعة وتناقل للخبرة، بينما هذا التواصل مقطوع بالمرة بالنسبة للتنظيمات الأخرى.. أما المؤتمر فقد كان يمارس السياسة من خلال جيله الأول وهم شباب في العشرينيات محكومون بتجاربهم العمرية.

لكل هذه العوامل كان الاتجاه الإسلامي يأتي في المرة القادمة للانتخابات وهو أكثر قوة حتى أن الاتجاه الإسلامي في انتخابات ٨٥ - ١٩٨٦م وثورة أبريل قد قامت والثورة لم تقم من أجل شعاراته بل إنها قامت ضد شعاراته مثل قوانين سبتمبر جاء في أكتوبر وفاز بمقاعد الاتحاد الأربعين رغم أن المد الوطني كان ضد الاتجاه الإسلامي عامة.

خامساً: الاتجاه الإسلامي ظلّ يرسّخ مفهوماً عجيباً وسط الطلاب، هو طالما أن الاتجاه الإسلامي على قيادة الطلاب فلا توجد قلاقل ولا اضطرابات، وطالما جاءت هذه التنظيمات فإن استقرار الجامعة سينسف لا محالة.. وهذا فعلاً ما حدث عام ١٩٨٠م إذ أدت الاضطرابات إلى موت طالب وكذلك عام ١٩٨٥م أدت مصادمات إلى أذى جسيم لبعض الطلاب وإغلاق الجامعة.

سادساً: كان الاتجاه الإسلامي يظهر بمظهر الغير راض عن نظام مايو واستطاع أن يقنع قاعدة كبيرة من الطلاب بذلك وأن يخلق بنية وعي خاصة به وسط الطلاب الذين ينظرون لحركة الإخوان المسلمين كجسم منفصل عن مايو ويستطيع أن يحارب مايو ويشن عليها حرباً شعواء لكنه يهادنها لغرض ما هو في عمومياته الشريعة الإسلامية وفي خصوصياته السلطة التي يسعى إليها فمتى ما دافع عن مايو كان يدافع عن توجهاته الإسلامية هذه نقطة أجادها الإعلاميون في الاتجاه الإسلامي.

وعن مبررات فوز الاتجاه الإسلامي، يرى عبد اللطيف البوني[1] أن الاتجاه الإسلامي

---

(١) دكتور عبد اللطيف البوني أحد الكوادر المستقلة بجامعة الخرطوم وقد عاصر جزء من الفترة موضوع الدراسة.. وقد كان يعمل وقت اللقاء أستاذاً بجامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم. التقاه الباحث بجامعة الخرطوم ٢٣/٤/١٩٩١م.

في الجامعة في فترة ما بعد المصالحة الوطنية استطاع أن يميز صفه عن صف السلطة وأن يظل امتداداً لفترة ما قبل المصالحة الوطنية حيث لم يتغير شيء من خطابه ولهجته وهجومه وانتقاده للسلطة وقد ساعده في ذلك الصراع الذي كان واضحاً داخل نظام مايو بين القدامى والقادمين الجدد، حيث شهدت الصحافة الرسمية صراعاً صحافياً بين موسى يعقوب وآمال عباس، وكامل محجوب ويسن عمر الإمام، ومحمد طه محمد أحمد وحسن ساتي.

في نفس الوقت تفادى الاتجاه الإسلامي الاحتكاك المباشر بالسلطة مثل: النزول إلى الشارع، وقيادة المظاهرات ضد السلطة أي: أن الاتجاه الإسلامي قد أدار المعادلة السياسية بمقدرة فائقة. كذلك قوة التنظيم ومقدرته على التفريخ من الثانويات وهو يكاد أن يكون الوحيد الذي تأتيه عضوية جاهزة من الثانويات علاوة على رغبة الاستقرار لدى الطالب الجامعي، خاصة أن المصالحة كانت مقبولة لدى الشعب. كذلك مقدرة عضوية الاتجاه الإسلامي في قيادة الاتحاد من تقديم الخدمات للطلاب حيث إن كادر الاتحاد كان شبه متفرغ لخدمات الطلاب.. كذلك الصحوة الإسلامية التي انتظمت العالم الإسلامي تعتبر رصيداً عضوياً للاتجاه الإسلامي، علاوة على ضعف التنظيمات السياسية. كذلك شهدت الجامعة عدداً من المواسم الثقافية التي كان يأتيها المفكرون الإسلاميون من مختلف بقاع العالم وتطرح فيها قضايا التحول الإسلامي. كذلك تحولت الحركة الإسلامية من حركة صفوية إلى حركة جماهيرية مما ساعد وساهم في نشر الفكر الإسلامي في الجامعة على نطاق واسع.

وعن الأسلمة التي شهدتها الجامعة بعد المصالحة الوطنية مما يعتبر أرضية ممهدة لانتصارات الاتجاه الإسلامي حول هذا الأمر يقول عادل أحمد الباز[1]: استطاع الاتجاه الإسلامي أن يقود حركة فكرية واجتماعية في المجتمع الجامعي تمثلت في جانب الطالبات في مسألة الحجاب أو الزي الإسلامي، وعن الدور الإعلامي للاتجاه الإسلامي في الفترة موضوع الدراسة، يقول عادل الباز: "أبرزت تلك الفترة قيادات إعلامية معروفة مثل: بكداش أحمد المصطفى، آدم سعد، إبراهيم محمد علي، محمد طه محمد أحمد، نجم الدين محمد الأمين، الوليد محمد أحمد دقنة، العبيد مروح، ناجي شريف...." حيث كانت صحيفة "آخر لحظة" الصحيفة الرسمية للاتجاه الإسلامي تصدر في لحظة واحدة وسط الجامعة وفي

---

(١) عادل أحمد الباز من الكوادر الصحفية الظاهرة في الجامعة في الفترة ٧٩ - ١٩٨٣م حيث كان يصدر صحيفته "الراي" بالنشاط الجامعي - التقاه الباحث بداره بالرياض بتاريخ ٢٤/أبريل/١٩٩١م. لقد كان إعلامياً ملتزماً وفاعلاً وذو شعارات متجددة وطرح متجدد.

كليات الأطراف وكان لها قراء كثيرون وكانت ذات مستوى عالي من الفن الصحفي والإخراج والتحليل وذات مقدرة عالية على تشكيل الرأي العام وتوجيهه حسب الخط السياسي المرسوم. علاوة على صحيفة "آخر لحظة" توجد صحف - الصباح الجديد، أشواك، الراي،أشتات، آفاق، معالم، وفي الصحافة الساخرة والهزلية مثل: "الالوبنا ولا تمر الناس" كان يصدرها أحد أعضاء الاتجاه الإسلامي، وأذكر والحديث لعادل الباز أن أحد الشيوعيين كان يأتي إلى النشاط ويقرأ "آخر لحظة" ثم يلتفت ويجد صحف الاتجاه الإسلامي تملأ النشاط، فيعلّق قائلاً: "إعلام إمبريالي"، حيث يشتمل على الندوات - أركان النقاش - المنشورات - البيانات أما مسجد الجامعة فقد لعب دوراً كبيراً في إشاعة الروح الإسلامية وسط الطلبة والطالبات، حيث يوجد فيه جناح كامل للطالبات شهد معسكرات التحفيظ والتجويد والصيام والقيام ودروس الفقه والمحاضرات الدينية حيث تصلي فيه الطالبات جميع الأوقات، وعن التنظيمات السياسية بالجامعة يقول عادل: "هنالك ثلاثة تنظيمات في الجامعة هي: الاتجاه الإسلامي، الجبهة الديموقراطية، الجمهوريون، أما بقية التنظيمات فهي تنظيمات شتوية أو موسمية تظهر في موسم الانتخابات ثم تختفي. . . فالحزب الشيوعي بعد حركة يوليو ١٩٧١م وإعدام قياداته، وضح الضعف فيه وبعد المصالحة الوطنية كان له أمل في قيادة الحركة الطلابية ضد النظام لكن لم تكن له قيادات سياسية وفكرية بارزة عكس الاتجاه الإسلامي الذي رفد الجامعة بعد ١٩٧٧م بقيادة سياسية وفكرية مؤهلة صقلتها التجارب والسجون وفترة المعارضة، أيضاً الحزب الشيوعي لم يكن له برنامج فكري يستطيع أن يطرحه للطلاب يتضمن رأيه في الدين والشريعة والدولة الإسلامية، حيث لم يقدم ندوة فكرية واحدة يتناول فيها الشيوعية كدعوة ومنهاج هذا لم يكن مطروحاً أصلاً في الجامعة لأن الطلاب بطبعهم ضد الشيوعية، وما كان يطرحه الحزب الشيوعي هو عبارة عن طرح سياسي في إطار معارضته لسلطة مايو.

أما الفكر الجمهوري فرغم اجتهاده في بث أفكاره ونشاط أعضائه لكن غرابة الفكرة نفسها والإعلام المكثف ضدها أدى إلى تحجيمها وإحداث قدر كبير من التشويش ضدها، لكن الجمهوريين قد تخصصوا في تتبع هفوات وأخطاء الاتجاه الإسلامي العملية والفكرية وركزوا هجومهم عليه بصورة كثيفة، وقد لعب الجمهوريون دوراً بارزاً ومؤثراً في تجميع التنظيمات السياسية في انتخابات ٧٩ - ١٩٨٠م، ولكن ممثليهم قدموا استقالاتهم قبل اكتمال الدورة.

د. تجاني عبد القادر يعدد عوامل تمدد الاتجاه الإسلامي:

وحول توسع وتمدد الاتجاه الإسلامي وسط طلاب وطالبات الجامعة يعزي التجاني عبد القادر حامد[١] ذلك لعوامل كثيرة منها: أن الاتجاه الإسلامي بعد المصالحة الوطنية استطاع أن يبني تنظيماً قوياً ومتطوراً وأن يصحح أخطاءه، كما استطاع الاتجاه الإسلامي بوجوده المستمر في قلب الأحداث في الداخل والخارج أن يحوّل الصراع في الجامعة إلى صراع مبدئي علماً بأن الطلاب في الجامعة لهم انجذاب كبير للمبادىء والتصورات النظرية والقيم الأخلاقية، لذلك استطاعوا أن يروجوا للمذهب الإسلامي والفكر الإسلامي والصحوة الإسلامية.

ويرى تجاني أن صورة الاتجاه الإسلامي في أذهان الطلاب كانت أكثر بريقاً من حيث المبدأ المتسق والواضح، إذا أضفنا التجارب السياسية المتراكمة مما يؤكد انجذاب الطلاب له، كذلك يرى تجاني أن البيئة الاجتماعية والثقافية للطالب لها أثرها على انتماءات الطلاب الفكرية والسياسية ويرى أن أعداداً كبيرة من طلاب الجامعة ذوي أصول ريفية ولم يتعرضوا لتفسخ اجتماعي وأنهم من أصول متدينة ومن أصول اجتماعية ريفية متواضعة، ويرى أن هذه الخلفية هي الأقرب إلى مراد الاتجاه الإسلامي إذ إن بعض هؤلاء الطلاب يعتبر أن النموذج الإسلامي يمثل أشواقاً بالنسبة له، لذلك كان من الميسور للاتجاه الإسلامي أن يحوّل هؤلاء الطلاب إلى صفه ليعبروا عن أشواقهم كما أن عددية منهم تصوت للاتجاه الإسلامي عند الانتخابات دون أن تنتظم في صفوفه.

د. عبد الله علي إبراهيم يحلل عوامل توسّع الاتجاه الإسلامي:

أما الأستاذ عبد الله علي إبراهيم[٢] فيعزي انتصارات وتوسع الاتجاه الإسلامي لعدة أسباب مثل: التركيبة الطلابية في الجامعة التي يغلب عليها طلاب الريف، والمناطق المتخلفة الذين لم يكن للحزب الشيوعي وجوداً بينهم بدلاً عن طلاب "عطبرة وبحري" كما يرى أن

---

(١) دكتور تجاني عبد القادر يعتبر من أبرز قيادات الاتجاه الإسلامي الفكرية والسياسية في فترة قبل المصالحة وكان رئيساً لأول اتحاد طلاب بجامعة الخرطوم ٧٧ - ١٩٧٨م يعمل - وقت هذا اللقاء - أستاذاً مساعداً بقسم العلوم السياسية بجامعة الخرطوم. التقاه الباحث بمعهد الدراسات الإسلامية بتاريخ ٢٣/٤/١٩٩١م.

(٢) دكتور/ عبد الله علي إبراهيم الأستاذ المساعد بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة الخرطوم وقد كان في فترة الستينات وبعدها من كوادر الحزب الشيوعي النشطة التقاه الباحث بمكتبه بالمعهد بتاريخ ٩/٥/١٩٩١م.

التوسع في الثانويات أدى إلى المجيء بطلاب لهم إشكالات الريف وقد كانوا أقرب إلى الإخوان المسلمين لأن وسائل الإخوان بسيطة هي البرش للصلاة... والله أكبر..

كذلك استطاع الإخوان أن يخلقوا حركة قوية تستطيع أن تحتوي الخلاف داخلها كما أنها حركة ملامسة للشباب والشابات ولها وجهة حضارية وبرنامج طموح وعلاقات عالية، كذلك يرى عبد الله علي إبراهيم أن ضعف التنظيمات السياسية بالجامعة قد لعب دوراً كبيراً في توسع الاتجاه الإسلامي ويرى أن الحزب الشيوعي يعيش أزمة فكرية منذ ثلاثين عاماً ولم يستطع أن يجاوب على أسئلة الطلاب...

ويرى أن الإخوان ظلوا يحاصرونه بمسألة "الدين أفيون الشعوب". فترة الستينيات قد شهدت تمدد حركة الإخوان في الجامعة وشهدت ظهور البروش للصلاة أمام الداخليات، ويقول: "إن الصلاة لم تكن رائجة في شكلها الجماعي وكانت عملية كيزان وبدأت بهذه الجماعة". ويرى المؤلف أن عاملين مهمين ساعدا في تقوية الاتجاه الإسلامي وكان لهما القدح المعلى في حماس عضوية الاتجاه الإسلامي لتنفيذ قراراته والدفاع عنها لدرجة تصل حد المصادمة والاحتراب.

والعاملان هما:

١ - الشورى وعلاقتها باتخاذ القرار.

٢ - الأمن والمعلومات.

الشورى واتخاذ القرار

يختلف الاتجاه الإسلامي عن التنظيمات السياسية الأخرى والتي يعتقد أن قراراتها تأتيها من خارج الجامعة وما عليها إلا التنفيذ، فالاتجاه الإسلامي الذي سبق لنا الحديث عن نوعية قياداته وتأهيلها وثقافتها الإسلامية، هو اتجاه يعتبر الشورى قيمة أصولية في منهجه وأنها ملزمه وليست معلمه ولا يجوز لأي أمير أو أمين متخصص أو أمير كلية أو رئيس وحدة إدارية صغيرة أن يتخذ أي قرار بمفرده مهما كان ذلك القرار صغيراً...

لذا تميزت أجهزة الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم باحترامها لقيمة الشورى وإلزامية قراراتها، فالاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم كان له الدور الكبير في إشاعة وترسيخ قيمة الشورى والدعوة إليها على مستوى المجتمع. فلقد كانت الجامعة هي بوتقة الاختبار لكل تجارب الحركة الإسلامية الأم، لذا لقد كان التنظيم بالجامعة رائداً في ممارسة الشورى حيث ظلت الشورى تحتل الصدارة والإلزامية مهما كانت الظروف الأمنية، ومهما كانت سيطرة

القيادة المتمثلة في الأمير أو الأمين وأحياناً كان التنظيم يغامر بالناحية الأمنية من أجل أخذ الرأي ومشاورة عضوية الاتجاه الإسلامي فيما يتخذ من قرارات، فيحدث أن تعقد شعبة الجامعة وفي أحرج الأزمات السياسية مؤتمراً طارئاً يفوق حضوره الـ ٣٠٠ عضواً من طلاب الاتجاه الإسلامي بالجامعة وفي داخل مباني الجامعة، كذلك تحدث لقاءات استنارة واسترشاد بالجمعية العمومية للاتجاه الإسلامي يصل عدد الحاضرين فيها أحياناً إلى ٨٠٠ عضواً. حيث تنزل الشورى من قمة الهرم إلى أدناه، وكان هنالك تساؤل يتم حول فاعلية الأجهزة التنظيمية وسرعة القرار وبين ضرورة وإلزامية الشورى ولكن وحتى لا تضيع قيم الشورى جندت الأمانة العامة مجموعة من الشباب الطلاب كسكرتارية تقوم بدعوة أعضاء الأمانة في الأطراف - الطب وسط الخرطوم - الزراعة والبيطرة بشمبات - التربية بأم درمان - لينعقد الاجتماع في الساعات الأولى من الصباح أو في الأوقات الحرجة، وقد تم تزويد هؤلاء الشباب بوسائل للحركة - مواتر - وذلك حتى لا تنتهي قيمة الشورى.

أيضاً لقد كان قرار الاتجاه الإسلامي طلابياً صرفاً تتخذه الأجهزة الشورية الطلابية بالجامعة وكان يشترك أحياناً في النقاش بعض خريجي الاتجاه الإسلامي حديثي التخرج من الجامعات خصوصاً جامعة الخرطوم لإنعاش النقاش وللاستفادة من تجاربهم في الأحداث المشابهة، كما أنهم لا يشاركون في اتخاذ القرار. كما حرص مكتب الجامعات على إعطاء استقلالية لشعبة الجامعة في إدارة وتصريف أمرها ما لم يحدث تعارض مخلّ مع استراتيجية الحركة الإسلامية بالخارج. ولما كان مجتمع الجامعة مجتمعاً ضيقاً وعلاقات الإخوان بعضهم ببعض علاقات إخاء وصدق، حيث لا توجد أسرار سياسية يختص بها البعض دون الآخر، لذلك لا يستطيع مسؤول تنظيمي أن يتخذ قراراً ذو شأن بمفرده إذ سرعان ما يتضح أمره ويتعرض للمحاسبة الغليظة والتي ربما تقود إلى عقوبة صارمة تصل إلى حد الحرمان من تولي المواقع القيادية لعدة أشهر.

هذه المسألة الشورية جعلت طلاب الاتجاه الإسلامي عموماً يمتلؤون عزة وكبرياء بأنهم هم الذين يتخذون القرار داخل تنظيمهم وأنهم أحياناً يعترضون وبصورة سافرة داخل الاجتماعات ويشنون هجوماً عنيفاً على قيادة الحركة الإسلامية ويصفونها بالتراخي وعدم المتابعة لما يدور في كواليس سلطة مايو مما يعرض الحركة للخطر. كان ذلك الهجوم يتمّ وحسن الترابي يكون حاضراً بل والمتحدث الرئيسي في ذلك الاجتماع. كان الطلاب يقولون آراءهم بجرأة وحرية بصورة تضايق بعض القيادات الخارجية التي تبدي عدم ارتياحها لجسارة طلاب الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم وكانوا يشكون ذلك لحسن الترابي الذي كان أكثر التصاقاً بالجامعة وطلابها.

هذه الممارسة الشورية جعلت عضوية الاتجاه الإسلامي تنفعل بالقرار وتسعى لتنفيذه بشتى السبل المشروعة. ولما كانت القرارات تتخذ بالتصويت عليها. لكن القرار الذي ينال الأغلبية كان ملزماً للجميع بل كان الذين لم يقفوا معه هم أول الداعين له والمتحمسين لتنفيذه لأنه أصبح قرار جماعة.

والباحث هنا يذكر حادثتين أحداهما حدثت عام ١٩٨٤م بعد أعياد الاستقلال حيث هاجم النميري الحركة الإسلامية ووصف الإخوان المسلمين بأنهم إخوان الشياطين، وكان مدفوعاً بمسألة الغيرة السياسية وبتحريض أعضاء الاتحاد الاشتراكي الذين كانوا يسعون بالفتنة والوقيعة بين الحركة الإسلامية ونظام النميري فكتبوا " لن تعلو راية فوق راية الاتحاد الاشتراكي" وكانوا يقصدون بذلك التشريعات الإسلامية التي أعلنها النميري، وداخل الجامعة شن إعلام الاتجاه الإسلامي هجوماً عنيفاً على سلطة مايو وعلى رئيسها وعلى الاتحاد الاشتراكي بصورة كادت أن تنهي المصالحة الوطنية.

في تلك الفترة دعت الأمانة السياسية إلى لقاء جمع بين قيادات العمل السياسي والتنفيذي بالجامعة مع الأخ/ علي عثمان محمد طه والذي يعتبر من أبرز قياديي الحركة الإسلامية - كنتُ ضمن هذه المجموعة التي دعيت لحضور ذلك اللقاء - فدار حوار ساخن وجهنا فيه هجوماً سافراً على الحركة الإسلامية التي ارتضت أن تساير النظام في ما أعلنه من تشريعات لم يكن صادقاً فيها ووصف أعضاء الاجتماع ما أعلنه النميري بأنه "إسلام أمريكاني" و"إسلام خليجي"، كما هاجم الاجتماع الحركة الإسلامية ووصفها بأنها أصبحت ذات توجه رأسمالي خصوصاً بعد ظهور بنك فيصل والمؤسسات الإسلامية التي حولت مسار الحركة من حركة زاهدة ومتقشفة إلى حركة تسير في خط الترف والتوجه الرأسمالي وذلك بعد تسنم بعض قيادات الحركة إدارة العديد من هذه المؤسسات.

ويذكر الباحث أن الاجتماع استمر حتى الساعات الأولى من الصباح بين أخذ وردّ وكان علي عثمان يحاول إقناع تلك المجموعة الثائرة إلى درجة أنه قد أقسم على المصحف بأنه لا يملك مليماً واحداً في بنك فيصل، ثم تحدث عن استراتيجية المصالحة ودعى الناس إلى الصبر والمصابرة والمرابطة وأن يعتبروا ذلك ابتلاءً فيصبروا عليه لخير قادم إن شاء الله، وقد كان علي عثمان محط احترام وتقدير لأعضاء الاتجاه الإسلامي لأدبه في الحوار وتواضعه وزهده في حطام الحياة فقد كان يرد على ثورة الطلاب بتبسم وصمت ثم بيان شافي.

ويذكر الباحث أن من أميز من حضروا ذلك الاجتماع هم الشهيد عبيد ختم عليه رحمة الله، والشهيد موسى علي سليمان عليه رحمة الله، محمد مجذوب محمد الأمين، خالد

حسن إبراهيم، الشهيد مهدي أحمد إسحاق (السلفي)، خالد حسن إبراهيم، عبد الإله حسن كوكو، خالد التيجاني، الشهيد موسى علي سليمان وآخرون.

ومن الطرائف في ذلك الاجتماع أنه قد حصل سوء تفاهم بين الأستاذ علي عثمان والشهيد موسى علي سليمان وذلك عندما احتد نقاش قيادات الجامعة وطال مع الأستاذ علي مما جعله يردد.

"قطار الدعوة ساير ناس يركبوا وناس ينزلوا" فما كان من الشهيد موسى علي سليمان (رضي الله عنه) إلا أن انتفض وقال للأستاذ علي: " هذا تهديد نحن لا نقبله فقطار الدعوة نحن الآن في عربة قيادته ونستطيع أن نغير مساره من عطبرة إلى نيالا"، فما كان من الأستاذ علي عثمان إلا أن أوضح أنه لم يقصد ذلك وكلنا شركاء لا إجراء ولا حجر على أحد في إبداء رأيه، فأمر الجماعة شورى بينهم. كان الشهيد موسى يمثل قوة الدفع الطلابي الأصيل الذي لا يساوم حول المبادىء وكان الأستاذ علي عثمان يمثل أدب القيادة الراشدة التي تحترم رأي أعضاء الحركة الإسلامية خصوصاً إذا كان أولئك الأعضاء في مقام طلاب جامعة الخرطوم. صورة أخرى كانت في أبريل ١٩٨٥م بعد الانتفاضة مباشرة عندما أوفد التنظيم بالخارج الأخ/ عوض أحمد الجاز لتنوير شعبة جامعة الخرطوم بتطورات الأحداث السياسية حتى قيام الانتفاضة، وجاء عوض الجاز وتحدث إلى الاجتماع حتى أكمل حديثه لكن الطلاب عبروا عن إعتراضهم وعدم رضاهم على انتداب عوض الجاز لتنويرهم من قبل التنظيم برفضهم أن يوجهوا له أي سؤال بحجة أن عوض الجاز لم يكن هو الشخص الذي يفترض أن ينورهم لسبب واحد رغم كفاءته وتاريخه الطويل في الحركة الإسلامية لكن لأنه عند قيام الانتفاضية كان خارج السودان.. فشعبة الجامعة التنظيمية هي أدرى منه بتطورات الأحداث. نتيجة لذلك الموقف القوي أوفد التنظيم شخصاً آخر للتنوير كان الطلاب يدفعهم لذلك الصدق والتجرد والابتعاد عن الأهواء والمطامع والمكايدات، وكانوا يرون في الحركة الإسلامية قصة أشواقهم وتطلعاتهم الحضارية لقيادة المجتمع لذلك مارس طلاب الاتجاه الإسلامي الشورى داخل الجامعة بصورة لم تستطع الحركة الإسلامية خارج الجامعة أن تنتهجها وذلك ربما لظروف خاصة بها.

الأمن والمعلومات

مكتب الأمن والمعلومات يعتبر من أهم مكاتب الاتجاه الإسلامي ويتبع للأمين العام مباشرة، فهو الذي يغذي الأمانة العامة بالمعلومات والأخبار السياسية والسرية وهو الذي يراقب التنظيمات السياسية الأُخرى ويتابعها متابعة دقيقة... اجتماعاتها، أماكن الاجتماعات، عدد الحضور، من مِن القيادات الخارجية جاء لهذه الاجتماعات، وماذا دار داخل الاجتماع.

كذلك عبر هذا المكتب يتم تأمين اجتماعات ولقاءات وأوراق ووثائق الاتجاه الإسلامي ويتم التأكد من سلامة العضوية وتاريخ انتمائها لحركة الاتجاه الإسلامي وهنا يتم تأمين الحركة الإسلامية من الاختراق.

وهذا ما افتقدته الحركة الإسلامية بعد قيام الإنقاذ حيث فتحت صفوفها لكل من هب ودب حيث دخلتها المتردية والنطيحة وما أكل السبع من بقايا الاتحاد الاشتراكي والمايويين وعملاء الاستخبارات الذين عندما كانوا على قمة سلطة مايو، كان همهم الأول هو الكيد للحركة الإسلامية وإحداث الوقيعة بينها وبين النميري واليوم تبوأوا أرفع المواقع القيادية في الإنقاذ وساهموا في إحداث الوقيعة والانشقاق الذي حدث داخل صفوف الحركة الإسلامية. كل ذلك حدث لأن الحركة الإسلامية لم تواصل منهجها الصارم الذي كان متبعاً في الجامعة في حصر العضوية وتصنيفها حتى يسهل التعامل معها، وإنما اتبعت منهجاً عجيباً تحت شعار العبرة بمن صدق وليس بمن سبق رغم أن الصدق يعلمه الله وحده لكن السبق يشكل صمام أمان ومضمون الولاء. ولم تكتف الحركة بذلك بل دفعت بهؤلاء الاشتراكيين الإنقاذيين الجدد إلى مقدمة الصفوف السياسية والتنفيذية حيث تنحى الأبكار من أهل بدر والخندق والحيرة تملأ نفوسهم ليحل محلهم هؤلاء الشطار الذين يجيدون حلو الحديث ومنمق الكلمات وعبارات المدح والثناء التي تألفها النفس البشرية وتتمنى سماعها دائماً.

ظل هؤلاء يتقدمون وتتأخر الحركة الإسلامية إلى أن وجدت نفسها على مفترق الطرق شيخها سجين وأعضاؤها جزء منهم بين سجين وطريد، والجزء الآخر يشمر عن ساعد الجد ويصارع حتى لا يسقط صرح الإنقاذ الذي شيد بدماء المجاهدين من أبناء الحركة الإسلامية والخلص من أبناء الشعب السوداني الأبي جميلٌ جداً أن تستوعب كل من قدم إليك ولكن المؤمن كيس فطن وليس كيس قطن. فالضابط حديث التخريج من الكلية الحربية يعطي دبورة واحدة أي ملازم ولا يجوز له أن يكون عضواً في هيئة الأركان أو ناطقاً رسمياً باسم القوات المسلحة أو وزيراً للدفاع. . التدرج ضرورة أمنية واستراتيجية، لكن إخوتنا في الإنقاذ يبدو أنه قد أعجبتهم فهلوة البعض فظنوا أنهم قادرون على تسخيرهم، لكن قد انقلب السحر على الساحر وهذا ما عبر عنه الترابي معلقاً على تقدم سبدرات المستمر فقال: "أردناه ممثلاً فأبى إلا أن يكون مُخرجاً بارعاً".

نعود بعد هذا الاستطراد إلى مكتب المعلومات بالجامعة فمكتب المعلومات يقوم بمهمتين:

الأولى: هي تأمين الاتجاه الإسلامي، **والثانية**: هي جمع المعلومات عن التنظيمات الأخرى وأحياناً عن بعض الإخوان الذين تؤدي تصرفاتهم إلى حرج سياسي أو خلل أمني.

وكان من مهام هذا المكتب: الإحصاء، الأرشفة متابعة التنظيمات، خلق المصادر المختلفة، تدريب الكوادر. فعبر هذا المكتب استطاع الاتجاه الإسلامي الحصول على وثائق مدمرة للتنظيمات السياسية واستطاع الحصول على أدق أسرار اجتماعات التنظيمات، وقد استطاع الاتجاه الإسلامي أن يخترق عدداً من التنظيمات وأن تكون له مصادر تمده بأخبار وأسرار تلك التنظيمات ويذكر أن صحيفة "آخر لحظة" كانت تنشر في أعدادها محاضر اجتماعات الجبهة الديموقراطية على التوالي وتذكر مكان اجتماع الشيوعيين وعدد الحضور والساعة التي بدأ فيها الاجتماع وماذا قال المتحدث الأول والثاني، كان ذلك يزعج التنظيمات جداً وفي نفس الوقت كان يظهر الاتجاه الإسلامي بمظهر التنظيم المقتدر والخطير ويذكر أنه في اجتماعات عام ١٩٧٩م التي كانت تعقدها تنظيمات التحالف مساء ثم يأتي الصباح لينشر محضر الاجتماعات في "آخر لحظة" مما حدى ببعض التنظيمات وعلى رأسهم الجمهوريين أن يصفوا الاتجاه الإسلامي بأنه تنظيم له أجهزة تصنت وبنفس القدر استطاع مكتب الأمن والمعلومات تأمين الاتجاه الإسلامي من الاختراق فلم يحدث أن تم اختراق الاتجاه الإسلامي من أي من التنظيمات السياسية مما جعله تنظيماً قوياً متماسكاً.

كذلك استطاع هذا الجهاز مد الكادر السياسي والخطابي للاتجاه الإسلامي بمعلومات هامة عن التنظيمات الأُخرى التي كانت تستعمل في حينها وتمثل ضربة قوية للتنظيمات الأُخرى. كنتُ أحد خطباء الاتجاه الإسلامي الرئيسيين في الفترة من ١٩٨١ - ١٩٨٥ بجامعة الخرطوم وكثيراً ما يمدنا مكتب المعلومات أثناء الحديث في الندوة السياسية بمعلومات يكون لها أثر السحر في تعبئة المستمعين والحضور من الطلاب.

وكنا نعلنها كالآتي: " جاءنا من مكتب الرصد والمتابعة بالاتجاه الإسلامي ما يلي. . . . . . . " وقد كان ذلك يثير إعجاب الطلاب، وأذكر أن الأخ خالد حسن إبراهيم أثناء تلاوته لمعلومة هامة وصلته من مكتب المعلومات وبعد تلاوتها ردد قائلاً: أُحيّي أخي عبدو في أجهزة الرصد والمتابعة. . وكان يشير إلى الأخ المجاهد/ عبد العلي أحمد البشير مسؤول مكتب المعلومات بالجامعة وقتها. كان الاتجاه الإسلامي يجد فقهاً واسعاً يجوز التجسس على التنظيمات التي يصنفها في دائرة العداء للإسلام وكان يستدل بالصحابي الذي أرسله الرسول (ص) ليتجسس على معسكر الكافرين قائلاً له: خذل عنا فإن الحرب خدعة وقد كان رسول الله (ص) أول من أمر باستطلاع أخبار مشركي قريش أبان حربه معها فكان يبعث أصحابه ليأتوه بأخبار القرشيين أو ليجدوا أماكن تجمعهم أو ليرصدوا تحركاتهم(١).

---

(١) سعيد الجزائري، ملف الثمانينيات عن حرب المخابرات، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ص (١٥).

وجهاز المعلومات كتجربة بدأت بجامعة الخرطوم كانت تجربة منضبطة يحكمها الورع والتدين سيما وأن بعض أعضاء الاتجاه الإسلامي يدلون بآرائهم في الوضع السياسي بالبلاد أو في مواقف الحركة الإسلامية بصورة تكاد تصنفهم في دائرة المعارضة، ولكن جهاز المعلومات كان يحكمه التدين والورع الشيء الذي افتقده في بعض الجامعات السودانية الأخرى ذات الالتزام التنظيمي والإسلامي الهش مما جعل هذا الجهاز وسيلة للكيد الشخصي وتصفية الحسابات في صورة تنمّ عن عدم الورع والتقى وبصورة أقرب إلى التلفيق والكذب، وقد صاحبت هذه الصفات الغير حميدة بعض العاملين في الجهاز على مستوى جامعة الخرطوم إذ أخطأ في حق بعض الإخوة خطأ غير مقصود تمّ تداركه بكل الشجاعة والصرامة والاستغفار... لكن ظل وما يزال جهاز الأمن والمعلومات من أهم أجهزة التنظيم فهو خط دفاعها الأول وصمام أمانها الأساسي وهو عينها على الأعداء والخصوم وهو رقيبها على الأنصار والمريدين.



الفصل الرابع
الاتجاه الإسلامي في قفص الاتهام

لقد ظلّ تنظيم الاتجاه الإسلامي يقود الحياة السياسية والفكرية بجامعة الخرطوم طيلة الفترة الممتدة من نهاية عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٨٦م. طيلة هذه الفترة لم يفقد الاتجاه الإسلامي قيادة الاتحاد عدا دورتين اخترق فيهما قائمة التنظيمات المتحالفة ضده. طيلة تلك الفترة حاول خصوم الاتجاه الإسلامي أن يحددوا نقطة الضعف في صف الاتجاه الإسلامي ويضربوه من خلالها، لذلك ركزوا شعاراتهم حول بعض القضايا مثل وصم الاتجاه الإسلامي بالإرهاب. وأنه تنظيم إرهابي يضيق صدره بالحوار ويواجه الفكرة باليد الباطشة، ومن الذين وجهت لهم سهام الإرهاب من أعضاء الاتجاه الإسلامي: طالب الهندسة وقتها محمد عثمان محجوب، وطالب الطب مطرف صديق علي، وطالب الزراعة هاشم علي محمد خير والذي عرف بـ "هاشم كراتي"، طالب الهندسة طارق محجوب، طالب الآداب إبراهيم سليمان الشهير بـ (خبره) ، طالب الآداب علي أحمد علوان، وآخرين...

ولكن مع انداياح المد الإسلامي والصحوة الإسلامية التي ضربت كل العالم الإسلامي لم يكن لتلك الشعارات رواج سيما وأن الذين يروجون لها هم الشيوعيون والجمهوريون.

كذلك حاول خصوم الاتجاه الإسلامي استغلال مسألة المصالحة الوطنية ووصم الاتجاه الإسلامي من خلالها بأنه من " سدنة مايو" وأنه عميل للسلطة وكانوا يطلقون على الاتجاه الإسلامي اسم " فرع الاتحاد الاشتراكي الجديد المسمى بالاتجاه الإسلامي"... ولكن الاتجاه الإسلامي كما أسْلفنا استطاع أن يدير معادلة سياسية موزونة وأن يضع نفسه في خانة المعارض لفساد وسياسات السلطة.

أيضاً حاول المعارضون أن يصفوا قيادات الاتجاه الإسلامي بالتعالي والغرور والترفع وأنهم يتعاملون مع الطلاب من خلال القرارات الفوقية وأنهم يملون إرادتهم على الطلاب، ولكن كانت نتائج الانتخابات تكون عكس ذلك إذ تأتي دوماً لصالح الاتجاه الإسلامي كما أسلفنا. وبما أن الاتجاه الإسلامي ظلّ قوياً ومسيطراً على الساحة السياسية والفكرية بالجامعة فإن نقاط الضعف فيه ظلت هامشية وعادية وليست استراتيجية.

وإصلاحها يكون من باب نشدان الكمال التنظيمي والعضوي وأنها نقاط ضعف فنية وليست استراتيجية. وهنا تذكر طالبة الهندسة وقتها الأخت/ رقية يحيى علي يحيى(١) بعض نقاط الضعف والتي ترى أن طبيعة الحياة الجامعية والظروف السياسية والتنظيمية قد فرضتها على أعضاء الاتجاه الإسلامي منها:

١ - تميز الإسلاميون بانتقائية في علاقاتهم الاجتماعية حيث ترفعوا عن الشللية المفتوحة ومجاراة الطلاب في نقاشاتهم الخاصة والعامة والخوض معهم في ما يشتهون أو ما يطيب إليهم، وهذا بدوره مثّل عزلة شعورية وربما مادية عن كثير من جلسات الطلاب الخاصة وهمومهم مما يؤدي إلى صعوبة معاشرة الطلاب وقد يقود إلى علاقة غير راسخة وهامشية على المستوى الجامعي.

وترى رقية أن ذلك يعود إلى أن التنظيم كان به قدر كبير من الجدية والصرامة وكان أعضاؤه يشعرون بأن الخصوم يحصون عليهم أنفاسهم ناهيك عن أخطائهم فلذلك يتحسبون لكل أمر. كذلك المسؤوليات التنظيمية الجسام كانت تحول بين أعضاء الاتجاه الإسلامي ومشاركتهم للطلاب أفراحهم وأتراحهم، كذلك هنالك صورة معينة مرسومة في أذهان كثير من الطلاب عن أعضاء الاتجاه الإسلامي تعني الموضوعية والجدية والصرامة والابتعاد عن المسائل الهامشية والإنصرافية وأحياناً حسم الفوضى والانحلال باليد والقوة.. أيضاً كان ذلك يشكل أمراً عازلاً بين الطلاب وبين الاتجاه الإسلامي على المستوى الاجتماعي لكن نظرة الطلاب للاتجاه الإسلامي بهذه الصفات تجعله كبيراً في أعينهم وتجعله يمثّل الانموذج الذي لا يستطيعون الوصول إليه.

أيضاً تذكر رقية يحيى أن التصنيف الذي يقوم به المكتب السياسي للاتجاه الإسلامي لطلاب الجامعة بهدف معرفة الموالين والمحايدين والخصوم هذا التصنيف يصاحبه أحياناً ظلم كبير لعدد كبير من الطلاب والطالبات إذ يتم التصنيف من خلال المظهر العام وأحياناً يكون مظهر الطلاب في شكله العام يوحي بعدم التزام وعدم جدية، وربما عدائية لكن في جوهره يكون ذو معدن أصيل وذو فطرة سليمة، وربما يأتي يوم ويكون من خيرة العاملين في صفوف الاتجاه الإسلامي وأحياناً يدرك بعض الطلاب أن الاتجاه الإسلامي يصنفهم في خانة الخصوم مما يدفعهم ذلك بالفعل لاتخاذ مواقف عدائية ومعرفتهم لذلك التصنيف تمّ من خلال المناقشات والاحتكاكات والتي كثيراً ما تظهر أناساً كانوا في خانة السلب حسب

(١) رقية علي يحيى إحدى طالبات الاتجاه الإسلامي.. كانت طالبة بكلية الهندسة معمار، دخلت الجامعة عام ١٩٧٩م، وتخرجت عام ١٩٨٨م، التقاها الباحث بالخرطوم ٢٧/ ديسمبر/ ١٩٩٣م.

تصنيف الاتجاه الإسلامي لهم فيظهرون بمواقف إيجابية تطابق مواقف الاتجاه الإسلامي في الموقف المعين والعكس صحيح.

كذلك ترى رقية يحيى أن علاقات كثير من أعضاء الاتجاه الإسلامي بالأكاديميات كان يشوبها الضعف وذلك لأنهم لا يجدون أنفسهم في تلك المحاضرات العقيمة التي تدرس في الجامعة والتي لا تشبع فيهم روح البحث والتنقيب في تلك الكتب التي يرون لا فائدة منها، فطلاب الاقتصاد يدرسون مثلاً اقتصاداً هو أقرب إلى تاريخ الاقتصاد منه إلى النظريات الاقتصادية الحديثة، ويظلون يرددون تلك النظريات الاقتصادية العقيمة الربوية في صورة من التلقائية والببغاوية وفي صورة أقرب إلى أداء الواجب منها إلى الاتجاه المعرفي التأصيلي، وطلاب القانون يدرسون قوانين من صنع البشر تبيح ما حرم الله فهي إذاً قوانين ضد رغباتهم وضد أهدافهم وضد برنامج التغيير الإسلامي الذي يطرحونه ومن أمثال هؤلاء: الطالب عبد المحمود نور الدائم الكرنكي الذي كان من أكثر طلاب الجامعة ثقافة ومعرفة بعلوم الدين والتشريع ومن أبرز مفكري الاتجاه الإسلامي لكنه ترك كلية القانون لعقم المنهج الذي يُدّرس في هذه الكلية.. لذلك لا يهتم بعض طلاب الاتجاه الإسلامي بحضور المحاضرات وإنما يقومون بالمرور على دفاتر المحاضرات عند قرب موعد الامتحانات فمنهم من يستطع النجاح في الامتحانات ومنهم من يفصل من الجامعة فصلاً أكاديمياً.

لكن هنالك من يرى أن الذين يفصلون فصلاً أكاديمياً من أعضاء الاتجاه الإسلامي يعود سبب فصلهم إلى الأعباء والواجبات التنظيمية والتكليفات السياسية التي تقع على كواهلهم بصورة تجعلهم يؤثرون العمل التنظيمي بكل وقتهم على العمل الأكاديمي سيما وأن الأحداث كانت تضطرد وإيقاعها يمر سريعاً بصورة جعلت بعض الطلاب يجمدون عاماً دراسياً كاملاً من أجل العمل التنظيمي مثل الطالب الوليد محمد أحمد دقنة - حفيد عثمان دقنة - الذي كان يدرس بقسم الكيمياء بكلية التربية وغيره كثير فهنالك بعض أعضاء الاتجاه الإسلامي الذين تجدهم في قلب الأحداث في كل حدث يمر على الجامعة منهم محمد المجذوب محمد الأمين الذي فصل من الهندسة ليكملها مؤخراً في تركيا، وصديقه عمر عبد العزيز الذي فصل أيضاً من الهندسة ليواصل في ماليزيا مؤخراً، وسيف الدين عمر الذي دخل كلية الطب وكان رابع السودان في الشهادة السودانية وفصل ليواصل مؤخراً في العلوم الإدارية في إحدى جامعات الولايات المتحدة الأميركية، ومنهم سيد أحمد الحسن وعصام الدين محمد حسين اللذان فصلا من الهندسة ليواصلا في تركيا، وكذلك زميلهم عمر محمد عبد الرحمن الذي كان من أبرز خطباء الاتجاه الإسلامي بالجامعة، ومنهم أسامة عبد الله الذي شغل منصب الأمين العام للاتجاه الإسلامي بالجامعة لعام ١٩٨٤م فصل من كلية الهندسة لينتهي به

الأمر منسقاً للشرطة الشعبية، وكذلك عصام الدين عثمان السيد الذي فصل من كلية الطب ليواصل بالصين الشعبية، وحمد علي خطاط صحيفة آخر لحظة - الذي فصل من الهندسة وصديق فضل الله منصور الذي فصل من قسم الرياضيات بكلية التربية في السنة النهائية وغيرهم كثير.

ويرى الباحث أن الأعباء التنظيمية التي كانت تقع على عاتق أعضاء الاتجاه الإسلامي كانت كبيرة جداً بدرجة تشغل الكثيرين عن أكاديمياتهم مما سببت نقطة ضعف يصف بها البعض الاتجاه الإسلامي ويلصق به تهمة عدم الاهتمام بالأكاديميات وتوحي للبعض بأن الانتماء للاتجاه الإسلامي يعني إهمال الأكاديميات الذي لم يكن له مبرر إذ أن هنالك نماذج من قيادات الاتجاه الإسلامي كان يقع عليهم عبء تنظيمي وسياسي قيادي كبير، وبعد ذلك تخرجوا في الوقت المحدد ومنهم من تخرج بدرجة الشرف مثل: التجاني عبد القادر الذي سبق الحديث عنه، والطالب إدريس إبراهيم طه الذي قام بجولة في الخليج ليجمع معظم الأموال التي شيد بها مسجد جامعة الخرطوم والأمثلة كثيرة.. لذلك لم يكن هنالك مبرراً لعدم الاهتمام بالأكاديميات بل على العكس إن الاهتمام بالأكاديميات يعتبر في حد ذاته دعوة للطلاب.

أيضاً من نقاط الضعف التي يذكرها البعض أن الجيل الذي خلف جيل ما قبل المصالحة الوطنية يقلّ كثيراً عن الجيل الأول من حيث التأهيل والثقافة والمعرفة بأمور التشريع والأصول والحديث بل صار الاهتمام والاضطلاع والثقافة ليس من الأولويات مما جعل جيل ما بعد المصالحة جيلاً غير مميزاً تمييزاً واضحاً عن بقية الطلاب، وهذه حقيقة ولكن لها أسبابها والتي منها:

١ - جيل ما قبل المصالحة أتاحت له فترة التشريد والسجون فرصة نادرة حفظ من خلالها القرآن ودرس علومه ودرس علوم الحديث وكتب الفكر الإسلامي إذ إن بعضهم ظلّ في السجون أكثر من عامين عاصروا ورافقوا فيها قيادات الحركة الإسلامية أمثال حسن الترابي وصادق عبد الله عبد الماجد ويسن عمر الإمام والكاروري وخلافهم كما جعلهم يؤصلون فكرهم وتجاربهم.

٢ - بعد المصالحة الوطنية طرحت الحركة الإسلامية استراتيجيتها والتي دعت فيها إلى مضاعفة عددها "عشرة مرات" لذلك استوعب ذلك البرنامج كل طاقات الشباب في الدعوة والاستقطاب للطلاب بصورة جلبت أعداداً كبيرة للحركة الإسلامية وبعضها فطير جداً مما أدى إلى بروز مجموعتين أو مدرستين فكريتين أحداهما: تدعو إلى الاهتمام بالكيف دون الكم ومن ثم صقل العضوية والاهتمام والتأهيل والتأصيل والتدريب فقليل مبارك ومُدرك خير

من كثرة غثائية.. ويضربون لذلك الأمثال والأدلة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة...)، وتيار آخر على رأسه الترابي يدعو إلى مضاعفة العدد من غير تجاهل للكيف وكان منطقهم "أن الكم نعمة من الله على الكيف"، وقد حاول الاتجاه الإسلامي معالجة ذلك الضعف بالمعسكرات التربوية والكتائب والصيام الجماعي والتهجد وخلافه.

أيضاً من النقاط التي تعتبر سالبه وموجبة في وقت واحد هي أن حسّ عضوية الاتجاه الإسلامي السياسي أكبر من حسهم الدعوي الانتشاري بمعنى أن هنالك الكثير من عضوية الاتجاه الإسلامي لا يهتمون بحضور الاجتماعات ولا يشتركون في كثير من المناشط الدعوية ولا يقدمون الدعوة لأي شخص، وإنما فقط يلتزمون بأداء الشعائر والأكاديميات ولكن ما إن يحدث حدث سياسي أو احتكاك يؤدي إلى الصدام بالسيخ والملتوف بين الاتجاه الإسلامي وخصومه من الشيوعيين ومن يتحالف معهم إلا وتجدهم في مقدمة صفوف المواجهة وفي مقدمة ما يطلق عليه الاتجاه الإسلامي "كتائب الجهاد" كذلك هذه النوعية تجدها في موسم الانتخابات تقوم بواجبها على الوجه الأكمل هذه المجموعة جعلت بعض أعضاء الاتجاه الإسلامي يطلقون عليهم "إخوان الحارة".

الاتجاه الإسلامي والطالبة الجامعية

الحديث عن الحركة الإسلامية وسط طالبات جامعة الخرطوم لا ينفصل عن الحديث عن نظرة الحركة الإسلامية الأم للمرأة وعن وضعية المرأة في فقه ونظرة الحركة الإسلامية، وإلى أي مدى تأثرت الحركة الإسلامية وخلطت الأثر الاجتماعي التقليدي الوضعي بمعاني وقيم وتنزلات الدين عليه فإن الحركة الإسلامية قد مرّت بثلاثة مراحل في تعاملها مع المرأة، وهي:

١ - الموقف الأول:

هذا الموقف صاحب نشوء الحركة في باكورة أيامها، حيث كانت متأثرة بمجتمعها وبموروثاتها الثقافية وهي لم تنشأ كحركة أصيلة - كما ذكرنا - وإنما نشأت كرد فعل لمواجهة التيار اليساري الشيوعي الذي سيطر على قطاعات كبيرة من الطلاب. لذا لم يكتمل برنامجها الفكري والثقافي المتصف بشمول الدين لتطرحه للمجتمع... وكانت كثيراً ما تأخذ من أعراف وتقاليد المجتمع ما تعتبره عرفاً يساير مقصود الدين فكانت نظرة الحركة الإسلامية للمرأة ولدورها نظرة هامشية، وكانت تعتبر أن الدين هو خطاب للرجال في المقام الأول وأن شأن الدعوة والجهاد في سبيل الله أمراً مقصوراً على الرجال لذا لا ينبغي أن نقحم النساء

فيه.. وكانت ترى أن صلاح المجتمع أمر مرهون بصلاح الذكور فإن صلحوا صلح المجتمع، وإن فسدوا فسد المجتمع، والمرأة في ذلك تبعاً للرجل وعلى دين زوجها فالحركة كانت في مبتدئها بنت مجتمعها الذي يعتبر أمر الاتصال بين الرجال والنساء الأجانب الذين لا يربط بينهم رباط شرعي أمر في غاية البدعية والمنكر.. لذلك كانت الحركة زاهدة في أي دور إصلاحي تقوم به النساء وحذره من أي صلة بهن.

٢ - الموقف الثاني:

بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م مباشرة بدأ تطور مواقف الحركة الإسلامية وتمّ تأصيل فكرها ومراجعة مواقفها التقليدية من المرأة. تلك المواقف التي لا تتسق وشمول الدين لذلك بدأت الحركة تلتفت للمرأة والذي دفعها لذلك هو استفزاز التحدي العلماني واليساري الذي كان يجذب المرأة بدعوى التحرر والمساواة وحقوق المرأة، فقد كانت الحركة الشيوعية تجتذب المرأة المثقفة بتلك الشعارات.. لذا كانت الحركة النسوية في أوساط الطلاب حكراً على الحركة الشيوعية فكان الإسلاميون يدركون أهمية الطالبة الجامعية ومناصرتها للحركة الإسلامية ولكنهم في ذات الوقت يخشون فتنة المرأة والشبهات التي تصاحب الاختلاط بها. بدأ يتنابهم شعور الاقتحام لعالم المرأة وكان يعزّ عليهم أن يتركوا الاهتمام بالطالبات خوفاً من فتنتهن ويقلقهم أن يقارنوا كسبهم الانتخابي فيجدوا أن الذي يؤخرهم هو صوت النساء إذ كان صوت الطالبات هو رصيد مضمون لمرشحي الحزب الشيوعي بالجامعة.. كما ظهر على مستوى الشارع السوداني "الاتحاد النسائي" وكانت قيادته من كوادر الشيوعيات اللامعات في وقت كان فيه الحزب الشيوعي السوداني من أقوى الأحزاب الشيوعية العالمية والإفريقية - هنا اضطرت الحركة الإسلامية أن تتجاوز موقفها القديم تحت وطأة التحدي وانتدبت مجموعة من الأخوات المسلمات لتعبئة ما سمي بـ "الجبهة النسوية الوطنية" ولم ينسب اسمها إلى الإسلام وذلك خوفاً من إثارة ومعارضة التقليديين، وقد كان قيام "الجبهة النسوية الوطنية" رد فعل لمنافسة الاتحاد النسائي السوداني الشيوعي، كذلك من دواعي تغيير الحركة الإسلامية لموقفها هو ظاهرة خروج المرأة السودانية إلى المجتمع إذ تكاثر عدد الخريجات العاملات في دواوين الدولة وأخذت أعداد النساء ومشاركتهن في الشؤون العامة تتزايد وكان ذلك بمثابة مؤشر ومنبه للحركة الإسلامية بأن المرأة يوشك أن يكون لها دور فعال ومميز في المجتمع غير ما كان لها في الماضي رضيت الحركة الإسلامية أم أبت.. وأن فساد المجتمع وإصلاحه لن يكون بمعزل عنها لذلك بادرت الحركة الإسلامية وتبنت الدعوة إلى مشروعية المشاركة السياسية للنساء.

٣ - المرحلة الثالثة:

هذه المرحلة جاءت بعد عام ١٩٦٩م إذ برزت الحركة الإسلامية في هذه الفترة كقوة معارضة للنظام الشيوعي الحاكم وطرحت بديلاً لذلك هو الإسلام في شموله، وقد توفّر للحركة الوعي الشامل وضرورة الموازنة في صفها بين النساء والرجال وقد عاصرت فترة السبعينيات تجويد وتأصيل الفكر والفقه عند قيادات الحركة الإسلامية والشباب منهم وقد أتاحت لهم فترة السجون الطويلة وهدأة العمل السياسي الحزبي الصاخب أتاحت لهم وقتاً كافياً تم استثماره في تقويم كسب الحركة الإسلامية والتحسب لمآلها وقد أدت تلك الخلوات في السجون إلى شيوع فكر ناقد للفقه والموقف التقليدي عموماً في شأن المرأة والدين والمجتمع والإصلاح.. كما لاحظت الحركة الإسلامية المفارقة الكبيرة بين أعداد عضويتها في صفوف النساء والرجال إذ إن حظ النساء لا يكاد يذكر مقارنة لكسب الحركة من الرجال.. فأدركت الحركة قصورها في فهم الدين الذي جاء خطاباً عاماً للنساء والرجال "يا أيها الذين آمنوا.." رجالاً ونساء.. ويا أيها الناس.. رجالاً ونساء حيث جاء التكليف متساوياً للرجال والنساء وجاءت بشارات الدين أيضاً للرجال والنساء المؤمنون والمؤمنات والمسلمون والمسلمات والقانتون والقانتات والسائحون والسائحات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات هكذا جاء خطاب الدين لبني الإنسان.. ولاحظت الحركة الإسلامية مشاركة النساء في دولة الرسول (ص) في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد شاركن في الهجرة والجهاد في سبيل الله.

فالموقف الثالث بعيد عن مرحلة تطوّر الفكر والفقه عند الحركة الإسلامية التي بدأت رهينة لموروثات المجتمع فيما يتعلق بشأن المرأة.. ثم أخذت تسرّع الخطى في إيقاع سريع نحو الفهم الصحيح لمقتضى أوامر وتوجيهات الدين في شأن الاجتماع والسياسة وما كان أمر الانفتاح على العنصر النسوي يمكن أن يمرّ غير أن تصحبه أزمة داخلية وخارجية لأنه كان يشكل صدمة عنيفة لموروثات المجتمع وللغبش الذي ساد مفاهيم الكثيرين من أعضاء الحركة الإسلامية عن المرأة.. فقد كانت ممارسة التصور الفقهي والفكري الجديد تمثل خروجاً على المعهود في سنة الجماعة والمعروف في عرف المجتمع وقد اقتضى الأمر حواراً داخلياً وتعبئة وتهيئة لترسيخ التأصيل الديني للتغيير وتجاوز الرواسب النفسية والعادات التنظيمية المتمكنة.

كانت عضوات الحركة الإسلامية فيما مضى تحتويهن أطر مخصوصة تابعة للإشراف المباشر للأمين العام للحركة الإسلامية بل كن لا يحسبن في أعداد العضوية العامة ولا يصلن بأي صلة تنظيمية بشعب الجماعة الفرعية.. فأول ما بدأ الإصلاح أن دمجت العضوية ووحدت مشاركتها في التنظيم فأصبح النساء في الحركة الإسلامية يتمتعن بحقوق العضوية ويحتملن تكاليفها فيما يليهن من أصعدة التنظيم...

كما صدرت التكاليف التنظيمية الصارمة لكل شعب الجماعة وتكويناتها أن تستدرك ما فاتها من دعوة النساء.. وقد كان التكليف غليظاً على البعض لكنهم حوسبوا[1] عليه رضوه أو كرهوه بمتابعات صارمة، ثم جاء الانفراج السياسي المصاحب للمصالحة الوطنية لتنزل الحركة الإسلامية للساحة السياسية بفقه متجدد واستراتيجية طموحة أقل أهدافها أن يتضاعف عدد الحركة الإسلامية إلى عشرة أضعاف وفي وقت قليل أتى التوجّه الجديد ثماره وانقشعت الشكوك التي كانت تراود البعض في صحة الفقه وحكمته إذ رأوا تأويله خيراً عظيماً فنهض العمل النسوي في حساب الجماعة إذ أصبح عداد النساء أو عطاؤهن يوازي شأن الذكور ويضاهيه فشاركن في الدعوة والمجاهدة ونافسن في عمل الخير وأخذن يستدركن كثيراً مما سبق به واحتازه الرجال.. وبذلك يكون قد اعتدل أمر الحركة الإسلامية وسار خطابها ووضعها وفقاً لمعايير الدين لا معايير العرف.

وفي جامعة الخرطوم ما كانت الجامعة إلا جزء من المجتمع بكل إرثه الثقافي ومفاهيمه الاجتماعية... وما كانت حركة الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم إلا جزء من الحركة الإسلامية الأم بل كانت عند منشئها هي أصل الحركة ومنبعها الأصيل فما ذكر عن مراحل التطور الثلاث التي مرت بها الحركة الإسلامية ينطبق على وضع الحركة الإسلامية بالجامعة.. رغم أن الجامعة بها شيء من التحرر وصراع الأفكار لكن ظلت الحركة الإسلامية رهينة للموروث الديني التقليدي الجامد.. مما جعل مجال الطالبات مسرحاً خصباً لحركة الشيوعيين. لقد كانت حركة الاتجاه الإسلامي في الجامعة تعاني من افتقار حاد للعنصر النسائي الملتزم أو الموالي.. فقد كان عطاء الاتجاه الإسلامي في أوساط الطالبات لا يكاد يذكر.. أما ظاهرة الالتزام التنظيمي وظاهرة الحجاب الشرعي أو الزي الإسلامي قبل ١٩٧٧م فقد كانت ظاهرة نادرة وعدد الطالبات اللائي يلتزمن بالزي الشرعي لا يكاد يذكر.. وذلك لعدة أسباب منها ما ذكر سالفاً أن تديّن بعض أعضاء الاتجاه الإسلامي هو تديّن مصحوب ببعض العادات السودانية التي تنظر للمرأة بعين الحذر والوسواس وكان كل ما معهم من فقه هو **"ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما"**. وأن المرأة فتنة يجب على الأخ الداعية أن يتجنبها وأن مخالطتها والوقوف معها يقع في دائرة الشبهات التي ينبغي على الأخ الداعية أن يتقيها.. وكان

(١) المصدر السابق ص (١٣٨)، (١٣٩)، (١٤٠) .

هنالك عدد من أعضاء الاتجاه الإسلامي لا يصافح زميلاته الطالبات مطلقاً ولو على سبيل المجاملة ولا يتكلم إليهن، ويحني رأسه إذا مرّ به جمع من زميلاته[1] الطالبات.. وقد كان ينظر لعضو الاتجاه الإسلامي الذي يتحدث إلى زميلاته ويجلس معهم في بعض الأماكن العامة والمناسبات الاجتماعية مثل الرحلات وخلافه كان ينظر إليه من قبل "الشيوخ" بأنه أخ غير ملتزم أو غير منضبط "أخ فالت".

كذلك من الأسباب الإعلام الشيوعي المكثف الذي يستغل الموقف السلبي من الاتجاه الإسلامي تجاه الطالبة الجامعية محاولاً إظهار الاتجاه الإسلامي بأنه عدو المرأة وأنه يضطهد المرأة..

ويتضح ذلك في فترة الانتخابات حول الاتحاد حيث تشير الإحصاءات إلى تقدّم قائمة الجبهة الديموقراطية على قائمة الاتجاه الإسلامي في صفوف الطالبات، فالطالبات ظللن في تلك الفترة دوائر شبه مقفولة للشيوعيين.. وقد وصف أحد خطباء الاتجاه الإسلامي الإعلام الشيوعي وسط الطالبات الذي يصور لهن عداء الإخوان للمرأة بقوله: "...قالوا لهن تعالين يا أخوات.. زميلات وغير زميلات.. نحكي لكن الأحكيات.. كان يا ما كان في قديم العهد والزمان غول اسمه الإخوان يلتهم النسوان... ويمنعهن من تسريح شعورهن"، ثم يردف قائلاً وسط جمع كبير من الطلبة والطالبات "... ما هذا السخف؟ ما لنا وشعور النساء؟ كيف نحتقر النساء ومنهن أمنا حواء ومريم العذراء وخديجة بنت خويلد..."[2].

ومن هنا تبدو المرونة في الخطاب وتبدو معالم الفترة الثالثة التي أشرنا إليها. لكن تعتبر الرسالة التي أصدرها شيخ الحركة الإسلامية الدكتور حسن الترابي[3] تحت عنوان: "المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع" هي بمثابة المرشد والدليل العملي والفقهي والفكري للثورة التوسعية التي شهدتها الحركة الإسلامية في صفوف المرأة بعد المصالحة الوطنية، وقد حاول الترابي أن يسترشد في تلك الرسالة بكل الأدوار التي قامت بها المرأة في صدر الإسلام وفي سيرة الرسول (ص) وعن الخطاب القرآني لها.. وعن دورها الريادي في السبق للإسلام وفي السبق للشهادة والسبق للهجرة والجهاد..

(١) انظر عبد الرحيم عمر محيي الدين، **استراتيجية المصالحة الوطنية وأثرها على مسيرة الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم ٧٧ – ١٩٨٥م**، أطروحة دبلوم غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم، مايو/ ١٩٩١م.

(٢) هو ابن عمر محمد أحمد سبقت الإشارة إليه.

(٣) حسن الترابي، رسالة المرأة.

وأشار إلى أن المرأة قد أسلمت وأخوها كافر كفاطمة بنت الخطاب شقيقة عمر بن الخطاب.. وأسلمت وأبوها كافر كأم حبيبة بنت أبي سفيان.. وأسلمت المرأة وزوجها كافر مثل زينب بنت الرسول (ص) وكان زوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع.. وأم سليم بنت ملحان وزوجها مالك بن النضير وأم هاني بنت أبي طالب وزوجها جبيرة بن عمرو.. وقد أسلمت المرأة دون أهلها وهاجرت مثل أم كلثوم بنت عقبة وهي أول من هاجرت من النساء بعد هجرة الرسول (ص) وسمية بنت خياط التي كانت أول شهيدة في الإسلام، ومنهن من كانت تدعو النساء سراً حتى ظهر أمرها فعذبها أهل مكة وطردوها، ومنهن من دعت خاطبها وجعلت شرطاً لزواجها ومهرها إسلام الخاطب وهي أم سليم التي قالت لخاطبها "والله ما مثلك يا أبي طلحة يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحلّ أن أتزوجك فأن تسلم فذلك مهري فذهب ثم جاء وأسلم".

ويستدل الكتاب بمجاهدات امرأة فرعون ومريم ابنة عمران التي ذكرها القرآن. ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١١ - ١٢] كما يستشهد المؤلف بقول أم سليم لرسول الله التي قالت "يذكر الرجال ولا نذكر في القرآن" فنزلت الآية.. ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ويمضي دكتور الترابي في توجهه نحو إخراج المرأة من ظلمات إرث المجتمع فيقرر أن الشريعة بأصولها السوية أعطت للمرأة أهلية وحرية مثلما للرجل.. فلها أن تخطب الرجال شفاهة وكتابة وأن تختار الزوج وأن ترفض من تكره عليه وأن تفارق الزوج وهو راغم.. ويذكر الترابي أنه ليس هنالك للرجال اختصاص في الدين دون المرأة سوى أمور تجب عليهم وتجوز لها هي جوازاً. ولا سلطان للرجال على النساء إلا في إطار الزوجية وهي تنشأ وتحلّ برضى المرأة وتقوم في الأصل على الشورى والإحسان وليس للرجل فيها إلا قوامه الإنفاق والأمر والتأديب بالمعروف..

ويذكر أن الحياة العامة ليست مسرحاً للرجال وحدهم دون النساء، ويقرر أنه لا عزل بين الرجال والنساء في مجال جامع فالصلاة مشتركة والحج مشترك وللمرأة أن تستقبل ضيوف الأسرة وتحدثهم وتخدمهم ويذكر أن هنالك من النساء من كان يزورها رسول الله (ص) ويأكل عندهن ويصلي ويعودهن مثل: أم أيمن وهي التي هاجرت من مكة إلى المدينة

وليس معها أحد وذلك في حر شديد، ومنهن خولة بنت عميس والتي أخرج الطبراني عن ابن الحارث أنه سمعها تقول اختلفت يدي ويد رسول الله (ص) في إناء واحد... ويذهب الترابي في رسالته التي تعتبر ثورة تجديدية في وضع المرأة يذهب ويقرر جواز مصافحة المرأة عند السلام بالصورة العفوية التي يجري بها العرف في جو طاهر... وحول عدم مصافحة النبي (ص) للنساء يذكر أن ذلك أمراً يخصّ النبي كنبي **«إني لا أصافح النساء»**، ثم تحدث عن جواز التناظر والتحدث للمتخاطبين والمتطالقين مع بعضهما البعض ثم دعى الترابي الإسلاميين للثورة على الأوضاع النسوية التقليدية ذاكراً أن الثورة على الأوضاع النسوية التقليدية آتية لا محالة ودعى إلى المبادرة والمسارعة في الإصلاح الإسلامي قبل أن ينفلت الأمر وتتفاقم الاتجاهات الحديثة الجاهلية.

وحذر الترابي الإسلاميين من أن يوقعهم الفزع من الغزو الحضاري الغربي والتفسخ الجنسي المقتحم في خطأ المحاولة لحفظ القديم وترميمه بحسبانه أخف شراً وضرراً... ووصف المحافظة على القديم بأنها جهد يائس لا يجدي... لقد كانت رسالة الترابي عن المرأة تمثل ثورة تجديد قوية تصدت لكل الإرث البالي الذي قعد بالمرأة عن أداء دورها الرسالي في تبليغ رسالة الدين وعودة الإسلام... وجعل من النساء كماً سالباً وتابعاً في حركاته وسكناته للرجال... فقد مثلت تلك الرسالة زاداً فكرياً وفقهياً تزود بها أعضاء الحركة الإسلامية وتوكلوا على الله ودخلوا إلى خضم المرأة وخضم الطالبات في جامعة الخرطوم... كانت تلك الثورة بعد عام ١٩٧٧م.. فقد واكبت تلك الثورة استراتيجية الانفتاح والتمدد الأفقي للتنظيم وشعار مضاعفة العضوية لعشرة أضعاف وظهرت المرونة وسط أعضاء الاتجاه الإسلامي تجاه الطالبات حيث وضع برنامج منظم يبدأ من الإحصاء والتصنيف والاتصال الفردي والدعوة الجماعية للطالبات عبر كافة الآليات المتاحة للاتجاه الإسلامي وفي وقت وجيز شهدت جامعة الخرطوم صحوة إسلامية في أوساط الطالبات وأصبح الحجاب بعد أن كان شيئاً غريباً ومستهجناً ويعني لونية سياسية معينة، أصبح مظهراً حضارياً مشاعاً للكل عدا التيارات العلمانية واليسارية وسط الطالبات.

وحول هذا الأمر يقول عادل الباز[1] "استطاع الاتجاه الإسلامي أن يقود حركة فكرية واجتماعية في المجتمع الجامعي تمثلت في جانب الطالبات في مسألة الحجاب والزي الإسلامي.. مثلاً في عام ١٩٧٧م كانت ظاهرة الحجاب أو الزي الإسلامي ظاهرة نادرة أو مجال تندر وسخرية لدى الكثيرين.. ولكن خلال برنامج فكري وثقافي اشتمل على معارض

(١) عادل الباز، مقابلة سبق ذكرها.

للزي الإسلامي وندوات ومحاضرات إسلامية ومعارض كتاب وحوارات ومنتديات فكرية كثيفة، وحتى مجيء عام ١٩٨١م كاد مظهر الطالبة الجامعية أن يتغير تماماً حيث أصبحت ظاهرة الحجاب ظاهرة بارزة ومقدّرة وموضع احترام وتقدير بعد أن كانت موضع تندّر وسخرية، وبعد أن كان الحجاب يعني اتجاهاً سياسياً معيناً أصبح مظهراً عاماً للكثيرات من طالبات الجامعة" وحول ذات الأمر يذكر د. محمد محيي الدين الجميعابي قائلاً(١): "بدأت الحركة الإسلامية التمدد وسط الطالبات بعد عام ١٩٧٧م واستمر التمدد في تواصل ٧٨ - ١٩٧٩م وهذه الفترة مثلت فترة انتشار تنظيمي معروفة إذ نفذت الحركة الإسلامية من داخل الجامعة حوالي ٥٦ معسكراً في أنحاء السودان المختلفة في الحصاحيصا - أربجي - التي للطلبة والطالبات من قيادات الحركة الإسلامية في الثانويات.. وكنا نريد أن نسبق التنظيمات السياسية الأخرى وكانت عضوية المعسكر تتراوح بين ١٠٠ - ٢٥٠ عضواً سواء إن كان في معسكر الطلاب أو الطالبات.. وبعد ذلك جاءت أعداد كبيرة من هؤلاء الطلاب إلى الجامعة طلاباً نظاميين مما شكل قوة دفع للاتجاه الإسلامي.. وفي عام ١٩٧٩م بدأت حركة الأسلمة المؤسسية مثل رياضة الطالبات من وراء حجاب بعد أن كان يحضرها الطلاب سابقاً ونفذ ذلك القرار.. وفي ٧٩ - ١٩٨٠م أصبح وجودنا وسط الطالبات وجوداً غالباً وبعد ذلك أصبحنا نتخطى الشيوعيين وسط الطالبات بعد أن كانت الطالبات حقلاً خصيباً للحركة الشيوعية".

لقد اجتهد الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم في نشر وتثبيت برنامج الأسلمة وسط الطالبات بصورة جعلت قيادة الحركة الإسلامية تنسب أمر الأسلمة في الجامعة ومن ثم المجتمع إلى قيادات الاتجاه الإسلامي الطلابي ويشير الترابي إلى ذلك بقوله: "أما ظاهرة المتاب في الدين في أوساط النساء والشابات إنما يعود الفضل فيه الأكبر إلى مبادرات الطلاب ولعل أثر حركتهم التربوية عموماً لا يضاهيه شيء من أثر الأسرة والمجتمع أو المعاهد النظامية وغدت الحركة كلها تعول على فرعها الطلابي في الوفاء بحاجتها في تربية الأطر والقيادات التي تمدها"(٢).

ويقر حسن الترابي أن الصحوة الإسلامية التي قادتها الحركة الإسلامية في السودان يعود الفضل فيها بعد الله إلى الحركة الطلابية وذلك عندما يقول "ويمكن أن نقرر ختاماً أن الحركة الإسلامية تعتبر منشطها الطلابي أخطر مقوماتها بعد أصل وجودها وترى ازدهار حاضرها فيما

---

(١) محمد محيي الدين الجميعابي، مقابلة سبق ذكرها.
(٢) حسن عبد الله الترابي، الحركة الإسلامية في السودان، مصدر سابق، ص (١٣٥).

زرعت في الحقل الطلابي وجلال وعدها المستقبل بقدر ما تعد له بين الطلاب.. فهم ركنها المكين وورثة أماناتها في الأرض ولذلك كانت توليهم اهتماماً مقدراً وتجند لحركتهم شطراً كبيراً من إمكاناتها"، وبعد ذلك تحدث الترابي عن التوسع الأفقي الذي أحدثه الاتجاه الإسلامي في أوساط الطلاب بما يتجاوز العشر التزاماً وتنظيماً صارماً والنصف ولاء سياسياً وتوجهاً إسلامياً وأكثر من ذلك مراعاة لشعائر الدين ومظاهره. وعن تمدد الصحوة الإسلامية وسط طالبات الجامعة تذكر رقية يحيى(١) أن ظاهرة الزي الإسلامي كانت جديدة وتظهر على استحياء وخجل وكانت تواجه بحرب من الشيوعيات، فقد كانت الشيوعيات في محاربتهن للاتجاه الإسلامي يصفن الأخوات المسلمات "بجاهلات القرون الوسطى"..

وترى رقية أن هناك عاملان سهلا عملية الأسلمة أولهما هو نوعية الطالبات اللائي يحضرن إلى الجامعة فمعظمهن من طالبات الأقاليم المبرزات أكاديمياً وذوات مستوى معقول من الفكر وعندهن المقدرة على التمييز ولم يكنّ سهلات القياد، والسبب الثاني: هو قيادة الاتجاه الإسلامي للوضع السياسي والفكري مما جعله يقدم طرحاً إسلامياً معاصراً وجذاباً ومقنعاً وذلك عبر الندوات والمؤتمرات والمواسم والمعارض التي يتم فيها عرض الكتاب والزي الإسلامي.. وترى رقية أن ذلك كان بمثابة أرضية مهدت للدعوة والاتصال الفردي ومن ثم الانخراط في صفوف التنظيم أو إشاعة الجو الإسلامي الصالح. وترى أيضاً أن وضعية المرأة في الفترة التي سبقت نهاية الثمانينات في الهيكل التنظيمي كانت مختلفة جداً إذ كان يوجد شخص من الطلاب بالأمانة العامة لتنظيم الاتجاه الإسلامي يكون مسؤولاً عن الطالبات.. فقطاع الطالبات كله - مع قلته - لا تمثيل له داخل الأمانة العامة. وإنما يشرف عليه طالب.. ومن أميز الطلاب الذين تولوا مسؤولية العمل الإسلامي وسط طالبات الاتجاه الإسلامي هو الطالب إدريس سليمان الذي كان بكلية العلوم.. وعند مطلع الثمانينات تغير الوضع شيئاً ما إذ أصبح للطالبات جسم منفصل يقمن لوحدهن بإدارته والإشراف عليه وأصبحت لهن مسؤولة من بين صفوفهن وتولت تلك المسؤولية الطالبة سنية مصطفى التي كانت تدرس بكلية الهندسة.. وظلّ جسم الطالبات ينمو بسرعة موازياً جسم الطلاب.

ثم تطور الوضع ليصبح أمر عضوية الأمانة العامة(*) أمراً يتنافس عليه الجميع طلاباً وطالبات في اجتماع جامع لعضوية التنظيم بالجامعة من الطلبة والطالبات فيتم الترشيح وتتم

---

(١) رقية يحيى علي يحيى - مقابلة سبق ذكرها.
(*) الأمانة العامة هي الجهاز الذي يتولى إدارة التنظيم داخل الجامعة انظر فصل الهيكل التنظيمي (انظر الفصل الثالث من هذا الباب).

إجراءات الترشيح من جرح وتعديل ويتم الاقتراح وتظهر النتيجة وتعلن . . وكانت تكون خليطاً من الطلاب والطالبات . . ومن الطالبات اللائي دخلن للأمانة العامة عبر اختيار المؤتمر العام للإخوان بالجامعة هما الطالبتان إلهام يس حاكم والطالبة رقية يحيى.

وأخيراً أصبح لكل كلية من الكليات مكتبها التنظيمي الذي يتولى إدارة العمل التنظيمي داخلها وكانت الأمانة العامة تشرف على كل تلك المكاتب الفرعية . . ويذكر أن في عام ١٩٨٢م تولت أمانة التنظيم في كلية القانون الطالبة مروة عثمان جكنون . . وكانت من أميز طالبات الاتجاه الإسلامي.

الفن

علاقة الحركة الإسلامية بالفن من الإشكاليات التي بدأ نقاشها داخل السجن في فترة ما قبل المصالحة الوطنية بين قيادات الحركة الإسلامية . . وقد برزت من خلال السمنارات التي كانت تعقد داخل السجن مدارس عدة، فهناك من اهتم بحفظ القرآن ودراسة السيرة والفقه ومنهم المرحوم الأمين عثمان علي طالب الاقتصاد وإمام مسجد البركس وقتها والطالب عبد الرحيم المهدي الجيلي طالب الاقتصاد يومئذ، وهناك من اهتم بدراسة الأصول وعلم الحديث وهناك من اهتم بالسيرة وعلوم القرآن.

كذلك برزت تيارات اهتمت بمناقشة قضية الفن والتأصيل والشورى، فمثلاً من الذين اهتموا بالمسرح والتأصيل له بابكر حنين ومن الذين اهتموا بقضية التأصيل الثقافي أمين حسن عمر ومن الذين اهتموا بقضية الشورى ووجوب تنزيلها محمد عثمان محجوب . . خرج هؤلاء الباحثون من السجون بعد المصالحة الوطنية وجاؤوا إلى الجامعة طلاباً مثّلوا وحدة فكرية للحركة الإسلامية بالجامعة . . ورغم أن الجامعة عند الاتجاه الإسلامي هي البوتقة التي تنصهر فيها الأفكار والتجارب ثم تخرج إلى رحاب الحركة الإسلامية الواسع إلا أن وجود هؤلاء الرواد كطلاب في الجامعة لم يمكّنهم من تقديم نموذج للفن الإسلامي وذلك لأن الفرصة لم تتح لهم وذلك لأن الاتجاه الإسلامي بدخوله إلى المصالحة الوطنية وقبول المشاركة في نظام مايو قد دخل في مرحلة تحدٍ كبيرة وانشغل بهموم وقضايا كبيرة شغلته عن دائرة الفن . .

وكان الكثيرون من أعضاء الاتجاه الإسلامي عندما تطرح قضية الفن وضرورة أن تهتم الحركة الإسلامية بالفن وأن تقدم البديل الإسلامي للفن الموجود في الساحة السودانية والذي تعتبره الحركة الإسلامية فناً هابطاً . . وكان ينبغي على الحركة الإسلامية وهي تقدّم نفسها وبرنامجها كبديل سياسي للحكم، كان عليها أن تقدّم بديلها للفن المطروح في الساحة فإن

كثيراً من أعضاء الاتجاه الإسلامي يعتبرون قضية الفن "قضية انصرافية" سابقة لأوانها ويقولون أن الحركة الإسلامية عندما تصل إلى سدة الحكم سوف تخلق فنها الذي ينبع من الظروف المصاحبة لقيام الدولة . . وترى أنه لا داعي لإهدار طاقات الشباب في قضايا انصرافية لا فائدة منها . . لكن الوضع في جامعة الخرطوم ما كان له أن ينصرف عن قضية الفن، سيما وأن الجامعة بها جمعيات تخصصية مثل: جمعية الموسيقى، والمسرح، وجمعيات الثقافة، والآداب والتي كان يسيطر عليها الشيوعيون ويسخرونها لإلهاء الطلاب وجرهم لمسائل في نظر الاتجاه الإسلامي انصرافية وغير جادة وتصب في خانة تمييع الصراع في الجامعة وإبعاد الطلاب من موجة التوجه الإسلامي. فمثلاً: عندما كان يعلن الاتجاه الإسلامي لندوة كبرى يتحدث فيها دكتور الترابي . . أو عند قيام الموسم الثقافي الذي ينظمه الاتحاد هنا يعلن الشيوعيون عبر جمعية الموسيقى والمسرح أسبوعاً للأغنية السودانية . . ويحضرون إليه كبار الفنانين محمد وردي - محمد الأمين - أبو عركي البخيت وخلافه وذلك لصرف الطلاب عن حضور مناشط الاتجاه الإسلامي.

محاولات عباس علي السيد الفنية

كان الشيوعيون يصفون الاتجاه الإسلامي بـ "المتزمت" و"عدو الفن" والموسيقى وأنه "تنظيم إرهابي" لا علاقة له بالعواطف والوجدانيات. دفع ذلك الاتجاه الإسلامي نحو مزيد من التأصيل لحركة الفن ونحو مزيد من البحث عن مشكل الفن في محيط الاتجاه الإسلامي . . وأول ما فكر فيه الاتجاه الإسلامي هو السيطرة على جمعيات الموسيقى والمسرح والثقافة والآداب وأخذها من سيطرة الشيوعيين وقد نجحوا في ذلك ففي عام ١٩٨١م سيطر الاتجاه الإسلامي على جمعية الموسيقى والمسرح وأصبح الطالب عباس علي السيد رئيساً لها . . وهنا يذكر خالد حسن إبراهيم[1] " قاد الشيوعيون نغمة مفادها أن الإخوان المسلمين إرهابيون وعنيفون ولا يقدّرون المرأة ولا يحترمون الفن . . كانت تلك حواجز أراد الشيوعيون وضعها أمام الطلاب الجدد حتى يحولوا بينهم وبين الاتجاه الإسلامي . . لذا ظهرت الحاجة إلى تقديم نماذج تعبّر عن الفن الإسلامي لهؤلاء الطلاب

(١) خالد حسن إبراهيم أحد قيادات الاتجاه الإسلامي البارزين منذ فترة الثانويات . . دخل الجامعة عام ١٩٧٩م كلية الهندسة، وتخرّج عام ١٩٨٧م شغل في هذه الفترة منصب رئيس اتحاد طلاب جامعة الخرطوم ورئيس الاتحاد العام للطلاب السودانيين وشغل منصب الأمين العام للاتجاه الإسلامي لفترة من الفترات. التقاه الباحث يوم ٢٩/١٢/١٩٩٣م.

والطالبات.. وشاءت الأقدار أن يقدم هذا النموذج أحد أعضاء الاتجاه الإسلامي الموصومين بالإرهاب والعنف في الجامعة، هو الطالب عباس علي السيد رئيس رابطة طلاب الآداب وأحد قيادات الاتجاه الإسلامي المعروفة بالعنف الثوري عند اللزوم.. وله أغنية مشهورة من تأليفه وتلحينه وغنائه يقول فيها:

الحب عظيم والله   يا ليت الناس تدريه
يخلي حياتنا سعادة   وتهوى الناس واديه
حبيت لقلب طاهر   قلباً سريرته نقية
يا رب بارك آمالي   يا رب صفي النية
الزول الزين أهواه   وأتمنى يوم أرضيه

وللأخ عباس علي السيد بعض القصائد الملحنة يقول في إحداها:

الدين أخلاق وعبادة   الدين جهاد وشهادة.

وله من الملاحم الثورية التي كان يترنم بها..

مبادىء صحابة ما بتنهار

ما بتتردد في اليوم الحار

يوم تعطش روابينا مياهك نيلنا هدارة

ويوم تغضب جموع شعبي كتائب الجامعة جبارة

وعز كرري بنادي رجب ودار عزة بتشيل تارة.

لكن تلك كانت مبادرات أقرب إلى الفردية، وكانت محصورة جداً ولم تقدّم نموذجاً متكاملاً لمنهج فني للاتجاه الإسلامي في الجامعة.. وكان همّ أعضاء الاتجاه الإسلامي هو السيطرة على جمعية الموسيقى والمسرح ثم إماتتها وقتلها وكانوا يرون في ذلك درءاً للفتنة.

الترابي يؤصل لقضية الفن

دفع ذلك الدكتور حسن الترابي إلى تقديم محاضرة في مسجد جامعة الخرطوم بعنوان "حوار الدين والفن"[(١)]. تحدث فيها عن أن صلة الفن بالدين صلة وثيقة وأن نبي الله داود كان بمزاميره وتراتيله في الزبور يبلغ حد الإحسان فتتجاوب معه الأصداء وتأنس به الطير والجبال.. ووصف الفن بأنه ابتلاء للإنسان يقوده للإيمان أو الكفر لأن الله قد هدى الإنسان النجدين وألهم النفس فجورها وتقواها وقد ركب في الجمال طبيعة مزدوجة حيث يمكن بإدراك الجمال وصنعه أن يهتدي الإنسان ويجود عبادته ويزداد هدى وكذلك يمكن أن يضلّ ويفتن.. فالفن التماساً وإدراكاً وصناعة للجمال تجاوب شهوة في الإنسان المحب للصور الجميلة... والفن من حيث هو ممارسة رمزية تومىء إلى مثال جمالي وتفاعل مع خيال الفنان وتتجاوز به الواقع المباشر ويقترب من الدين بأكثر من كل ممارسة أخرى كالحكم أو الاقتصاد أو الجنس فهذه لا تنطوي على قيمة رمزية مثل الفن... ويعقد الترابي المقارنة بين الدين والفن في الصفة الرمزية ويصف الدين بأنه كالفن في رمزيته، إذ إن ممارسته تتفاعل مع الغيب وتجاوز ظاهرة الحياة الدنيا وتتطلع للخلود فتدرك من كل شيء آية ويذكر الترابي أن الدين والفن يمكن أن يتساوقا فيهدى الفنان إلى الإيمان ويلهمه إيماناً فناً زائداً... ويتحدث الترابي عن أن الإنسان الموحد يمكن أن يتخذ الفن وسيلة إلى الله... يأخذه بذات خصائصه دون كبت أو تعطيل ويسخره للعبادة... فالتدين يهب الفنان مرداً روحياً لرمزية أوسع وتنهض بالفنان دوافع الدين من حب شديد لله وخوف وشكر له... ثم يذكر الترابي أن الدين يشمل الفن وأن كل تجربة جمالية هي تجربة دينية حيث يرقى الدين بمشاهدة الجمال وصناعته فيدخل الفن في الدين وتكون له إيجابيات التدين رصيداً للفن فيرقى الفن بدوافع الدين ومده الروحي بجماعيته والتزاميته ويعدل الحياة المتدينة ويقدم رقي الفن إلى الدين نهضة ورقياً..

ويذكر الترابي أن الرسول (ص) وصحابته كانوا يحفون عبادتهم بأشكال الجمال ويلتمسونه في صور أدائها، فكانوا يقدرون الصوت الجميل والنغم الجميل في قراءة القرآن كما كان شأن ابن مسعود، وكانوا يصرون على الطرب عند الزواج فرحة وتوقيراً ويفرحون في أعيادهم بالغناء.. ويستشهد الترابي بحديث السيدة عائشة التي دخل عليها والدها أبو بكر

---

(١) حسن عبد الله الترابي، **حوار الدين والفن**، محاضرة بمسجد جامعة الخرطوم... تمّ نشرها بمجلة الفكر الإسلامي التي تصدرها جماعة الفكر والثقافة الإسلامية، العدد الأول، سبتمبر ١٩٨٣م، ص (٤٤).

ووجد عندها جاريتان تغنيان يوم عيد بما تقاوله الأنصار يوم بعاث فأنكر أبو بكر ذلك وأقره الرسول (ص) ووصيته بأن يرسل لأهل العرس بمن يغني ويضرب الدف والغربال. . . ويذكر الترابي أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا في سياق حياتهم يغشون الفن ترويحاً عن أنفسهم يعنهم على سائر شؤون الحياة. . . ويستقبلون الوافد بالغناء وينشطون بالإنشاد على أداء الأعمال مثل حفر الخندق ويشهدون الحبشة وهي تلعب فناً شعبياً في مسجد الصلاة. . .

ويلح الترابي على أنه لا بد للحركة الإسلامية أن تتربى اليوم بضروب وأنواع الفن الذي تحتاجه غداً لئلا يغلب الله عليها الابتلاء فتلقى نفسها بغير منهاج مرسوم أو تجربة في التدين بالفن في حال جديد ويعيب الترابي على الحركة الإسلامية أنها كثيراً مما تتلهى بحاجات مرحلة الدعوة والجهاد عما وراءها فإذا واتتها ظروف التمكين وجدت نفسها غير مهيأة لظروف الابتلاء والتمكين. . .

في موضع آخر ينفي الترابي(١) أن يكون الجمال للإمتاع فقط وإنما لغاية أكبر من ذلك وهو فرصة للتدين ويذكر أن غاية الفن صنع الجمال الذي هو قدرة وموهبة من الله للإنسان الأمر الذي يلقي عليه المسؤولية والتكليف.

وفي موضع آخر يحاول الترابي أن يؤصل لأمر الفن بصورة واضحة جلية حيث يصف العلاقة بين الدين والفن بأنها علاقة وطيدة وعريقة وضاربة في أبعاد التاريخ البعيد فمنذ أن عرف الدين، عرف التعبير الفني الإيقاعي أو الحركي أو المصور ملتحماً به. . . ويذكر أن التعبير الديني قد ارتبط بالطقوس ذات الحركة الإيقاعية والرموز والتشكيل المتجانس والتي هي الأدوات الرئيسية للتعبير الفني ويذكر أن الدين هو منظومة المعايير التي تحدد القيم والمبادىء بينما تهيأ الفن على مد التاريخ للقيام بدور في التعبير الجميل المتناسب والمنسجم مع هذه القيم والمبادىء.

ويذكر أن القرآن جاء في سياق متناسق التشكيل اللفظي متكامل البناء الدرامي عامراً بالتنغيم المتجاوب مع الفكرة حتى لكأنه الموسيقى التصويرية لتلك الأفكار والمبادىء التي جاءت في أثواب الفن الوضيئة زاهية مزدانة قريبة إلى الروح والقلب(٢).

لكن على الرغم من هذا التأصيل والزخم الفكري الكثيف وقرب قيادات الاتجاه

(١) **الإنقاذ الوطني**، الخرطوم، ١٦/ نوفمبر / ١٩٩٣م.

(٢) **دارفور الجديدة**، الخرطوم، ١٨/ ديسمبر / ١٩٩٣م.

الإسلامي وصلتها مع الترابي رغم ذلك لم تستطع حركة الاتجاه الإسلامي أن تقدم نموذجاً فنياً يمكن أن يشار إليه. . وربما يكون من أهم أسباب ذلك أن القيادات التنظيمية التي تولت إدارة الأجهزة التنظيمية في تلك الفترة لم تكن ذات ميول لهذا الضرب من النشاط فكانت قيادات تبدو عليها الصرامة وتكسوها مسحة من السلفية الصوفية المبتعدة والمنسحبة من ضوضاء الآلات الموسيقية وصخب المسرح وربما تخشى أن يكون ذلك مزلقاً من مزالق الشيطان. . كان من هؤلاء الشهيد عبيد ختم بدوي، صلاح أحمد علي، عبد الإله حسن كوكو، وخالد حسن إبراهيم. . . وإن كان مثل ذلك النشاط لم يجد حظه في البروز في أوساط الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم لكنه وجد حظه في جامعات أخرى مثل فرع القاهرة.

الهيكل التنظيمي للاتجاه الإسلامي

حتى عام ١٩٧٩م كانت شؤون التنظيم تدار بواسطة أجهزة تتكون من:

١ - المؤتمر العام للاتجاه الإسلامي بالجامعة.

٢ - مجلس الشورى.

٣ - المكتب التنفيذي.

نسبة لعدم فاعلية الأجهزة السابقة ونسبة لحدوث بعض المتغيرات السياسية بعد عام ١٩٧٧م تغير الوضع بعد عام ١٩٧٩م ليتكون الجهاز الإداري التنظيمي من التكوينات الآتية(١).

١ - المؤتمر.

٢ - الأمانة العامة وتضم (٢٥) شخصاً.

حيث كان ينعقد المؤتمر العام للاتجاه الإسلامي ويتم التصعيد لحضور المؤتمر بأن يختار كل ثمانية من الإخوان شخصاً ينوب عنهم في حضور جلسات المؤتمر. . ويقوم المؤتمر بانتخاب الأمين العام وأعضاء الأمانة العامة. . وكان المؤتمر يقوم بإجازة السياسة العامة التي تضعها الأمانة العامة كما يقوم بمحاسبتها وله الحق في عزل الأمين العام وإكمال

(١) خالد حسن إبراهيم، مقابلة سبق ذكرها.

النقص من الأمانة العامة وقد كان الطالب عبيد ختم بدوي أول أمين عام بعد التغيير الهيكلي الذي حلّت فيه الأمانة العامة مكان المكتب التنفيذي..

كما كان الطالب عبد الرحيم المهدي الجيلي هو آخر رئيس لمجلس الشورى، وفي عهد عبيد ختم استطاع الاتجاه الإسلامي أن يعيد سيطرته على الاتحاد الذي فقده قبل أحداث ١٩٧٩م كما أدار معركة الاستفتاءين اللذين أجريا حول دستور الاتحاد في تلك الفترة.

بعد ذلك برز رأي يدعو إلى تقليص عضوية الأمانة العامة بحجة أن الأمانة العامة أصبحت جسماً متضخماً أخذ الكثير من الكوادر التنظيمية والسياسية مما يؤثر سلباً على الكليات... إذ إن الأمانة العامة كان بحكم أنها أعلى سلطة تنفيذية في الاتجاه الإسلامي بالجامعة كان يختار لها خيرة الأخوان من حيث الأقدمية والخبرة التنظيمية والحنكة السياسية... وعضو الأمانة لا يمارس أي أعباء تنظيمية أخرى في كليته عدا التي تكلفه بها الأمانة..

وفي مؤتمر جامع تمّ تقليص الأمانة من (٢٥) عضواً إلى (٢١) عضواً وأصبح صلاح أحمد علي أول أمين عام بعد التقليص.

كانت الأمانة العامة تتكون من أمانات متخصصة يقوم الأمين العام بتوزيع أعضاء أمانته على الأمانات المتخصصة حيث كان هيكل الأمانة يتكون من:

١ - الأمين العام ويتبع له مباشرة:

أ - سكرتير الأمن والمعلومات.

ب - السكرتير العام للأمانة.

٢ - أمانة الشؤون السياسية.

٣ - أمانة الفكر والدعوة.

٤ - أمانة التنظيم. وكانت كل أمانة تحتوي على عدد من الشعب المتخصصة فمثلاً الأمانة السياسية فقد كانت تحتوي على شعبة الاتحاد وهي أهم شعبة بالأمانة السياسية وهي التي ترسم سياسة الاتحاد، ولا يمكن للاتحاد أن يتخذ أي قرار سياسي أو قرار خطير من غير الرجوع إليها وأخذ موافقتها.. وكان مسؤول الاتحاد بالأمانة السياسية يسجل حضوراً منتظماً بمكاتب الاتحاد بصفة غير رسمية ويراقب تصرفات بعض أعضاء الاتحاد... الخ. وكانت أيضاً شعبة التنظيمات والتي تهتم بأمر التنظيمات السياسية وأيضاً شعبة الإعلام (الصحافة السياسية) مثل "آخر لحظة" والصحف الأخرى والإعلام الدعائي.

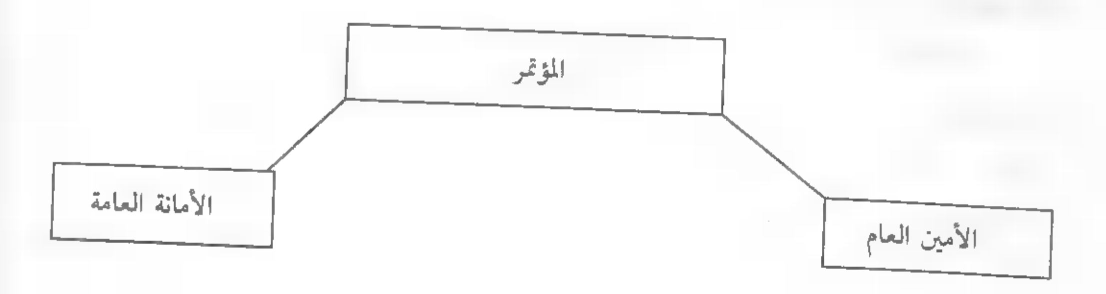
وأخيراً تم فصل شعبة الإعلام لتصبح شعبة الصحافة شعبة مستقلة وشعبة الإعلام تضم الأعلام والدعوة.

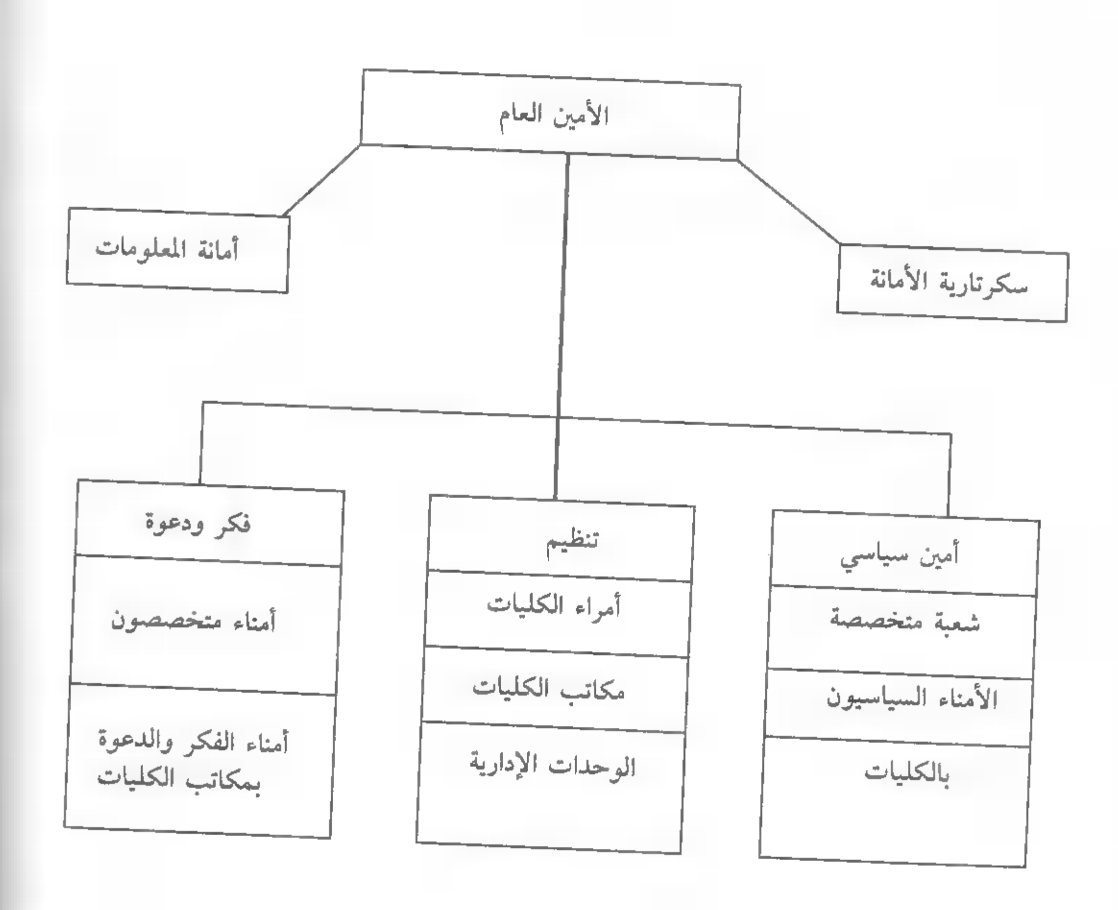
وكذلك هناك شعبة العلاقات السياسية.. وكان أول أمين سياسي للاتجاه الإسلامي في عهد الأمانة العامة هو الطالب أمين بناني نيو. أما أمانة الفكر والدعوة فقد عدلت لتسمى أمانة الثقافة والإعلام وينضوي تحتها النشاط الجاري وكل ما يتعلق بأنشطة الدعوة والفكر.

أما أمانة التنظيم فقد كانت من أهم الأمانات إذ تنص اللائحة على أنه في غياب الأمين العام يتولى أمين التنظيم مهام الأمين العام.. وتتولى هذه الأمانة عمل جميع الكليات وعمل طلاب السنة الأولى الذين كونوا وحدة قائمة بذاتها وتشمل عضويتها أمراء الكليات ومسؤولة الطالبات وأمين الطلاب الجدد.. وقد مرّ على أمانة الطلاب الجدد "البرالمة" إدريس إبراهيم طه - خضر محمد علي - خالد حسن إبراهيم.

كانت هنالك علاقة وطيدة بين الإدارة التنظيمية للاتجاه الإسلامي بالجامعة وبين مكتب الجامعات الذي يتبع لمكتب الطلاب بالخارج وكان مكتب الجامعات من أهم إدارات مكتب الطلاب المركزي وكان يقوم بالإشراف على النشاط التنظيمي والسياسي داخل الجامعة.. وعليه أن يحترم الأجهزة التنظيمية داخل الجامعة وأن يحترم قراراتها الداخلية التي لا تؤثر على مسار الحركة بالخارج (الخط السياسي)، لكنه يعترض أحياناً على بعض القرارات ويطلب من الأجهزة مراجعتها.. ولم تكن هنالك لوائح تفصيلية دقيقة تحدد علاقة الإشراف تلك والأمر كان متروكاً لقوة الأمانة الداخلية.. فإذا كانت الأمانة قوية لا يعترض على قراراتها وإذا كانت ضعيفة تشهد تدخلات كثيرة فهي تشكل صمام أمان للتنظيم.. وقد كان مكتب الجامعات في معظمه مكوناً من خريجي الجامعات حديثي التخرج ومن لهم ارتباط وثيق وتجارب جيدة بالعمل السياسي الطلابي أبان وجودهم بالجامعة ومن أبرز هؤلاء الشهيد موسى سيد أحمد.

رسم يوضح الهيكل التنظيمي للاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم





دستور الاتجاه الإسلامي

العلاقة بين دستور الحركة الإسلامية الأم وحركة الاتجاه الإسلامي من حيث الدستور هي علاقة الأصل بالفرع فبينما جاء دستور الحركة الإسلامية دستوراً شمل جميع جوانب الحياة السودانية جاء دستور الاتجاه الإسلامي مختصاً بأمر الحركة الطلابية في عمومها.

وإذا كان دستور الحركة الإسلامية قد جاء في أربعة أبواب و(٦٨) مادة إلا أنه في مقدمة الدستور قد تحدث عن خصائص الحركة الإسلامية[١] واصفاً إياها بأنها حركة إسلامية تقوم على أساس الفكر الإسلامي وأنها أصولية تعتصم بالقرآن والسنة وأنها حركة تجديد ديني تدعو إلى حركة اجتهاد كثيف من أجل تجديد الدين مما علق به من شوائب وأنها حركة شمولية الأهداف وواقعية المنهج وهي في واقعيتها تتبع المنهج السني في تحقيق الدين تدرجاً في المراحل... وأنها حركة إصلاح ديني تدعو الناس للإيمان بالله ثم الاستقامة على أمره كما أنها حركة تغيير اجتماعي لا تقتنع بإصلاح الفرد بل تتخطاه لإصلاح المجتمع وأنها حركة مترفقة تسعى لأهدافها بالإقناع بالحسنى لكنها تؤمن بالجهاد الصابر الصادق في وجه الاستبداد والبطش... وأنها حركة شورية جماعية تتسع لتباين المذاهب الفقهية والمشارب النفسية وألوان التعبد ولا تضيق بالرأي الآخر.

أما حركة الاتجاه الإسلامي فلها دستور[٢] مكتوب عرف أمرها وعدد وحدد المبادىء والأسس والأهداف التي تقوم عليها الحركة... وقد جمل دستور الاتجاه الإسلامي المبادىء الأساسية للاتجاه الإسلامي في ثمانية نقاط بعد أن وصف الاتجاه الإسلامي بأنه حركة تقوم على أساس الإيمان الديني والأصل التوحيدي الذي يوحّد بين الدنيا والآخرة ويرد الأمر كله لله استهداء بتعاليم الإسلام واستنهاضاً للطاقات الإسلامية، وأنها حركة أصولية تعتصم بالقرآن والسنة ولا تنقطع عن الذات الموصولة باجتهادات الصالحين من سلف الأمة...ثم جاءت الأسس لتصف الاتجاه الإسلامي بأنه اتجاه لتربية الفرد والجماعة على هدى الإسلام والالتزام بالإسلام قولاً وفعلاً هدفه نشر مبادىء القرآن وسط الطلاب والاهتمام بحفظه وتجويده وتلاوته وعلومه، كما يدعو لإحياء السنة في نفوس الشباب والطلاب...

ثم تحدثت النقطة الثانية عن الروح الجماعية التي تسود التنظيم والموالاة والإخاء بين أعضائه ووصفت الاتجاه الإسلامي بأنه حركة تغيير اجتماعي تعبر عبر الفرد إلى الجماعة

---

(١) حسن مكي، **الحركة الإسلامية**، مصدر سابق، ص (٢٦٩).
(٢) انظر، **دستور الاتجاه الإسلامي**، د. ت، ص (٥ - ٣٠).

والمجتمع وذلك عبر وسائل التعبئة المنهجية والتنظيم الحكم والتخطيط الدقيق... كما وصفته النقطة الثالثة بأنه اتجاه للإصلاح وحركة للجهاد ولا تغيب عن آلياته الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن... كما أنه يترفع عن الترقيع والتسويف ويسعى لإصلاح كامل ولو أدى ذلك إلى الجهاد الثائر في وجه الاستبداد والبطش الذي يريد أن يطفىء نور الله.

وفي النقطة الرابعة يتحدث عن اهتمامه بالطلاب من أجل خلق نموذج لقيادة تقوم على الطهارة والاستقامة فيتخرج للمجتمع جيل ملتزم بالسلوك القويم والقيم الإسلامية الفاضلة.

وفي النقاط الخامسة والسادسة والسابعة جاء وصف الاتجاه الإسلامي بأنه دعوة لإصلاح مؤسسات التعليم وتحويلها إلى مؤسسات تربوية تعمل على بناء جيل وطني ملتزم بالمبادىء والقيم الإسلامية ومرتبط بهموم وقضايا الأمة وذلك عبر إصلاح مناهج التعليم، كما أنه يهتم بتدريب قيادات وكوادر تتحمل عبء الدعوة وسط الطلاب... كما أنه تنظيم يقوم على الشورى والطاعة في غير معصية لله واحترام العهود والمواثيق.. كما أنه يهتم بشعائر الإسلام وأماكن العبادة وتنظيمها وافتتاح المزيد منها.

الأهداف:

أما الأهداف التي من أجلها قام الاتجاه الإسلامي فقد بلغت أربعة عشر هدفاً تضمنها الدستور حيث هدفت النقاط من (١ - ٦) إلى سيادة الإسلام في المجتمع عقيدة وشريعة وإشاعة روح التدين وسط الطلاب ودفعهم للالتزام بالسلوك الإسلامي، وإشاعة روح التوادد والإخاء والإيثار بينهم ودفعهم للانحياز لقضايا المسلمين واستشعار الانتماء للإسلام وجعله محور حركتهم.

كذلك بث روح الجهاد في أوساط الطلاب وإزكاء روح الحمية الإسلامية فيهم لتحرير ولائهم من سلطان الهوى والشهوات والعصبية علاوة على تشجيع وترسيخ الثقافة الإسلامية متمثلة في القرآن والسنة وعلومهما والتاريخ الإسلامي وكافة مناحيْ العلم والمعرفة الموصولة بمعاني الدين علاوة على إشاعة روح السعي للعلم النافع وتشجيع البحث العلمي الهادف.

وتحدثت النقاط من (٧ - ١٠) عن تحقيق العدالة الاجتماعية بدءاً بمجتمع الطلاب ورفع مستوى الثقافة لدى جموع الطلاب وتأهيل عضوية الاتجاه الإسلامي للقيام بواجب الدعوة والجهاد، وإقامة نموذج راقي في التسامح الديني وصيانة حقوق الديانات الأخرى واحترام عقائدهم ما راعوا عهد الإخاء والسماح، كذلك إصلاح نظم التعليم في البلاد ومناهجه حتى تجيء إثراء لقيم الإسلام تبشيراً به ودعوة إليه.

وتحدثت النقاط (١١ - ١٢) عن ضرورة قيام علاقات خارجية بين الاتجاه الإسلامي والحركات الشبابية والطلابية العالمية لخدمة الإسلام، كذلك دعم كل الكيانات الاجتماعية والنقابية العاملة في السودان وخارجه والتي تلتقي أهدافها بأهداف الحركة المتضمنة في الدستور.

ثم تحدثت النقاط (١٣ - ١٤) عن النهوض بأوضاع الطالبات والنهوض بهن ليؤدين دورهن في بناء المجتمع المؤسس على قيم الدين في إنقاذ جموع النساء من التقاليد المجافية للدين موروثة كانت أم دخيلة... كذلك جاءت الإشارة إلى ضرورة المساهمة في محو الأمية الأبجدية والحضارية في البلاد والإسهام في خدمة المجتمع من أجل صحة البيئة ورقي الخدمات وتوظيف طاقات الطلاب لذلك.

أما الوسائل التي تنفذ عبرها حركة الاتجاه الإسلامي برنامجها فقد حددها الدستور بثلاثة وسائل هي:

١ - الهيئات الطلابية النقابية من اتحادات وروابط وجمعيات وتوجهها لخدمة الأهداف التي ذكرت في الدستور.

٢ - اتخاذ أسلوب المشاركة في كافة المناشط الجماهيرية والشعبية والمؤتمرات والمنتديات المحلية والعالمية.

٣ - استعمال وسائل العرض والنقل والاتصال كالصحف والمجلات والنشرات والبيانات والمهرجانات وكافة وسائل التعبير الإعلامي والجماهيري كذلك لم يغفل الدستور الحديث عن شروط عضوية الانتماء للاتجاه الإسلامي حيث شملها الدستور في نقطتين هما:

١ - كل طالب مسلم سوداني يوافق على الأهداف المقررة في الدستور ويلتزم بالعمل وفق النصوص الواردة فيه.

٢ - يلتزم عضو الاتجاه الإسلامي بلوائح التنظيم والعمل وفق الخطط والبرامج التي تضعها أجهزة الاتجاه الإسلامي ويلتزم مواقف الاتجاه الإسلامي في كافة المسائل التي تحددها أجهزة الاتجاه الإسلامي.

خاتمة الدراسة

تلخيص ونتائج:

تناولت هذه الدراسة موضوع التطور السياسي للاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم في الفترة من ٦٩ - ١٩٨٥م، وقد كان السؤال الرئيسي الذي حدد مشكلة البحث هو: "ما هي معالم التطور الذي طرأ على الاتجاه بجامعة الخرطوم في الفترة من ٦٩ - ١٩٨٥م، وما هي المؤثرات التي ساعدت على ذلك التطور؟". ثم جاءت عدة فرضيات جاءت كما يلي:

١ - إن الفترة من ٧٧ - ١٩٨٥ ذات أهمية خاصة في تطور الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم.

٢ - هنالك علاقة إيجابية بين المصالحة الوطنية وتوسيع مجال النشاط السياسي للاتجاه الإسلامي.

٣ - إن تصدي الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم للاتجاهات السياسية الأخرى مكّنه من ترقي قيادته السياسية وتطوير وسائله التنفيذية.

٤ - ظلّ اتحاد طلاب جامعة الخرطوم من أهم مصادر قوة الاتجاه الإسلامي فعبره تأهلت القيادات ومن خلاله تنفذ البرامج الكبيرة كما ظلّ وسيلة للربط الخارجي والتعارف العالمي.

- شهد مكتب المرأة بالاتجاه الإسلامي انفتاحاً كبيراً وتوسعاً قاعدياً ملحوظاً في صفوف الطالبات مما أدى إلى ظاهرة الحجاب الإسلامي بصورة كبيرة وسط طالبات الجامعة.

ثم قام الباحث باستعمال بعض المناهج التي تعتبر ضرورية بالنسبة لموضوع الدراسة حيث تمّ استخدام المنهج الوصفي والمنهج التحليلي والمنهج التاريخي. المنهج المقارن وأداة تحليل المضمون وكان استعمال تلك المناهج ضرورياً لمثل هذه الدراسة.

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المعلومات الأولية والتي اجتهد الباحث في جمعها من الجهات الرسمية ومكاتب أرشيف وتوثيق التنظيمات علاوة على مكتبات بعض المهتمين بهذه الجانب. علاوة على المقابلات التي رفدت وأضافت إلى هذه الدراسة معلومات هامة قلّ أن توجد بين الوثائق والمنشورات والمجلات وخلافه. كما أسهمت المعلومات التي حصل عليها الباحث من المصادر الثانوية كالكتب والندوات والصحافة في تأصيل الجانب الفكري والسياسي للدراسة. تناول الفصل الأول من هذه الدراسة الخطوط العريضة للمراحل التي مرت بها الحركة الإسلامية وكذلك ظروف النشأة في ذلك التاريخ والدواعي التي أدت إلى قيام حركة إسلامية إصلاحية محافظة ثم تحولها إلى حركة إسلامية ذات نظرة شاملة للمجتمع. . كذلك تناولت الدراسة الظروف التي مرّ بها الاتجاه الإسلامي من ٦٩ إلى ١٩٧٧ والتي كانت أحن محن بالنسبة للاتجاه الإسلامي ثم فترة المصالحة الوطنية وتعامل الاتجاه الإسلامي معها ثم استعراض الخطاب السياسي والفكري في الفترة موضوع الدراسة.

كذلك قدمت الدراسة عرضاً كاملاً عن اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، الخطاب السياسي، البرنامج الثقافي، والسياسة الخارجية ثم رصد وتحليل جميع نتائج الانتخابات في الفترة من ٧٧ - ١٩٨٥م.

كذلك تناولت الدراسة بالعرض والتحليل جميع الاتجاهات السياسية بجامعة الخرطوم ودورها في العمل السياسي داخل الجامعة كما تناولت عوامل التقدم الإيجابي للاتجاه الإسلامي وعوامل الضعف عنده. تتبعت الدراسة تطور عمل الاتجاه الإسلامي وسط الطالبة الجامعية منذ أن كان شيئاً لا يذكر إلى أن أصبح رقماً كبيراً لا يقدر. . . كذلك تناولت الدراسة تعامل الاتجاه الإسلامي مع الفن وعرض بعض النماذج كذلك تم استعراض الهيكل التنظيمي للاتجاه الإسلامي علاوة على دستور الاتجاه الإسلامي.

وبالرجوع إلى الفرضيات التي قامت عليها الدراسة وبمتابعتها لمتن الدراسة يمكن ملاحظة النتائج الهامة والتي كان أهمها صحة الافتراض الرئيسي القائل: الفترة من ٧٧ - ١٩٨٥م ذات أهمية خاصة في تطور الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم.

كما كشفت الدراسة عن صحة الافتراضات الأخرى والتي تمثلت في أن تصدي الاتجاه الإسلامي للاتجاهات السياسية الأخرى قد أسهم في ترقي وتدريب وتأهيل قياداته ومنحهم مزيداً من الحنكة كما تبين من الدراسة صحة الفرضية التي ترى أن اتحاد طلاب جامعة الخرطوم يعتبر من أهم مصادر قوة الاتجاه الإسلامي من حيث تأهيل القيادات وتنفيذ البرامج السياسية والفكرية وخلق العلاقات الداخلية والخارجية.

كذلك أثبتت الدراسة صحة الفرضية التي تقول إن مكتب المرأة بالاتجاه الإسلامي قد شهد انفتاحاً كبيراً وتوسعاً قاعدياً ملحوظاً كذلك انتشار ظاهرة الحجاب الإسلامي وسط الطالبة الجامعية. وكذلك أثبتت الدراسة صحة الفرضية القائلة بوجود علاقة إيجابية بين المصالحة الوطنية وتوسيع مجال النشاط السياسي للاتجاه الإسلامي.

كذلك جاءت الأرقام والجداول ونتائج الانتخابات وأحياناً كتابات الاتجاهات السياسية المناوئة للاتجاه الإسلامي جاءت لتثبت أن الاتجاه الإسلامي قد استفاد من فترة المصالحة الوطنية، وقد استطاع أن يدير المعادلة السياسية بصورة مقتدرة وأن يميز صفه عن صف النظام، وقد كان ذلك واضحاً في المقابلة التي بين يدي هذه الدراسة والتي أجراها الباحث مع محمد جلال أحمد هاشم زعيم مؤتمر الطلاب المستقلين بالجامعة. وقد كان ذلك واضحاً في منشورات الجمهوريين وكذلك في بيانات الجبهة الديموقراطية التي كانت تصف الاتجاه الإسلامي بأنه الكابوس الذي جثم على صدر الطلاب. كل ذلك التطور والكسب ما كان له أن يحدث في فترة السجون والتشريد والفصل من الدراسة في الفترة التي سبقت هدنة المصالحة الوطنية.

لذلك تعتبر فترة ١٩٧٧م إلى ١٩٨٥م من أهم فترات الحركة الإسلامية على وجه العموم والاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم على وجه الخصوص.

ملحق خاص عن قائد ثورة شعبان

الفقيد أحمد عثمان مكي

(إنّ شعبان عندي شعبان كلما مات شعبٌ قام شعبٌ آخر يحمل الراية) أحمد عثمان مكي قائد ثورة شعبان

(لفت نظري في أحمد عثمان مكي عدة أشياء أولها ثقافته الواسعة والتي كانت جماعاً لآراء ابن تيمية وكتابات ابن القيم وتفسير ابن كثير وكذلك اطلاعه الواسع على الإخوانيات ابتداء من الشهيد حسن البنا مروراً بسيد قطب ومحمد الغزالي وسيد سابق وغيرهم) حسن مكي.

(كان ود المكي رحمه الله يتمتع بكاريزما وجاذبية شخصية لم تتحقق لسياسي سوداني قبله ولا بعده، كما ظهر من قدرته الشخصية على تحريك الجماهير بطريقة لا يستطيعها الآخرون. ولكن جاذبيته وتأثيره الجماهيري لم يكونا أبرز مزاياه كما ظهر من الطريقة التي قاد بها انتصار الإسلاميين في جامعة الخرطوم في وقت كانت فيه كل الظروف ضدهم) عبد الوهاب الأفندي

(صدقني أخي أحمد لقد كنت أسائل نفسي مراراً وتكراراً همساً وجهراً حين تأتي الرئاسات والوظائف والمقامات أين ود المكي من كل ذلك.. وحين ألتقيك وتحدثني عن الهم العام عن الطلاب والمنابر والنقابات والجمعيات والجماعات والمجتمع المدني.. كنت حينها أجد الإجابة الشافية بأنك وزير فوق الوزراء وسفير فوق السفراء وقائد فوق القادة وها أنت تمضي أخي أحمد كالبرق الخاطف متعالياً على الوظائف والمناصب تمضي رمزاً خالصاً إلا منك أنت أنت لا غير الحب المحض والإيثار والرفعة والشموخ والتعالي على الصغار والصغائر..) حسين خوجلي.

الحديث عن الفقيد أحمد عثمان مكي هو حديث عن رجل أُمة .. ثورة وهمةٌ لا تهدأ .. شوق وسعي نحو المعالي .. حبٌ للمؤسسية ورفضٌ للطائفية وتولى السوقة والجهلاء لمقاليد الأُمور.

أول ما تعرفت على الشيخ الفقيد بعد المصالحة الوطنية حيث كان مسؤولاً عن الطلاب في السودان .. التقينا في معسكر أربجي لقيادات الحركة الطالبية بالثانويات - معسكر أُمراء المدارس - كنت يومها بالصف الثاني الثانوي بمدرسة القطينة الثانوية وقد كنت أميراً لمدرستي .. كان ود المكي يحاضر ويؤانس ويناقش في تواضع وخفض جناح.. قدم لنا في ذلك المعسكر محاضرة عن " دور الشباب المسلم اليوم " وطلبت منه بعد نهايتها أن

تطبع هذه المحاضرة وتوزع على المدارس.. تقابلنا بعد ذلك بصورة أكثر بعد تخرجنا من الجامعة إبان الجبهة القومية الإسلامية .. كان ود المكي نائباً عن خريجي الإقليم الشرقي .. وكنت يومها أحد العاملين بالمكتب السياسي لحزب المعارضة .. لم تكن الجبهة الإسلامية تستطيع أن توفر سيارات لنوابها ومنهم ود المكي' الزعيم والقائد التاريخي الذي قلَّ أن تجود الحركة الإسلامية بمثله.. لم يطلب ود المكي من قيادة الحركة الإسلامية أن تميزه بسيارة عن بقية النواب وأن كان متميزاً عبر تاريخه بجهاده وعطائه وعلمه وعلاقاته العالمية، لكنه آثر أن يكون كسائر النواب يسير ويتواصل عبر المواصلات العامة مقدماً القدوة الحسنة لمن يحب أن يتقدم للقيادة.. وعندما صدقت حكومة الصادق المهدي للنواب بسيارة لكل نائب وقد استلم ود المكي سيارته.. لم يفكر في ادخارها له ولأُسرته وإنما نذر أن يبدأ حركة لا تنقطع من أجل المبادىء والبرنامج الإسلامي .. أذكر جيداً أننا كنا جلوساً بمكتب الشيخ الترابي الأمين العام للجبهة الإسلامية القومية وكان هنالك ود المكي وأحمد عبد الرحمن وآخرون .. سأل العم أحمد ود المكي عن سيارته ؟

فرد المكي : قد استلمتها وتاني إن شاء الله لو رفعتم طوبة تلقونا تحتها " أي: أننا سننتشر في كل مكان.

عندما تم تعينه رئيساً لتحرير صحيف الراية أرسى ود المكي دولة المؤسسات داخل الصحيفة وخرج بها من دار للأُنس وتجاذب الحديث حول الأحزاب إلى مؤسسة تجاري مؤسسات الغرب الصحفية .. حدد مواعيد الزيارة بعد الساعة الثانية ظهراً وأن تكون بالاستقبال ويحظر على أي زائر الصعود إلى مكاتب الصحيفة فالزيارات واللقاءات تتم داخل الصالون المخصص لها وبمواعيد مسبقة.. وعندما زاره شقيقه وحاول الصعود إليه كان رأى ود المكي أن الزيارت تتم داخل الصالون المخصص لها في المواعيد المحددة ونزل هو إلى شقيقه في صالون الضيوف مقدماً القدوة والمثل الجيد للقيادة.

وعندما أصدرنا "مجلة الكلمة " كان ود المكي مشجعاً ودافعاً وناصحاً لنا.

آخر لقاء لنا مع ود المكي كان في كوالالمبور بماليزيا عام ١٩٩٨ حيث وصل إلى هناك لينضم إلى الدكتور عبد الله سليمان العوض أمين العلاقات الخارجية بالمؤتمر الوطني.. استقبلناه في مطار كوالالمبور أنا وصديقه بروفيسور حسن النقر.. جاء ود المكي الذي تربطه علاقات واسعة بعدد من القادة الماليزيين وعلى رأسهم صديقه أنور إبراهيم نائب رئيس الوزراء ووزير المالية بماليزيا وهو أحد رموز الإسلاميين في ماليزيا وقد لفقت له الحكومة الماليزية أخيراً بعض التهم حتى تبعده من دائرة السلطة.

في ماليزيا وداخل فندق CROWN PRINCESS دار بيني وبين ود المكي حديث

عن الحركة الإسلامية السودانية ودورها شبه الغائب في إدارة دولة الانقاذ وأنه لا بد من عمل شيء حتى تصبح الحركة هي المرجعية الرئيسية.. وافقني ود المكي الرأي .. كان نصيراً للشيخ الترابي ويتعامل معه بقدر كبير من الشفافية .. فود المكي ينظر لنفسه كشريك في القيادة خصوصاً أن فارق السن بينه وبين القيادات ليس كبيراً جداً وسيرته تجعله من رجالات الصف الأول بامتياز .. كان لا يستعمل عبارة "شيخ حسن" كان كثيراً ما يقول : قلت لحسن وقال لي حسن . بالطبع هذا لا يقلل من مكانة الشيخ الترابي في نفس ود المكي.. لكنه الزعيم الذي تأثر بسيادة المؤسسية في الغرب إذ يتلاشى الأفراد وتسود المؤسسية.. في ذلك الفندق قال لي ود المكي : قلت لحسن، قلت له: منْ حسن هذا هل هو حسن النقر؟ وكان بروفيسور حسن النقر حاضراً معنا في استقبال ود المكي وهو من الإسلاميين وشيخهم بماليزيا .. ضحك ود المكي.. وقال للنقر: " ناس عبد الرحيم ديل حيران يحبون ختم " شيخ حسن.

كان ود المكي مليئاً باستعلاء المؤمن وتواضع المحسن .. قال أحد الذين يختلفون معه لأحد أصدقاء ود المكي: صاحبك ده قايل نفسو نبي؟ فرد صديق ود المكي : لا.. أقلّ من ذلك شنو .. يعني مهدي منتظر؟

فرد صديق ود المكي: لا.. أكبر من ذلك. وحقيقةً فقد كان ود المكي مصلحاً وقائداً وكبيراً يترفع عن الصغائر ألا رحم الله ود المكي وجعل البركة في أهله وذريته.

ونحن في هذا الكتاب رأينا أن نرد القليل من الجميل وذلك بتوثيق بعض الذي كُتب عن ود المكي من قبل زملائه وأصدقائه ومعارفه.. فنورد ما كتبه كلٌ من رفيق دربه وصديقه حسن مكي وحسين خوجلي وأحمد كمال الدين .. ومحمد أحمد عثمان .. عبد الوهاب الأفندي وإمام محمد إمام.

ود المكي من نجباء العقل السياسي الإسلامي

بقلم : د. حسن مكي

أول ما سمعت به كان في أبريل ١٩٦٩م حينما جئت الخرطوم حاملاً مقالة مناصراً فيها تيار التربية داخل الحركة الإسلامية وكنت أطمع أن تنشر في جريدة الميثاق الإسلامي التي كان يرأس تحريرها حينها الأستاذ عبد الرحيم حمدي. وحينما سلمت الأخ حمدي المقالة نظر إليّ مبتسماً قائلاً: لقد أوقفنا هذا الحوار على صفحات الجريدة لأن المؤتمر قادم وسيفصل المؤتمر في هذه القضية، ولذا لن ننشر أية مقالة وقد تلقيت - أيضاً مقالة من أحمد عثمان مكي بكسلا وهي كذلك لن تنشر. خرجت من مكتب حمدي بفوائد ثلاث أن قضية

الحوار ما بين السياسة والتربية ستحال إلى المؤتمر وأن هنالك شخصاً يحمل اسماً شبيهاً باسمي هو كذلك لن تنشر مقالته، وما بدا لي أن مقالة أحمد عثمان مكي كانت كمقالتي مناصرة لتيار التربية. ولكن كذلك فإننا كنا في طور التكوين العقلي والفكري ولم يكن هناك نضوج ولا تجارب وكانت هذه المقالات مجرد تمارين للبناء العقلي والفكري وفهم مطلوبات حركة الدعوة الإسلامية ووظائفها.

ثم أطلت الحقبة المايوية ودخلنا مع إطلالتها الجامعة وتوثقت عرى العلاقات ما بين تلك المجموعات التي كانت تتلمس طريقها في البناء الروحي والفكري .. وهذا جعفر ميرغني وعزائمه وذاك حاج نور، ولكننا لم نكن في قامة هؤلاء حيث شملت شلتنا أحمد عثمان مكي، وبهاء الدين حنفي، وقرشي محمد علي، ومجذوب الخليفة، وعبد الإله خوجلي وعبد الله ميرغني .. الخ .

ولفت نظري في أحمد عثمان مكي، عدة أشياء **أولها: ثقافته** الواسعة والتي كانت جماع لآراء ابن تيمية وكتابات ابن القيم وتفسير ابن كثير وكذلك اطلاعه الواسع على الإخوانيات ابتداء من الشهيد حسن البنا مروراً بسيد قطب ومحمد الغزالي وسيد سابق وغيرهم.

ثانياً: لفت نظري اهتماماته التنظيمية والحركية في وقت اشتدت فيه قبضة الشيوعيين واليساريين على الجامعة وكونوا سكرتارية الجبهات التقدمية التي قامت مقام الاتحاد.

أما الأمر الثالث فقد كان اهتمامه بالصلاة وكان دائماً في الصف الأول. ودارت الأيام وتوثقت العرى وبرزت ملحمة حركة ١١ مارس ٧١ تلك الحركة التي أطاحت بسكرتارية الجبهات التقدمية ومكنت من إطلاق سراح الإسلاميين وعودتهم إلى الجامعة مثل جار النبي وحاج بابا وقطبي المهدي وآخرين .

وكان ممن قادوا هذه الحركة بالإضافة إلى علي عثمان محمد طه، والشهيد محمود شريف، وعبد الله محمد سيد احمد وأخيراً أحمد عثمان مكي، وتابع أحمد عثمان مكي تطوراته التنظيمية والحركية حتى أصبح مسؤولاً عن الاتجاه الإسلامي في عام ١٩٧٢م ثم رئيساً لاتحاد دورة شعبان ٧٠ - ٧٣ ثم أصبح زعيماً طلابياً أسطورياً وكان يتنقل في الخفاء ما بين بيت وبيت ما بين منزل بكري عديل إلى منزل المرحوم توفيق عثمان صالح وإلى منزل آل أرو وقد أحسنت هذه المنازل استقباله وضيافته وإيواءه وحمايته إلى أن جاءت المصالحة الوطنية.

وفي فترة السجن وقبل المصالحة بدأ في كتابة دراسات حاول أن ينزل فيها أفكاره مثل: دراسة ساعة مع الصحابة، ودراسة عن الشوكة في أدب الحركة الإسلامية ولكن يا حسرتاه لا أدري إن كانت هذه الدراسات في الحفظ أم ضاعت.

وبعد المصالحة أصبح رئيساً للمكتب التنظيمي للعمل الطلابي حيث عملنا سوياً وكنت مسؤولاً وقتها عن مكتب الجنوب كما برزت في هذا المكتب أسماء مثل: أمين حسن عمر، وسليمان صديق، وأحمد تاجر وحسن عثمان رزق. ثم وبجهد مقدر سافر هو والأستاذ مهدي إبراهيم إلى أمريكا لدراسة الإعلام ولكنه لم يواصل في دراساته فوق الجامعية وصرف طاقاته وقدراته في بناء تنظيم إسلامي للمسلمين في أمريكا وأصبح هذا التنظيم قوة معتبرة على مستوى نشاطاته وعلى مستوى خطابه وعلى مستوى المؤسسات الإسلامية التي بدأ يشرف عليها. ولعل فترة أحمد عثمان مكي هي الفترة الذهبية للعمل الإسلامي في أمريكا حيث نضجت في إطاره القوى المختلفة للتنظيمات الإسلامية في أمريكا من مصريين وماليزيين وفلسطينيين كما أصبح له شبكة في العلاقات ابتداء من نائب الرئيس الماليزي أنور إبراهيم وانتهاء بمجموعة الجهاد وحماس والتنظيم الدولي ولم يكن أحمد عثمان مجرد عضو إنما كان القائد وإنما كان الزعيم والباني. وانصرف أحمد عثمان بكلياته إلى قضية العقل الإسلامي والجسم الإسلامي الكلي في أمريكا ولكنه عاد بعد الانتفاضة إلى السودان وأصبح رئيساً لتحرير جريدة الراية ثم عضواً في البرلمان، ثم ظل يتابع نشاطات الإنقاذ ما بين أمريكا والسودان وكان تلميذاً وفياً بل صديقاً شريكاً للدكتور الترابي في همومه ومسؤولياته وهو الذي رتب له جلسة الاستماع في الكونغرس، ثم لقاء كندا حيث داهمهما المدعو هاشم بدر الدين والقصة معروفة.. كما أنه لم يكن وارداً في حساباته ذلك الانقسام الذي أخذ بالحركة الإسلامية حيث صدمته تلك التجربة صدمة شديدة لأنها كانت خارجة عن حساباته تماماً..

رحم الله أحمد عثمان مكي لقد كان من رواد العقل السياسي الإسلامي ورواد العقل السياسي الحركي والتنظيمي، وكان يهتم بقضايا المحرومين كما كان وفياً للطبقة الأولى من رجال الدعوة الإسلامية أمثال المرحوم سليمان سعيد والمرحوم سليمان مصطفى أبكر والأستاذ عبد الرحمن قسم السيد وكانت شبكة علاقاته واسعة إلى حدّ مذهل، وكان صبوراً وطويل البال وكان العمل الإسلامي محور حياته ونشاطاته وجهاده وقد خلف بنتين هما هند وثوبية رحمه الله.

صحيفة الرأي العام

السبت ٢٨/٩/٢٠٠٢

أحمد عثمان مكي والرحيل من الرحيل
(أفضل زعيم لم يسعد به السودان)

د. عبد الوهاب الأفندي

لم يعلن الحداد في الخرطوم يوم الخميس الماضي، ولم تنكس الأعلام وتقطع الإذاعة برامجها لتذيع آيات القرآن الكريم. وبالطبع لم تخرج الجماهير إلى الشوارع. الإعلام الرسمي سجل الحدث، وأصدقاء الراحل تسابقوا في التنويه بفضله، ولكن كثيراً من قرائهم قد يسارعون بطرح السؤال: من يكون الرجل؟ فليس الجيل الحالي وحده الذي لم يسمع باسمه، فقد كان الإعلام الرسمي حتى في أوج شهرته لا يذكر اسمه فضلاً عن التغني بمناقبه.

وهذا يعني بالضرورة أن قلة ستتساءل عن الخبر داخل الخبر: كيف رحل السوداني الوحيد الذي استحق بجدارة صفة نجم النجوم في مجال السياسة بهدوء بعيداً عن الوطن، وبالكاد لاحظ البلد غيابه الفاجع؟.

الإجابة على هذا السؤال تلخص تاريخ السودان القريب ومحنته.

مثل كل النجوم فإن الغالبية تعرف أمثال أحمد عثمان مكي قبل أن نتعرف عليه، ولم أكن أنا استثناء، فقد سمعت عنه كثيراً قبل أن أشاهده، وشاهدته وهو يؤدي دوره ومهمته قبل أن أتعرف عليه. كان ذلك في عام ١٩٧٥ قبيل نهاية العام الدراسي، وكانت المناسبة حشداً انتخابياً دعا له الاتجاه السياسي الذي كان يهيمن على اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ويواجه في ذلك العام أكبر تحدياته بعد عامين من سيطرته الكاملة على الاتحاد. فقد قررت كل القوى السياسية في جامعة الخرطوم مقاطعة انتخابات الاتحاد احتجاجاً على نظام الانتخاب المباشر الذي يسمح للإسلاميين بحيازة نصيب الأسد من مقاعد الاتحاد. وطالبت هذه القوى بالعودة إلى نظام التمثيل النسبي الذي كان يعطي كل حزب قدراً من التمثيل، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية قررت الأحزاب مقاطعة الانتخابات لخلق أزمة دستورية تشل الاتحاد، وتجبر الإسلاميين على الدخول في مفاوضات لإعادة الحياة إليه، ولكي تفشل هذه الحيلة كان لا بد أن يقترع أكثر من نصف الطلاب في الانتخابات، وهي نسبة تعجيزية حتى في أحسن الظروف. كانت هذه معركة تستدعي إخراج الأسلحة الثقيلة، ولم يكن لدى الاتجاه الإسلامي سلاح أكثر فعالية من ود المكي أسطورة العمل الطلابي وقتها، وكان أحمد عثمان في ذلك الوقت قد تخرّج، ولم يعد طالباً في الجامعة، وكان أيضاً المطلوب رقم واحد لأجهزة أمن السلطة. وكانت مجرد إشاعة أنه سيخاطب اللقاء الانتخابي الختامي للاتجاه الإسلامي كافياً ليحتشد أكثر من أربعة آلاف طالب وطالبة (من سبعة آلاف هم كل طلاب

الجامعة) في ميدان النشاط ليشهدوا هذا الحدث التاريخي. ولم يخيّب أحمد عثمان الظن بدءاً من ظهوره الدراماتيكي وانتهاء بخطابه الهادىء والناري في نفس الوقت، الذي ذكّر فيه الطلاب بأمجاد اتحادهم ودعاهم للتمسك به. وكان يكفي أن تكون هناك وتلمس مباشرة الأثر المغناطيسي لحضور الرجل لتعرف أن الانتخابات قد كسبت في تلك اللحظة، حتى بدون انتظار المظاهرات الحاشدة التي انطلقت بتأثير كلماته.

كان ود المكي رحمه الله يتمتع بكاريزما وجاذبية شخصية لم تتحقق لسياسي سوداني قبله ولا بعده، كما ظهر من قدرته الشخصية على تحريك الجماهير بطريقة لا يستطيعها الآخرون، ولكن جاذبيته وتأثيره الجماهيري لم يكونا أبرز مزاياه كما ظهر من الطريقة التي قاد بها انتصار الإسلاميين في جامعة الخرطوم في وقت كانت فيه كل الظروف ضدهم.

صحيح أن الإسلاميين أصبحوا القوة السياسية الأكبر في جامعة الخرطوم متغلبين في ذلك على منافسيهم الشيوعيين في عام ١٩٦٩، وهي السنة التي أصبح فيها علي عثمان محمد طه رئيساً للاتحاد. ولكن اليساريين كانوا قد جاؤوا إلى السلطة مع انقلاب مايو ١٩٦٩، وكان من أول أعمالهم حل اتحاد الطلاب واستبداله بجهاز سياسي حكومي. وكانت تلك الفترة التي برزت فيها الميزات القيادية الحقيقية لأحمد عثمان مكي، فهو الذي قاد المعركة المضادة، ونجح في خلق أوسع تحالف طلابي تحت شعار جامعة حرة أو لا جامعة وقاد اعتصاماً طلابياً في الجامعة في آذار (مارس) عام ١٩٧١ نجح في وقت واحد في ضرب العزلة على التيارات اليسارية المتحالفة مع السلطة، وفي إجبار السلطة على تقديم تنازلات كبيرة سمحت للتيارات السياسية بالعمل بجدية كاملة داخل الجامعة، وبتحرير اتحاد الطلاب من قبضة السلطة.

ولعل التاريخ الصحيح لانهيار اليسار الراديكالي الذي كان يقوده الحزب الشيوعي السوداني ليس هو تموز (يوليو) ١٩٧١ تاريخ الانقلاب الفاشل وما رافقه وتلاه من مجازر بل هو آذار (مارس) ١٩٧١ الشهر الذي شهد الفرز الطلابي بين غالبية تدافع عن حرية الجامعة وكرامتها، وأقلية وقفت وراء الدبابات التي فرضت الحصار على الجامعة، ومنعت الطعام والماء عن الطلاب، وهددت باقتحام الحرم الجامعي بالقوة، فقد كانت هذه حقاً العملية الاستشهادية الحقيقية للحزب الشيوعي السوداني.

النقطة النوعية في فكر واستراتيجية الإسلاميين التي تطلبها خلق ذلك التحالف العريض لم تكن بالأمر اليسير، فالإسلاميون السودانيون مثل إخوانهم في مناطق أخرى كثيرة، كانوا مشغولين بالقضايا الصغيرة كما ظهر من أزمة عام ١٩٦٨ التي تفجر فيها العنف في الجامعة بسبب اعتراض الإسلاميين على حفل راقص. تحت قيادة أحمد عثمان تحول التوجه إلى

التركيز على الحرية والديمقراطية وتوسيع قاعدة التحالف المؤيد لها، كان أول اتحاد قاده ود المكي هو أيضاً أول اتحاد شاركت فيه القوى السياسية الجنوبية كشريك كامل، وأصبح اتحاد الطلاب يدعم حرية الجميع، بما في ذلك الحفلات الغنائية التي كان الاتحاد يمولها أحياناً.

هذه المهارة في خلق وتوسيع التحالفات السياسية، والقدرة على جذب التيار العريض من القطاع الطلابي. كانت أكثر من الجاذبية الجماهيرية هي المساهمة التي قدمها ود المكي لتطور فكر وممارسة الحركة الإسلامية السودانية. ويمكن بدون مبالغة أن نقول أن الحنكة السياسية التي أدار فيها ود المكي هذه التجربة الانفتاحية كانت هي المفتاح الذي حول الحركة الإسلامية السودانية من تيار هامشي إلى تيار له موقعه في قلب الساحة السياسية (البعض اجتهد الآن والحمد لله في إعادته إلى القمقم).

الطريف في الأمر أن أحمد عثمان مكي كان ينتمي لدى دخوله الجامعة في مطلع السبعينات إلى تيار غلاة السلفية داخل التنظيم، ولكنه نجح بسرعة في التأقلم مع الواقع السياسي، وهي ميزة من ميزاته برزت أيضاً لدى انتقاله إلى الولايات المتحدة في نهاية السبعينات، حيث دخل بسرعة إلى قلب العمل السياسي هناك. وخلال سنوات إقامته في الولايات المتحدة التي امتدت مع فترات متقطعة حتى رحيله المفاجىء الخميس الماضي في شيكاغو ساهم ود المكي مساهمة فعالة في إرساء أسس العمل الإسلامي هناك ورأس لسنوات طويلة اتحاد المنظمات الإسلامية في أمريكا الشمالية.

وإذا كانت أمريكا كسبت ود المكي وجهوده المباركة فإن السودان بالقطع كان الخاسر الأكبر. وليس هذا لأنه بخل بجهوده على وطنه الأم، ولكن مهما كانت قدرات الرجل فإن تشتت جهوده بين بلدين وقارتين، وواقعين سياسيين في غاية الاختلاف كان لا بد أن ينعكس سلباً على النتائج، إضافة إلى تدهور صحة الرجل في سنواته الأخيرة.

وكان أحمد عثمان قد عاد إلى السودان في عام ١٩٨٥ وانتخب نائباً في البرلمان، في العام التالي، كما تولى لفترة رئاسة تحرير صحيفة الراية التي كانت تعدّها الجبهة القومية الإسلامية، ولكن أداءه في تلك المواقع كان للأسف دون التوقعات لأسباب كثيرة، منها غيابه المتكرر عن البلاد، وبوادر الاحتكاك بينه وبين قياديين بارزين في الحركة نقموا عليه لأشياء منها مثاليته المفرطة، وكون الدكتور الترابي كان يفضله على كثيرين غيره ويتمنى لو يكون خليفته في قيادة الحركة.

وبينما شارك أحمد عثمان الكثيرين خيبة أمل الحركة السودانية الإسلامية في الحكم بعد انقلاب حزيران (يونيو) ١٩٨٩ إلا أنه كان متفائلاً أكثر من غيره بإمكانية الإصلاح، وفوق ذلك كان يرى أن الدكتور الترابي ما يزال قادراً على قيادة تيار الأحلام. ولهذا السبب فإنه انحاز إلى

معسكر الترابي وكان مهندس حملته المضادة التي نجح فيها في إعادة فرض هيمنته على حزب المؤتمر الوطني وإجبار الرئيس البشير ومجموعته على نقل المواجهة إلى مرحلة أخرى.

في آذار (مارس) الماضي كنت محظوظاً بما يكفي لألتقي أحمد عثمان مرة أخرى لم يكن أي منا بالطبع يتوقع أنها الأخيرة، بل بالعكس تواعدنا على لقاءات كثيرة قادمة، سعدت بزيارته لي في مقر إقامتي بضواحي شيكاغو حيث كنت أقضي فترة عمل قصيرة في إحدى الجامعات. استذكرنا الأيام الخوالي، واجترنا آلام الوطن والأمة، وتحسرنا على خيبتنا وفشلنا، ولكنه كالعادة لم يدع الأمر يتوقف هنا، بل كانت لديه أفكار مدهشة في تفاؤلها، واقتراحات عملية لعمل مشترك من أجل إنقاذ البلاد، ولمواجهة التحديات الكبرى التي تواجه الأمة الإسلامية.

كان أحمد عثمان رحمه الله كما يقول التعبير الإنكليزي أفضل زعيم لم يحصل عليه السودان، ولكنه كان فوق ذلك وقبله إنساناً بمعنى الكلمة. كثير من المشاهير ورجال العمل يسعدك أن تقرأ لهم أو تطلع على إنجازاتهم، ولكن مجرد الاقتراب منهم يجعلك تتمنى لو أنك ظللت على جهلك بأحوالهم. ولكن أحمد عثمان مكي من أولئك القلائل الذين تزداد احتراماً وتقديراً لهم كلما اقتربت منهم أكثر. فالرجل كان، يرحمه الله، دمث الأخلاق، حلو المعشر، شديد الحياء، عذب الحديث. كان مفكراً من الطراز الأول يقل نظراؤه ليس فقط في السودان بل على نطاق العالم الإسلامي. ومن المؤسف أنه مثل غالبية السودانيين لم يخلف تراثاً مكتوباً، ولم يكن يميل إلى الكتابة والتأليف ولكنه خلف مؤسسات ومدارس فكرية تمتد من كاليفورنيا إلى مقاطعة سنكيانج في الصين، لعلها تكون ذخره الباقي. حين التقيت أحمد عثمان آخر مرة كان قد عاد لتوه من الصين حيث قضى ستة أشهر هناك ضمن مشروع لدعم القدرات الفكرية والاقتصادية لمسلمي الصين، ولعل بلاءه في هذا المجال وفي بناء المؤسسات السياسية والفكرية والإعلامية للجالية الإسلامية في أمريكا تكون على المدى الطويل أكثر نفعاً لمسلمي العالم مما لو اقتصر نشاطه على وطنه المنكوب.

إنها لمن متع الحياة الدنيا ونعم الله على العبد أن يسعد بمعرفة أمثال أحمد عثمان مكي، تشحذ محاورتهم الفكر، وتجلو الروح وتعيد معرفتهم ثقة المرء بالإنسانية، ألا رحم الله أحمد عثمان حياً وميتاً، وعوض بؤس العالم عن فقد أمثاله، وأقال عثرة البلد الذي صدره إلى أمريكا والصين وأغلق الباب في وجه مساهماته كما أغلقها في وجه كثيرين من أهل الغيرة على البلاد لأن بؤس الفكر وفكر البؤس هو الذي يحكم هذه الأيام للأسف.

صحيفة القدس العربي

الثلاثاء: ١/١٠/٢٠٠٢

الألفيات: أحمد عثمان مكي .. في ذمة الله!

بقلم الأستاذ: أحمد كمال الدين.

وهكذا يزداد النقص في الأنفس، وهي أعز ما تملك البلاد في كلّ أمة، وبهذا النقص المتسارع في خيار الشباب وخيار الرجال وشيوخ الحركة الإسلامية والحركة الوطنية يكون الابتلاء الشديد، حيث صار الابتلاء في دوائر حركة الإسلام متراكباً ومتعاظماً، حتى ازدحمت على جسم الحركة بنات الدهر ونوائبه الكبريات، وتكسرت النصال على النصال.. من بعد الفتنة الكبرى، والفتنة أشد من القتل، وفي إزالتها إحياء للأرواح والنفوس.. أما الشهداء والصديقون فليقلدهم الرحمن عنده بقلائد الحياة الباقية، المترعة بالرزق والرحمة والفرحة الأبدية!! في فجر الجمعة الماضي وأنا أتوضأ للصلاة زاحمتني ذكرى رؤيا عجيبة.. لم يمض عليها حينئذ سوى ساعة أو بعض من ساعة، رأيت فيها تجمعات كبيرة للرجال وهم ينتظرون جثمان فقيد عظيم، اجتمع لوداعه خلق كثير، معظمهم من قدامى عناصر الحركة الإسلامية، من هذا الحزب أو ذاك، بغير تفريق، وطفقوا يتحدثون عن موعد وصول الجثمان، حتى جرت مهاتفة بين هذا الكاتب، في الرؤيا وأحد الوزراء الاتحاديين، يسأل عن موعد وصول الجثمان، وعند الإجابة لم تكن المعلومة مكتملة، فتعذرت، لكن طائرة نفاثة ظهرت تندفع بقوة على الرغم من أنها قادمة في اتجاه المطار.. وعندما اقتربت هدأت من سرعتها وتبين أنها تريد الهبوط، وقلت لمحدثي عبر الهاتف المتحرك إن طائرة الجثمان وصلت، لأن الجثمان قادم من أوروبا والطائرة مكتوب عليها بالإنجليزية كلمة (جنيف) وعليها علم تلك البلاد... قلت له: سيكون الدفن حينئذ بعد حوالي أربعين دقيقة، لأن الجثمان سيصل جاهزاً سلفاً.. وانتهت الرؤيا ولم أروها لأحد .. وفي منتصف النهار علمت بالخبر المحزن الأليم من أحد الأخوة الأطباء، وعلمت من بعد موقع تقديم العزاء لأسرة الفقيد..

إن الأستاذ أحمد عثمان مكي كان يمثل نمطاً دعوياً قائماً بذاته، يمتلىء إقداماً وثقة وثباتاً في الحق، لون تاريخ الحركة الطالبية في السودان من مركزها التاريخي جامعة الخرطوم بلون فريد جذاب، يستعصي على أفضل اختصاصي العلاقات العامة، في وقت لم تكن فيه الدعوى تمتلك من أدوات الترويج للرسالة إلا الصحف المخطوطة بالأيدي وحناجر الرجال الأشاوس.. وكان أحمد عثمان مكي من هؤلاء.. رمزاً للمقولة المشهورة عن قيادات الطلاب الإسلاميين حينها (أصلب العناصر، لأصلب المواقف)، ولم يكن غريباً أن يظل كذلك حتى وفاته، لا يفت فيه عضد ولا تلين فيه قناة.

عرفناه منذ عام ١٩٧٦م في مطلع الحياة الجامعية، عندما كانت الأكاديميات في جامعة الخرطوم تعدّ لأمثالهم من توابع تلك المدرسة السياسية الكبرى.. وعرفناه بعدها ولو من خارج البلاد خلال الثمانينيات وهو يصول ويجول في ميدان الصحافة الإسلامية مع رفاقه فيها، وزرناه في داره في مدينة شيكاغو الأمريكية قبل عقد من الزمان، حيث أحسن استقبالنا وإغراقنا بالكرم السموح الفياض.. والأحاديث المليئة بهموم رسالة الإسلام..

هكذا يغادرنا أحمد عثمان مكي، ليتأكد لنا مرة من بعد مرة، أن هذه الحياة لا تعدل شيئاً، وأنها مثل الخرقة القديمة البالية الرخيصة المزجاة.. أحمد عثمان مكي الشهير بالكثير، مثل عبارته التي رد بها على محاولات أجهزة حكومة النميري آنذاك منع التعبير الصحافي الحر في حرم الجامعة وفي (مقهى النشاط) الشهير بوصف خاص، قال حينها من ذات المكان: (من أراد أن يعلق قميصه في هذا النشاط فليعلقه).. وعاش الطلاب قيم المبادئ القومية الوطنية مثل: الحرية، والشهامة، والنخوة، والمساواة في كل ذلك .. ليفارقنا أحمد عثمان مكي في يوم، ليس الحديث فيه عن تعليق القميص أو الجهر بالرأي في مكان عام، بل يضيقون على أهل السودان ويستكثرون عليهم رفع العقيرة بالتهليل والتكبير!! ويعين أئمة الكفر على ذلك بعض من أبناء العروبة والإسلام من.. أهل إفريقية !! ألا رحم الله أحمد عثمان مكي، وأسكنه الجنة وسقاه من الريان والكوثر بأضعاف ما قدم لهذه الأمة ولدين الإسلام.. إنا لله وإنا إليه راجعون ..

ألوان
الأحد ٢٩/٩/٢٠٠٢م

أبرز قيادي طلابي إسلامي في رحاب الله

إمام محمد إمام

في طريقي إلى بون بألمانيا صباح الجمعة الماضي للمشاركة في مؤتمر عن "تعليم المسلمين في أوروبا" بحكم عضويتي في جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين في بريطانيا، التي نظمت هذا المؤتمر بالتعاون مع منظمات وجمعيات إسلامية أوروبية أخرى، نعى إليّ الناعي وفاة الأخ الصديق أحمد عثمان مكي، الذي يعد من أبرز قيادات العمل الطلابي الإسلامي في السودان، والناشط الإسلامي في مجال العمل الإسلامي في أميركا.

ولقد توفي ود المكي يوم الخميس ٢٦ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٢، نتيجة نوبة قلبية بعد عملية جراحية بسيطة. كان الفقيد ناشطاً مخلصاً كرّس جل وقته واهتمامه من أجل العمل المتواصل في خدمة القطاعات الطلابية والشبابية في السودان، وكذلك في خدمة مجتمعه المسلم في الولايات المتحدة الأميركية. وكان الفقيد ذا ثقافة واسعة واطلاع كبير، وهو على فراش المرض كان يطلب الصحف والمجلات وآخر ما طلبه كان مجلتي "نيوزويك"

و"التايمز" الأميركيتين، ولكن الأجل كان أسرع في الوصول إليه من هاتين المجلتين.

لا يمكن لأحد أن يتحدث عن ود المكي ومآثره الطيبة وجهده المخلص واجتهاده النيّر في العمل الإسلامي بالسودان، إلا أن يذكر مواقفه الشجاعة إبّان رئاسته لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم وقيادته لحركة شعبان، حيث برع في تنظيم الاعتصامات وتسيير المظاهرات ضد نظام مايو في عام ١٩٧٣، فعجزت قوات الأمن عن اعتقاله، على الرغم من أنه لم يكن خارج الخرطوم، بل كان مرابطاً في بعض الأحيان داخل جامعة الخرطوم نفسها قائداً وموجهاً ومصداماً.

كان دائماً يستشعر خطورة أمانة الرئاسة، فلذلك عندما انتهت دورة رئاسته للاتحاد، جاء بالأمر العجاب، إذ أعلن عن مكان وجوده ودعا قوات الأمن إذا أرادت اعتقاله أن تطلبه في العنوان المعلن. وبالفعل ألقي القبض عليه وقضى عامين في السجن، ثم أطلق سراحه بعد المصالحة الوطنية بين نظام الرئيس السوداني الأسبق جعفر محمد نميري وقيادات المعارضة السودانية بما فيها الحركة الإسلامية في السودان بقيادة الدكتور حسن عبد الله الترابي.
وكعادته في العزوف عن المناصب لم يسع إلى المنصب بل رفض العديد من المناصب التي رشح لها، بدءاً بفترة المصالحة الوطنية ومروراً بالعهد الديمقراطي وانتهاء بحكم الإنقاذ الوطني، ليس ترفعاً عن المنصب أو تهيباً من المسؤولية، بل لأنه كان يؤمن إيماناً صادقاً بأن العمل الفوقي لا يثمر حركة فاعلة في قيادة المجتمع إلى الأهداف المنشودة. عرفت المكي عندما كنت طالباً في مدرسة كسلا الثانوية في السبعينات، وبحكم أن كلينا نشأ في كسلا حاضرة الإقليم الشرقي في السودان، وكان معلماً في المدرسة الشرقية الابتدائية بينما كنت تلميذاً في المدرسة الغربية الابتدائية بكسلا، فكان عصامياً حرص على مواصلة تعليمه فدخل جامعة الخرطوم عام ١٩٦٩، ثم توثقت هذه العلاقة بعد أن أقمنا في المهاجر تواصلاً وتواداً. أما الأمر الذي استرعى انتباهي في شخصية المكي هو مقته للرئاسات وعزوفه عن المناصب، ودليلي على ذلك أمران:

الأول: في عهد الديمقراطية الثالثة انتخب عضواً في الجمعية التأسيسية (البرلمان) عن الجبهة القومية الإسلامية، وشاركت هذه الجبهة في حكومات السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء آنذاك فلم يقبل المكي أي منصب في تلك الحكومات، كل الذي قبل به هو رئاسة تحرير صحيفة "الراية" لسان حال الجبهة القومية الإسلامية، فجعل منها الصحيفة السياسية اليومية الأكثر توزيعاً في السودان آنذاك.

أما الأمر الثاني: في عهد الإنقاذ الوطني قبل الانشقاق فكان عندما عرضت عليه الوزارة فرفضها ثم عرضت عليه السفارة فرفضها، وأخيراً عرض عليه منصب كبير في المؤتمر الوطني قبل أن يتشعب إلى مؤتمرين، وطني وشعبي، فلم يكن مصير هذا المنصب بأحسن

من الآخرين. ولكن بمعرفته اللصيقة يتبدد الاستغراب وينتفي الاستعجاب.

زار المكي السودان بعد انقسام الحركة الإسلامية في فبراير (شباط ٢٠٠١)، فالتقيته عند زيارتي إلى السودان في تلك الفترة، حيث زرته والأخ محجوب عروة الناشر السوداني المعروف لتقديم واجب العزاء في وفاة والد زوجته، فعلمنا منه أنه كان قبل مجيئنا في لقاءين مع طلاب المؤتمر الوطني (الحزب الحاكم) وطلاب المؤتمر الشعبي (حزب الترابي) كل على حدة، فلم نستغرب ذلك لمعرفتنا بالفقيد ومعرفتنا أيضاً بحرصه الأكيد على الحركة الطلابية الإسلامية منذ كان مسؤولاً عن مكتب الطلاب في الحركة الإسلامية السودانية.

لقد هاجر المكي إلى أميركا للدراسة واستقر به الحال في مدينة شيكاغو، فشيكاغو لمن لا يعرفها موطن طيب من مواطن العمل الإسلامي، خاصة بين الأميركيين السود وغيرهم من الأقليات العرقية الأخرى بالإضافة إلى أهلها الأميركيين البيض، فهو رجل يؤمن بفقه الأولويات متأثراً في ذلك بآراء ابن تيمية، فرأى أن الأولوية في هذه المرحلة للعمل الإسلامي وليس للدراسة والتحصيل الأكاديمي، وقليل من الإسلاميين يعرفون أن الفقيد كان وراء إقناع الدكتور الترابي بابتعاث شباب الحركة الإسلامية السودانية إلى أوروبا وأميركا.

المهم أنه انخرط في العمل الإسلامي بأميركا منذ عام ١٩٧٩إلى أن توفاه الله تعالى عدا سنوات العهد الديمقراطي في السودان (١٩٨٦ ـ ١٩٨٩)، وهو من دعاة التجديد والتحديث والأخذ بأساليب العصر في العمل الإسلامي سواء في السودان أو أميركا. ولقد التقيت الفقيد في شيكاغو عند زيارتي الأخيرة إلى الولايات المتحدة في يوليو (تموز) الماضي فوجدته مليئاً بالحركة والنشاط والتفاؤل رغم آثار تداعيات ١١ سبتمبر على الإسلام والمسلمين.

فالحق يقال أن الفقيد عمل جاهداً ومخلصاً وأميناً من أجل خدمة الإسلام والمسلمين في مجتمعه الأميركي بذل جهداً مقدراً في العمل مع الاتحاد الإسلامي لأميركا الشمالية (أسنا) حتى ظن البعض أنه في فترة من الفترات تولى رئاسة هذا الاتحاد، ولكنه كما ذكرنا آنفا كان يخلص في كل عمل يوكل إليه ويبادر لإنجاح مهمته في ذلك الموقع فتحسبه رئيس ذلك الموقع.

وكان المكي يمثل الاعتدال والوسطية في الحركة الإسلامية السودانية، وكان ناشطاً في الكثير من المنظمات الإسلامية، والذين يعرفونه من قيادات العمل الإسلامي في أميركا يعتبرونه شخصاً قيادياً متفانياً في عمله ومخلصاً لدعوته.

وختاماً: أسأل الله تعالى أن يتقبل أخانا المكي قبولا طيباً حسناً ويلهم ذويه وأصدقاءه ومعارفه الصبر الجميل.

"وما كان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله كتاباً مؤجلاً"

صحيفة الشرق الأوسط الثلاثاء: ١/١٠/٢٠٠٢

انتبهوا أيها الغافلون لقد رحل ود المكي !!

بقلم الأستاذ: حسين خوجلي

أخي أحمد عثمان مكي: لم أكن أدرك أن النقص في الأنفس بكل هذه القسوة إلا حين هاتفني الناعي فجراً بأنك غادرت في هدوء هذه الفانية.. وأنت بعيد غريب وحيد حزين وكسير الفؤاد ولكن في قوة، ومبتسم المحيا وأنت تبكي، لكن في عرفان تبكي تمزقنا وتفرقنا وهواننا على الناس.

تغادرنا أخي أحمد ونحن لم ننعم بعد بدفء الأخوة المطلقة والبحث عن الأتقياء الأخفياء في أطراف العاصمة أصحاب الأدوار الكبار الذين تخطاهم كمبيوتر الاختيار والتوظيف والشورى ولم يخطئهم قلبك الكبير.

إننا أخي أحمد لم نسجل بعد بطولات شعبان وخطبك البيارق التي كنت تدسها في قلوب كل السودانيين في ليالي الجهاد الطويل ضد ليالي الكبت والاستبداد المايوي.

لقد كنت مارداً في دروب تكاثر فيها الأقزام، وكبيراً في زمان تكاثر فيه الصغار، وعالماً في دهر تطاول فيه الجهلة، وشجاعاً في معترك سعي فيه الجبناء، لقد كان للبيان سحر حين تعتلي المنابر وكان للقيادة وهج حين تدير الطلاب وجماهير الشباب ومن أبناء وآباء المستقبل وتحيل الأقوال إلى أفعال والأفعال إلى مآثر.

دخلت العمل العام فتركت في كل موقع سيرة ورجال وذكرى. شرفت إعلام وصحافة الإسلاميين، وشرفت برلمان الديمقراطية الثالثة وشرفت كل العواصم التي مثلتنا فيها محاوراً بارعاً ومتحدثاً لبقاً وخطيباً مصقعاً وعالماً تهفّ له القلوب وتخضع له العقول جادلت وناضلت وجاهدت باسمنا فجلبت للسودان آلاف الأصدقاء من الصفوة من كل ملة ومن كل لسان، اقتحمت المجتمع الأمريكي فصارت آلاف الحكايات في قلوب المستضعفين والحيارى والباحثين عن الحق والحقيقة صار ود المكي رديفاً للسودان.

صدقني أخي أحمد لقد كنت أسائل نفسي مراراً وتكراراً همساً وجهراً حين تأتي الرئاسات والوظائف والمقامات أين ود المكي من كل ذلك.. وحين ألتقيك وتحدثني عن الهمّ العام، عن الطلاب والمنابر والنقابات والجمعيات والجماعات والمجتمع المدني.. كنت حينها أجد الإجابة الشافية بأنك وزير فوق الوزراء وسفير فوق السفراء، وقائد فوق القادة، وها أنت تمضي أخي أحمد كالبرق الخاطف متعالياً على الوظائف والمناصب. تمضي رمزاً خالصاً إلا منك أنت. أنت لا غير الحب المحض والإيثار والرفعة والشموخ والتعالي على الصغار والصغائر..

مضى أحمد عثمان مكي صديق الجميع وحبيب الجميع ومرتجى الجميع بلا وداع، وترك ثغرة لا تسد ثغرة الأمل بأنه سيعود ليحاول مع الكبار جمع الصف من جديد إن لم يكن من أجل الإسلام فليكن من أجل السودان وإن لم يكن من أجل السودان فليكن من أجل شباب هذه الأمة من الذين تمزقت قلوبهم وهم ينظرون إلى دعاة التوحيد وهم يتنافرون وإلى دعاة الوحدة وهم يتمزقون..

كنا ننتظر عودة أحمد عثمان ليبصر أصحاب الكبرياء الزائف وأصحاب الاعتداد الكذوب من زوار المصائر والمقابر.

كيف يراهم عدوهم فيضحك، وكيف يراهم نصيرهم فيبكي؟

عندما يبكي الرجال بُكاؤكما يُشفي وإن كان لا يُجدي

بقلم: محمد أحمد عثمان

في رثائها لأبيها أبي بكر الصديق وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة امتثلت الصديقه بنت الصديق بالبيت المتواتر والمأثور:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتي إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فأجابها رضي الله عنه: ما هكذا يا بنت أبي بكر ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] ولأنه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وكل شيء إلى زوال فلن يبقى غير وجه ربك ذي الجلال والإكرام، وربما لا يكون الموت خاتمة للإنسان وقد تبقى له حظ من خلود وأجر شهيد وفي ذلك يقول الحق عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ولا بد للناس من ذكر محاسن موتاهم بلا ظلم فالموتى يلتقون في الآخرة مثلما يلتقي الأحياء في العالم الحاضر وفي ذلك يقول أبو العلاء المعري في اللزوميات:

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى   إني أخاف عليكمُ أن تلتقوا

وربما يكون في الموت راحة كبرى من تحمل واحتمال الأثقال والنهوض بالأعباء لمن كره الجهد وأبرمته المشقة وحمل الأثقال فآثر الموت حتى يحط عن كاهله كل الأثقال والأعباء والسلاح وفي ذلك يقول صاحب معرة النعمان:

يدل على فضل الممات وكونه   إراحة جسم أن مسلكه صعب

وبالفعل تصعب المسالك عندما يظل الأمر كما يقول المتنبيء:

إذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الأجسام

وفي نفس المعنى الذي اقتبسه أبو العلاء المعري:

ألم تر أن المجد تلقاك دونه   شدائدُ من أمثالها وجب الرعبُ

وفي شهداء الأطياف الأربعة يقول الشهيد سيد قطب: (الناس يموتون أما هو فيستشهد)، والناس يستبشرون بالمواليد الجدد القادمين من أرحام الأمهات ويبتئسون عندما يشيعون الموتى كما يقول أبو العلاء المعري:

قدمنا والقوابل ضاحكاتِ   وسرنا والمدامعُ ينبجسنه

ولا يُستثنى من ذلك سوى أعراس الشهداء لأنهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وكذلك يشتمل الاستثناء نجوم الهُدى والتُقى لأن غيابهم يترك الناس في ظلمات يعمهون حتي وإن لم يكونوا في عداد الموتى واضحوا في عداد السجناء أساري الرأي والفكر. ويصور ذلك أبو العلاء المعري.

وقد غابت نجوم الهدى عنا   فماج الناس في ظُلَمٍ دَمسنه.

وفي كتابه (صدمه المستقبل) حذر (الفين لوفكر) من إختفاء الطبعات القديمة من الكتب التي تحمل تراث الماضي. ولم يكن شهيد (الغربه) بشيكاغو صديقنا الحميم أحمد عثمان مكي يشكل إحدى الطبعات الوثيقة من تراث الحركة الإسلامية وتاريخها فحسب ولكنه كان يمثل حصانه السجل التاريخي والقدرة على التعامل مع المستقبل والوعي المبكر والقدرة على الخيال الذي اتسمت به قيادات الحركة الإسلامية، وفي ذلك يقول الفيلسوف الألماني (كانت): (قلما يعي الناس قدر الخيال وخطره). وهزت ثورة شعبان المجيدة ١٩٧٣ أركان النظام المايوي الشمولي الاستبدادي، وكشفت لأول مرة عن ضعف النظام المايوي وترهله. وكانت مثل القشة التي قصمت هيبة الدولة.

وكان ود المكي عام ١٩٧٣ وفي خضم الثورة بشعبان يقتفي آثار شيخه وأستاذه ومعلمه الأول الدكتور حسن الترابي الذي قاد ثورة أكتوبر ١٩٦٤ وكان يماثل رجال الثورة الكبرى التي اجتاحت أوروبا في ١٩٦٨ . كان مثل "فاسلاف هافل" بتشيكوسلوفاكيا و"آدم ميتشنك" في بولندا واللذين عادا من جديد لقيادة التغيير عام ١٩٨٩ عند سقوط حائط برلين ليصبحا رئيسين لبلادهم. وفي ذلك يقول بول بيرمان في كتابه: (قصة يوتوبيتين): (إن قادة ثورات ١٩٨٩ - مثل فاسلاف هافل بتشيكوسلوفاكيا وآدم ميتشنك في بولندا كانوا هم أنفسهم هؤلاء الأشخاص البطوليين الذين قاموا عندما كانوا راديكاليين شباناً بأدوار في قيادة حركات ١٩٦٨ الثورية التي اجتاحت أوروبا آنذاك). وفي خضم أحداث ثورة شعبان التي قاد رحاها

الراديكالي الشاب ود المكي لتخليص العباد من طاغوت مايو إلى أعتاب الحرية ورحاب الديمقراطية ومن ضيق الدنيا إلى سعتها وسعة الآخرة، ومن جور النظام إلى عدل الإسلام. ولكن القوى الطائفية الخائنة والجبانة طلبت منه بدلاً من الانخراط في المظاهرات والمجابهة أن يجعل الثورة متقدة ومشتعلة Keep it hot وكأنها كوب من القهوة تضعه بالقرب من (الموقد) حتى يبقى ساخناً لتستمتع قوى التخلف باحتسائه عندما تتلقف من على البعد أخبار سقوط النظام وقد عجزت أن تصبح مثل الماجن امرئ القيس عندما قال بعد أن بلغه مقتل أبيه: (اليوم خمر وغداً أمر).

وكان الطلاب إبان ثورة ١٩٦٨ في بيركلي وباريس يرفضون الحريات الديمقراطية ويمجدون المشروع الشيوعي وكانوا على الطرف الآخر في وارسو وبراغ يمجدون الحريات الديمقراطية ويرفضون الشيوعية. وهكذا بلغت التناقضات شأواً لا يوصف وأضحت مثل من قال:

كـل مـن لاقـيـت يـشـكـو دهـره   لـيـت شـعـري هـذه الـدنـيـا لـمـن؟

ورغم هذا التناقض المفضوح كان هنالك العديد من الخيوط المشتركة بين طلاب أوروبا في ثورات عام ١٩٦٨ رغم التباين الأيدلوجي وتقاطعات كنتور الجغرافيا السياسية وفي ذلك يقول آدم ميتشنك في كتابه: (ما أجمل اللون الرمادي): (رغم ذلك التناقض كانت هنالك ثمة خيوط مشتركة: الروح المعادية للاستبداد والإحساس بالتحرر). ولعل الطائفية الرجعية التي وقفت تتفرج على حركة أولاد المكي في شعبان وقد افتضح وجه النظام ولم تجد ما تقوله لطلائع الثوار سوى (دعوها ساخنة) Keep it hot كانت تعبر بالفعل بعقول (ربات الحجال) عن الغيرة السياسية وتتنكر (للخيوط المشتركة). ولأنها لم تكن تملك روحاً معادية للاستبداد المايوي ولم تكن تملك المشاعر والإحساس بالتحرر من العبودية بسبب جرثومة القابلية للاستعباد. ولأن الطائفية نفسها تتشكل وفق قواعد نظام العائلات القائمة على الاستعباد والاستبداد، ولا تزال الطائفية الرجعية تتمترس خلف جبال النفاق والأماني الكاذبة في انتظار الفرج الذي ربما أتاها من أبناء الحركة الإسلامية وفي سخاء البلهاء فيسقطون لها النظام ويقدمونه لها في طبق من ذهب وليتها وبدلاً عن تلك الأماني النازفة أصابها كِسفٌ من السماء. لقد كشفت حركة أولاد المكي في شعبان من خلال التجارب المرة عندما آثر الطائفيون من تجار الخلاعة السياسية أن يضعوا الحركة الإسلامية عارية تماماً (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) وجهاً لوجه أمام النظام المايوي الطاغي المستبد حتى تتم وعلى الأقل تصفية وإبادة قادتها وعلى رأسهم الشيخ المجاهد المجدد الدكتور حسن الترابي ومن كانوا معه وراء القضبان ولعدة سنوات. بينما كان الحسيبان النسيبان ينعمان مثل: الحُمرُ الوحشية

المستنفرة بالغابات الاستوائية بالهواء الطلق. وعبر الآلية القذرة للطائفية الحقودة والقائمة على قواعد الدجل البغيض على شاكله (وأشغل أعدائي بأنفسهم) لم ينسوا أبداً روح التآمر وأكذوبة (دعوها ساخنة) Keep it hot المشتقة من (الفتة) والمقتبسة من فتنة (المديدة حرقتني) الفتنة النائمة والتي لعن الله من أيقظها. ولعله ومنذ ذلك التاريخ المشهود بثورة شعبان كشعبة إرتكاز ونقطة تحول آثرت الحركة الإسلامية الاعتماد الكلي بعد الله جل وعلا على نفسها وطاقاتها وإمكاناتها وعلى ألا تعول على أحد من أحزاب النفاق الطائفي والدجل الخادع والشعوبيين والمرتدين. وكانت نتائج حركة ما تعارف عليه الناس (بالمرتزقة) عام ١٩٧٦ والتي طفحت فيها الخيانة الطائفية تأكيداً لعدم التعويل مطلقاً على البثور الطائفية المتقيحة التي لا تؤدي إلا إلى الاشمئزاز والتقزز. ويعد ذلك بكل تأكيد من النتائج الإيجابية لأيدلوجيا الصراع لإتحاد أولاد المكي مع النظام المايوي الشمولي البغيض. وفي الجاهلية الأولى عندما سقط (كليب) بن مرة وقد أصابه (جساس) غيلةً من وراء ظهره كتب بدمائه القانية على الصخرة التي مات إزاءها (لا تصالح) وفهم أخوه (المهلهل) الرسالة فطلق الدنيا وما فيها:

كـلـيـب لا خـيـر فـي الـدنـيـا ومـا فـيـهـا   إذا أنـت خـلـيـتـهـا فـيـمـن يـخـلـيـهـا

وهكذا أشتعلت حرب البسوس وأكلت الأخضر واليابس بسبب الطيش الآثم الذي طال المرجعية وداس دستور القبيلة بقدميه وأنتج الفراغ السياسي القاتل لأكثر من أربعين عاماً بسبب الكوابح السالبة (لا تصالح). وعندما كتب جورج أورويل روايته (١٩٨٤) عام ١٩٤٨ جعلها وثيقة الصلة بالحاضر بدرجة تثير الدهشة. وقام فيها بتسليط الأضواء على العملية التي تنشئ نظاماً شمولياً بحزب واحد يتولى السلطة إلى الأبد. وعندما سقط أخيراً أحمد محجوب حاج نور في أحراش الجنوب مضرجاً بدمائه موشحاً بأشلائه وكان ممن قال فيه الفارسون حليف زهدٍ كما يشير أبو العلاء قال ضمن وصاياه بشريط كاسيت لحظة احتضاره (أطلقوا سراح الشيخ لتطلقوا سراح الحركة الإسلامية ففي اعتقال الشيخ إعتقال للحركة الإسلامية) وعلى الحكومة تنفيذ الوصية للمساهمة التجريدية في إنتفاء حديث أبي العلاء:

على السخط بتنا مجمعين وحالنا من الرعب حال المجمعين على الحمد

١/١٠/٢٠٠٢م

الوثائق

وثيقة رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

يا جماهير المسلمين:

تشهد البلاد الأفغانية اليوم معارك ضارية في كل ربوعها في أعنف اعتراك بين الكفر والإيمان في هذا العصر. والقتال لا يكاد يهدأ بين شعب حمل السلاح دفاعاً عن دينه وشرزمة كافرة تعمل لإزالة الدين وإبادة المؤمنين مدعومة من الاستعمار السوفيتي وتتورط الأمبريالية الشيوعية بجيوشها بالإمداد العسكري لتسهم في حرق القرى التي تتهم بإيواء المجاهدين دون تورع حتى عن استخدام الأسلحة المحرمة من نابلم وغيره، دون تفريق بين طفل وشيخ ورجال ونساء. والعالم لا يحرك ساكناً ولا يمد يد العون للمستضعفين والمجاهدين الذين استجابوا لنداء الجهاد وقد كانوا أربعين رجلاً قبل عام لم يكد ينقضي حتى انتفضت الأمة بأجمعها تقاتل في سبيل الله.

أيها المسلمون:

إن الشعب الأفغاني بتصديه للاستعمار الشيوعي يدافع عن عقيدة كل المسلمين وعن كل المسلمين برده للزحف الشيوعي، وسيجعل من بلاده مقبرة للشيوعيين وللجيوش الشيوعية وسيكتب هذا الشعب المجاهد ملحمة للجهاد المسلح الذي تقوده الجماهير ضد كل أنواع الاستعمار والاستبداد ومحاولات عزل الأمم المسلمة عن جذورها الإسلامية بعثاً للجهاد وحب الاستشهاد. وقد تمكن المجاهدون الذين يقتاتون بالنبات وأوراق الشجر من أن يزلزلوا النظام الشيوعي زلزالاً شديداً، وأن يحرروا جزءاً كبيراً من البلاد من سيطرة الحكومة الكافرة. وسينتصرون لأنهم نصروا الله العظيم ولينصرن الله من ينصره، وما معركة الشعب الإيراني ببعيدة عن الأذهان. سيكونون عوناً لتسريع البعث الإسلامي الذي تنتظره جماهير المسلمين.

أيها المسلمون:

إن المسلمين في توادّهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، إن استنصروا تناصروا وإنه لما يؤسف له أن إخواننا يقتلون لأنهم

قالوا: ربنا الله ولا يجدون من يمدّ لهم يد العون وهم يقاتلون في الجبال بين الثلوج والأعاصير ويقتلهم الجوع قبل قنابل الشيوعيين وغازاتهم السامة.

ويشهد عالمنا كل أشكال التناصر ضد المسلمين دون أن يحس المسلمون بالخطر الذي يتهددهم من أعدائهم الذين يعملون للسيطرة على مواردهم وعلى بلادهم.

يا جماهير المسلمين:

يتوجب علينا أن نقدم كل عون ممكن لإخواننا الأفغان المجاهدين مادياً كان أو معنوياً. فمئات الآلاف من اللاجئين لا تجد المأوى ولا المأكل وكذلك المقاتلون الذين باعوا أنفسهم لله بأن لهم الجنة. فلنكن في مستوى البعث الإسلامي، ولنقدم الدعم المادي مهما كان قليلاً، ولنخرج في مواكب وتظاهرات لتقديم الدعم السياسي لهذه الثورة الشعبية الفريدة التي قامت لإعلاء كلمة الله فجنودها يقدمون الأرواح رخيصة في سبيل الله.

والله أكبر

والعزة للإسلام والمسلمين

الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم

١٠/ صفر/ ١٤٠٠هـ الموافق: ٢٩/ ١٢/ ١٩٧٩م.

وثيقة رقم: (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يا جماهير المسلمين:

الجيوش الروسية تتدفق على أفغانستان - طائرات ودبابات تقصف وتدمر في حرب شرسة لا تفرق بين الشيوخ والأطفال والنساء والثوار - خمسة وأربعون ألفاً من الجنود السوفيت يحملون الموت والدمار. أربعون ألفاً آخرون ينتظرون على الحدود - النيران لا تكاد تخمد أزيز المدافع لا يكاد ينقطع. والمجاهدون في كابول يتسابقون إلى الموت ليكتبوا لأمتهم الحياة - الشهداء يتساقطون والدماء الطاهرة تسيل. ربع مليون من الشهداء ذهبوا يحتسبون أجرهم عند ربهم وأكثر من ثلاثمائة وثمانين ألفاً من الشيوخ والنساء والأطفال لجأوا إلى باكستان فراراً بدينهم وعقيدتهم، السجون ضاقت بالعلماء والمجاهدين وهم على الموت في سبيل الله أحرص، وكيف لا وتاريخ الأفغان جهاد واستشهاد ويكفي أنه عندما صار العالم الإسلامي كله بعد الحرب العالمية الثانية تحت سيطرة ونفوذ الاستعمار الغربي شذت عن ذلك دولتان كانت أفغانستان إحداهما. بل إن المرة الوحيدة التي أفني فيها جيش لبريطانيا من دولة صغرى. والإمبراطورية في أوج جبروتها في القرن التاسع عشر كان على أيدي فرسان أفغانستان البواسل في واقعة مضيق كابول ١٨٤٢م.

لقد بدأت محنة المسلمين في أفغانستان بعد الانقلاب الشيوعي في ٢٧ أبريل ١٩٧٨م بقيادة محمد نور تراقي الذي بدأ يذبح المسلمين ويستحيي نساءهم ويسومهم سوء العذاب حتى نادى فيهم منادي الجهاد فاستجابوا لنداء ربهم وبدأت المقاومة بأربعين رجلاً كل عتادهم خمسة بنادق صيد فعلت فعلها بقوة الجبار المنتقم القاهر فوق عباده وانتظمت كل البلاد ثورة إسلامية هادرة ازدحم فيها الشباب والشيوخ وهزت أركان النظام الشيوعي ودب الذعر في قواتهم المسلحة وتصدع الجيش وتمرد الجند حيث انقلبت كتائب بأكملها على السلطة الغاشمة والتحقت بالمجاهدين فبدأت السلطة تأكل بنيها وجاء الإنقلاب الشيوعي الثاني بحفيظ الله أمين الذي أطاح بزميله في النضال ودفع به إلى الجحيم غير مأسوف عليه والثوار يحررون الأرض مقاطعة مقاطعة ويرفعون رايات الإسلام على أنقاض وأشلاء جثث العملاء والملاحدة، ولم يكن النظام الجديد أوفر حظاً من سابقه، وما استطاع أن يوقف الزحف المقدس ويسكت الأصوات التي تهتف ركضاً إلى الله بغير زاد فجاء الانقلاب الشيوعي الثالث في الأسبوع الماضي بقيادة بابراك كارمال فشرب حفيظ الله أمين من نفس الكأس جزاءً وفاقاً، وذهب كسابقه بعد ما أدى دوره، والأخير ينتظر، فما زال المجاهدون

يدافعون عن دينهم وعن عقيدتهم ويقفون سداً منيعاً أمام الاستعمار الشيوعي الذي بدل وغير في حكامه ولكن الثوار لم ينخدعوا، فجاء بجنده وعتاده لإنقاذ عملائه في الداخل بالغزو السافر في حملة مسعورة لإبادة المسلمين وتنكيس راية الإسلام فالإمبريالية الروسية تحاول الآن أن تفعل ما فعلته في طشقند وسمرقند وبخارى وازبكستان تلك البلاد التي أنجبت الإمام البخاري والطبري وغيرها من العظماء فأصبحت اليوم سجناً حصيناً لخمسين مليون مسلم لا يكاد يسمع بهم أحد ولا يكادون يسمعون بأحد، وقد ضرب بينهم وبين حضارتهم بباب يمنعهم حتى من حج البيت العتيق.

إنه لمما يؤسف حقاً أن يقوم بيننا أدعياء يتدثرون بستار الحرية والديموقراطية، يحملون نفس الفكرة ونفس المعتقد ويقومون بدور العميل للدب الروسي ويتربصون بعقيدة هذا الشعب الدوائر عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً.

أيها المسلمون:

إن الثوار المسلمين اليوم يحاربون في ظروف قاسية بين الجليد ونار القناصة الروس وطائراتهم وآلياتهم يكاد يقتلهم الجوع قبل رصاص الأعداء مما اضطرهم لأن يأكلوا أوراق الشجر وهم يخوضون معركة كفر وإيمان الأمر الذي لا يقبل الحياد فالعقيدة التي تجمعنا بهم تطالبنا بمناصرتهم - ومثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى - فواجب الشعوب المسلمة أن تتحرك دعماً لهذه الثورة الإسلامية وإدانة للغزو الأجنبي حتى لا يسقط العالم الإسلامي دولة دولة ويباد شعباً شعباً بجيوش الاستعمار الروسي.

يا جماهير المسلمين:

بالمال والهتاف الداوي نشارك في معركة الإصلاح ضد الإلحاد والاستعمار الشيوعي فلا تحقروا من المعروف شيئاً ولتهبوا لمناصرة إخوانكم والمشاركة في مظاهرة تأييدهم وإدانة الغزاة صباح الخميس هاتفين ضد الغزو الشيوعي وعملاء السوفيت وطواغيت أفغانستان الخزى والعار للغزاة السوفيت، ولهم الهزيمة والدمار، والنصر للمجاهدين الأفغان...

والله أكبر والعزة للمسلمين

الاتجاه الإسلامي بجامعة

الخرطوم٢/ يناير/ ١٩٨٠م

وثيقة رقم: (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الثلاثاء / ٢٥/ رمضان

الموافق: ٢٩/ أغسطس/ ١٩٧٨م

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

الإخوة الطلاب:

كأنما لا يحتاج أحد لتقديمات مذوقة في المسألة الاقتصادية الخانقة التي يصبر عليها الشعب السوداني هذه الأيام، فقد فاقت المألوف مهما قيل في شرحها وتبريرها. والإنسان السوداني وهو يمضي سحابة نهاره في التربص والانتظار والمطاردة لوسيلة المواصلات من أي جنس كانت، يرنو لنا - بعين راجية وأذن صاغية وزفرة مكتومة - أن نحدث له من أمره يسراً، يرنو لنا أن نقول كلمة الحق التي ما بقي في الأمة من خير إن لم نقلها وما بقي في الدولة من خير إن لم تسمعها.

فالإنسان السوداني من قبل قد عرف حقاً نكبات الطبيعة وقسوتها وصبر عليها وتعاون فيها إلا أنه يشعر هذه المرة أن مواد التموين الضرورية التي تنجو من السيول والأمطار تذهب في شبكة من المجاري التحتية التي هي أضر بالإنسان من أقدار الله الجارفة لقضبان الحديد وكباري طوكر - بروتسودان التي إن عجزت الدولة عن إصلاحها وعجزت أيضاً عن الاحتياط لنواتجها (بعد أن عجزت عن التحوط منها) فيجب أن لا تعجز عن وضع سكك حديدية لعدالة التوزيع وعزيمة ناجزة في الضبط الإداري الذي يستل الجشع من المكثرين ويستل الهلع من المقلين. فالشعب - والحق يقال - قد مرت عليه مدة فقد فيها سلامة النفس وكاد الضجر والضيق أن يفسد عليه شهر الصيام والبر، أما مفردات الاقتصاد التي تسوقها الصحافة والتحليلات الفلسفية التي تطرحها لا يملك الشعب أمامها إلا منطق البداهة الذي يقول:

* إذا كانت الموارد قليلة فلماذا الأريحية في الصرف والجزالة في العطاء؟
* وإذا كان الخلل في السلطة التنفيذية فلماذا لا تغير؟
* وإذا كان القصور في الرقابة الشعبية فأين المنظمات الجماهيرية والأمانات الفرعية التي تحظى بإعانة الدولة ورعايتها؟

* وإذا كان الخلل في ميزان المدفوعات فأين هي التدابير الراشدة التي تعيد للناس الطمأنينة والثقة؟

ذلك هو منطق الفطرة البديهي الذي يسوقه الشعب وهو يقف في صف أو ينفض من صف صفر اليدين وذلك هو نوع الأسئلة المريرة التي ظلّ الاتحاد يتجرعها مع الجميع ويتلقاها من الذين لهم معرفة بالاقتصاد حسنة ومن الذين لم يعرفوا من الاقتصاد إلا السوء، ولقد ناقش المجلس الأربعيني للاتحاد المسألة باعتبارها قومية المنحى شديدة الضرر تقطع أواصر المودة وتقوي نوازع الشر والرذيلة وتسقط كرامة المواطن الذي تداعت عليه الحاجة والعوز.. ناقشها المجلس الأربعيني كما ناقشها كل الطلاب في حجراتهم وطرقاتهم حتى صارت الجامعة برلماناً شعبياً مفتوحاً، ولا غرو في ذلك فالطلاب هم أبناء الشعب وهم بناة المستقبل والذي لا يهتم منهم بأمر الأمة تعتبر قيمته صفراً في حساب الوطنية وإن نال من المعارف النصيب الأوفى.

لا غرو في هذا ولا غرو في أن تجتمع اللجنة التنفيذية للاتحاد برئيس الجمهورية باعتباره المسؤول المباشر لدى الشعب عن كل ما يعانيه الشعب..

التقت اللجنة التنفيذية برئيس الجمهورية في الثامن والعشرين من أغسطس هذا باعتبار أن الطلاب هم البرلمان المفتوح الذي لا يوادد السلطة خشية ولا يعاديها تحرشاً، ودام النقاش خمسة ساعات تناول فيها الاتحاد قضية الساعة وطرح فيها احتجاج الطلاب واحتجاج الشعب وآراءهم جميعاً في التسيب الإداري، والصرف البذخي والرقابة المفقودة والعملة المنخفضة وآثار كل ذلك على حياة المواطن الذي ظلّ يصبر ويستبشر وينتظر أمداً طويلاً، كما تعرض الاتحاد لقضية أمن الدولة وحرية المواطن ولقضية التركيز الاقتصادي وتناول بالنقد والتبرير التقليدي الذي يرجع كل أزمة لكوارث الطبيعة وأسعار البترول وعبر عن رأي الطلاب والشعب في أجهزة الإعلام وفي تأثير مطروحها مقروءاً ومسموعاً. وعبر عن رأي الجمهور في أداء الهيئة المركزية وعدم رضائه عنها رغم أنه قد تولى شخصياً الإشراف عليها.. طرح الاتحاد كل هذه القضايا في وضوح وجهد وعبّر عنها في صدق الذي لا يرجو شكراً ولا يشكر مطلقاً. هذا وقد سمعنا وكتبنا ما قاله رئيس الجمهورية شارحاً وموضحاً ومبرراً، نقتضب في الأسئلة ويسهب في الإجابة حتى تجاوزنا منتصف الليل بساعة نؤكد له إصرار الطلاب على الرقابة والنقد ويؤكد لنا استماعه للآراء واستعداده للإصلاح ما استطاع.

الإخوة الطلاب:

سيظل قدركم مرتبطاً بقدر الأمة تجهرون بما تهمس به وتصرخون بما تجهر به سيظل الاتحاد مرابطاً وراصداً ومراقباً اتساقاً مع تاريخه الطويل لا ليحبس الطلاب في الرفض

الأبدي ولا لينهج بهم نهج الإسكندر كلما اعترضته عقدة ولكن ليحفزهم للمشاركة المسؤولة التي تقيم فيها الكلمة بقدر ما فيها من صدق ويقيم فيها المجهود بقدر ما فيه من قصد وتحمد فيها المواقف بقدر ما فيها من مصلحة للأمة وإصلاح للجميع.

هذا وسيتيح الاتحاد للجميع أن يقولوا آراءهم مسموعة ويسعى للمعلومات والإحصاءات في أوثق مصادرها ويتيحها للجميع لأنه لا يعترف بالسرية فيما له تعلق بالقضايا القومية، ولنحترم الآراء ولتصطرع الأفكار فما كانت الجامعات منذ عصور الظلام إلا مركزاً للنور ومناطق للتحول نحو الأفضل والأرشد، ولنعلم جميعاً أن شعب السودان لا يحمد لنا عاطفتنا فقط بديلاً لكل قصور ننتقده أو نرفضه. فلنجعل أنفسنا أهلاً للثقة ولنجهر بالانتقاد ما وسعنا ولكن لنجتهد في البدائل النافعة حتى لا نكون رمزاً للشكوى اليائسة والضجر المفترس في مرحلة تستعد فيها الأمة للنهوض ونتلمس طرفها للرفعة.

وليشمر الجميع للعمل فإنا مشمرون.

اللجنة التنفيذية

وثيقة رقم: (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

إلى جماهير الشعب السوداني:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تعيش البلاد اليوم أزمة اقتصادية طاحنة وتعاني انهياراً تاماً في نظامها الاقتصادي تفصح عنها هذه المعاناة التي تعيشها الأمة وأعلنت عنها رسمياً الأجهزة السياسية في البلاد.

ولقد جاءت الإجراءات الاقتصادية الأخيرة دليلاً قاطعاً على فشل النظام التام وعدم مقدرته على الرسم والتخطيط والتنفيذ لسياسة اقتصادية سوية تحقق أدنى مقومات مجتمع الكفاية والعدل الذي ما انفكت تتغنى به وسائل إعلامنا المضللة كل يوم. وعلى الرغم من التنبيه المتكرر والإشارات الصريحة والتشخيص الواضح لعلل وأسباب كسادنا الاقتصادي من المجمعات العلمية بجامعة الخرطوم والمذكرات التي رفعها الاتحاد بهذا الشأن للدولة إلا أن عدم احترام الآراء وانغلاق الأجهزة الرسمية وانكفائها على ذاتها وانفرادها بالتخطيط هو الذي قاد إلى هذه النهايات المؤلمة والمآزق الحرجة التي أدخلنا فيها مجموعة السياسيين الذين يتسلمون الأجهزة الاقتصادية والمالية في البلاد ويقومون بدور المخطط والموجه فيها بأهوائهم السياسية الواضحة. ومهما تذرعت الدولة بتردي الأحوال الاقتصادية العالمية والعوامل الطبيعية وغيرها من الأسباب التقليدية التي تقال في كل مناسبة إلا أن الحقائق الآتية تظل هي الأسباب الحقيقية لهذه الأزمة وينبغي معالجتها بالعزم والحزم.

أولاً: إن الدوافع الأساسية الإنمائية والاقتصادية وبعض المشاريع التي طرحتها الدولة لتحسين الأحوال المعيشية للشعب (التقويم الوظيفي) كانت دوافع سياسية في المقام الأول يرمي النظام من ورائها لامتصاص غضب الشعب وتجاوز الأزمات الموقوتة والآنية التي تبرز من حين لآخر وظلت مشاريع التنمية وخططها الخمسية والعشرية وغيرها شعارات سياسية للاستهلاك ومادة دعائية دسمة وجزءاً من أدب المديح الذي تروج وسائل الإعلام لتضليل الجماهير وصرفها عن الحقائق والواقع ومحاولة تسليتها بالوعود الكاذبة وأضغاث الأحلام حتى وصل الأمر إلى درجة اضطرت فيها الدولة إلى مواجهة الشعب بالحقائق لا بالحلول.

وهنا لا بد أن نشير إلى أن الهجوم الأخير على الأجهزة وحلّ مجلس الوزراء ما هو إلا معالجة سياسية للأزمة الاقتصادية التي يعاني المواطن ويلاتها كل صباح. وتأتي محاولة التنصل من المسؤولية وتجريم العاملين - كل العاملين - ضرباً من دفن الرؤوس في الرمال، ومواصلة لسياسة الإيهام بوجود أعداء هم مبعث كل شر.

ثانياً: لقد بلغ الفساد الاقتصادي في البلاد إلى حد تستجلب فيه قروض إنمائية ضخمة يتم تحويلها إلى استهلاكية ويذهب بعضها لتحقيق المطامع الشخصية من قبل السياسيين والإداريين مع غياب المحاسبة الصارمة وغياب الضمير الذي أصبح من أميز مميزات القائمين على أمر أجهزة الحكومة الاقتصادية منها بوجه أخص. وأصبحت المعونات الأمريكية ظاهرة جديدة ودعامة أساسية في مرحلة ترميم وترقيع الاقتصاد السوداني في مقابل حريتنا واستقلالنا وسيادتنا وصارت أقدارنا الاقتصادية مربوطة بمؤسسات الغرب المالية والارتماء في أحضانها وكانت النتيجة هي التبعية الاقتصادية والسياسية المطلقة لأمريكا والإمبريالية العالمية بعد تحررنا من الطغيان الشيوعي في بداية السبعينات.

ثالثاً: لقد كانت السياسة الخارجية التي تنتهجها الدولة عاملاً أساسياً من عوامل انهيارنا الاقتصادي وإفقار الشعب سواء كان بتوجهاتها الرأسمالية الخالصة والتبعية للغرب أو عزل السودان عن الأسرة العربية أو التحضير لأجواء الحرب الباردة والساخنة وتوجيه كل مواردنا الاقتصادية لمواجهة ما يسمى بالأخطار الخارجية والمعارك الوهمية وخلق أجواء التوتر وعدم الاستقرار. كل هذه العوامل كانت سبباً في ما وصلنا إليه اليوم وكان من جراء هذه السياسة الخارجية التي لا تخدم مصالح شعبنا الداخلية تماماً وإنما تخدم مصالح أمريكا والغرب مقابل معونات هي للحرب وليست للسلام والأمن الاقتصادي السوداني.

رابعاً: إن التضييق على الحريات السياسية والنقابية في الآونة الأخيرة والدخول في مواجهات مع بعض الهيئات والقطاعات المنتجة يؤثر دائماً في تدني معدلات الانتاج لانعدام الثقة بين المواطن العامل والموظف من جهة والدولة من جهة أخرى - وكانت تلك المعارك وسوء المعالجات من صنع فئات داخل النظام تحاول من خلالها تثبيت أقدامها وخدمة مصالحها على حساب جماهير الكادحين والمستضعفين في السودان. وتضييق الحريات يؤدي دائماً إلى عدم الاستقرار والصراع وتدهور الأوضاع الأمنية والسياسية ويضعف اقتصاديات البلاد ويقلل من الثقة المتبادلة بين المواطن والنظام ولها أمور يجب تلافيها بالتأكيد على الحرية وتوسيع نظامها وإطاراتها.

خامساً: إن الصرف على الاحتفالات والكرنفالات والتنظيمات الوهمية التي أثبتت التجربة عدم جدواها هو من أسباب هذه الأزمة الطاحنة، ولا بد من ترشيد هذا الصرف

وإلغاء هذه التنظيمات الوهمية الأمر الذي كنا دائماً نؤكد عليه.

سادساً: إن ما تعانيه البلاد اليوم من تسيب كبير وفساد واضح في الأجهزة السياسية والإدارية لا بد من الثورة عليه ومعالجته ببرنامج متكامل للتغيير يمس بنية وذهنية ونفسية هذه المؤسسات، ولم تجد أبداً هذه الخطوات العفوية والارتجالية التي تنتهجها الدولة مستعملة الترهيب كعامل أساسي للإصلاح. إن الإجراءات التي اتخذتها الدولة لانضباط الشارع وتفريغ العاصمة وضبط الأسعار بدعوى رفع المعاناة عن الجماهير عن طريق محاربة التسيب أثبتت عدم جدواها وجديتها وكانت ثمراتها تشريد الضعفاء والمساكين، وانتهاك الحريات السياسية وإذلال المواطن، فقد أفلت منها كبار المتسيبين والمفسدين من أصحاب المناصب العليا والمصالح الحقيقية في المجتمع وليس غريباً أن تتلوها مباشرة مرحلة إعلان الإفلاس العام والانهيار الاقتصادي.

واتحاد طلاب جامعة الخرطوم إذ يشير إلى هذه الأسباب كما أشار لها من قبل يطالب الدولة بمعالجتها مستعينة بقطاعات الشعب المعزولة عن اتخاذ القرار الاقتصادي في مراحل التخطيط والتنفيذ وإنها على ثقة مطلقة أن شعبنا يملك القدرة الكافية على إيجاد الحلول لنفسه وتجاوز مشكلاته بكل الوسائل والأساليب التي يملكها.

ونحب أن نؤكد للغافلين أن شعبنا - الذي يمد حبل الصبر والأمل قادر كما كان من قبل - على اجتثاث الفاسدين وسحق العابثين بمقدراته وحقوقه وتذريتهم لرياح اللعنة ونحن نرى رأى العين أن التذمر يستحيل إلى لهب غاضب، وما أمتنا برافضة لتوبة تائب وارعواء سادر في غي الإفساد والتضليل.

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

اللجنة التنفيذية لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم

١/ نوفمبر/ ١٩٨١م

وثيقة رقم (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

الإخوة والأخوات طلاب وطالبات جامعة الخرطوم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ظللنا نتابع باهتمام بالغ القضية المطلبية العادلة للقضاة السودانيين وتطوراتها اللاحقة التي أدت إلى استقالتهم وقبولها من مجلس القضاة العالي في اجتماعه المنعقد يوم ١٧/ فبراير/ ١٩٨١م.

ولقد كنا على اتصال وثيق بلجنة القضاة السودانيين المستقيلين وبعض الجهات الحادبة على حلّ هذه المسألة الهامة المتعلقة بأمن وسيادة البلاد، محاولين فوق كل ذلك الاتصال بالجهات التي اتخذت القرار بغية حوارها وإفهامها موقف القضاة العادل ورأينا في الصورة التي عالج بها المجلس مسألة الاستقالات.

ولقد كنا ومنذ البداية نعلم أن حساسية هذه المسألة تقتضي معالجتها بعيداً عن الضجيج والتسويف ومحاولة المتاجرة بها أو تسييسها لخدمة أغراض ليست هي أغراض القضاة ولا القضاء السوداني. وحتى لا تنطمس معالم القضية وتشوه صورة المطالب العادلة التي تضمنتها مذكرات القضاة المتتالية وإيماناً بدورنا في مجال التصدي لمشكلات الوطن وما يحتمه علينا دورنا الرائد في أوساط الحركة النقابية السودانية نعلن بكل صراحة ووضوح:

١ - تأييدنا المطلق لمجمل المطالب التي تقدم بها القضاة السودانيين للسيد/ رئيس الجمهورية ولرئيس القضاة ونؤكد على عدالتها ونزاهتها.

٢ - قبول الاستقالات والصورة التي تمّ بها مدعاة للأسف الشديد وإن أي إجراءات اتخذت لتلافي الأضرار التي نجمت عن هذا القرار لا يمكنها أن تحقق العدالة ولا الأمن والاستقرار إذ هي محاولات يائسة لتلافي الخطأ الخطير الكبير.

٣ - إن الحديث عن الأساليب والإجراءات الفنية التي اتبعها القضاة أثناء تقديم استقالاتهم لا يمكن أن يكون مبرراً لقبول الاستقالات وإدخال البلاد في حالة شاذة إذ إن الظلم وحده كان هو الدافع لكل حدث، وإن تقديم الأمور لا يكون إلا برفعه عن كاهل القضاة عليه فإننا نطالب بالآتي:

أ - نطالب بوقف كل الإجراءات المتخذة الآن بصدد تعيين غير المؤهلين أكاديمياً وإبعاد من عينوا بغرض تحقيق العدالة في البلاد من ضباط الشرطة المتقاعدين والإداريين وغيرهم.

ب - أن يراجع رئيس الجمهورية قراره القاضي بقبول الاستقالات، وأن تكون مهمة اللجنة التي كوّنها عشية اتخاذ القرار - أن تكون مهمتها دراسة مطالب القضاة بنزاهة وجدية تامة بالإضافة لأي مقترحات جديدة تراها مناسبة لتمكين الهيئة القضائية من أداء واجبها بكفاءة واقتدار.

ج - نرى أن أي حلّ لقضية القضاة السودانيين لا بد ألا يتجاهل تحسين أوضاعهم المعيشية والتأكيد على استقلال القضاء وإبعاد أي عنصر يؤثر عليه كسلطة مستقلة في إصدار أحكامها.

وفي سبيل هذه الأهداف سوف نواصل السعي الصبور لإيجاد حلّ لهذه الأزمة الحقيقية طامعين في عون الله والمؤازرة التي نجدها من بعض الهيئات النقابية المهتمة بهذه المسألة.

وبالله التوفيق

اللجنة التنفيذية لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم

٢٤/ فبراير/ ١٩٨١م

وثيقة رقم (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان إلى الشعب السوداني

بمناسبة تطبيع العلاقات مع إسرائيل

أخيراً: ارتفع العلم الإسرائيلي فوق سماء القاهرة وتسرب الغزاة ومصاصو الدماء في دروب الكنانة الحزينة فما بكت المآذن وما ارتجف الأزهر الشريف، وقال الشيخ الأجير: (وإن جنحوا للسلم فأجنح لها) فصارت استراتيجية.. وأفرغ الدجالون الدين من علياء المجاهدة والثورية إلى تمتمات بلهاء لخدمة الظلمة والظلام.. وبقي الفرعون الجديد - أنور السادات رئيس أول محكمة من محاكم الثورة التي استباحت دم الشباب المصري بقي حريصاً على وداد شعب الله المختار الذي شرب الدم من أطفال دير ياسين وبحر البقر وقتل فينا كبرياء المصادمة والجهاد منذ عام ١٩٤٨م بيد الصهاينة أولاً، وبيد الحكام العرب العملاء الذين قتلونا سحلاً وشنقاً قبل قتال العدو.. وصدقنا أحاديث اليهود (إنكم كل عام ترذلون).

وأترعت قلوبنا بالصبر الجميل والتواكل وبقي الكل.. وكان آخرهم العميل أنور السادات المحصلة الأخيرة لكل تخلفنا وتراجعنا وانهزامنا.. فقد رباه عبد الناصر على الهزيمة والمذلة أليس هو الخليفة فليسبح باسمه الأغبياء ليلاً ونهاراً تسبيحاً وتبجيلاً ويشرب الباقون من البحر الذي وعدوا أن يرموا فيه إسرائيل. وما زالت المسرحية الأمريكية تلاقي الإعجاب والتصفيق منذ أن سافر بطلها الرقيع إلى إسرائيل إلى أن أوقدوا بيرقها في فضاء مصر الجريحة، وما زلنا نلاحقهم بدعوة الشهيد يوسف طلعت (اللهم اجعل دمي لعنة على رجال الثورة..)

وأخيراً: ماذا بقي على الساحة القفراء.. بقيت السلطة المصرية الخارجة، وأهل البعث آلاف مشانقهم صامدة على شعوبهم وقد باعوا الجولان فيما مضى بأبخس الأثمان.. والتكريتيون ما انفكوا يقاتلون بالكلمات الصخرية التي ستتحطم بها أدمغتهم الحجرية قريباً إن شاء الله وهذه بداية الانتصار.

وما دون ذلك تبقى المشيخات والممالك تتعامل بردود الفعل الوقتية بلا هدى ولا كتاب منير. وأما البقية منهم فلا يملكون غير صوت المذياع وشاشة التلفاز فليتعاركوا فيها حتى يستبين الخيط الأبيض من الأسود.

والشعب الفلسطيني المسكين يشكو الجوع والعطش والهزيمة وقادته لا يملكون المنهجية ولا يعملون لها متناسين أن البندقية بلا عقيدة ضرب من الانتحار العاجل والآجل،

والقوى العظمى ما زالت تقتسم الغنائم فلتنتظر الشعوب الفقيرة دورها حتى يتم قمع الشعب الأفغاني المسلم إلى مرحلة الركود والانحناء على يد الأمبريالية الروسية الهمجية الجديدة.

أتريدون الحق أخيراً؟

فالطريق إلى القدس يمر بإيران المسلمة أتعلمون ما ننتظر؟

ننتظر صلاح الدين تحت راية محمد وإنا لمنتصرون.

اللجنة التنفيذية

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

٢٧/ فبراير/ ١٩٨٠م

وثيقة رقم (٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

والصلاة والسلام على إمام المجاهدين محمد بن عبد الله الذي أتى في الكون نذيراً. . .

إنه شعب جسور يجدد النذارة والبشارة جهاداً واستشهاداً. . . أمطره رصاص الطواغيت والعملاء، فأنبت فرسان النهار والليل ورهبان القتال والاستبسال. . .

هو شعب منا ونحن منه (وأن هذه أمتكم أمة واحدة فلا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله). . . ثار ثورة لواحة على طواغيت البشر لا تذر ولا تبقي، وستنداح مطهرة الأرض من أرجاسها وأنجاسها بعون من الله ودفع إيماني هو الأبقى والأقوى. . .

وكنا يا جماهير شعبنا المسلمة - قد انفلتنا من سلطان الاستعمار العسكري. . . وحاولنا من سلطانه السياسي والاقتصادي انفلاتنا فتعثرنا مرات ووفقنا أخرى.

وها هو الشعب الإيراني يبدأ محو السلطان الثقافي والاستعلاء ليعيد الاستعلاء لأهله وهم الأعلون إن كانوا مؤمنين والمنصورون إن نصروا الله.

وها هو شعب إيران يتحكم في دم الاستعمار من جديد بترولياً، ويفقده خط أمان متقدم عسكرياً، ويثبت له عجز مؤسساته وتفوق إنساننا الذي سيحقق استخلاف الله له ويملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً ويخرج العباد من عبادة أمثالهم إلى عبادة رب العباد والله أكبر.

يا أمة أخرجت للناس لتكون خير أمة صغاراً وكباراً ورجالاً ونساء.

هبوا لما يحييكم، وشاركوا في بناء عالم جديد. الطريق طريق الثورة المؤمنة حيثما تكون ووقتما تزلزل واقع ركون ومذلة ركود.

قفوا مع الأحرار تزداد حريتكم وتربو. ادعموا بما تستطيعون، ولا تنتظروا. فحركة التاريخ مسرعة. والأمة الإيرانية تدفع الثمن، ومن دمها الوقود وتتقدم الزحف.

يا من ولدتكم أمهاتكم أحراراً لتكونوا أحراراً. . وجاءكم هدى الإسلام لتقاتلوا في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

ما توجب عليكم قتال ولكن الأعذار لكم في عدم مناصرة المقاتلين. فلنكن مع الأحرار بالقلب والكلمة. وإنها للكلمة الطيبة الراسخة السامعة، وسيذهب الزبد جفاء ويبقى ما ينفع الناس. اخرجو جميعاً في سبيل الله مناصرة لجنده في إيران، وإن جنده لهم المنصورون الغالبون. . .

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

وثيقة رقم (٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

التاريخ : ٢٨/ ربيع الثاني/ ١٣٩٩هـ
الموافق: ٢٧/ مارس/ ١٩٧٩م

السيد/ رئيس الجمهورية
بواسطة السيد/ مدير الجامعة
السلام عليكم ورحمة الله

في هذا الوقت الذي تتعرض فيه الأمة العربية المسلمة لأخطر التهديدات بنسف استقرارها وتصدع بنيانها نخاطبكم مبدين رأي طلاب جامعة الخرطوم في الذي يجري هذه الأيام حيال القضية الفلسطينية ونقول: كان موقفنا الثابت والمبدئي أن جوهر القضية الفلسطينيةهو حقوق الشعب الفلسطيني المشرد وحقه في تقرير مصيره - كما كانت دعوتنا للفلسطينيين بالاتحاد ونبذ الفرقة والشتات وجاء رفضنا لمقررات كامب ديفيد. . والآن واتفاقية الاستسلام توقع ويجيء رفضنا لها واستنكارنا الشديد لتصرف الحكومة المصرية وخط سيرها الرامي لعزلها عن الأمة العربية المسلمة وتنكرها لواجبها تجاه قضية فلسطين. السيد/ رئيس الجمهورية: إن علاقات السودان ومصر مهما كانت مصيرية وأزلية فإنها تصبح أوهن من خيط العنكبوت إذا كانت ستربطنا بطريق مباشر أو غير مباشر مع إسرائيل. ويجب أن نكون في ذلك واضحين كل الوضوح مع علمنا أن كثيراً من المواقف تفرضها ظروف قاهرة ومصاعب تجعل الخروج عليها مستحيلاً. وقد يصدق هذا أحياناً ولكن عظائم الأمور تحتاج عظماء الرجال. والتاريخ لا يقف ينتظر الذين يتفرجون على الرصيف ولكنه يحني هامته للذين يمتطون صهوته ويوجهون أحداثه.

السيد/ رئيس الجمهورية: من هنا تجيء مطالبتنا بأن تتخذ حكومة السودان من الإجراءات والخطوات ما يحفظ لها انتماءها الإسلامي والعربي، وأن تعلن براءتها من كل ما يؤدي لتمزق الصف العربي وانقسامه. وأن ترفض التنازل لإسرائيل والارتباط معها. وأن تراجع جميع مواقفها من الحكومة المصرية إن أصرت على السير حتى نهاية الشوط في هذا الطريق.

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

وثيقة رقم (٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

السيد/ شهبور بختيار

السلام على من اتبع الهدى

وبعد: إن أول عضو في جسد العالم الإسلامي يستعيد حياته وبفعالية في هذا القرن هو إيران. لقد كان الشعب الإيراني المسلم ولا يزال متجاوزاً لكل عوائق الانهزام والاستسلام وتعقيدات الأوضاع التي مكن لها الاستعمار في العالم المسلم حتى تقعده عن آداء دوره في إنقاذ البشرية وليكون شهيداً عليها. والشلل الذي أصاب مؤسسات القهر والعمالة لم يكن بسبب تفوق مادي ولا عسكري لشعب المعجزات المجاهد بل كان وسيكون في بقية أنحاء العالم الإسلامي بسبب براكين الإيمان التي ستذرى كل قشرى وزايف. ولم يكن الإمام المجاهد آية الله الخميني وهو يقود أمة هبت لنصرة دين الله يعتمد على الاستعمار ومخابراته وعلى أميركا وأسلحتها، بل اعتمد - وهو معتمد - على الله الواحد القهار ولا يظنن أحد أن الله لم يف بوعده بأن ينصر من ينصره تعالى الله علواً كبيراً.

وإن أرادتك المخابرات الأمريكية والدوائر التي تعيش من دم الشعب الإيراني وتقف ضد الإسلام وأهله لتكون صورة مزينة للعمالة، وتحويراً لعملية إذلال الشعوب وتزييف إرادتها، فإنه من المؤكد أن خططها ستجد حظاً من الفشل أكثر مما وجدت سابقاتها والتي لم تضطر إليها وهي يتخبطها الشيطان من المس، والشعب يهدر الله أكبر. . . فلتتجنب مصير الشاه، ولتترك التحايل بالشكليات والإجراءات الانتخابية التي سئم زيفها ولتستمع لصوت الشعب مشفوعاً بدماء الشهداء.

ونطالبك بالاستقالة فوراً وبتسليم الحكم إلى أصحاب الشرعية التي يشهدها العالم وللمرة الأولى في هذا القرن. إنها شرعية ثورة الجماهير المتجذرة في معتقداتها إنها أمر الله وقد قام عباده في إيران لإقامته إنهم لمنصورون.

وعاش الشعب الإيراني المسلم

وعاشت جمهورية إيران الإسلامية. .

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

١١/ فبراير/ ١٩٧٩م

وثيقة رقم (١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفخامة (الجلالة):

نحمد إليك الله الذي يحفظ في أعماق أمة الإسلام حيويتها وخصوبتها حتى تحين لها لحظة مباركة تتفجر فيها حياة خصيبة مروية بدماء المسلمين مرعية بإيمانهم وغيرتهم ووعيهم الآيب، وهذه الانتفاضة العازمة العارمة التي تشهدها إيران المسلمة لهي مظهر من مظاهر هذه الصحوة الإسلامية التي لم تحبسها بإذن الله حدود جغرافية ولم تقف أمامها حواجز مصطنعة بين بلد وآخر.

وواجب المسلمين جميعاً والثورة الإيرانية تجتاز مرحلة من أدق وأخطر وأنبل مراحلها أن لا يدخروا جهداً في مؤازرتها ومناصرتها والحيلولة دون وأدها أو الالتفاف حولها أو النكوص بها. ولقد عبرت الشعوب المسلمة عن وقوفها بجانب الشعب الإيراني المسلم في معركته العادلة، ويبقى أن يتجاوب الزعماء مع شعوبهم وأن يتخذوا موقفاً واضحاً مؤيداً للثورة وداعماً إياها بكل المستطاع ولسنا بحاجة إلى تذكيركم أن هذا واجب يمليه الإيمان ويحفز على أدائه بعد النظرة السياسية والحصافة والحكمة. لنقف إلى جانب الثورة، ولننحاز جميعاً للإسلام.

عاشت ثورة الشعب المسلم في إيران

وعاشت الثورة طريقاً لكل الشعوب المسلمة

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

وثيقة رقم: (١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

بيان عن الثورة في إيران:

بعد التحية للشعب السوداني

وهو يحتفل بميلاد نبي الهدى ورسول الحرية.

والسلام على كل الأنبياء المقاتلين والشعوب المقاتلة.

والسلام على شهداءالحرية ودعاة الحق وأنصار التحرر.

التحية لشعب إيران المسلم وللإمام الخميني الذي أعاد للأمانة شرفها وللأمة كرامتها.

التحية للمرأة المسلمة في إيران وهي تنجب في كل شهر ألف شهيد والسلام على الأطفال في إيران، فقد هتفوا للحرية قبل أن يتعلموا الكلام.

وبعد:

فإن ما يجري في إيران ليس أحداثاً محلية صغيرة ولا شغباً جماهيرياً يمكن إخماده وإنما هو ثورة عمرها ربع قرن من الزمان تمثل فيها أقسى أنواع الصراع وأشرس أنواع التنكيل والمعاناة الرهيبة على يدي الشاه الصغير الذي ورث عرشاً وعمره اثنان وعشرون عاماً.. الشاه الذي ظن بفيض البترول وسفاهة الملوك أنه يمكن أن يعيد بناء الإمبراطورية الفارسية الأولى وأن يحتفل بمرور خمسة وعشرين قرناً على تأسيسها.. وأنه بمحو الآثار الإسلامية وإلغاء التاريخ الهجري وإصدار قانون تحريم الزيّ الديني على المرأة المسلمة، أنه سوف ينجح فيما أخفق فيه أتاتورك أو أنه من الممكن أن يجمع بين حضارة فارس الوثنية وحضارة الغرب الميكانيكية على أنقاض حضارة الإسلام التي يمثلها "دراويش الشيعة" كما تدعوهم وكالات الأنباء الغربية المذعورة في حنق وغيظ. وظلّ الشاه على مدى ربع قرن من الزمان يمثل وجه الشعوب البشع والعرقية البغيضة، ويستخف بمشاعر شعبه المسلم الذي إذا تألم لحرق المسجد الأقصى أو تعاطف مع فلسطين صار الشاه يتعاطف مع إسرائيل ويمدها بالبترول. وإذا فرح الشعب الإيراني بنصر العرب في حرب اليهود صار الشاه يعصر دماءه ليعيد بناء الشعب اليهودي والجيش الإسرائيلي المحطم.

ظلّ "شاهاً" متجافياً عن العروبة والإسلام متربعاً على حقول البترول في الشرق

ومتحصناً بالمخابرات الأمريكية يغرقها بترولاً وتبيعه أسلحة حتى صارت إيران سوقاً للأسلحة الأمريكية والمأكولات الأمريكية والمزاج الأمريكي حتى في الموسيقى والرقص والخمر.. في الوقت الذي يتضور فيه شعب إيران ويتسول أبناؤه في كل عواصم الغرب. الله أكبر .. يسقط الشاه..

واشتعل البارود في إيران والتهبت الشوارع واختلطت الدبابات - كعادتها - بالناس وسقط الألوف في الأيام الأولى ولكن الهتاف ظل واحداً ومدوياً "الله أكبر يسقط الشاه" وسقط ألوف أخر ولكن الصف ازداد تماسكاً وتلاحماً في سمفونية فدائية مسلمة شارك فيها الشيوخ والنساء والأطفال والشباب بدمائهم وجماجمهم، سمفونية انبهر لها كل العالم وهو يسمع بها عبر المذياع والتلفاز دون أن يصرح معهم أحد أو يقف إلى جانبهم نصير الكل يتآمر ضدها حتى حكام العرب والمسلمين خافوا من تأييدها - لأن الدائرة عليهم قد تدور - كما خاف الأميركان والروس من معارضتها وتحيروا لأول مرة في التاريخ القريب وعجزوا عن التدخل والإنقاذ ولم يجد الشاه أمام الهتاف بسقوطه إلا أن يسقط رغم أنفه الملوكية وعزه الفارسي القديم، ولم يجد ما يصاحبه في رحلة اللاعودة إلا حفنة من تراب إيران.

كان لزاماً أن يثور الشعب.. فالتسلط قدر.. ولكن الثورة قدر أكبر.. فهذه المرة الأولى التي تنطلق فيها ثورة شعبية لتعدل خريطة الموازنات السياسية والمعادلات الكبرى في جرأة الثوار ودقة التكنوقراط وحنكة الشيوخ ولأول مرة ينكشف الوهم الكبير الذي كان يخالط عقول الساسة فيزعمون أن كل ما يصيب المنطقة من خير أو شر فهو أمريكي أو روسي وأنه لا يمكن أن يسقط نظام ويقوم آخر إلا كانت المخابرات الأمريكية ترصده وتخططه وتنفذه. ولكن ثورة إيران أثبتت أن أمريكا ومخابراتها عاجزة عن حماية "الشاه العتيق".

كما أثبتت في الجانب الآخر أن الثورة ليست بالضرورة عملاً يسارياً يخطط له الروس أو الصين إذ إنه من الممكن أن يثور المسلمون لأن التحرر من عبادة العباد والتطهر من الخنوع لغير الله شرط للدخول في الإسلام أما الإعلام المناوىء في الشرق والغرب فقد خف مذعوراً ومن خلفه الساذجون من العرب والمسلمين العاملين في الإعلام منهم والعاملين في مقاهي السياسة، خفوا يرددون أحقاد الصليبية المستشرقة في إذكاء الخلاف بين الشيعة والسُّنة، ولكن الثورة ردتهم في حسم أنها تجاوزت مرحلة الخلافات التاريخية القديمة ثم يتساءل الخبثاء عن الخبث اليساري في الثورة فتردهم الثورة أنها ثورة إسلامية مبرأة من الشيوعية ثم ترد شكوى المنهزمين حول ماهية الجمهورية الإسلامية التي ينادي بها الخميني فيجيء رد الإمام عملياً بتكوينها.

إن ثورة الشعب الإيراني - أيها الناس - قد أعادت القضية لمسرحها الطبيعي ولأبطالها الطبيعيين ليس في إيران وحدها ولكن في الشرق العربي الإسلامي كله. لقد أنهت ثورة إيران عهود الألف ليلة وليلة كما أنها قد أعلنت سقوط السريالية في السياسة، وبرهنت أن أقصر الطرق هو الواقعية الإسلامية الثائرة. والآن فقط أدركت الشعوب العربية أن الزمن المديد الذي ضاع في الشكاوى للأمم المتحدة أو التذمر من الصهيونية أو التحضير لمؤتمرات جنيف والخصومة النكداء حول الاعتراف أو اللااعتراف كل ذلك يمكن أن تحسمه الشعوب بنفسها لأن حكامها وملوكها إن كانوا قد فقدوا الطهر والكرامة فإنها ما زالت تحتفظ بطهرها وكرامتها وإسلامها... وأخيراً..

فإن ملوك العرب ورؤساءهم يسيئون لأنفسهم كثيراً بالتفرج البليد على ثورة إيران أو التحمس الأرعن لموقف كارتر منها. كما أن ملوك مصر والمغرب يسيئون لمصر والمغرب بانحيازهم لأمريكا واحتضانهم للشاه المحتضر - أما الشعوب فإن قضاياها لا تخسر وإرادتها لا ترد، ولذلك فنحن معها لطهرها وصمودها ولرباط الدين بيننا وبينها ولا يسعنا إلا أن نهتف الله أكبر يسقط الشاه - وعلى حكومة السودان ومجلس الشعب أن يحددا موقفاً واضحاً ليس بالصمت المحايد ولكن بالوقوف الإيجابي بجانب الشعب الإيراني في ثورته وعلى الإعلام السوداني أن خاف من التأييد أو عجز عنه أن لا يشوه القضية.

عاش الشعب السوداني حرّاً أبياً

وعاش الشعب الإيراني ثائراً قوياً

والموت لأعداء الشعب

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم



وثيقة رقم: (١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد طلاب جامعة الخرطوم

التاريخ: ١١ رجب ١٣٩٩هـ

الموافق: ٧ يونيو ١٩٧٩م

السيد رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ظللنا نرقب ومنذ وقت تطور الأحداث وتسارعها إلى الأسوأ في الناحية الاقتصادية على وجه الخصوص. وتعيش هموم المواطن السوداني الذي ضاق به العيش وأنهكه الجري وراء متطلبات الحياة الضرورية. ومهما اتخذت الدولة من تدهور الاقتصاد العالمي وسيلة تبرر بها شظف العيش في السودان فإن ذلك لا يعفيها البتة من التشخيص الجريء للأسباب المحلية التي أدت بنا إلى هذه الأوضاع الأليمة. فلقد أصبحت القرارات المتعجلة والسريعة الفشل سمة ظاهرة، وقانوناً ثابتاً يحكم حياتنا اليوم وليس متضرر ولا منكوب إلا البسطاء والفقراء من أبناء هذا الشعب. بل أصبحت مشاريع الرخاء والنعيم وقوائم المنجزات الوهمية مجالاً تمرح فيه وسائل الإعلام للاستهلاك السياسي في مجتمع جائع وبائس. ويوم كانت البلاد تحتفل بعيد الثورة العاشر كان الأمل معقوداً بخطة تضعها الدولة لتضع عن الأمة هذه الأثقال والأغلال.. بيد أن الدولة كاشفتنا بزيادات في الأسعار لم يسلم منها ما هو طيب وما هو خبيث ظناً منها بأن ذلك هو سبيل الاصلاح.

وإذا كانت هذه الجزاءات الاقتصادية الجديدة سببها مشروع التقويم والترتيب، فالأنسب أن نتجه لتقويم المشروع نفسه ونصحح أخطاءه أو نلغيه إذ هو مشروع يفتقر إلى الدراسة الجادة والتخطيط السليم. فمنذ أن ولد هذا المشروع كانت هناك اضرابات حقوقية سببها هذا المشروع الذي لم يدرس بجدية أوضاع ما قبل التقويم والترتيب وكانت الإصلاحات والتعديلات التي أصابته من حيث لا يدري ولا يدري المخططون هي السبب في هذه الفروقات.

السيد الرئيس: إذا كانت العجلة في اتخاذ القرار وعدم التخطيط سمة رئيسية في سياساتنا فإن الفساد السياسي والإداري في هذه البلاد واضح وجلي. ولا نزال ننبه إلى

الصرف البذخي غير المبرر في بعض قطاعات الدولة. وما نزال ننتظر تقارير لجان كونها الرئيس لهذا الشأن لوقت مضى.. فانتهت مهمتها بمجرد تكوينها. ولا نزال نكرر ونؤكد قناعتنا بأن أمر السودان لا بد أن يكون للجميع يشاركون فيه بالرأي ويصدرون القرار ثقة منا بأن رأي الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها ونشك في أن قرارات الدولة سيما هذه الأخيرة قد تمت بصورة جماعية تقلل فرص الخطأ وتقدم المبررات الكافية لهذه القرارات ونحن لا ننتظر من الحكومة المن والسلوى ولكن نريد منها أن لا تنفرد بالقرار الخطير بل أن تتجه به إلى الناس.

إن الشعب اليوم يمكن أن يستغني عن السلع المعينة ويجاهد ويصابر إن كان الأمر يحتاج التضحية والفدائية ولكن أن يتحمل الشعب نتيجة أخطاء فردية أو مجموعات لا تتقن ولا تحسن عملها، فهذا ما نرفضه ونأباه.

ونحن في اتحاد طلاب جامعة الخرطوم نقول:

" إن البلاد اليوم بحاجة إلى تقويم وترتيب في كافة سياساتها وجل أمرها - ولكنه ترتيب وتقويم يسبقه التخطيط والدراسة ويصدقه أو يكذبه رأي الشعب. ونحن إذ نتوجه إليكم بهذه النصيحة يحدونا إلى ذلك واجبنا فلا خير فينا إن لم نقلها ولا خير فيكم إن لم تقبلوها".

اللجنة التنفيذية

لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم

المراجع

أولاً: الكتب

١ - حسن مكي محمد أحمد، **حركة الإخوان المسلمين في السودان ١٩٤٤ - ١٩٦٩م**، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية جامعة الخرطوم الخرطوم.

٢- دوقان عبيدات وآخرون، البحث العلمي ومفهومه، أدواته وأساليبه، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٤ .

٣- أحمد بدر، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، الكويت، وكالة المطبوعات ١٩٧٣م.

٤- Barbara Leigh Smith and other Political Research Methods Foundation and Techniques (Boston: Houghton Mifflin Company 1976).

٥- السيد يس (مشرف) تحليل مضمون الفكر القومي العربي: دراسة استطلاعية. (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٢م).

٦- أحمد عبد العاطي (مراجع): سمير محمد حسين (تحليل المضمون) مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، جامعة الكويت، العدد الأول ١٩٨٦م.

٧- محمد زيات عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٨- حسن مكي محمد أحمد، **الحركة الطلابية السودانية بين الأمس واليوم**، الخرطوم، دار الفكر، د.ت.

٩- أحمد سليمان، **ومشيناها خطى، صفحات من ذكريات شيوعي اهتدى**، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٣م.

١٠- مذكرات عبد الماجد أبو حسبو، **جانب من تاريخ الحركة الوطنية في السودان**، الجزء الأول، دار النشر والتوزيع، فبراير ١٩٨٧م.

١١- عفاف أبو عفان، حركة **الخريجين وتطويرها حتى قيام الأحزاب السودانية ١٩١٨م - ١٩٤٥م**. ملف مؤتمر الحركة الوطنية في السودان، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية.

١٢- محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠م - ١٩٦٩م**. المطبوعات العربية للتأليف والترجمة الخرطوم.

١٣- حسن عبد الله الترابي، **الحركة الإسلامية في السودان، الكسب والمنهج**، الطبعة الأولى، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية ١٩٨٨م.

١٤- Yahia Hussin Babiker، Ksus، Political Role During 1969- 1979، Kusu 1980 .

١٥- محمد وقيع الله، **الإخوان وسنوات مايو**: وثائق الصراع والمصالحة، دار الفكر، جامعة الخرطوم، د.ت.

١٦- محمد طه محمد أحمد، آخر أيام الصادق المهدي، قصة الحريق السياسي الذي انتهى بالإنقاذ الوطني، دار الإعلام للطباعة والنشر، الخرطوم ١٩٩٤م.

١٧- حسن مكي، **الحركة الإسلامية في السودان ٦٩ - ١٩٨٥م تاريخها وخطابها السياسي**، الطبعة الأولى، دار المعرفة، الخرطوم ١٩٩٠م.

١٨- Zakaria Bashir، The National Reconcitiation of the Sudan and its After Math .

١٩- حسن الترابي، **نظرات في الفقه السياسي**، الشركة العالمية لخدمات الإعلام، الخرطوم.

٢٠- حسن الترابي، **تجديد الفكر الإسلامي**، الطبعة الثانية، جدة الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٨٧م.

٢١- علي شريعتي، بناء **الذات الثورية ومنهج التعرف على الاسلام**.

٢٢- محمد أحمد شاموق، أكتوبر ثورة الطلاب.

٢٣- أمين حسن عمر، **مكونات الثقافة السودانية**.

٢٤- محمود محمد طه، الرسالة الثانية.

٢٥- محمود محمد طه، **تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

٢٦- عبد الرحيم عمر محيي الدين، **استراتيجية المصالحة الوطنية وأثرها على مسيرة الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم ٧٧ - ١٩٨٥م**. معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم مايو ١٩٩١م.

٢٧- حسن الترابي، **رسالة المرأة**.

ثانياً: المقابلات

١- محمد جلال أحمد هاشم. من أبرز قيادات مؤتمر الطلاب المستقلين في الفترة من ١٩٧٩م - ١٩٨٤م. تمت المقابلة ٢٤ أبريل ١٩٩١م.

٢- محمد محيي الدين الجميعابي من أبرز قيادات الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم في الفترة من ١٩٧٢م - ١٩٨٣م. أمين أمانة المؤتمر الوطني بولاية الخرطوم ونائب رئيس جمعية الهلال الأحمر السوداني. تمت المقابلة ١١ أكتوبر ١٩٩٢م.

٣- محمد طه محمد أحمد. الصحفي المعروف والقانوني. تمت المقابلة بتاريخ ٢٢ أبريل ١٩٩١م.

٤- د. عبد الله علي إبراهيم. أستاذ المساعد بمعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية سابقاً. تمت المقابلة بتاريخ ٩ مايو ١٩٩١م.

٥- د. التجاني عبد القادر. أستاذ مساعد بقسم العلوم السياسية بجامعة الخرطوم وعضو المجلس الوطني الانتقالي. رئيس اتحاد طلاب جامعة الخرطوم دورة ١٩٧٧ - ١٩٧٨م. تمت المقابلة بتاريخ ٢٣ أبريل ١٩٩١م.

٦- د. عبد اللطيف البوني. محاضر بجامعة إفريقيا العالمية. تمت المقابلة بتاريخ ٢٣ أبريل ١٩٩١م.

٧- عادل أحمد الباز. الأمين العام لمنظمة نمارق. من أميز الصحفيين المستقلين بجامعة الخرطوم في فترة الدراسة. تمت المقابلة ٢٤ أبريل١٩٩١م.

٨- خالد حسن إبراهيم. رئيس اتحاد طلاب جامعة الخرطوم دورة ١٩٨٢ - ١٩٨٣م ورئيس الاتحاد العام للطلاب السودانيين دورة ١٩٨٤م. تمت المقابلة ٢٩ ديسمبر ١٩٩٣م.

٩- رقية يحيى علي. من عضوات الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم. تخرجت بكلية الهندسة جامعة الخرطوم. تمت المقابلة ٢٧ ديسمبر ١٩٩٣م.

١٠- د. حسن مكي محمد أحمد. مدير قسم البحوث بجامعة إفريقيا العالمية. عضو اتحاد طلاب جامعة الخرطوم دورة شعبان ١٩٧٣م. تمت المقابلة ١٩٨٢م.

ثالثاً: الصحف والمجلات

١- **آخر لحظة**، صحيفة الاتجاه الإسلامي، يناير ١٩٨١م.

٢- **مجلة الملتقى**، حسن مكي محمد أحمد (قصتي مع الحركة الإسلامية)، العدد: ٦٢، أكتوبر ١٩٩٢م.

٣- **مجلة الجامعة**، الخرطوم، العدد: ٢٤، أغسطس ١٩٨٣م.

٤- مجلة الجامعة، الخرطوم، العدد ٢٢، فبراير ١٩٨٣م.

٥- **مجلة الجامعة**، الخرطوم، العدد: ٢٠، أبريل ١٩٨٢م.

٦- **مجلة الجامعة**،الخرطوم، العدد: ١٢، سبتمبر ١٩٧٩م.

٧- **مجلة الجامعة**، الخرطوم، العدد: ١٠، ١٩٧٩م.

٨- **صحيفة السوداني**، صديق يونس، الصراع في جامعة الخرطوم، الخرطوم ١٦ أبريل ١٩٨٧م.

رابعاً: المنشورات

١- الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم، **الاتجاه الإسلامي المولد والفكرة**، منشورات الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم، أكتوبر ١٩٨٢م.

٢- أمين حسن عمر، **أصول فقه الحركة: ملامح من تجربة الحركة الإسلامية بالسودان**، منشورات الجبهة الإسلامية القومية ١٩٨٩م، الطبعة الأولى.

٣- اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، **اتحاد طلاب جامعة الخرطوم بين الماضي والحاضر**، منشورات اتحاد طلاب جامعة الخرطوم.

٤- الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم، جدول المحاضرات ١٩٨٢م، منشورات الاتجاه الإسلامي.

٥- الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم، **العمل التنظيمي من منظور اسلامي، ١٩٨٣م**، منشورات الاتجاه الإسلامي.

٦- رابطة الفكر الجمهوري، **الإخوان يلعبون على الحبلين**، منشورات الإخوان الجمهوريين.

٧- بيان للاتجاه الإسلامي في الذكرى الرابعة والعشرون للاستقلال أول يناير ١٩٨٠م.

٨- بيان من الجبهة الديموقراطية بجامعة الخرطوم، حول التغيير الجديد بالجامعة ٣٠/ ١٢/ ١٩٦٩م. منشورات الجبهة الديموقراطية بجامعة الخرطوم.

٩- بيان من تجمع العاملين بجامعة الخرطوم ٩/ ١٢/ ١٩٧٠م.

١٠- بيان من الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم ٢٩/ ١٢/ ١٩٧٩م.

١١- بيان من الاتجاه الإسلامي بجامعة الخرطوم ٢/ ١/ ١٩٨٠م.

١٢- بيان من الاتجاه الإسلامي بالجامعات والمعاهد العليا ١٩٨٠م.

١٣- بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، حول المصالحة الوطنية، أغسطس ١٩٧٧م.

١٤- بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ١٨ يوليو ١٩٧٨م.

١٥- بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ١١ نوفمبر ١٩٨١م.

١٦- بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ٢٤ فبراير ١٩٨١م.

١٧- بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، أغسطس ١٩٧٩م.

١٨- بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ٧ يوليو ١٩٧٩م.

١٩- بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ٢٠ يناير ١٩٧٩م.

٢٠- بيان من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، ١٩٧٩م، منشورات الاتحاد.

٢١- بيان من مؤتمر الطلاب المستقلين عن المبادىء الأساسية والبرنامج الانتخابي ١٩٧٩م.

٢٢- بيان للاتجاه الإسلامي في الذكرى الرابعة والعشرون للاستقلال أول يناير ١٩٨٠م.

٢٣- منتدى الأصدقاء الفكري، كلية الطب، ورقة تعريفية، ١٩٨١/١١/٥م.

٢٤- داود يحيى بولاد، خطاب الدورة لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم دورة ٧٤ - ١٩٧٧م.

الفهرس



عبد الرحيم عمر محي الدين

- موالید قریة نعیمة بمحافظة القطینة ۱۹٥۹.
- باكالوريوس الآداب والتربية، جامعة الخرطوم ۱۹۸٥.
- دبلوم الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم ۱۹۹۱.
- ماجستير علوم سياسية، جامعة الخرطوم ١٩٩٤.
- دكتوراه علوم سياسية، المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، كوالا لمبور ماليزيا مايو ۲۰۰۱.
- عضو إتحاد طلاب جامعة الخرطوم ۱۹۸۱-۱۹۸۲.
- سكرتير أمانة العلاقات السياسية بالجبهة الاسلامية ١٩٨٧.
- مدير مؤسسة موفق الدولية بولاية الخرطوم ۱۹۹۲-۱۹۹٥.
- عضو الأمانة العامة ثم رئيس دائرة الإعلام ثم مساعد الأمين العام بأمانة المؤتمر الوطنى بولاية الخرطوم ١٩٩٥-١٩٩٧.
- عضو المكتب السياسي بالمؤتمر الوطنى ۲۰۰۱ ومقرر مناوب له.
- مساعد أمين العلاقات الخارجية بالمؤتمر الوطنى ۲۰۰۱.

الدورات

- دورة موفق الدولية لبحوث العمليات ١٩٩٤.
- دورة مركز تطوير الادارة ۱۹۹٥.
- دورة أكاديمية السودان للعلوم الادارية ١٩٩٦.
- إلتحق بالسلك الدبلوماسى في سبتمبر ۲۰۰۱ حيث عمل ملحقا إعلاميا بسفارة السودان بلبنان ۲۰۰۰ - مايو ۲۰۰۳ ثم سفارة السودان بتركيا يونيو ۲۰۰۳.
- صدر له كتاب عن «دار الفكر» تحت عنوان:

Early Islamic State
Religio-Political Element behind
Insurrections

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان